

عبد السلام هارون

تَهْنِئَةٌ
بِإِسْتِيفَانِ
مَدِينَةِ
الْمَدِينَةِ
الْمَدِينَةِ

مؤسسة الرسالة



Bibliotheca Alexandrina

0098120

تَهْزِيْبُ
مِيْرَابِ هَسْبِ

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الرابعة والعشرون
١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م

مؤسسة الرسالة - بيروت - وطني المصيبة - مبنى عبد الله سليم
تلفاكس : ٨١٥١١٢ - ٣١٩٠٣٩ - ٦٠٣٢٤٣ - ص.ب. : ٧٤٦ - بوقيا: بوشتران



Al-Resalah
PUBLISHING HOUSE

BEIRUT / LEBANON - TELEFAX : 815112 - 319039 - 603243 - P. O. BOX : 117460

عبد السلام فارون

تَهْنِئَةٌ لِأَيُّوبَ
مِنْ أَوْلَادِهِ وَأَهْلِيهِ
وَمَنْ حُبَّاهُ

مؤسسة الرسالة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

نورٌ وهماج أفضى إلى ظلمات الجهل والوثنية فانجابت كما ينجاب الغمام، وهُدًى من الله أرسله إلى هذه الإنسانية الضالة فانتشلها من ضيعة وانتاشها من هلاك، وأنقذها مما كانت تتخبط فيه من دياجير الظلام وعقابيل الضلال.

كانت حياته ﷺ صفحة عريضة من صفحات الجهاد لإنقاذ هذه البشرية، ومثلاً صادقاً من مثل البرِّ والمرحمة، وسيرة عالية سامية في معاملة الخالق ومعاملة المخلوق، تلمع أضواء هذه السيرة في كتاب الله الذي يقول: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، وفي آفاق الكتب الوثيقة التي خطها العلماء منذ القدم، متضمنةً صفحاتٍ من هذا العطر، ومضاتٍ من ذلك الإشراق.

صلى الله عليه وسلم، ورضي وأنعم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التاريخ والسيرة

لم يعرف التاريخ في جاهليتهم إلا ما توارثوه بالرواية، وكانت طبيعة التاريخ حينئذ مسائرة لطبيعة الحياة العربية، ففيه مفاخر الأباء والأجداد، من بطولة ومن كرم ومن وفاء، وفيه الأخبار تدور حول الأنساب والأحلاف، وفيه ما صنعوا من حديث يذكر تاريخ البيت وسدنته، وزمزم وانبعاثها، وأنباء جرهم وأمراء قريش، وسد مأرب الذي انبثق ففترق القوم إثره في البلاد، وما كان من أخبار الكهان وأسجاعهم، ونحو ذلك مما يصور حياتهم الاجتماعية والسياسية والدينية.

وجاء الإسلام وتلك الأخبار تروى، وتلك الأنباء تؤثر، ثم وجدوا في ظهور دعوة الإسلام وما سبقها من إرهاب بالنبوة، ومن حياة الرسول الأولى ونشأته الكريمة، وما تلا ذلك من أنباء الرسالة وأنباء المسلمين أصحاب رسول الله، وأخبار أعداء رسول الله، وسيرة رسول الله في المسلمين والمشركين والنصارى واليهود، مادة غزيرة النبع واسعة الأفاق، فتداولوا بينهم تلك الأخبار من طريق الرواية كذلك، وكان القرآن الكريم والحديث النبوي وكلام الأصحاب، سجلاً حافلاً لتلك الحياة الجديدة.

كان القرآن مكتوباً، ولكن الحديث النبوي ظل دهنراً طويلاً في منأى عن الكتابة، لا يعرفه الناس إلا رواية موثوقاً بها، ولم يجرؤ أحد أن يكتب الحديث بصفة عامة، استجابة لما ورد في حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن، فمن كتب عني شيئاً سوى القرآن فليمحاه».

وكانت الحكمة في هذا ظاهرة، وهي الخشية من أن يختلط الوحي بحديث الرسول في أثناء نزول الكتاب، وواضح أن هذا الأمر إنما كان يقصد به المحافظة على هذا الغرض الكريم، وكان بلا ريب موقتماً بنزول القرآن.

وظل الأمر كذلك حتى كانت أيام عمر بن عبدالعزيز، الذي ولي الخلافة من سنة ٩٩ إلى سنة ١٠١. ويذكرون أنه ظل يستخير الله أربعين يوماً في تدوين الحديث، فخار

الله له، وأذن لأبي بكر بن محمد بن عمر بن حزم في تدوين الحديث فدون ما كان يحفظه، في كتاب بعث به إلى الأمصار. وكان أبو بكر هذا قاضياً ووالياً على المدينة، وتوفي سنة ١٢٠.

كما أمر عمر بن عبدالعزيز أيضاً محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، شيخ مالك، أن يدون حديث رسول الله، فصنع في ذلك كتاباً.

واستمر المسلمون من بعد ذلك يؤلفون في الحديث، لا تتقيد كتبهم بنهج خاص في التنسيق والترتيب، بل يجمعونها كما يتفق لهم، وقد يصنف أحدهم كتاباً في باب خاص من أبواب التشريع، ثم تدرج التصنيف فالفيناهم ييؤبون كتب الحديث ويفردون من ذلك أبواباً خاصة لأخبار الرسول ﷺ يذكرون ما كان من أمر ولادته ورضاعه وما بعدهما إلى البعثة، ثم يفصلون أحواله بعد ذلك في مكة، من دعوته قريشاً إلى دين الله، وصبره على إيذائهم له ولأصحابه، ويتناولون أخبار الغزوات والسرايا وما أشبه ذلك من أمور الجهاد.

وانطلق المؤرخون في سبيل آخر يؤلفون في التاريخ كتباً عامة، وقد يخصص أحدهم تاريخاً لحياة الرسول الكريم، يشبعون بذلك ميولهم الدينية الخاصة، التي ترى في الرسول - لا ريب - قدوة المسلمين، وهدى المهتدين.

مؤلفو السير:

فكان أول كتاب السيرة عروة بن الزبير بن العوام (٩٢)، وأبان بن عثمان (١٠٥)، وهب بن منبه (١١٠)، وشرحبيل بن سعد (١٢٣)، وابن شهاب الزهري (١٢٤)، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم (١٣٥).

وقد بادت كتب هؤلاء جميعاً، لم يبق منها إلا أشلاء متناثرة في بطون كتب التاريخ كتاريخ الطبري، وإلا قطعة من كتاب وهب بن منبه محفوظة في مدينة هيدلبرج بألمانيا.

ثم جاءت طبقة من المؤلفين كان أشهر رجالها موسى بن عقبة (١٤١) ومعمار بن راشد (١٥٠)، ومحمد بن إسحاق (١٥٢).

وطبقة أخرى كان منها زياد البكائي (١٨٣)، والواقدي صاحب المغازي (٢٠٧)، وابن هشام (٢١٨)، ومحمد بن سعد صاحب الطبقات (٢٣٠).

سيرة ابن إسحاق:

وكان أشهر هذه الكتب وأعلها مقاماً وأشدّها وثوقاً، سيرة محمد بن إسحاق^(١) التي ألفها في أوائل أيام العباسيين. يروون أنه دخل على المنصور ببغداد، وبين يديه ابنه المهدي، فقال له المنصور: أتعرف هذا يا ابن إسحاق؟ قال: نعم، هذا ابن أمير المؤمنين. قال: اذهب فصنف له كتاباً منذ خلق الله آدم عليه السلام إلى يومك هذا. فذهب ابن إسحاق فصنف له هذا الكتاب، فقال له: لقد طولته يا ابن إسحاق، اذهب فاختصره.

وألقي الكتاب الكبير في خزانة أمير المؤمنين.

عن جماعة من المصريين، ثم رحل إلى الكوفة والجزيرة والري والبصرة وبغداد حيث ألقى عصاه ووافته منيته فيها سنة ١٥٢ وفيه يقول ابن عدي: «لولا لم يكن لابن إسحاق من الفضل إلا أنه صرف الملوك عن الاشتغال بكتب لا يحصل منها شيء للاشتغال بمغازي رسول الله ﷺ، ومبعثه ومبتدأ الخلق، لكانت هذه فضيلة سبق بها ابن إسحاق.

(١) هو محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، أبو عبد الله المدني القرشي، مولى قيس بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف. كان جده يسار من سبي عين التمر، بلدة غربي الكوفة على طرف البرية، افتتحها المسلمون في خلافة أبي بكر سنة ١٢ فجيء به إلى المدينة، وولد حفيده محمد فيها سنة ٨٥ وأمضى بالمدينة ثوب شبابه ورحل إلى البلدان الإسلامية، وكانت رحلته إلى الإسكندرية في سنة ١١٥ فحدث

سيرة ابن هشام

وقد جاء بعده ابن هشام^(١) فروى لنا هذه السيرة مهذبة منقحة بعد تأليف ابن إسحاق بنحو نصف قرن، بوساطة رجل واحد، هو زياد البكائي^(٢).

ولم يكن كتاب ابن إسحاق الذي رواه ابن هشام بهذا القدر الذي بين أيدينا اليوم، فإن ابن هشام تناول جوانب ابن إسحاق بكثير من التحرير، والاختصار، والإضافة، والنقد أحياناً، والمعارضة بروايات أخر لغيره من العلماء كذلك. وقد ساق في صدر السيرة بعض منهجه لرواية ذلك الكتاب.

ونحن لا نشك مع ذلك أن ابن هشام كان ملتزماً جانب الأمانة والحرص في رواية كتاب ابن إسحاق، لم يبدل منه كلمة واحدة، ولم يزد كلمة لبيان الخطأ أو شرح الغامض أو معارضة الروايات إلا صدرها بقوله «قال ابن هشام».

وأما الاختصار فإنه كان المقصد الأساسي في روايته للسيرة، فحذف ما كان قبل تاريخ إسماعيل بن إبراهيم، عليهما السلام، منذ بدء الخليقة، وكذا حديث أبناء إسماعيل، والأخبار التي ليست من السيرة في شيء - فيما كان يراه هو - وحذف الأشعار الكثيرة التي كان يشك في مبلغ روايتها من الصحة.

والمتعقب لأصل السيرة من رواية ابن هشام يلمح في ذلك طابع الحرص الشديد

البكاء من بني عامر بن صعصعة. قدم زياد إلى بغداد وحدث بها بالمغازي عن محمد بن إسحاق، وبالقرائن عن محمد بن سالم، ثم رجع إلى الكوفة فمات بها في خلافة هارون سنة ١٨٣. وكان ابن هشام يقدر هذا الشيخ حق قدره، فيقول في صدر كتابه «وأنا تارك أشياء بعضها يشنع الحديث به، وبعض يسوء بعض الناس ذكره، وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته».

(١) هو أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري. كان منشؤه بالبصرة، ثم نزل مصر واجتمع به الإمام الشافعي، وتناشدا من أشعار العرب الشيء الكثير. وصنف ابن هشام سوى تهذيبه سيرة ابن إسحاق كتاباً في أنساب حمير وملوكها. وكتاباً في شرح ما وقع في أشعار السير من الغريب. توفي بالفسطاط سنة ٢١٨.

(٢) هو المحافظ أبو محمد زياد بن عبد الملك بن الطفيل البكائي العامري الكوفي. والبكائي نسبة إلى بني

والأمانة الصارمة، التي كانت سمة العلماء المسلمين في تلك العصور القديمة.

منزلة سيرة ابن هشام:

ومهما يكن من شيء فإن كتاب ابن إسحاق كان العمدة لقراء السيرة منذ قديم الزمان إلى يومنا هذا، ولا تكاد تجد رجلاً أوغل في دراسة سيرة الرسول إلا وكتاب ابن إسحاق إمامه الأول في ذلك.

وقد عرفت سيرة ابن إسحاق بين العلماء منذ عهد عهد باسم «سيرة ابن هشام» لما أنه كان راوياً ومهذباً. يقول ابن خلكان: «وابن هشام هذا هو الذي جمع سيرة رسول الله ﷺ من المغازي والسير لابن إسحاق، وهذبها ولخصها، وهي السيرة الموجودة بأيدي الناس، والمعروفة بسيرة ابن هشام».

وقد لقيت هذه السيرة من الدارسين والشارحين عناية صادقة، شرحها أبو القاسم عبدالرحمن السهيلي^(١) (٥٨١) شرحاً مسهباً في كتابه المسمى «الروض الأنف».

وجاء بعده أبو ذر الخشني^(٢)، فتصدى للكتاب فشرح غريبه، وكتب شيئاً من النقد في كتابه «شرح السيرة النبوية» الذي نشره الدكتور برونله.

وصنع بدرالدين محمد بن أحمد العيني شرحاً لها سماه «كشف اللثام، في شرح سيرة ابن هشام» فرغ منه سنة ٨٠٥.

ومن ناحية أخرى نجد آخرين قد عنوا باختصار السيرة، ومنهم برهان الدين إبراهيم بن محمد المعروف بابن المرحل الشافعي، اختصرها وزاد عليها بعض ما كان ينقصها في كتاب جعله ثمانية عشر مجلساً، سماه «الذخيرة، في مختصر السيرة» أتم تأليفه سنة ٦١١. وأبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الواسطي، اختصرها في كتاب سماه «مختصر سيرة ابن هشام» فرغ منه سنة ٧١١.

ومن نظمها شعراً أبو محمد عبدالعزيز بن محمد بن سعيد الدميري الديريني وكانت وفاته سنة ٦٦٣. وأبو بكر محمد بن إبراهيم المعروف بابن الشهيد المتوفى سنة ٧٩٣. وقد سمي كتابه «الفتح القريب، في سيرة الحبيب»، وهو في بضع عشرة ألف بيت.

(١) هو أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد ابن أصبغ الخثعمي السهيلي الأندلسي المالقي. وسهيل: واد بالأندلس من كورة مالقة. عاش حياته في الأندلس إذ ولد بها سنة ٥٠٨ وأقام بمراكش أحوالاً

ثلاثة حيث توفي بها ٥٨١. (٢) هو أبو ذر مصعب بن محمد بن مسعود الجبالي الخثني، نسبة إلى خثين، وهي قرية بالأندلس، وقبيلة من قضاة. ولد سنة ٥٣٢ وتوفي سنة ٦٠٤.

تهذيب سيرة ابن هشام:

وقد كنت في صدر الشباب أحاول المرة بعد الأخرى أن أقرأ هذا الكتاب الجليل من مبتدئه إلى منتهاه، فكان يصدني عن ذلك ما كنت أجده في ذلك التأليف من اضطراب واستطراد يكادُ الذهن ويجلب السامة، فلا أقرأ منه إلا أجزاء متناثرة أراها كالرياض في صميم الفلاة، يغريني بقراءتها ما يجتذيني من جمال القول وجلال الغاية.

والحق أنني كنت أجده في تلاوة السيرة شيئاً مما كنت أجده في تلاوة الكتاب الكريم وحديث الرسول من تعبد صادق وخشوع خاضع. ولعل سراً دفيناً كان يترع بي إلى معاودة تلك التلاوة، أن والذي رحمه الله كان ممن ألفوا في السيرة، صنع في ذلك موجزاً سماه «تلخيص الدروس الأولية، في السيرة المحمدية»، وجعله في ثلاثين فصلاً، وظل ذلك الكتاب دهرًا طويلاً لا يدرس سواه في المعاهد الدينية، إذ كان من برامج الدراسة فيها درس خاص يسمى «درس السيرة».

ولكني مع ذلك لم أوفق لقراءة الكتاب كله، لما ذكرت من اضطراب التأليف وشيوع الاستطراد. فقارئ السيرة تعترضه فصول طوال في أساء أسارى بدر، وأساء خيل المسلمين ببدر، وجريدة من حضر ببدر من المسلمين من قريش ومن الأنصار، ومن استشهد منهم يوم بدر، ومن قتل به من المشركين، وما قيل من الشعر في يوم بدر، وأشباه ذلك من الأمور السردية، ومن الأشعار المسهبة والأنساب المطولة، والاستطرادات اللغوية، وطائفة من تفسير كتاب الله مما لا يدخل في صميم السيرة وإن كان يحوم حولها. وشيء آخر هو السند الذي تصدر به معظم فقار السيرة، مما ليس له قدر إلا عند الناقلين من العلماء.

فحاولت في هذا «التهذيب» أن استخلص لباب هذا التأليف لأقدمه إلى القارئ في ثوب جديد يستسيغ النظر فيه، ولا تنقطع به السبيل في تلاوته، مع الحرص التام على نص الكتاب، بحيث يستطيع القارئ أن يقتبس منه ويستشهد به معزواً إلى أصله الأول، فإني لم أبدل حرفاً واحداً من نص الكتاب؛ لأني راعيت فيه أمانة الأداء، وراعيت باطراد أن أنسب إلى ابن هشام ما هو له، بأن أنص على ذلك في صدر كلامه، أو أجعله وحده في حاشية الكتاب معزواً إليه، طبقاً لما يقتضيه التأليف. وأما سائر النصوص فهي نصوص ابن إسحاق من رواية ابن هشام. ولم أذكر من الأسناد إلا ما هو ضروري لإقامة النص، مما رواه ابن إسحاق أو ابن هشام منسوباً إلى قائله.

وقد عانيت أن أضبط تلك النصوص جميعاً، وأن أفسر منها ما يحتاج إلى توضيح،
معتمداً في ذلك على شراح السيرة، وكتب الآثار واللغة المعتمدة.

وأما بعد فإن التهذيب ضرب من التيسير لمن لم تتح له قراءة الأصل، ووصلة
صالحة تصل بين شباب اليوم وتراثهم القديم الكريم.

وبحسبك أنك تستطيع أن تقرأ هذا الكتاب في أيام معدودات فتظفر منه بالخير
العاجل الكثير، وأنت إذا قرأت الأصل، ولست بمطيقه، اقتضاك هذا من الوقت أشهراً
معدودات.

والله أسأل أن يجعل هذا الكتاب نافعاً، كما أحسبه فيما قدمت للعلم من مجهود
ضئيل، أردت به فيما أردت رضوان الله ورضوان الرسول.

مصر الجديدة في ربيع الثاني ١٣٩٦ . إبريل ١٩٧٦ .

عبد السلام هارون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذِكْرُ سَرْدِ النَّسَبِ الزُّكِّي
مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام:

هذا كتاب سيرة رسول الله ﷺ: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب (واسم عبد المطلب شيبه) بن هاشم (واسم هاشم عمرو) بن عبد مناف (واسم عبد مناف المغيرة) بن قُصَيِّ (واسم قصي زيد) بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كِنانة بن خُزَيْمة بن مدركة (واسم مدركة عامر) بن الياس بن مُضَر بن نِزار بن مَعَد بن عدنان بن آدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يَعْرُب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن بن تارح (وهو آزر) ابن ناحور بن ساورغ بن راعوب بن فالخ بن عيبر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن ملك بن متوشلخ بن أخنوخ (وهو إدريس النبي ﷺ فيما يزعمون) بن يَرْد بن مهليل بن قَيْن بن يانش بن شيث بن آدم ﷺ.

قال ابن هشام:

وأنا إن شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم، ومن ولد رسول الله ﷺ من ولده واولادهم لأصلابهم الأول فالأول، من إسماعيل إلى رسول الله ﷺ، وما يعرض من حديثهم، وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل على هذه الجهة للاختصار، إلى حديث سيرة رسول الله ﷺ، وتارك بعض ما ذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله ﷺ فيه ذكر، ولا نزل فيه من القرآن شيء، وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب ولا تفسيراً له، ولا شاهداً عليه، لما ذكرت من الاختصار، وأشعاراً ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها، وأشياء بعضها يشنع الحديث به، وبعض يسوء بعض الناس ذكره، وبعض لم يقر لنا البكائي^(١).

(١) هو شيخ ابن هشام وتلميذ ابن إسحاق، واسمه زياد بن عبد الله بن الطفيل البكائي توفي سنة ١٨٣. والبكاء: بطن من بني عامر بن صعصعة.

بروايته، ومستقصٍ إن شاء الله تعالى ما سوى ذلك منه، بمبلغ الرواية له، والعلم به.

سياقة النسب من ولد إسماعيل

وَلَدَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ اثْنِي عَشَرَ رَجُلًا: نَابِتًا، وَقِيدْرًا، وَأَذْبِلًا، وَمِيشًا، وَمَسْمَعًا، وَمَاشِيًا، وَدَمًا، وَأَذْرًا، وَطِييَا، وَيَطُورًا، وَنَبَشًا، وَقَيْذَمًا.

فولد نابت بن إسماعيل يشجب بن نابت، فولد يشجب يعرب، فولد يعرب تيرح، فولد تيرح ناحور، فولد ناحور مقوم، فولد مقوم أدد، فولد أدد عدنان.

فمن عدنان تفرقت القبائل من ولد إسماعيل.

فولد عدنان رجلين: معد بن عدنان، وعك بن عدنان.

فصارت عك في دار اليمن. وذلك أن عكا تزوج في الأشعريين فأقام فيهم، فصارت اندار واللغة واحدة. والأشعريون بنو أشعر بن نبت بن أدد بن هميسع بن عمرو بن عريب بن يشجب بن زيد بن كهلان بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

وولد معد بن عدنان أربعة نفر: نزار، وقضاة، وقنص، وإياد. فأما قضاة فتيامنت إلى حمير بن سبأ، وأما قنص بن معد فهلكت بقيتهم فيما يزعم نساب معد، وكان منهم النعمان بن المنذر ملك الحيرة.

رؤيا ربيعة بن نصر

وكان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة، فرأى رؤيا هالته وفضع بها، فلم يدع كاهنًا ولا ساحرًا ولا عائفًا^(١)، ولا منجمًا من أهل مملكته إلا جمعه إليه، فقال لهم: إني قد رأيت رؤيا هالتي وفضعت بها، فأخبروني بها وتأويلها. قالوا له: اقضصها علينا نخبرك بتأويلها. قال: إني إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها، فإنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها. فقال له رجل منهم: فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سطيح وشيق، فإنه ليس أحد أعلم منهما، فهما يخبرانه بما سأل عنه.

فبعث إليهما فقدم إليه سطيح قبل شيق، فقال له: إني قد رأيت رؤيا هالتي وفضعت بها فأخبرني بها، فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها. قال: أفعُل، رأيت حمة، خرجت من

(١) العائف: الذي يزجر الطير، يتكهن بأسمائها وأصواتها ومرورها.

ظُلْمَةٌ، فَوَقَعَتْ بِأَرْضِ تَهْمَةَ، فَأَكَلَتْ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ جُهْمَةٍ (١) !

فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا أَخْطَأْتَ مِنْهَا شَيْئاً يَا سَطِيحَ، فَمَا عِنْدَكَ فِي تَأْوِيلِهَا؟
فَقَالَ: أَحْلَفْتُ بَمَا بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ مِنْ حَنْشٍ، لَتَهْبَطَنَّ أَرْضُكُمْ الْحَبَشَ. فَلِيَمْلِكَنَّ مَا بَيْنَ
أَيْبِنَ إِلَى جُرَشٍ (٢) !

فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: وَابِيكَ يَا سَطِيحَ، إِنْ هَذَا لَنَا لِفَائِظٌ مُوجِعٌ، فَمَتَى هُوَ كَائِنٌ أَوْ فِي زَمَانِي
هَذَا أَمْ بَعْدَهُ؟

قَالَ: لَا، بَلْ بَعْدَهُ بَحِينَ، أَكْثَرَ مِنْ سِتِّينَ أَوْ سَبْعِينَ، يَمْضِينَ مِنَ السَّنِينَ !

قَالَ: أَفِيدُومُ ذَلِكَ مِنْ مَلِكِهِمْ أَمْ يَنْقَطِعُ؟

قَالَ: لَا، بَلْ يَنْقَطِعُ لِبُضْعٍ وَسَبْعِينَ مِنَ السَّنِينَ، ثُمَّ يُقْتَلُونَ وَيُخْرَجُونَ مِنْهَا هَارِينَ.

قَالَ: وَمَنْ يَلِي ذَلِكَ مِنْ قَتْلِهِمْ وَإِخْرَاجِهِمْ؟

قَالَ: يَلِيهِ إِرْمُ بْنُ ذِي يَزْنَ، يُخْرِجُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَدَنَ، فَلَا يَتْرِكُ أَحَدًا مِنْهُمْ بِالْيَمَنِ.

قَالَ: أَفِيدُومُ ذَلِكَ مِنْ سُلْطَانِهِ أَمْ يَنْقَطِعُ؟

قَالَ: بَلْ يَنْقَطِعُ. قَالَ: وَمَنْ يَقْطَعُهُ؟ قَالَ نَبِيُّ زَكِيٍّ، يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنَ الْعَلِيِّ ! قَالَ: وَمَنْ

هَذَا النَّبِيُّ؟ قَالَ: رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ غَالِبِ بْنِ فَهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ، يَكُونُ الْمَلِكَ فِي قَوْمِهِ إِلَى
آخِرِ الدَّهْرِ !

قَالَ: وَهَلْ لِلدَّهْرِ مِنْ آخِرٍ؟

قَالَ: نَعَمْ، يَوْمَ يُجْمَعُ فِيهِ الْأَوْلُونَ وَالْآخِرُونَ، يَسْعَدُ فِيهِ الْمُحْسِنُونَ، وَيَشْقَى فِيهِ

الْمُسِيئُونَ.

قَالَ: أَحَقُّ مَا تُخْبِرُنِي؟

قَالَ: نَعَمْ، وَالشُّفْقُ وَالْغَسَقُ، وَالْفَلَقُ إِذَا اتَّسَقَ، إِنْ مَا أَنْبَأْتُكَ لِحَقِّ.

ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْهِ شِقُّ فَقَالَ لَهُ كَقَوْلِهِ لَسَطِيحَ، وَكَتَمَهُ مَا قَالَ سَطِيحٌ لِيَنْظُرَ أَيُّتَفِقَانِ أَمْ

يَخْتَلِفَانِ.

قَالَ: نَعَمْ، رَأَيْتَ حُمَّةً، خَرَجَتْ مِنْ ظُلْمَةٍ، فَوَقَعَتْ بَيْنَ رَوْضَةٍ وَأَكْمَةٍ، أَكَلَتْ مِنْهَا

كُلَّ ذَاتِ نَسْمَةٍ.

فَلَمَّا قَالَ لَهُ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهَا قَدْ اتَّفَقَا، وَأَنَّ قَوْلَهَا وَاحِدٌ، إِلَّا أَنَّ سَطِيحاً قَالَ: «وَقَعَتْ

بِأَرْضِ تَهْمَةَ، فَأَكَلَتْ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ جُهْمَةٍ» وَقَالَ شِقُّ:

(٢) أَيْبِنُ وَجُرَشُ: بِلْدَانٌ فِي الْيَمَنِ

(١) الْحُمَّةُ: الْقِطْعَةُ مِنَ النَّارِ. تَهْمَةُ: مَنْخَفِضَةٌ

«وقعت بين روضة وأكمة، فأكلت منها كل ذات نسمة».

فقال له الملك: ما أخطأت يا شقُّ منها شيئاً فما عندك في تأويلها؟

قال: أحلف بما بين الحرتين من إنسان، لينزلن أرضكم السودان، فليغلبن على كل

طفلة البنان، وليملكن ما بين آيين إلى نجران!

فقال له الملك: وأبيك يا شقُّ إن هذا لنا لغائظ موجه فمتى هو كائن؟ أفي زمني أم

بعده؟

قال: لا، بل بعده بزمان، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شان، ويذيقهم أشدَّ

الهوان!

قال: ومن هذا العظيم الشأن؟ قال: غلام ليس بدني ولا مدني^(١)، يخرج عليهم من

بيت ذي يزن، فلا يترك أحداً منهم باليمن.

قال: أفيدوم سلطانه أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع برسول مرسل، يأتي بالحق

والعدل، بين أهل الدين والفضل، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل.

قال: وما يوم الفصل؟ قال: يوم تُجزى فيه الولاة، ويُدعى فيه من السماء بدعوات،

ويسمع منها الأحياء والأموات، ويجمع فيه بين الناس للميقات، يكون فيه لمن اتقى الفوز

والخيرات!

قال: أحق ما تقول؟ قال: إي ورب السماء والأرض، وما بينهما من رفع وخفض،

إن ما أنبأتك به لحق ما فيه أمض^(٢).

فوقع في نفس ربيعة ما قالوا، فجهز بيته وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم وكتب لهم

إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرزاد، فأسكنهم الحيرة.

استيلاء أبي كرب تبان أسعد على ملك اليمن

وغزوه إلى يثرب

فلما هلك ربيعة بن نصر رجع ملك اليمن كله إلى حسان بن تبان أسعد، أبي كرب.

وكان أبوه تبان أسعد قد جعل طريقه حين أقبل من المشرق على المدينة فلم يهجم

أهلها، وخلف بين أظهرهم ابناً له فقتل غيلة، فقدمها مرة أخرى وهو مجمع

لإخراجها واستئصال أهلها، فجمع له هذا الحي من الأنصار، ورئيسهم عمرو بن طلحة،

(١) المدني: المقصر في الامور، او من يتبع خسيها. (٢) أي ما فيه شك أو باطل.

فاقتتلوا. فتزعم الأنصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار ويقرّونه بالليل^(١) فيعجبه ذلك منهم ويقول: والله إن قومنا لكرام!

فبينما تُتبع على ذلك من قتالهم إذ جاءه خبران من أحبار يهود عالمان راسخان في العلم، حين سمعا بما يريد من إهلاك المدينة وأهلها، فقالا له: أيها الملك، لا تفعل، فإنك إن آبيت إلا ما تريد حيل بينك وبينها، ولم نأمن عليك عاجل العقوبة، فقال لهما: لم ذلك؟ فقال: هي مهاجر نبي يخرج من هذا الحرم من قريش في آخر الزمان تكون داره وقراره!

فتناهى عن ذلك ورأى ان لهما علما، وأعجبه ما سمع منهما، فانصرف عن المدينة واتبعهما على دينهما.

وكان تُتبع^(٢) وقومه أصحاب أوثان يعبدونها، فتوجه إلى مكة وهي طريقه إلى اليمن، حتى إذا كان بين عُسفان وأمج^(٣) أتاه نفر من هذيل بن مدركة فقالوا له: أيها الملك، ألا ندلك على بيت مالٍ دائر أغفلته الملوك قبلك، فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت، والذهب والفضة؟ قال: بلى. قالوا: بيت بمكة يعبده أهله، ويصلون عنده!

ولما أراد الهذليون هلاكه بذلك، لما عرفوا من هلاك من أراده من الملوك وبغى عنده.

فلما أجمع لما قالوا أرسل إلى الخبرين فسألها عن ذلك، فقالا له، : ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جندك، ما نعلم بيتاً لله اتخذه في الأرض لنفسه غيره ولئن فعلت ما دعوك إليه لتهلكن وليهلكن من معك جميعاً! قال: فماذا تأمراني أن أصنع إذا أنا قدمت عليه؟ قال: تصنع عنده ما يصنع أهله: تطوف به وتعظمه وتكرمه، وتحلق رأسك عنده، وتذل له حتى تخرج من عنده. قال: فما يمنعكما أنتما من ذلك؟ قالا: أما والله إنه لبيت أبينا إبراهيم، وإنه لكما أخبرناك، ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوها حوله، وبالدماء التي يهريقون عنده، وهم نجس أهل شرك!

فعرف نصحها وصدق حديثها، فقرب النقر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم ثم مضى حتى قدم مكة، فطاف بالبيت ونحر عنده، وحلق رأسه وأقام بمكة ستة أيام ينحربها للناس ويُطعم أهلها، ويسقيهم العسل.

(٣) أمج: بلد من أعراض المدينة.

(١) قري الضيف يقربه: أضافه وأطعمه.

(٢) هو تبان أسعد والد أبي كرب.

وأري في المنام أن يكسو البيت، فكساه الخصف^(١)، ثم أري أن يكسوه أحسن من ذلك، فكساه الملاء والوصائل^(٢).

وكان تبع فيما يزعمون أول من كسا البيت وأوصى به ولاته من جرهم، وأمرهم بتطهيره، والآن يُقربوه دماً ولا مَيْتَةً ولا مِثْلَةَ^(٣). وجعل له باباً ومفتاحاً.

ثم خرج منها متوجهاً إلى اليمن بمن معه من جنوده والخبرين، حتى إذا دخل اليمن دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه؛ فأبوا عليه حتى يحاكموه إلى النار التي كانت باليمن.

وكانت نارٌ تحكم بينهم فيما يختلفون فيه: تأكل الظالم ولا تضرُّ المظلوم.

فخرج قومه بأوثانهم وما يتقربون به في دينهم، وخرج الخبران، بمصاحفهما في أعناقهما متقلدتيهما، حتى قعدوا للنار عند مخرجها التي تخرج منه. فخرجت النار إليهم، فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوا، فذمرهم^(٤) من حضرهم من الناس وأمرهم بالصبر لها، فصبروا حتى غشيتهم فأكلت الأوثان وما قربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير. وخرج الخبران بمصاحفهما في أعناقهما تعرق جباههما لم تضرهما. فأصفت^(٥) عند ذلك حمير على دينه.

فمن هنالك وعن ذلك كان أصل اليهودية باليمن.

فلما ملك ابنه حسان بن تَبانَ أسعدَ سار بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرض العرب وأرض الأعاجم، حتى إذا كانوا بأرض البحرين كرهت حمير وقبائل اليمن المسير معه، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم وأهلهم، فكلّموا أخاً له يقال له عمرو - وكان معه في جيشه - فقال له: اقتل أخاك حسان وملكك علينا وترجع بنا إلى بلادنا. فأجابهم فاجتمعوا على ذلك إلا ذراعين الحميري فإنه نهاه عن ذلك، فلم يقبل منه، فقال ذورعين:

ألا من يشتري سهراً بنومٍ سعيدٌ من يبيت قريراً عين
فلما حميرٌ غدرت وخانت فمعدرةُ الإله لذي رُعين

ثم كتبها في رقعة وختم عليها، ثم أتى بها عمراً فقال له: ضع لي هذا الكتاب عندك. ففعل، ثم قتل عمرو وأخاه حسان ورجع بمن معه إلى اليمن.

فلما نزل عمرو بن تَبانَ اليمن مُنع منه النوم وسلط عليه السهر، فلما جهده ذلك سأل

(١) الخصف: جمع خصفة، وهو كساء غليظ جداً.

(٢) الملاء: جمع ملاءة، والوصائل: ثياب يمانية.

(٣) المثلاة: خرقة الخائف.

(٤) ذمره: لومه وحضه. (٥) أصفقاوا: اجمعوا.

الأطباء والحزاة^(١) من الكهّان والعرفان عَمَّا به، فقال له قائلٌ منهم: إنّه والله ما قتل رجلٌ قطُّ أخاه أو ذا رحمه بغياً، على مثل ما قتلتَ أخاك عليه، إلا ذهب نومه وسلط عليه السهر، فلما قيل له ذلك جعل يقتل كل من أمره بقتل أخيه حسان من أشراف اليمن، حتى خَلَصَ إلى ذي رُعين، فقال له ذورعين: إن لي عندك براءة. فقال: وما هي؟ قال: الكتاب الذي دفعتُ إليك. فأخرجَه فإذا فيه البيتان، فتركَه ورأى أنه قد نصحه.

وهلك عمرو، فمرج أمر حمير عند ذلك وتفرقوا.

فوثب عليهم رجلٌ من حمير لم يكن من بيوت المملكة يقال له: «لخنيعة يُتوفُّ ذو شناتره»، فقتل خيارهم وعبث بيوت أهل المملكة منهم.

وكان لخنيعة امرأ فاسقاً يعمل عمل قوم لوط، فبعث إلى زُرعة ذي نواس ابن تَبان أسعد، أخي حَسان - وكان صبيّاً صغيراً حين قُتل حسان، ثم شَبَّ غلاماً وسيماً ذا هيئة وعقل - فلما أتاه رسوله عرف ما يريد منه، فأخذ سكيناً حديداً لطيفاً، فخبأه بين قدمه ونعله ثم أتاه، فلما خلا معه وثب إليه، فوثب عليه ذو نواس فوجأه^(٢) حتى قتله، ثم خرَّج على الناس فقالوا: ما ينبغي أن يملكنا غيرك، إذ أرحتنا من هذا الخبيث.

فملكوه واجتمعت عليه حمير وقبائل اليمن، فكان آخر ملوك حمير. وهو صاحب الأخدود، فأقام في ملكه زماناً.

وكان بنجران^(٣) بقايا من أهل دين عيسى بن مريم عليه السلام، أهل فضل واستقامة، لهم رأس يقال له عبد الله بن الثامر، فسار إليهم ذو نواس بجنوده فدعاهم إلى اليهودية. وخيرهم بين ذلك والقتل، فخذ لهم الأخدود^(٤)، فحرق من حرق بالنار، وقتل بالسيف ومثل بهم، حتى قتل منهم قريباً من عشرين ألفاً.

ففي ذي نواس ذلك وجنّده أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ: ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوُؤُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾.

ويقال: كان فيمن قتل ذو نواس عبد الله بن الثامر، رأسهم وإمامهم.

(١) الحزاة: جمع حاز، وهو الذي يزرع الطير ويستدل بأصواتها ومرورها وأسمائها.
(٢) وجأه: ضربه بالسكين ونحوها.
(٣) نجران: مخلاف من مخاليف اليمن.
(٤) الأخدود: حفرة مستطيلة غامضة في الأرض.

غلبة الحبشة على اليمن

وأقلت منهم رجلٌ من سبأ يقال له: «دوس ذو ثعلبان» على فرسٍ له، فسلك الرمل فأعجزهم، فمضى على وجهه ذلك حتى أتى قيصر ملك الروم فاستنصره على ذي نواس وجنوده، فأخبره بما بَلَغَ منهم. فقال له: بعدت بلادك منا، ولكني سأكتب لك إلى ملك الحبشة فإنه على هذا الدين، وهو أقربُ إلى بلادك. وكتب إليه يأمره بنصره، والطلب بثاره. فقدم دوسٌ على النجاشي بكتاب قيصر، فبعث معه سبعين ألفاً من الحبشة وأمر عليهم رجلاً منهم يقال له أرياط، ومعه في جنده «أبرهة الأشرم».

فركب أرياط البحر حتى نزل بساحل اليمن ومعه دوس ذو ثعلبان، وسار إليه ذو نواس في حير ومن أطاعه من قبائل اليمن، فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه. فلما رأى ذو نواس ما نزل به ويقومه وجّه فرسه في البحر، ثم ضربه فدخل به فخاض به ضحضاح البحر^(١) حتى أفضى به إلى غمره^(٢) فأدخله فيه، وكان آخر العهد به. ودخل أرياط اليمن فملكها.

نزاع أرياط وأبرهة

فأقام أرياط بأرض اليمن سنين في سلطانه ذلك، ثم نازعه في أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشي حتى تفرقت الحبشة عليهما، فانحاز إلى كل واحدٍ منها طائفة منهم، ثم ثار أحدهما إلى الآخر، فلما تقارب الناس أرسل أبرهة إلى أرياط: إنك لا تصنع بأن تلقى الحبشة بعضها ببعض حتى تفتنيها شيئاً، فابرز إليّ وأبرز إليك فأينا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده. فأرسل إليه أرياط: انصفت. فخرج إليه أبرهة وكان رجلاً قصيراً لحيماً، وكان ذا دين في النصرانية، وخرج إليه أرياط وكان رجلاً جميلاً عظيماً طويلاً، وفي يده حربة له، وخلف أبرهة غلام له يقال له «عتودة» يمنع ظهره، فرفع أرياط الحربة فضرب أبرهة يريد يافوخه^(٣) فوقعت الحربة على جبهة أبرهة فشرمت حاجبه وأنفه، وعينه وشفته، فبذلك سمي «أبرهة الأشرم». وحمل عتودة على أرياط من خلف أبرهة فقتله. وانصرف جند أرياط إلى أبرهة، فاجتمعت عليه الحبشة باليمن.

(١) الضحضاح: الماء اليسير الذي لا غرق فيه.

(٢) الغمر: الماء الكثير يفرق فيه.

(٣) اليافوخ: وسط الرأس.

قصة أصحاب الفيل

ثم إن أبرهة بنى القُلَيْس^(١) بصنعاء، فبنى كنيسة لم يُر مثُها في زمانها بشيء من الأرض، ثم كتب إلى النجاشي: إني قد بنيتُ لك أيُّها الملك، كنيسة لم يُين مثُها للملك كان قبلك، ولستُ بمتته حتى أصرف إليها حجَّ العرب!

فلما تحدّثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي غضب رجلٌ من النِّسَاء^(٢) فخرج حتى أتى القُلَيْس فقعدها فيها^(٣)، ثم خرج فلحق بأرضه.

فأخبر بذلك أبرهة فقال: مَنْ صنعَ هذا؟ فقيل له: صنع هذا رجلٌ من العرب من أهل هذا البيت الذي تحجَّ العرب إليه بمكة، لما سمع قولك «أصرف إليها حجَّ العرب» غضب فجاء فقعدها فيها، أي أنها ليست لذلك بأهل.

فغضب عند ذلك أبرهة، وحلف ليسيرون إلى البيت حتى يهدمه، ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهّزت، ثم سار وخرج معه بالفيل، وسمعت بذلك العرب فأعظموه وقطعوا به، ورأوا جهاده حقاً عليهم حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام.

فخرج إليه رجل كان من أشرف أهل اليمن وملوكهم يقال له: «ذو نقر»، فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام، وما يريد من هدمه وإخراجه، فأجابه إلى ذلك من أجابه، ثم عرض له فقاتله، فهزم ذو نقر وأصحابه، وأخذ له ذو نقر فأتى به أسيراً.

ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له، حتى إذا كان بأرض خثعم عرض له نقييل بن حبيب الخثعمي في قبيلتي خثعم: شهران وناهس، ومن تبعه من قبائل العرب، فقاتله فهزمه أبرهة، وأخذ له نقييل أسيراً. فخلّى سبيله وخرج معه يدله، حتى إذا مرّ بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب، في رجالٍ من ثقيف، فقالوا له: أيُّها الملك، إنما نحن عبيدك، سامعون لك مطيعون، ليس عندنا لك خلاف، وليس بيتنا هذا الذي تريد - يعنون اللات - إنما تريد البيت الذي بمكة، ونحر نبعث معك من يدلك عليه. فتجاوز عنهم.

أنستنا شهراً، أخرجنا حرمة المحرم واجعلها في صفر، لأنهم كانوا يكرهون أن يتوالى عليهم ثلاثة أشهر حرم لا يغيرون فيها، لأن معاشهم كان من الغارة. فيحل لهم المحرم. فذلك الإنساء.

(٣) أي أحدث.

(١) هي اسم الكنيسة التي أراد أبرهة أن يصرف إليها حج العرب.

(٢) النِّسَاء: جمع ناسيء، وهم الذين كانوا ينسؤون الشهور، أي يؤخرونها، كانوا إذا صدروا من منى يقوم رجل منهم من كنانة فيقول: أنا الذي لا أعاب ولا أجاب، ولا يرد لي قضاء! فيقولون: صدقت،

فبعثوا معه «أبا رغال» يده على الطريق إلى مكة، فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المغمس^(١)، فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك، فرجمت قبره العرب. فهو قبره الذي يرمم الناس بالمغمس.

فلما نزل أبرهة المغمس بعث رجلاً من الحبشة يقال له «الأسود بن مفسود» على خيل له حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموال تهامة من قريش وغيرهم، فأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها، فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به فتركوا ذلك.

وبعث أبرهة حناطه الحميري إلى مكة فقال له: سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفها، ثم قل له: إن الملك يقول لك: إني لم آت لحربكم إنما جئت لهدم هذا البيت، فإن لم تعرضوا لنا دونه بحرب فلا حاجة لي في دمائكم. فإن هو لم يرد حربي فأتني به.

فلما دخل حناطه مكة سأل عن سيد قريش وشريفها، فقيل له: عبد المطلب بن هاشم. فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة فقال له عبد المطلب: واللّه ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام، فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمة، وإن يخل بينه وبينه فواللّه ما عندنا دفع عنه. فقال حناطه: فانطلق معي إليه، فإنه قد أمرني أن آتيه بك فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى أتى العسكر فسأل عن «ذي نقر». وكان له صديقاً، حتى دخل عليه وهو في محبسه فقال له: يا ذا نقر، هل عندك من غناء فيما نزل بنا؟ فقال له ذو نقر: وما غناء رجل أسير بيدي ملك ينتظر أن يقتله غدواً أو عشياً، ما كان عندي غناء في شيء مما نزل بك، إلا أن أنيساً سائس الفيل صديق لي، وسأرسل إليه فأوصيه بذلك وأعظم عليه حقك، وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلمه بما بدا لك، ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك. فقال: حسبي. فبعث ذو نقر إلى أنيس فقال له: إن عبد المطلب سيد قريش، وصاحب غير مكة، يطعم الناس بالسهل، والوحوش في رؤوس الجبال، وقد أصاب له الملك مائتي بعير، فاستأذن له عليه وأنفعه عنده بما استطعت فقال: أفعل.

فكلم أنيس أبرهة فقال له: أيها الملك، هذا سيد قريش يبابك يستأذن عليك، وهو صاحب غير مكة^(٢)، وهو يطعم الناس في السهل، والوحوش في رؤوس الجبال، فأذن له عليك فليكلّمك في حاجته. فأذن له أبرهة.

(١) المغمس: موضع قرب مكة في طريق الطائف. (٢) العير، بالكسر: قافلة التجارة.

وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم، فلما رآه أبرهة أجله وأعظمه، وأكرمه أن يجلسه تحته، وكره ان تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه، فنزل أبرهة عن سريره، فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه، ثم قال لترجمانه: قل له: حاجتك. فقال له ذلك الترجمان، فقال: حاجتي ان يرُدُّ عليَّ الملك مائتي بعير أصابها لي. فلما قال ذلك قال أبرهة لترجمانه: قل له: قد كنت أعجبتي حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني: أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جثت لهدمه لا تكلمني فيه؟! قال له عبد المطلب: إني أنا ربُّ الإبل، وإن للبيت رباً سيمنعه! قال: ما كان ليمنع مني! قال: أنت وذلك.

ورَدَّ أبرهة على عبد المطلب الإبل التي أصاب له، وانصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة والتحرُّز في شَعَفِ الجبال والشعاب^(١)، تخوفاً عليهم من مَعْرَةِ الجيش^(٢). ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معه نفرٌ من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب، وهو أخذ بحلقة باب الكعبة:

لا هُمَّ إن العبد يَمِّ نَعُ رحلَه فامنع جلالِكَ^(٣)
لا يغلبن صليبهم ومجأهم غَدُوا مجالك^(٤)
إن كنت تاركهم وقب لئنا فامرُ ما بَدالك

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شَعَفِ الجبال، فتحرَّزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعلٌ بمكة إذا دخلها.

فلما أصبح أبرهة تهباً لدخول مكة، وهياً فيله، وعبى جيشه، وكان اسم الفيل «محموداً»، وأبرهة جمعٌ لهدم البيت ثم الانصراف إلى اليمن، فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نُفَيْل بن حبيب حتى قام إلى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه فقال: ابرك أو ارجع راشداً من حيث جثت، فإنك في بلد الله الحرام! ثم أرسل أذنه فبرك الفيل، وخرج نفيل يشد حتى اصعد في الجبل، وضربوا الفيل ليقوم فأبى، فضربوا رأسه بالطَّبْرَزين^(٥)، فأدخلوا محاجن لهم في مَرَاقِهِ فبَزَغَوْهُ بها فأبى^(٦)، فوجَّهوه راجعاً إلى اليمن فقام يُهرول، ووجَّهوه

(١) التحرز: التمتع والتحصن، شعف الجبال: رؤوسها، الشعاب: المواضع الخفيفة بين الجبال.
(٢) معرة الجيش: شدته.
(٣) الحلال: جمع حلة، بالكسر، وهم القوم المجتمعون ويروى: «رحالك».
(٤) المحال، بالكسر: الشدة والقوة.
(٥) الطبرزين: آلة معقفة من حديد.
(٦) المحجن: عصا معوجة قد يجعل فيها حديد. والمراق: أسفل البطن، بزغوه: أدموه.

إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك، فأرسل الله تعالى عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان^(١)، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره، وحجران في رجليه، أمثال الحمص والعدس، لا تصيب منهم أحداً إلا هلك، ليس كلهم أصابت. وخرجوا هارين يتدرون الطريق الذي منه جاءوا، يتساقطون بكل طريق، ويهلكون بكل مهلك، على كل منهل، وأصيب أبرهة في جسده فمات.

قال ابن إسحاق:

فلما بعث الله تعالى محمداً ﷺ كان مما يعدُّ الله على قريش من نعمه عليهم وفضله، ما ردَّ عنهم من أمر الحبشة، لبقاء أمرهم ومدتهم، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾.

ذكر ولد نزار بن معد

- فولد (نزار) بن معد ثلاثة نفر^(٢): مضر، وربيعة، وأنمار.
- فولد (مضر) رجلين: إلياس، وعيلان.
- فولد (إلياس) ثلاثة نفر: مدركة، وطابخة، وقمعة.
- فولد (مدركة) رجلين: خزيمه، وهذيل.
- فولد (خزيمه) أربعة نفر: كنانة، وأسد، وأسدة، والهون.
- فولد (كنانة) أربعة نفر: النضر^(٣)، ومالك، وعبد مناة، وميلكان.
- فولد (النضر) رجلين: مالك، ويخلد.
- فولد (مالك) بن النضر فهر بن مالك.
- فولد (فهر) أربعة نفر: غالب، ومحارب، والحارث، وأسد.
- فولد (غالب) رجلين: لؤي، وتيم.
- فولد (لؤي) أربعة نفر: كعب، وعامر، وسامة، وعوف.
- فولد (كعب) ثلاثة نفر: مرة، وعدي، وهصيص.

(١) الخطاطيف: جمع خطاف، وهو طائر اسود والبلسان: الزرازير.
(٢) زاد ابن هشام رابعاً، هو إياس بن نزار.
(٣) قال ابن هشام: النضر قريش، فمن كان من ولده فهو قرشي، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي. ويقال فهر بن مالك هو قريش.

فولد (مرة) ثلاثة نفر: كلاب، وتيم، ويقظة.
فولد (كلاب) رجلين: قَصِي، وزُهرة.
فولد (قَصِي) أربعة نفر: عبد مناف، وعبد الدار، وعبد العزى، وعبد قَصِي.
فولد (عبد مناف) أربعة نفر: هاشم، وعبد شمس، والمطلب، ونوفل.

أولاد عبد المطلب بن هاشم

قال ابن هشام:

فولد عبد المطلب بن هاشم عشرة نفر وست نسوة: العباس، وحمزة، و(عبد الله)، وأبا طالب، والزبير، والحارث، وحجلاً، والمقوم، وضراراً، وأبا لهب واسمه عبد العزى، وصفية، وأم حكيم البيضاء، وعاتكة، وأميمة، وأروى، وبرّة.

والدا رسول الله ﷺ

فولد عبد الله بن عبد المطلب رسول الله ﷺ، سيد ولد آدم، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليه وعلى آله.

وأُمّه آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر.

وأُمّها برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قَصِي بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك النضر.

فرسول الله ﷺ أشرف ولد آدم حسباً، وأفضلهم نسباً، من قبَل أبيه وأمه، ﷺ، وشرف وكرم، ومجد وعظم.

حفر زمزم وما جرى من الخلف فيها

ثم إن عبد المطلب بينما هو نائم في الحجر^(١) إذ أتى فأمر بحفر زمزم.
قال عبد المطلب:

إني لنائم في الحجر إذ أتاني آت فقال: احفر طيبة. قلت: وما طيبة؟ ثم ذهب عني، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فتمت فيه، فجاءني فقال: احفر المذنونة. فقلت: وما المذنونة؟ ثم ذهب عني، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فتمت فيه، فجاءني فقال:

(١) الحجر: حجر الكعبة. وهو ما تركت قريش في بنائها من أساس إبراهيم عليه السلام.

احفر زمزم، قلت: وما زمزم؟ قال: لا تُتَزَفُ أبداً ولا تُذَمُّ^(١)، تسقي الحجيج الأعظم، وهي بين الفَرث والدم^(٢)، عند نَقرة الغراب الأعصم^(٣).

فلما بَيَّنَّ له شأنها ودُلَّ على موضعها، وعَرَفَ أنه قد صَدِقَ غداً بمَعولِه ومعه ابنه الحارث، ليس له يومئذٍ ولدٌ غيره، فحفر فيها، فلما بدا لعبد المطلب الطي^(٤) كَبُرَ، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته، فقاموا إليه فقالوا: يا عبد المطلب، إنها بئرُ آبينا إسماعيل، وإن لنا فيها حقاً، فأشركنا معك فيها. قال: ما أنا بفاعل، إن هذا الأمر قد خُصِّصْتُ به دونكم. فقالوا له: فأنصفنا فإننا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها. قال: فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه. قالوا: كاهنة بني سعد هُذَيم. قال: نعم - وكانت بأشراف الشام^(٥) - فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني عبد مناف، وركب من كل قبيلة من قريش نفر، والأرض إذ ذاك مفاوز، فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام فني ماء عبد المطلب وأصحابه، فظمئوا حتى ايقنوا بالهلكة، فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم وقالوا: إنا بمفازة، ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم. فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم وما يتخوف على نفسه وأصحابه قال: ماذا ترون؟ قالوا: ما رأينا إلا تبع لرأيك، فمرنا بما شئت. قال: فإني أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرة لنفسه بما بكم الآن من القوة، فكلما مات رجلٌ دفعه أصحابه في حفرة ثم واروه، حتى يكون آخركم رجلاً واحداً، فضيعة رجلٍ واحدٍ أيسرٌ من ضيعة ركب جميعاً. قالوا: نعم ما أمرت به. فقام كل واحدٍ منهم فحفر حفرة، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً. ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه: والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت، لا نضرب في الأرض ولا نبتغي لأنفسنا لعجز. فعسى الله أن يرزقنا ماءً ببعض البلاد، ارتحلوا. فارتحلوا حتى إذا فرغوا، ومن معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ما هم فاعلون، تقدم عبد المطلب إلى راحلته فركبها، فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفها عينٌ من ماء عذب، فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه، ثم نزل فشرب وشرب أصحابه، واستقوا حتى ملئوا أسقيتهم. ثم دعا القبائل من قريش فقال: هلم إلى الماء فقد سقانا الله، فاشربوا واستقوا. فجاءوا وشربوا

رسم، فسال هناك الفَرث والدم، فحفر عبد المطلب حيث رسم له.

(٣) الأعصم: الذي في جناحيه بياض.

(٤) الطي: الحجارة تطوى بها البئر.

(٥) أي ما ارتفع من أرضها.

(١) لا تدم: لا توجد قليلة الماء.

(٢) روى أنه لما قام ليحفرها رأى ما رسم له من قريفة

النمل ونقرة الغراب، ولم ير الفَرث والدم. فبينما هو

كذلك فرت بقرة من جازرها، فلم يدركها حتى

دخلت المسجد الحرام، فحفرها في الموضع الذي

واستقوا ثم قالوا: قد والله قُضِيَ لك علينا يا عبد المطلب، والله لا نخاصمك في زمزم أبداً. إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة هو الذي سقاك زمزم، فارجع إلى سقايتك راشداً!

فرجع ورجعوا معه، ولم يصلوا إلى الكاهنة، وخلّوا بينه وبينها.

نذر عبد المطلب ذبيح ولده

وكان عبد المطلب بن هاشم، قد نذر حين لقي من قريش ما لقي عند حضر زمزم، لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعوه لينحرن أحدهم لله عند الكعبة. فلما توافى بنوه عشرة وعرف أنهم سيمنعونه، جمعهم ثم أخبرهم بنذره، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك، فأطاعوه وقالوا: كيف نصنع؟ قال: ليأخذ كل رجل منكم قدحاً ثم يكتب فيه اسمه، ثم اثنوني. ففعلوا ثم أتوه، فدخل بهم على «هبل»^(١) وكان هبل على بئر في جوف الكعبة. وكانت تلك البئر هي التي يُجمع فيها ما يُهدى للكعبة.

وكان عند هبل قداح سبعة، كل قدح منها فيه كتاب، قدح فيه «العقل»، إذا اختلفوا في العقل^(٢) من يحملة منهم، ضربوا بالقداح السبعة؛ فإن خرج العقل فعلى من خرج هله. وقدح فيه «نعم» للأمر إذا أرادوه، يُضرب به في القداح. وقدح فيه «لا»، إذا أرادوا أمراً ضربوا به في القداح، فإن خرج ذلك القدح لم يفعلوا ذلك الأمر. وقدح فيه «منكم»، وقدح فيه «مُلصق»، وقدح فيه «من غيركم»، وقدح فيه «المياه» إذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقداح وفيها ذلك القدح، فحيثما خرج عملوا به.

وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاماً أو ينكحوا منكحاً، أو يدفنوا ميتاً، أو شكوا في نسب أحدهم، ذهبوا به إلى هبل، وبمائة درهم وجزور، فأعطوها صاحب القداح الذي يضرب بها، ثم قربوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون، ثم قالوا: يا إلهنا، هذا فلان ابن فلان قد أردنا به كذا وكذا، فأخرج الحق فيه. ثم يقولون لصاحب القداح: اضرب. فإن خرج عليه «منكم» كان منهم وسيطاً^(٣)، وإن خرج عليه «من غيركم» كان حليفاً، وإن خرج عليه «مُلصق» كان على منزلته فيهم، لا نسب له ولا حلف، وإن خرج فيه شيء مما يعملون به «نعم» عملوا به، وإن خرج «لا» أخروه عامه ذلك حتى يأتوه به مرة أخرى، ينتهون في أمورهم إلى ذلك مما خرجت به القداح.

(١) اسم صنم.

(٢) العقل: الدية.

فقال عبد المطلب لصاحب القداح: اضرب على بني هؤلاء بقداحهم هذه. وأخبره بنذره الذي نذر، فأعطاه كلُّ رجلٍ منهم قِدْحَه الذي فيه اسمه، وكان عبد الله أصغر بني أبيه^(١)، وكان أحبُّ ولد عبد المطلب إليه، فكان عبد المطلب يرى أن السَّهْمَ إذا أخطأه فقد أشوى^(٢).

فلما أخذ صاحب القداح القداح قام عبد المطلب عند هبل يدعو الله، ثم ضرب صاحب القداح فخرج القدح على عبد الله، فأخذه عبد المطلب بيده، وأخذ الشفرة، ثم أقبل به إلى إسافٍ ونائلة ليذبحه، فقامت إليه قريش من أنديتها فقالوا: ماذا تريد يا عبد المطلب؟ قال: أذبحه. فقالت له قريش وبنوه: والله لا تذبحه أبداً حتى تُعذِرَ فيه، لئن فعلتَ هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه فما بقاء الناسِ على هذا! وقال له المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وكان ابن أختِ القوم: والله لا تذبحه أبداً حتى تُعذِرَ فيه، فإن كان فداؤه بأموالنا فدِيناه! وقالت له قريش وبنوه: لا تفعل وانطلقْ به إلى الحجاز؛ فإنَّ به عِرافةً لها تابع، فسألها ثم أنتَ على رأس أمرك، إن أمرتْكَ بذبحة ذبحته، وإن أمرتْكَ بأمرٍ لك وله فيه فرجٌ قبلته.

فانطلقوا حتى قدِموا المدينة فوجدوها بخير، فركبوا حتى جاؤوها فسألوها، وقصَّ عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه، وما أراد به، ونذره فيه فقالت لهم: ارجعوا عني اليومَ حتى يأتيني تابعي فأسأله. فرجعوا من عندها فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله ثم غدوا عليها فقالت لهم: قد جاءني الخبر، كم الدية فيكم؟ قالوا: عشرٌ من الإبل. قالت: فارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشراً من الإبل، ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح، فإن خرجتَ على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربُّكم، وإن خرجتَ على الإبل فانحروها عنه فقد رضي ربُّكم ونجا صاحبكم.

فخرجوا حتى قدِموا مكة، فلما أجمعوا على ذلك من الأمر قام عبد المطلب يدعو الله. ثم قدِموا عبد الله وعشراً من الإبل، وعبد المطلب قائم عند هبل يدعو الله عزَّ وجلَّ، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل فبلغت الإبل عشرين، وقام عبد المطلب يدعو الله عزَّ وجلَّ. ثم ضربوا. فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل فبلغت الإبل ثلاثين، وقام عبد المطلب يدعو الله. ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل فبلغت الإبل أربعين، وقام عبد المطلب

(١) أي حين أراد نحره، وإلا فإن حمزة كان أصغر منه، والعباس كان أصغر منه. والعباس كان كذلك أصغر من حمزة

(٢) أشوى: أبغى. ويقال: أشوى السهم، إذا لم يصب المقتل.

يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدرح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل فبلغت الإبل خمسين، وقام عبدالمطلب يدعو الله. ثم ضربوا فخرج القدرح على عبد الله. فزادوا عشراً من الإبل فبلغت الإبل ستين، وقام عبدالمطلب يدعو الله. ثم ضربوا فخرج القدرح على عبد الله فزادوا عشراً من الإبل فبلغت الإبل سبعين، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدرح على عبد الله، فزادوا عشراً فبلغت الإبل ثمانين، وقام عبدالمطلب يدعو الله. ثم ضربوا فخرج القدرح على عبد الله، فزادوا عشراً من الإبل فبلغت الإبل تسعين، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدرح على عبد الله. فزادوا عشراً من الإبل فبلغت الإبل مائة، وقام عبد المطلب يدعو الله. ثم ضربوا فخرج القدرح على «الإبل» فقالت قريش ومن حضر: قد انتهى رضا ربك يا عبد المطلب!

فزعموا أن عبد المطلب قال: لا والله حتى أضربَ عليها ثلاثَ مرات. فضربوا على عبد الله وعلى الإبل، وقام عبد المطلب يدعو فخرج القدرح على الإبل، ثم عادوا الثانيةً وعبد المطلب قائم يدعو الله، فضربوا فخرج القدرح على الإبل، ثم عادوا الثالثةً وعبد المطلب قائم يدعو الله، فضربوا فخرج القدرح على الإبل فنحرت ثم تركت لا يُصدُّ عنها إنسانٌ ولا يمنع.

ذكر ما قيل لأمنة عند حملها برسول الله ﷺ

ويزعمون - فيما يتحدث الناس، والله أعلم - أن آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ كانت تحدث:

إنها أتيت حين حملت برسول الله ﷺ فقيل لها: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع إلى الأرض فقولي: أعيذه بالواحد، من شر كل حاسد! ثم سمّيه محمداً^(١).

ورأت حين حملت به أنه خرج منها نورٌ رأت به قُصورَ بصرى من أرض الشام.

ربيعة، كان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك عن لهم علم بالكتاب، فأخبرهم بمبعث النبي ﷺ وباسمه، وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملاً، فنذر كل منهم إن ولد له ذكر أن يسميه محمداً، ففعلوا ذلك.

(١) لم يسم بهذا الاسم قبله ﷺ إلا ثلاثة، طمع آباؤهم حين سمعوا بذكر رسول الله ويقرب زمانه، وأنه يبعث من الحجاز، أن يكون ولداً لهم، وهم: محمد بن سفيان بن مجاشع جد جد الفرزدق، ومحمد بن أحيحة بن الجلاح، ومحمد بن حمران بن

ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله ﷺ أن هلك وأم رسول الله ﷺ حاملٌ به .

ولادة رسول الله ﷺ

وُلِدَ رسول الله ﷺ يوم الاثنين، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، عام الفيل (١).

عن قيس بن مخزومة قال: ولدت أنا ورسول الله عام الفيل، فنحن لِدَتَانِ (٢).

عن حسان بن ثابت قال:

والله إني لَغلامٌ يَفْعَةٌ (٣)، ابن سبع سنين أو ثمان، أعقل كل ما سمعتُ، إذ سمعت يهودياً يصرخ بأعلى صوته على أطمية (٤) بيثرب: يا معشر يهود! حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا له: ويلك! مالك؟ قال: طلع الليلة نجم أحمد الذي وُلِدَ به . فلما وضعته أمه ﷺ أرسلت إلى جدّه عبد المطلب: إنه قد وُلِدَ لك غلامٌ فأته فانظر إليه . فأتاه فنظر إليه، وحدثته بما رأت حين حملت به، وما قيل لها فيه، وما أمرت به أن تسميه .

فيزعمون أن عبد المطلب أخذه فدخل به الكعبة، فقام يدعو الله ويشكر له ما أعطاه، ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها والتمس لرسول الله ﷺ المراضع . فاسترضع له امرأة من سعد بن بكر، يقال لها حليلة ابنة أبي ذؤيب .

حديث حليلة

كانت حليلة تحدث أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها صغير (٥) ترضعه في نسوة من بني سعد، تلتمس الرضعاء (٦)، وذلك في سنة شهباء (٧) لم تُبق لنا شيئاً . فخرجت على أتانٍ لي قمرأء (٨) معنا شارفٌ لنا (٩)، والله ما تبضُ بقطرة (١٠) وما ننام ليلنا

(١) وقيل كان قبل مولده برمضان .

(٢) لدتان: مثنى لدة، وهو ترب الإنسان يولد معه .

(٣) أي قوي قد طال قده .

(٤) الأطمية، يفتحون: الحصن .

(٥) اسمه عبد الله بن الحارث بن عبد العزى .

(٦) جمع رضيع .

(٧) الشهباء: المجذبة البيضاء لا يرى فيها خضرة .

(٨) الأتان: الحمارة . القمرأء: التي يميل لونها إلى الخضرة .

(٩) الشارف: الناقة المسنة .

(١٠) ما تبض بقطرة: أي ما ترشح .

أجمع من صبينا الذي معنا من بكائه من الجوع، ما في ثديي ما يُغنيه، وما في شارفنا ما يغذيه، ولكننا كنا نرجو الغيث والفرج. فخرجتُ على أتاني، فلقد أدمتُ^(١) بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفاً وعجفاً^(٢) حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء، فما منا امرأة إلا وقد عُرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه إذا قيل لها إنه يتيم، وذلك أنا إنما كنا نرجو المعروف من أبي الصبي، فكنا نقول: يتيم! وما عسى أن تصنع أمه وجدّه! فكنا نكرهه لذلك. فما بقيت امرأة كانت معي إلا أخذت رضيعاً، غيري. فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي^(٣): واللّه إنّي لأكرهه أن أرجع من بين صواحيبي ولم آخذ رضيعاً، واللّه لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلاخذنه! قال: لا عليك أن تفعلي، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة!

قالت: فذهبتُ إليه فأخذته، وما حملني على أخذه إلا أنّي لم أجد غيره. فلما أخذته رجعتُ به إلى رحلي، فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روي، وشرب معه أخوه حتى روي ثم ناما، وما كنا ننام منه قبل ذلك. وقام زوجي إلى شارفنا تلك فإذا إنها لحافل، فحلب منها ما شرب وشربتُ معه حتى انتهينا رياً وشبعاً، فبتنا بخير ليلة!

قالت: يقول صاحبي حين أصبحنا: تَعَلَّمِي واللّه يا حليمة، لقد أخذتِ نسمة مباركة! فقلت: واللّه إنّي لأرجو ذلك.

ثم خرجنا وركبتُ أنا أتاني، وحملته عليها معي، فواللّه لقطعَتُ بالركب ما يقدر عليها شيء من حمهم، حتى إن صواحيبي ليقلن لي: يا ابنة أبي ذؤيب، ويحك اربعي علينا^(٤)، أليست هذه أتانك التي كنتِ خرجتِ عليها؟! فأقول لهن: بلى واللّه، إنها هي! فيقلن: واللّه إن لها لشأنا!

ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجذب منها، فكانت غنمي تروح عليّ حين قدمنا به معنا شباعاً لبناً، فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة لبن، ولا يجدها في ضرع، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب. فتروح أغنامهم جياً ما تبض بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعاً لبناً.

(١) أي أطلت عليهم المسافة، لتمهلهم عليها، مأخوذ (٣) تعني زوجها الحارث بن عبد العزى.

(٤) أي أقيمي وانتظري.

من الشيء الدائم.

(٢) المعجف: الهزال.

فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته، وكان يشبُّ شباباً لا يشبُّه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جفراً^(١)، فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا، لما كنا نرى من بركته، فكلّمنا أمه وقلت لها: لو تركت بُنيّ عندي حتى يغلظ، فإني أخاف عليه وبأ مكة. فلم نزل بها حتى ردته معنا.

فرجعنا به، فوالله إنه بعد مقدّمنا به بأشهر مع أخيه لفي بهم^(٢) لنا خلف بيوتنا إذ أتانا أخوه يشتدّ، فقال لي ولأبيه: ذاك أخي القرشيّ قد أخذ رجلاً عليها ثياب بيض، فأضجعه فشقا بطنه، فهما يسوطانه^(٣)!

فخرجت أنا وأبوه نحوه، فوجدته قائماً منتقماً وجهه، فالتزمته والتزمه أبوه، فقلنا: مالك يا بني؟ قال: جاءني رجلان عليها ثياب بيض، فأضجعاني وشقا بطني فالتمسا فيه شيئاً لا أدري ما هو؟

فرجعنا به إلى خباتنا وقال لي أبوه: يا حليلة، لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب، فألحقه بأهله قبل أن يظهر ذلك به. فاحتملناه، فقدمنا به على أمه؛ فقالت: ما أقدمك به يا ظئر^(٤) وقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك؟ فقلت: قد بلغ الله بابني وقضيت الذي عليّ، وتخوفت الأحداث عليه، فأدبته إليك كما تحبين. قالت: ما هذا شأنك فاصدقني خبرك. فلم تدعني حتى أخبرتها. قالت: أفتخوفت عليه الشيطان؟ قلت: نعم. قالت: كلاً، والله ما للشيطان عليه من سبيل، وإن لبنيّ لشأنا، أفلا أخبرك خبره؟ قلت: بلى، قالت: رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضاء قصور بصرى^(٥) من أرض الشام، ثم حملت به فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف عليّ ولا أيسر منه، ووقع حين ولدته وإنه لو وضع يديه بالأرض، رافع رأسه إلى السماء. دعيه عنك وانطلق راشدة.

حديث شق الصدر

قال ابن إسحاق:

حدثني ثور بن يزيد عن بعض أهل العلم، ولا أحسبه إلا عن خالد بن معدان الكلاعي:

(٤) الظئر: المرأة ترضع ولد غيرها.

(٥) بصرى: من أعمال دمشق.

(١) الجفر: الغليظ الشديد.

(٢) البهم: الصغار من الغنم، الواحدة بهمة.

(٣) يسوطانه: يضربان بعضه ببعض ويحركانه.

أن نقرأ من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له: يا رسول الله، أخبرنا عن نفسك.
قال: نعم، أنا دعوة أبي إبراهيم، وبُشْرَى أخِي عيسى، وراة أمي حين حملت بي أنه
خرج منها نوراً اضء لها قصور الشام، واسترُضعتُ في بني سعد بن بكر.

فبينما أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهماً لنا، إذ أتاني رجلانِ عليهما ثيابٌ بيض،
بَطَسَتْ من ذهب مملوءة ثلجاً، ثم أخذاني فشقا بطني، واستخرجا قلبي فشقا،
فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها، ثم غَسَلَا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه، ثم
قال أحدهما لصاحبه: زنه بعشرة من أمته. فوزنني بهم فوزنتهم، ثم قال: زنه بمائة من
أمته. فوزنني بهم فوزنتهم. ثم قال: زنه بألف من أمته. فوزنني بهم فوزنتهم. فقال:
دعه، فوالله لو وزنته بأمته لوزنناها.

كفالة جده له

وكان رسول الله ﷺ مع أمه آمنة بنت وهب وجده عبد المطلب بن هاشم في كِلاءة
الله وحفظه، ينبته الله نباتاً حسناً، لما يريد به من كرامته. فلما بلغ رسول الله ﷺ ست
سنين توفيت أمه بالأبواء بين مكة والمدينة، كانت قد قدمت به على أخواله من بني عدي
بن النجار تزيره إياهم، فماتت وهي راجعةً به إلى مكة.

فكان رسول الله ﷺ مع جده عبد المطلب بن هاشم. وكان يُوضَع لعبد المطلب
فراشٌ في ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه، لا يجلس
عليه أحدٌ من بنيه إجلالاً له. فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلامٌ جَفْرٌ^(١) حتى يجلس
عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دَعُوا ابني،
فوالله إن له لشأناً! ثم يجلسه معه على الفراش ويمسح ظهره بيده، ويسره ما يراه يصنع.
فلما بلغ رسول الله ﷺ ثمانِي سنين هلك عبد المطلب، وذلك بعد الفيل بثمانِي
سنين.

كفالة عمه له

فكان رسول الله ﷺ بعد عبد المطلب مع عمه أبي طالب.
وإن رجلاً من هُب^(٢) كان عائفاً^(٣)، فكان إذا قدم مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم

(١) الجفر: الغليظ الشديد.

(٢) بنو هُب: قوم مشهورون بالعبادة.

(٣) العائف: الذي يتفرس في خلقة الإنسان فيخبر بما
تؤول إليه.

ينظر إليهم ويعتاف لهم فيهم . فأتى به أبو طالب وهو غلام مع من يأتيه، فنظر إلى رسول الله ﷺ، ثم شغله عنه شيء، فلما فرغ قال: الغلام، عليّ به . فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيبه عنه، فجعل يقول ويلكم ! ردّوا عليّ الغلام الذي رأيتُ أنفاً، فوالله ليكون له شأن !

قصة بحيرا

ثم إن أبا طالب خرج في ركب تاجراً إلى الشام، فلما تهيأ للرحيل وأجمع المسير صبّ به^(١) رسول الله ﷺ، فرق له أبو طالب وقال: والله لأخرجنّ به معي، ولا يفارقني ولا أفارقه أبداً.

فخرج به معه، فلما نزل الركب بصرى وبها راهب يقال له «بحيراً» في صومعة له، وكان إليه علم أهل النصرانية، ولم يزل في تلك الصومعة منذ قطّ راهب إليه يصير علمهم عن كتاب فيها فيما يزعمون، يتوارثونه كابراً عن كابر، فلما نزلوا ذلك العام ببجيرا، وكانوا كثيراً ما يمرّون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام، فلما نزلوا به قريباً من صومعته صنع لهم طعاماً كثيراً.

وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه وهو في صومعته . يزعمون أنه رأى رسول الله ﷺ وهو في صومعته في الركب حين أقبلوا، وغمامة تظله من بين القوم، ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريباً منه، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة، وتهصرت^(٢) أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظل تحتها، فلما رأى ذلك بحيراً نزل من صومعته، ثم أرسل إليهم فقال: إني قد صنعتُ لكم طعاماً يا معشر قريش، فأنا أحبُّ أن تحضروا كلكم، صغيركم وكبيركم، وعبدكم وحُرّكم.

فقال له رجل منهم: والله يا بحيراً إن لك لشأناً اليوم، فما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمرُّ بك كثيراً! فما شأنك اليوم؟ قال له بحيراً: صدقت، كان ما تقول، ولكنكم ضيف، وقد أحببتُ أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً فتأكلوا منه كلكم.

فاجتمعوا إليه وتخلّف رسول الله ﷺ من بين القوم، لحدائثة سنه، في رحال القوم تحت الشجرة، فلما نظر بحيراً في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده، فقال: يا معشر قريش، لا يتخلّفن أحدٌ منكم عن طعامي . قالوا له: يا بحيراً، ما تخلّف عنك

(١) أي مال إليه . ويروى «صببت به» أي تعلق .

(٢) تهصرت: مالت . وتدلّت .

أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلام، وهو أحدث القوم سنًا، فتخلف في رحالهم. فقال: لا تفعلوا، ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم. فقال رجل من قريش مع القوم: واللأت والعزى، إن كان للؤم بنا أن يتخلف ابن عبد المطلب عن طعام من بيننا! ثم قام فاحتضنه وأجلسه مع القوم، فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام إليه بحيرا فقال له: يا غلام، أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه - وإنما قال له بحيرا ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما - فزعموا أن رسول الله ﷺ قال له: لا تسألني باللات والعزى، فوالله ما أبغضت شيئاً قطُّ بُغضَها! فقال له بحيراً: فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه. فقال له: سألني ما بدا لك. فجعل يسأله عن أشياء من حاله في نومه وهيئته وأموره، فجعل رسول الله ﷺ يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته. ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده.

فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني. قال له بحيرا: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً. قال: فإنه ابن أخي. قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حُبلى به. قال: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه يهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفتُ لبيغته شراً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأنٌ عظيم! فأسرع به إلى بلاده.

حرب الفجار

هاجت حرب الفجار ورسول الله ﷺ ابن عشرين سنة^(١) وإنما سمي يوم الفجار بما استحلَّ هذان الحيان: كنانة وقيس عيلان، فيه من المحارم بينهم. وكان قائد قريش وكنانة حرب بن أمية، وكان الظفر في أول النهار لقيس على كنانة، حتى إذا كان في وسط النهار كان الظفر لكنانة على قيس.

الأخير، وهو فجار البراض. وقبله فجارات ثلاث: أولها بين كنانة وهوازن، والثاني بين قريش وهوازن، والثالث بين كنانة وهوازن. وتفصيلها في العقد الفريد، والأغاني.

(١) ذكر ابن هشام أن رسول الله ﷺ شهد بعض أيام الفجار، أخرجته أعمامه معهم، وقال رسول الله ﷺ: «كنت أنبل على أعمامي» أي أرد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها. وهذا الفجار هو الفجار

تزوج خديجة رضي الله عنها

وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه^(١) بشيء يجعله لهم، وكانت قريش قوماً تجاراً، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه، بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبله رسول الله ﷺ منها وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام.

فنزّل رسول الله ﷺ في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب^(٢) من الرهبان، فاطلع الراهب إلى ميسرة فقال: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ قال له ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم. فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي!

ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد أن يشتري، ثم أقبل قافلاً إلى مكة، فكان ميسرة إذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى ملكين يظللانه من الشمس وهو يسير على بعيره. فلما قدم مكة على خديجة بما لها باعت ما جاء به فأضعف^(٣) أو قريياً.

وحدثها ميسرة عن قول الراهب وعمّا كان يرى من إضلال الملكين إياه. وكانت خديجة امرأة حازمة لبيبة شريفة، مع ما أراد الله بها من كرامته، فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به بعثت إلى رسول الله ﷺ فقالت له: يا ابن عم، إني قد رغبت فيك لقرابتك وسيطتك^(٤) في قومك، وأمانتك وحسن خلقك، وصدق حديثك. ثم عرضت عليه نفسها، وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسباً، وأعظمهن شرفاً، وأكثرهن مالاً، كل قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه.

فلما قالت ذلك لرسول الله ﷺ ذكر ذلك لأعمامه فخرج معه عمه حمزة حتى دخل على خويلد بن أسد^(٥) فخطبها إليه فتزوجها^(٦).

(١) المضاربة: أن تعطي مالاً لغيرك يتجر فيه، فيكون له سهم معلوم من الربح.
 (٢) اسم هذا الراهب نسطورا.
 (٣) أضعف: صار مضاعفاً.
 (٤) السطة: الشرف، من الوسط، كالعدة من الوعد.
 (٥) هو خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي.
 (٦) أصدقها ﷺ عشرين بكرة، وكانت أول امرأة تزوجها، ولم يتزوج عليها حتى ماتت.

فولدت لرسول الله ﷺ ولده كلهم، إلا إبراهيم^(١)، القاسم، وبه كان يكنى،
والطاهر والطيب^(٢)، وزينب، ورُقية، وأم كلثوم، وفاطمة، عليهم السلام.
فأما القاسم، والطيب والطاهر، فهلكوا في الجاهلية، وأما بناته فكلهن أدركن
الإسلام فأسلمن وهاجرن معه ﷺ.

حديث ورقة بن نوفل

وكانت خديجة قد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى - وكان ابن عمها،
وكان نصرانياً قد تتبّع الكتب وعلم من علم الناس - ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول
الراهب، وما كان يرى منه إذ كان الملكان يُظللانه، فقال ورقة: لئن كان هذا حقاً يا
خديجة إن محمداً لنبي هذه الأمة، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي يُنتظر، هذا
زمانه !

فجعل ورقة يستبطن الأمر ويقول: حتى متى؟ وقال في ذلك:
لججتُ وكنْتُ في الذكري لجوجاً لهم طالما بعث النشيجا
ووصف من خديجة بعد وصف فقد طال انتظاري يا خديجا
بيطن المكتتين على رجائي حديثك أن أرى منه خروجاً^(٣)
بما خبرتنا من قول قس من الرهبان أكره أن أعوجا
بأن محمداً سيسود فينا ويخصم من يكون له حجيجا
ويظهر في البلاد ضياء نور يقيم به البرية أن تموجا
فيلقى من يجاربه خساراً ويلقى من يسأله فلوجاً^(٤)
فيا ليتني إذا ما كان ذاكم شهدت فكنت أولكم ولوجا

بنيان الكعبة

فلما بلغ رسول الله ﷺ خمساً وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة، وكانوا
يهيئون بذلك ليسقفوها، ويهابون هدمها، وإنما كانت رَضماً^(٥) فوق القامة.
وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جُدَّة لرجل من تجار الروم، فتحطمت فأخذوا
خشبها فأعدوه لتسقيفها. وكان بمكة رجل قبضي نجار، فتهياً لهم في أنفسهم بعض ما

(١) أمه مارية القبطية، من «حفن» من كورة أنصنا من صعيد مصر، أهداها إليه المقوقس عظيم القبط.
(٢) الطاهر والطيب لقبان له، واسمه «عبد الله».
(٣) تني مكة، لأن لها بطاحاً وظواهر.
(٤) الفلوج: النصر والغلبة.
(٥) الرضم: حجارة منضودة من غير ملاط.

يصلحها، وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي كان يُطرح فيها ما يُهدى لها كل يوم، فتشرق^(١) على جدار الكعبة. وكانت مما يهابون، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحدٌ إلاّ احزألت وكشّت^(٢) وفتحت فاهها. فبينما هي ذات يوم تشرق على جدار الكعبة كما كانت تصنع بعث الله إليها طائراً فاختطفها فذهب بها، فقالت قريش: إنا لندرجو أن يكون الله قد رضي ما أردنا، عندنا عاملٌ رفيق، وعندنا خشب، وقد كفانا الله الحية.

فلما أجمعوا أمرهم في هدمها وبنائها قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم، فتناول من الكعبة حجراً فوثب من يده حتى رجّع إلى موضعه، فقال: يا معشر قريش، لا تدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيباً، لا يدخل فيها مهر بغي، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحدٍ من الناس.

ثم إن قريشاً جزأت الكعبة، فكان شق الباب لبني عبدمناف وزهرة وما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم، وكان ظهر الكعبة لبني جحّ وسهم، وشق الحجر لبني عبد الدار ابن قصي ولبني أسد بن عبدالعزي، ولبني عدي بن كعب.

ثم إن الناس هابوا هدمها وفرقوا منه، فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدوكم في هدمها. فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول: اللهم لم نزع^(٣)! اللهم لا نريد إلاّ الخير! ثم هدم من ناحية الركنين، فتربص الناس تلك الليلة وقالوا: ننظر، فإن أصيب لم نهدم منها شيئاً ورددناها كما كانت، وإن لم يُصبه شيء فقد رضي الله صنعا فهدمنا.

فأصبح الوليد من ليلته غادياً على عمله، فهدم وهدم الناس معه حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس، أساس إبراهيم عليه السلام، أفضوا إلى حجارة خضر كالأسنمة^(٤) آخذ بعضها بعضاً.

ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها، كل قبيلة تجمع على حدة، ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن^(٥) فاختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، حتى تجاوزوا^(٦)، وتحالفوا وأعدوا للقتال.

(٤) جمع سنام، وهو أعلى ظهر البعير. وىروى:

«كالأسنة»، جمع سنان، شبهت به في الخضرة.

(٥) يراد به الحجر الأسود، لأن موضعه في الركن.

(٦) تجاوزوا: انحاز كل قبيل منهم إلى جانب.

(١) أي تبرز للشمس.

(٢) احزألت: رفعت رأسها. وكشّت: صوتت باحتكاك

جلدها بعضه ببعض.

(٣) لم نزع: لم نخل عن دينك.

فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة، وكان عامثاً أسن قريش كلها، قال: يا معشر قريش، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه . ففعلوا . فكان أول داخل عليهم رسول الله ﷺ، فلما رآوه قالوا: هذا الأمين، رضينا! هذا محمد . فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال ﷺ: هلم إلي ثوباً . فأتى به، فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ثم بني عليه .

إخبار الكهان من العرب والأخبار من يهود، والرهبان من النصارى

وكانت الأخبار من يهود، والرهبان من النصارى، والكهان من العرب، قد تحدثوا بأمر رسول الله ﷺ قبل مبعثه لما تقارب من زمانه . أما الأخبار من يهود والرهبان من النصارى، فعلموا وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه . وأما الكهان من العرب فأتتهم به الشياطين من الجن فيما تسترق من السمع، إذ كانت وهي لا تحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم . وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منها ذكر بعض أموره، لا تلقى العرب لذلك فيه بالأ، حتى بعثه الله ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون، فعرفوها .

فلما تقارب أمر رسول الله ﷺ وحضر مبعثه، حُجبت الشياطين عن السمع، وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد لاستراق السمع فيها، فرموا بالنجوم، فعرفت الجن أن ذلك لأمر حدث من أمر الله في العباد .



صفة رسول الله ﷺ

قال ابن هشام:

وكانت صفة رسول الله ﷺ فيما ذكر عمر مولى غفرة، عن إبراهيم بن محمد بن علي بن أبي طالب قال:

كان علي بن أبي طالب عليه السلام إذا نعت رسول الله قال: لم يكن بالطويل الممغط^(١)، ولا القصير المتردد، وكان ربعة^(٢) من القوم، ولم يكن بالجعد القَطَط^(٣)، ولا السَّبَط، كان جعداً رجلاً^(٤)، ولم يكن بالمطهم^(٥) ولا المكثم^(٦). وكان أبيض مشرباً، أدعج العينين^(٧)، أهدب الأشفار^(٨) جليل المشاش^(٩) والكتد^(١٠) دقيق المسربة^(١١) أجرد^(١٢) شثن الكفين^(١٣) والقَدَمين؛ إذا مشى تقلع^(١٤)، كأنما يمشي في صَبَب^(١٥)، وإذا التفت التفت معاً، بين كتفيه خاتم النبوة، وهو ﷺ خاتم النبيين، أجود الناس كفاً، وأجرأ الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة^(١٦)، وأوفى الناس ذمة، وألينهم عريكة^(١٧)، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهته^(١٨) هابه، ومن خالطه أحبه. يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله، ﷺ.

صفة رسول الله ﷺ من الإنجيل

قال ابن إسحاق:

وقد كان فيما بلغني عما كان وضع عيسى بن مريم فيما جاءه من الله في الإنجيل لأهل الإنجيل من صفة رسول الله ﷺ مما أثبت يُحَسُّن الحواريُّ لهم، حين نسخ لهم الإنجيل عن عهد عيسى بن مريم عليه السلام في رسول الله ﷺ إليهم، أنه قال:

- | | |
|--|--|
| (١) الممغط: الممتد. | (١٠) الكتد: ما بين الكتفين. |
| (٢) الربعة: الذي ليس بالطويل ولا القصير. | (١١) المسربة: الشعر الممتد من الصدر إلى السرة. |
| (٣) القَطَط: الشديد جمودة الشعر. | (١٢) الأجرد: القليل الشعر. |
| (٤) الرجل: المسرح الشعر. | (١٣) الشثن: الغليظ. |
| (٥) المطهم: العظيم الجسم. | (١٤) تقلع: لم يثبت قدميه. |
| (٦) المكثم: المستدير الوجه في صفر. | (١٥) الصبب: ما انحدر من الأرض. |
| (٧) الأدعج: الأسود العينين. | (١٦) اللهجة: الكلام. |
| (٨) أهدب الأشفار: طويل أهدابها. | (١٧) لين العريكة: حسن العشرة. |
| (٩) المشاش: عظام رؤوس المفاصل. | (١٨) بديهته: ابتداء. |

«من أبغضني فقد أبغض الرب. ولولا أني صنعتُ بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحدٌ قبلي ما كانت لهم خطيئة. ولكن من الآية بطروا وظنوا أنهم يعزوني»^(١) وأيضاً للرب، ولكن لا بد من أن تتم الكلمة التي في الناموس. إنهم أبغضوني مجاناً - أي باطلاً - فلو قد جاء المنحمناً هذا الذي يرسله الله إليكم من عند الرب. روح القدس هذا الذي من عند الرب خرج، فهو شهيدٌ عليّ وأنتم أيضاً، لأنكم قديماً كنتم معي. في هذا قلت لكم لكيما لا تشكروا^(٢).

و«المنحمناً»، بالسريانية: محمد، وهو بالرومية «البرقليطس».

البعث

فلما بلغ محمد رسول الله ﷺ أربعين سنة بعثه الله رحمة للعالمين وكافة للناس بشيراً. وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالإيمان به، والتصديق له، والنصر له على من خالفه، وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم، فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه.

عن عائشة رضي الله عنها:

إن أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من النبوة، حين أراد الله كرامته ورحمة العباد، الرؤيا الصادقة، لا يرى رسول الله ﷺ رؤيا في نومه إلا جاءت كفلق الصبح. وحسب الله تعالى إليه الخلوة، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده.

وعن عبد الملك بن عبيد الله:

أن رسول الله ﷺ حين أراد الله بكرامته وابتدأه بالنبوة، كان إذا خرج لحاجته أبعده حتى تحسر عنه البيوت^(٣)، ويفضي إلى شعاب^(٤) مكة ويطون أوديتها، فلا يمر رسول الله ﷺ بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله. فيلتفت رسول الله ﷺ حوله وعن يمينه وشماله وخلفه، فلا يرى إلا الشجر والحجارة. فمكث رسول الله ﷺ كذلك يرى ويسمع، ما شاء الله أن يمكث. ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاءه من كرامة الله، وهو بحراء^(٥). في شهر رمضان.

(١) عزه يعزه: غلبه.

(٢) انظر إنجيل يوحنا ١٥ : ٢٣ - ٢٦.

(٣) أي تبعده عنه.

(٤) الشعب: ما انفرج بين الجبلين.

(٥) حراء: جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال.

عن عبيد بن عمير:

كان رسول الله ﷺ يجاور في حراء من كل سنة شهراً، وكان ذلك مما تحنث به قريش في الجاهلية^(١). فكان يجاور ذلك الشهر من كل سنة، يُطعم من جاءه من المساكين، فإذا قضى رسول الله ﷺ جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به إذا انصرف من جواره الكعبة، قبل أن يدخل بيته، فيطوف بها سبعاً أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته. حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته، من السنة التي بعثه الله تعالى فيها، وذلك الشهر شهر رمضان، خرج رسول الله ﷺ إلى حراء كما كان يخرج لجواره، ومع أهله، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته، جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى.

قال رسول الله ﷺ: فجاءني جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج^(٢) فيه كتاب، فقال: اقرأ. قلت ما اقرأ^(٣). قال: فغطني به^(٤) حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال: اقرأ. قلت: ما اقرأ. . . فغطني به حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ماذا اقرأ؟ فغطني به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ماذا اقرأ؟ فقال ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم﴾. قال: فقرأتها ثم انتهى فانصرف عني، وهببت من نومي فكأنما كتبت في قلبي كتاباً.

فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول: يا محمد، أنت رسول الله وأنا جبريل! فرفعت رأسي إلى السماء أنظر، فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل! فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر، وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء، فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيت ذلك. فما زلت واقفاً ما أتقدم أمامي وما أرجع ورائي حتى بعثت خديجة رسولها في طلبي، فبلغوا أعلى مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك. ثم انصرف عني. وانصرفت راجعاً إلى أهلي حتى أتيت خديجة، فجلست إلى فخذها مضيفاً إليها^(٥) فقالت: يا أبا القاسم، أين كنت؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا إلي!

(١) التحنث: التعبد واعتزال الأصنام.
(٢) النمط: ضرب من البسط. والديباج: ثبات من الإبريسم.
(٣) ويروى: «ما أنا بقاريء».
(٤) غته: عصره عصراً شديداً.
(٥) مضيفاً إليها: ملتصقاً بها مائلاً إليها.

ثم حدثتها بالذي رأيت فقالت: أبشِر يا ابن عمِّ واثبت، فوالذي نفسُ خديجة بيده
إني لأرجو أن تكون نبيَّ هذه الأمة !

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل، وهو ابن عمِّها، وكان
ورقة تنصّرَ وقرأ الكتب، وسمع من أهل التوراة والإنجيل، فأخبرته بما أخبرها به رسول
الله ﷺ أنه رأى وسمع، فقال ورقة: قدوس قدوس، والذي نفس ورقة بيده، لئن كنتِ
صدقيني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر^(١) الذي كان يأتي موسى^(٢)، وإنه لنبيُّ هذه
الأمة، فقولي له فليثبت.

فرجعت خديجةُ إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بقول ورقة، فلما قضى رسول الله ﷺ
جواره وانصرف، صنع كما كان يصنع، بدأ بالكعبة، فقال: يا ابن أخي، أخبرني بما رأيت
وسمعت. فأخبره رسول الله ﷺ فقال له ورقة: والذي نفسي بيده إنك لنبيُّ هذه الأمة،
ولقد جاءك الناموسُ الأكبر الذي جاء موسى، ولتكدِّبته، ولتؤذِّينه، ولتُخرجته،
ولتقاتلنه^(٣) ! ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرنَّ الله نصرًا يعلمه ! ثم أدنى رأسه منه فقبل
يافوخه^(٤)، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله .

ابتداء تنزيل القرآن

فابتدىء رسول الله ﷺ بالتنزيل في شهر رمضان. يقول الله عز وجل: ﴿ شهر
رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ﴾ . وقال الله تعالى:
﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر * تنزل
الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر * سلام هي حتى مطلع الفجر ﴾

وقال الله تعالى: ﴿ حم * والكتاب المبين * إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا
مُنذرين * فيها يُفرقُ كلُّ أمرٍ حكيم * أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين ﴾ . وقال تعالى: ﴿ إن
كُنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ﴾ وذلك ملتقى رسول
الله ﷺ والمشركين ببدر.

أقنوما من الأقانيم الثلاثة اللاهوتية حل بناسوت
المسيح واتحد به، على اختلاف بينهم في ذلك
الحلول.

(٣) الهاء في كل هذه الأفعال هي هاء السكت.

(٤) يافوخه: أم رأسه.

(١) أراد به الملك الذي جاءه بالوحي، وأصل الناموس
صاحب سر الرجل.

(٢) السهيلي: «إنما ذكر ورقة موسى ولم يذكر عيسى وهو
أقرب، لأنه ورقة كان قد تنصر، والنصارى لا يقولون
في عيسى: إنه نبي يأتيه جبريل، إنما يقولون فيه: إن

إسلام خديجة بنت خويلد

وَأَمِنَتْ بِهِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَصَدَقَتْ بِمَا جَاءَهُ مِنَ اللَّهِ، وَوَارَتْهُ عَلَى أَمْرِهِ، وَكَانَتْ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَصَدَّقَ بِمَا جَاءَ مِنْهُ، فَخَفَّفَ اللَّهُ بِذَلِكَ عَنْ نَبِيِّهِ ﷺ، لَا يَسْمَعُ شَيْئًا مِمَّا يَكْرَهُهُ مِنْ رَدِّ عَلَيْهِ وَتَكْذِيبِ لَهُ، فَيَحْزُنُهُ ذَلِكَ، إِلَّا فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُهَا إِذَا رَجَعَ إِلَيْهَا، تَثَبَّتْهُ وَتَخَفَّفَ عَلَيْهِ، وَتَصَدَّقَهُ، وَتَهَوَّنَ عَلَيْهِ أَمْرَ النَّاسِ، رَحِمَهَا اللَّهُ !

قال رسول الله ﷺ: «أمرتُ أن أُبشِّرَ خديجةَ ببيتٍ من قَصَبٍ^(١) لا صَخَبٍ فيه ولا نَصَبٍ».

فترة الوحي

ثم فتر الوحي عن رسول الله ﷺ فترةً من ذلك، حتى شقَّ ذلك عليه فأحزنه، فجاءه جبريل بسورة الضحى، يُقسِمُ له ربه، وهو الذي أكرمه بما أكرمه به : ما ودَّعه وما قلاه . فقال تعالى : ﴿ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ . يقول : ما صرمتك فتركك، وما أبغضك ثم أحبك . ﴿ وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ أي لما عندي من مرجعك إلي خير لك مما عجلتُ لك من الكرامة في الدنيا . ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ من الفلج^(٢) في الدنيا، والثواب في الآخرة . ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ . يعرفه الله ما ابتدأه به من كرامته في عاجل أمره، ومنه عليه في يتمه وعيَلته وضلالته، واستنقاده من ذلك كله برحمته . ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ ، أي لا تكن جباراً ولا متكبراً، ولا فحاشاً فظاً على الضعفاء من عباد الله . ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ . أي بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوة فحدِّث، أي اذكرها وادعُ إليها .

فجعل رسولُ الله ﷺ يذكر ما أنعم الله به عليه، وعلى العباد به من النبوة سراً إلى من يطمئنُ إليه من أهله .

أول الناس إسلاماً

ثم كان أولَ ذَكَرٍ مِنَ النَّاسِ آمَنَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَصَلَّى مَعَهُ وَصَدَّقَ بِمَا جَاءَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى : عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، رَضْوَانُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ ابْنُ عَشْرٍ سَنِينَ .

وكان من نعمة الله على علي بن أبي طالب، ومما صنع الله له، وأراده من الخير، أن

(١) القصب: اللؤلؤ المنحوت .

(٢) الفلج: الفوز والغلبة .

قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله ﷺ للعباس عمه، وكان من أسير بني هاشم: يا عباس، إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا فلنخفف عنه من عياله، آخذ من بنيه رجلاً وتأخذ أنت رجلاً فنكفها عنه. فقال العباس: نعم. فانطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنا نريد أن نخفف من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه. فقال لها أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما.

فأخذ رسول الله ﷺ علياً فضمه إليه، وأخذ العباس جعفرأ فضمه إليه. فلم يزل علي مع رسول الله ﷺ، حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبياً، فأتبعه علي رضي الله عنه، وآمن به وصدقته.

وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفياً من أبيه ومن جميع أعمامه وسائر قومه، فيصليان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا. فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا، ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان، فقال لرسول الله ﷺ: يا ابن أخي، ما هذا الدين الذي أراك تدين به؟ قال: أي عم، هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم، بعثني الله به رسولاً إلى العباد، وأنت يا عم أحق من بذلت له النصيحة، ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابني إليه وأعانني عليه. فقال أبو طالب: أي ابن أخي، إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يخلص إليك بشيء تكرهه ما بقيت!

ثم أسلم (زيد بن حارثة) بن شريحيل بن كعب بن عبد العزى. وكان حكيم بن حزام بن خويلد قدم من الشام برقيق فيهم زيد بن حارثة، فدخلت عليه عمته خديجة، وهي يومئذ عند رسول الله ﷺ، فقال لها: اختاري يا عمه، أي هؤلاء الغلمان شئت فهو لك. فاخترت زيدا فأخذته، فراه رسول الله ﷺ عندها فاستوهبه منها فوهبته له، فأعتقه وتبناه، وذلك قبل أن يوحى إليه.

ثم أسلم (أبو بكر بن أبي قحافة)، واسمه عتيق، واسم أبي قحافة عثمان. فلما أسلم أبو بكر رضي الله عنه، أظهر إسلامه ودعا إلى الله ورسوله. وكان أبو بكر رجلاً مالفاً لقومه، محبباً سهلاً، وكان أنسب قريش لقريش وأعلم قريش بها، وبما كان فيها من خير وشر، وكان رجلاً تاجراً ذا خلقٍ ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحدٍ من الأمر: لعلمه، وتجارته وحسن مجالسته. فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه، ممن يغشاه ويجلس إليه.

فأسلم بدعائه عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله. فكان هؤلاء النفر الثمانية^(١) الذين سبقوا الناس بالإسلام فصلوا وصدقوا.

ثم أسلم أبو عبيدة بن الجراح، وأبو سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم^(٢)، وعثمان بن مظعون، وأخوه قدامة وعبد الله، وعبيدة بن الحارث، وسعيد بن زيد بن عمرو، وامراته فاطمة أخت عمر بن الخطاب، وأسما بنت أبي بكر، وعائشة بنت أبي بكر، وهي يومئذ صغيرة، وخباب بن الأرت، وعمير بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود، ومسعود بن القاري، وسليط بن عمرو، وعياش بن أبي ربيعة، وامراته أسما بنت سلامة، وخنيس بن حذافة، وعامر بن ربيعة، وعبد الله بن جحش، وأخوه أبو أحمد، وجعفر بن أبي طالب، وامراته أسما بنت عميس، وحاطب بن الحارث، وامراته فاطمة بنت المجلل، وأخوه حطاب، وامراته فكيهة بنت يسار، ومعمار بن الحارث، والسائب بن عثمان بن مظعون، والمطلب بن أزهري، وامراته رملة بنت أبي عوف، والنحام واسمه نعيم بن عبد الله، وعامر بن فهيرة، وخالد بن سعيد بن العاص، وامراته أمينة بنت خلف، وحاطب بن عمرو، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وواقد بن عبد الله، وخالد وعامر وعائل وإياس بنو البكير بن عبد ياليل، وعمار بن ياسر، وصهيب بن سنان الرومي^(٣).

الجهر بالدعوة

ثم دخل الناس في الإسلام أرسالاً^(٤) من الرجال والنساء، حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتحدث به.

ثم إن الله عز وجل أمر رسوله ﷺ أن يصدع بما جاءه منه، وأن يبادي^(٥) الناس بأمره وأن يدعو إليه. وكان بين ما أخفى رسول الله أمره واستتر به إلى أن أمره الله بإظهار دينه ثلاث سنين من مبعثه، ثم قال الله تعالى له: ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾. وقال تعالى: ﴿وانذير عشيرتك الأقربين﴾ * واخفص جناحك لمن اتبعك من

(٣) صهيب عربي، ولكن الروم سبته صغيراً فنشأ فيهم فصار الكن، ثم اشتراه رجل من كلب فباعه بمكة، فاشتراه عبد الله بن جدعان فأعتقه. وفي الحديث: «صهيب سابق الروم».

(٤) جمع رسل بالتحريك، وهي الجماعة.

(٥) المباداة: المجاهرة.

(١) هم علي، وزيد، وأبو بكر، ومن أسلم على يديه.

(٢) وفي داره كان رسول الله ﷺ مستخفياً من قريش بمكة يدعو الناس فيها إلى الإسلام، وكانت داره على الصفا، حتى تكامل المسلمون أربعين رجلاً بإسلام عمر، فلما تكاملوا أربعين رجلاً خرجوا

المؤمنين * وقل إني أنا النذير المبين ﴿١﴾ .

وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلّوا ذهبوا في الشّعب فاستخفوا بصلاتهم من قومهم، فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في شعب من شعاب مكة، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلّون، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم، فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلاً من المشركين بلحى بعير فشجّه (١)، فكان أول دم هريق في الإسلام.

فلما بادى رسول الله ﷺ قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله لم يبعد عنه قومه ولم يردوا عليه حتى ذكر آهتهم وعابها، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه، وأجمعوا خيلافه وعداوته، إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام، وهم قليل مستخفون.

وحديث (٢) على رسول الله ﷺ عمه أبو طالب، ومنعه وقام دونه، ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله مظهراً لأمره، لا يرده عنه شيء. فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ لا يُعْتَبَهُمْ (٣) من شيء أنكروه عليه، من فراقهم وعيب آهتهم، ورأوا أن عمه أبا طالب قد حذب عليه، وقام دونه فلم يُسلمه لهم، مشى رجالاً من أشرف قريش إلى أبي طالب فقالوا، يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سب آهتنا وعاب ديننا وسفّه أحلامنا وضللّ آباءنا، فإما أن تكفّه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه؟ فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً، وردّهم رداً جميلاً، فانصرفوا عنه.

ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه، يُظهر دين الله ويدعو إليه، ثم شري (٤) الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا، وأكثرت قريش ذكر رسول الله ﷺ بينها، فتذامروا فيه (٥)، وحض بعضهم بعضاً عليه.

ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا له: يا أبا طالب، إن لك سنّاً وشرفاً ومنزلةً فينا، وإننا قد استهينناك من ابن أخيك فلم تنه عنا، وإننا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا، وعيب آهتنا، حتى تكفّه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين.

فبعث إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا ابن أخي، إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا

(١) اللحي: العظم الذي فيه الأسنان. شجّه: كسر راسه.
(٢) أي عطف ورق.
(٣) يعْتَبَهُمْ: يرضيهم.
(٤) شري: استطار وتفرق.
(٥) أي حض بعضهم بعضاً.

وكذا - للذي كانوا قالوا له - فأبى عليّ وعلى نفسك، ولا تحمّلني من الأمر ما لا أطيق.

فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيد بداء^(١) أنه خاذله ومُسَلِّمه، وأنه قد ضعف عن نصرته، فقال رسول الله ﷺ: يا عمّ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يُظهره الله أو أهلك فيه، ما تركته! ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى ثم قام، فلما ولى ناداه أبو طالب فقال: أقبّل يا ابن أخي. فأقبل عليه رسول الله ﷺ، فقال: اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً.

ثم إن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه، وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم، مشوا إليه بعمارة بين المغيرة، فقالوا له: يا أبا طالب، هذا عمارة بن الوليد، أنهد^(٢) فتى في قريش وأجله، فخذّه فلك عقله^(٣) ونصرتّه، واتخذّه ولداً فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك، وفرّق جماعة قومك وسفه أحلامهم^(٤) فنقتله، فإنما هو رجل برجل! فقال: والله لبس ما تسوموني^(٥)! أتعطوني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيتكم ابني تقتلونه؟ هذا والله ما لا يكون أبداً! فقال المطعّم بن عدي: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك، وجهدوا على التخلّص مما تكرهه، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً! فقال أبو طالب للمطعّم: والله ما أنصفوني، ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم عليّ، فاصنع ما بدا لك؟

فحبّب الأمر^(٦)، وحميت الحرب، وتنازذ القوم، وبأدى بعضهم بعضاً.

ثم إن قريشاً تذاامروا^(٧) بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا معه، فوثبت كلّ قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم، ومنع الله رسوله ﷺ منهم بعمه أبي طالب.

وقد قام أبو طالب، حين رأى قريشاً يصنعون ما يصنعون، في بني هاشم وبني المطلب، فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه، فاجتمعوا إليه، وقاموا معه، وأجابوه إلى ما دعاهم إليه، إلا ما كان من أبي لهب عدو الله الملعون.

(٥) أي تكلفوني.
(٦) حبب أمرهم: فسد.
(٧) تذاامروا: حض بعضهم بعضاً.

(١) أي رأي جديد.
(٢) أي أشد وأقوى.
(٣) العقل: الدية.
(٤) أي عقولهم.

قول الوليد بن المغيرة في القرآن

ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفرٌ من قريش، وكان ذا سنٍّ فيهم، وقد حضر الموسم، فقال لهم: يا معشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم وإن وفد العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد قولكم بعضه بعضاً.

فقالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقلِّ واقم لنا رأياً نقول به.

قال: بل أنتم فقولوا أسمع. قالوا: نقول كاهن. قال: لا والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهَّان، فما هو بمزممة^(١) الكاهن ولا سجعه، قالوا: فنقول: مجنون. قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته.

قالوا: فنقول: شاعر. قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله وجزه وهزجه وقريضه، ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر.

قالوا: فنقول: ساحر. قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السُّحَّارَ وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم^(٢).

قالوا: فما تقول أنت يا أبا عبد شمس. قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق^(٣)، وإن فرعه لجناة^(٤)، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عُرِف أنه باطل. وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا: ساحر، جاء بقولٍ هو سحر يفرق بين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته. ففترقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون بسبيل الناس حين قدموا الموسم لا يمرُّ بهم أحدٌ إلا حذروه إياه وذكروا لهم أمره، فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة: ﴿ ذُرِّي وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِيداً * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً * وَبَيْنَ شُهُوداً * وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً ﴾.

فجعل أولئك النفر يقولون ذلك في رسول الله ﷺ لمن لقوا من الناس، وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله ﷺ فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها.

ذكر ما لقي رسول الله ﷺ من قومه

ثم إن قريشاً اشتد أمرهم، للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله ﷺ ومن أسلم

(٣) العذق، بالفتح: النخلة.

(٤) الجناة: ما يجنى.

(١) الزممة: كلام خفى لا يسمع.

(٢) كان الساحر يعقد خيطاً ثم ينفث فيه

معه منهم، فأغروا به سفاءهم فكذبوه وآذوه، ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون، ورسول الله ﷺ مظهرٌ لأمر الله لا يستخفي به، مُبادٍ^(١) لهم بما يكرهون من عيب دينهم واعتزال أوثانهم، وفراقه إياهم على كفرهم.

قال عبد الله بن عمرو بن العاص:

حضرتهم وقد اجتمع أشرفهم يوماً في الحجر، فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثلاً ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط! سَفَهَ أحلامنا، وسَبَّ أهتنا، لقد صبرنا منه على أمرٍ عظيم!

فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مرَّ بهم طائفاً بالبيت، فلما مرَّ بهم غمزوه ببعض القول، قال: فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ. فلما مرَّ بهم الثانية غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ، ثم مرَّ بهم الثالثة فغمزوه بمثلها، فوقف ثم قال: «أتسمعون يا معشر قريش، أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح^(٢)!». .

فأخذت القومَ كلمته حتى ما منهم رجلٌ إلا كأنما على رأسه طيرٌ واقع، حتى إن أشدهم فيه وصاة^(٣) قبل ذلك ليرفؤه^(٤) بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، فوالله ما كنت جهولاً!

فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا ما بادأكم بما تكرهون تركتموه!

فبينما هم في ذلك طلع عليهم رسول الله ﷺ فوثبوا وثبة رجلٍ واحد، وأحاطوا به بقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا - لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم - فيقول رسول الله ﷺ: نعم أنا الذي أقول ذلك.

قال: فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجمع رداه، فقام أبو بكر رضي الله عنه دونه وهو يبكي ويقول: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله!

ثم انصرفوا عنه. فإن ذلك لأشدُّ ما رأيت قريشاً نالوا منه قط!

(١) أي مجاهر.

(٢) الوصاة: الوصية، أي وصية بالأذى.

(٣) كناية عن الهلاك إن لم يؤمنوا.

(٤) يرفؤه: يسكنه ويهدئه.

إسلام حمزة

حدثني رجل من أسلم، كان واعية :

أن أبا جهلٍ مرَّ برسول الله ﷺ عند الصُّفا فأذاه وشتمه، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه، والتضعيف لأمره، فلم يكلمه رسول الله ﷺ - ومولاة لعبد الله بن جدعان في مسكنٍ لها تسمع ذلك - ثم انصرف عنه فَعَمَدَ إلى نادٍ من قريش عند الكعبة فجلس معهم .

فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه أن أقبل متوشحاً قومه^(١)، راجعاً من قنصٍ له^(٢)، وكان صاحب قنص يرميه ويخرج له، وكان إذا فعل ذلك لم يمرَّ على نادٍ من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم، وكان أعزُّ فتى في قريش وأشدُّه شكيمة، فلما مرَّ بالمولاة^(٣) وقد رجع رسول الله ﷺ إلى بيته قالت له: يا أبا عُمارة، لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمدٌ آنفاً من أبي الحكم^(٤) بن هشام؟ وجده ها هنا جالساً فأذاه وسبه، وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد ﷺ .

فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته، فخرج يسعى ولم يقف على أحد، مُعِدّاً لأبي جهل إذا لقيه أن يُوقِع به، فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم، فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجّه شجّة منكرة، ثم قال: أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول؟ فردّ ذلك عليّ إن استطعت.

فقامت رجالٌ من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل، فقال أبو جهل: دعوا أبا عُمارة، فإنني والله قد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً. وتم حمزة رضي الله عنه على إسلامه، وعلى ما تابع عليه رسول الله ﷺ. فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عزم وامتنع، وأن حمزة سيمنعه. فكفروا عن بعض ما كانوا ينالون منه.

قول عتبة بن ربيعة في أمر رسول الله

حدثت أن عتبة بن ربيعة - وكان سيّداً - قال يوماً وهو جالسٌ في نادي قريش، ورسول الله ﷺ جالسٌ في المسجد وحده: يا معشر قريش، ألا أقومُ إلى محمد فأكلّمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها، فنعطيه أيّها شاء ويكفّ عنا؟ وذلك حين أسلم حمزة

(٤) أبو الحكم: كنية أخرى لأبي جهل، واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم.

(١) أي متقلداً إياه.

(٢) القنص: الصيد.

(٣) هي مولاة عبد الله بن جدعان.

ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزدون ويكثرون . فقالوا: بلى يا أبا الوليد، قم إليه فكلّمه . فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السطة^(١) في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفّهت به أحلامهم، وعبت به من مضى من آباتهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها . فقال رسول الله ﷺ: «قل يا أبا الوليد أسمع» .

قال: يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا، جمعنا من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً^(٢) تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطبّ وبدلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربّما غلب التابع^(٣) على الرجل حتى يداوى منه .

حتى إذا قرع عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه . قال: أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم . قال: فاسمع مني . قال: أفعل، فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * حَم * تَنْزِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ . ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليها يسمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها^(٤) فسجد، ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك .

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به . فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سمعت قولاً والله ما سمعت بمثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة . يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكوننّ لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تُصّبهُ العربُ فقد كُفيتُموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه مملككم، وعزّه عزكم، وكنتم أسعد الناس به !

قالوا: سحرَكَ والله يا أبا الوليد بلسانه . قال: هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم .

(١) السطة: الشرف، من الوسط، كالعدة من الوعد .
 (٢) الرثي: ما يتراءى للانسان من الجن .
 (٣) التابع: الصاحب من الجن .
 (٤) هي قوله تعالى: ﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر، واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون﴾ .

ما دار بين رسول الله ﷺ وبين رؤساء قريش

ثم إن الإسلام جعل يفشو بمكة في قبائل قريش في الرجال والنساء، وقريش تحبس من قدرت على حبسه وتفتين من استطاعت فتنته من المسلمين.

ثم إن أشراف قريش من كل قبيلة، وهم عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، والنضر بن الحارث، وأبو البخترى ابن هشام، والأسود بن المطلب، وزمعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبو جهل ابن هشام، وعبد الله بن أبي أمية، والعاصي بن وائل، ونبيه ومُنَبِّه رسول الله ﷺ سريعاً، وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء، وكان ثم قال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلّموه وخاصموه حتى تُعذروا فيه فبعثوا إليه: إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلّموك فأتهم. فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً، وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء، وكان عليهم حريصاً يحبّ رشدهم ويعزّز عليه عنتهم^(١)، حتى جلس إليهم، فقالوا له: يا محمد، إننا قد بعثنا إليك لنكلمك، وإننا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك. لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وشتمت الآلهة، وسفّهت الأحلام، وفرقت الجماعة، فما بقي أمر قبيح إلا قد جثته فيما بيننا وبينك، فإن كنت إنما جثت بهذا الحديث تطلب به مالاً، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً تراه قد غلب عليك بذلنا لك أموالنا في طلب الطّب لك، حتى نبرئك منه أو نُعذِر فيك.

فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما بي ما تقولون، ما جثت بما جثتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل علي كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جثتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم».

قالوا: يا محمد، فإن كنت غير قابلٍ منا شيئاً مما عرضنا عليك فإنك قد علمت أن ليس من الناس أحدٌ أضيّقُ بلدًا، ولا أقلُّ ماءً، ولا أشدُّ عيشاً منا، فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسيرٌ عنا هذه الجبال التي قد ضيّقت علينا، ولييسط لنا بلادنا، وليفجر لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضي من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا

(١) العنت: الجور والأذى.

منهم قُصِيُّ بن كلاب، فإنه كان شيخَ صدق، ففسأهم عما تقول، أحقُّ هو أم باطل؟ فإن صدَّقوك وصنعت ما سألتك صدَّقناك، وعرفنا به منزلتك من الله، وأنه بعثك رسولاً كما تقول.

فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه: «ما بهذا بُعِثْتُ إليكم، إنما جئتكم من الله بما بعثني به، وقد بلغتكم ما أُرْسِلْتُ به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليَّ أصبر لأمر الله تعالى حتى يحكم الله بيني وبينكم».

قالوا: فإذا لم تفعل هذا لنا فخذ لنفسك، سل ربك أن يبعث معك ملكاً يصدقك بما تقول، ويراجعنا عنك، وسله فليجعل لك جناحاً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة، يُغنيك بها عما نراك تبتغي، فإنك تقوم بالأسواق كما تقوم، وتلتمس المعاش كما نلتمسه، حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك، إن كنت رسولاً فيما تزعم.

فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما أنا بفاعل، وما أنا بالذي يسأل ربه هذا، وما بُعِثْتُ إليكم بهذا، ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً، فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم».

قالوا: فاسقط السهء علينا كِسْفاً^(١) كما زعمت أن ربك إن شاء فعل، فإننا لا نؤمن لك إلا أن تفعل.

فقال رسول الله ﷺ: «ذلك إلى الله، إن شاء أن يفعله بكم فعل».

قالوا: يا محمد، أفما علم ربك أننا سنجلس معك ونسألك عما سألتك عنه، ونطلب منك ما نطلب، فيتقدم إليك فيعلمك ما تراجعنا به، ونخبرك ما هو صانع في ذلك بنا، إذ لم نقبل منك ما جئتنا به! إنه قد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجلٌ باليمامة يقال له «الرحمن»^(٢)، وأنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً، فقد أعذرتنا إليك يا محمد، وأنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا! وقال قائلهم: نحن نعبد الملائكة، وهي بنات الله. وقال قائلهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبلاً.

فلما قالوا ذلك لرسول الله ﷺ قام عنهم، وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، وهو ابن عمته^(٣). فقال له: يا محمد، عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم، ثم

(١) جمع كسفة بالكسر، وهي القطعة من الشيء.

(٢) من المعمرين. الروض الأنف.

(٣) أسلم عبد الله قبل فتح مكة.

(٢) هو مسيلمة بن حبيب الحنفي، المعروف بمسيلمة

الكذاب، كان قد تسمى بالرحمن في الجاهلية. وكان

سألوا لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول، ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل، فوالله لا أؤمن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سُلماً ثم ترقى فيه وأنا أنظرُ إليك حتى تأتيها، ثم تأتي معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، وإيّم الله أن لو فعلت ذلك ما ظننت أني أصدقك !

ثم انصرف عن رسول الله ﷺ، وانصرف عنه رسول الله إلى أهله حزينا أسفاً، لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دَعوه، ولما رأى من مباحدهم إياه .

صنع أبي جهل

فلما قام عنهم رسول الله ﷺ قال أبو جهل: يا معشر قريش إن محمداً قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا، وشتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وشتم آهتنا، وإني أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجرٍ ما أطيق حمله، فإذا سجد في صلاته فضختُ به رأسه، فأسلموني عند ذلك أو امنعوني، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم !
قالوا: والله لا نُسَلِّمُكَ لشيءٍ أبداً، فامض لما تريد .

فلما أصبح أبو جهل أخذ حجراً كما وصف ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره، وغدا رسول الله كما يغدو، وكان بمكة وقبلته إلى الشام، فكان إذا صلى صلى بين الركنين: الركن اليماني والأسود، وجعل الكعبة بينه وبين الشام . فقام يصلي وقد غدت قريش فجلسوا في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر، ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منهزماً مُنتَقِعاً لونه^(١) مرعوباً، قد يبست يداه على حَجْرِهِ، حتى قَذَفَ الحَجَرَ من يده . وقامت إليه رجال قريش فقالوا له: ما لك يا أبا الحكم ؟ قال قمتُ إليه لأفعل به ما قلتُ لكم البارحة، فلما دنوتُ منه عرض لي دونه فحل من الإبل لا والله ما رأيتُ مثل هامته، ولا مثل قَصْرته^(٢)، ولا أنيابه لفحلٍ قط، فهم بي أن يأكلني !

خبر النضر بن الحارث

فلما قال لهم ذلك أبو جهل قام النضر بن الحارث فقال: يا معشر قريش، إنه والله قد نزل بكم أمرٌ ما أتيتم به بحيلة بعد، قد كان محمدٌ فيكم غلاماً حدثاً، أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صُدغيه الشيب، وجاءكم بما جاء به

(١) انتقع لونه (بالبناء للمفعول): تغير من هم أو فزع . (٢) القصرة: أصل العنق .

قلتم: ساحر! لا، والله ما هو بساحر، لقد رأينا السحرة ونقثهم عقدهم، وقلتم: كاهن! لا والله ما هو بكاهن، فقد رأينا الكهنة وتخالجهم، وسمعنا سجعهم. وقلتم شاعر! لا والله ما هو بشاعر، قد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها: هزجه ورجزه. وقلتم: مجنون! لا والله ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون، فما هو بحنقه، ولا وسوسته، ولا تخليطه. يا معشر قريش، فانظروا في شأنكم، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم!

وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش، ومن كان يؤذي رسول الله ﷺ، وينصب له العداوة، وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس، وأحاديث رستم وإسفنديار، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلساً فذكر فيه بالله، وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله، خلفه في مجلسه إذا قام ثم قال: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه، فهل إلي فانا أحدثكم أحسن من حديثه. ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم وإسفنديار، ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثاً مني؟

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: نزل فيه ثمان آيات من القرآن: قول الله عز وجل: ﴿ إِذَا تَلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾، وكل ما ذكر فيه من الأساطير من القرآن.

ذكر عدوان المشركين على المستضعفين ممن أسلم

ثم إنهم عدوا على من أسلم واتبع رسول الله ﷺ من أصحابه فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يجسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر، من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبه، ومنهم من يصلب لهم ويعصمه الله منهم.

وكان بلال مولى أبي بكر رضي الله عنهما، لبعض بني جمح، مولداً من مولديهم، وهو بلال بن رباح، وكان اسم أمه حمامة، وكان صادق الإسلام طاهر القلب. وكان أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح يُخرجه إذا حيت الظهيرة فيطره على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له: لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى! فيقول وهو في ذلك البلاء: أحد أحد!! وكان ورقة بن نوفل يبر به وهو يعذب بذلك وهو يقول أحد أحد، فيقول: أحد أحد والله يا بلال! ثم يقبل على أمية بن خلف ومن يصنع ذلك به من بني جمح فيقول: أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأخذنه حناناً^(١)! حتى مر به أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوماً وهم

(١) أي موضع حنان، أتمسح به متبركاً.

يصنعون به ذلك، فقال لأمية بن خلف: ألا تتقي الله في هذا المسكين، حتى متى! قال: أنت الذي أفسدته فأنقذه مما ترى! فقال أبو بكر: أفعُل، عندي غلامٌ أسودٌ أجلدُ منه وأقوى، على دينك، أعطيكه به. قال: قد قبلت. فقال: هولك. فأعطاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه غلامه ذلك، وأخذه فأعتقه.

ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة ستُّ رقاب، بلال سابعهم: عامر بن فهيرة، وأم عُبَيْس، وزُنَيْرة وأصيب بصرها حين أعتقها فقالت قريش: ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى! فقالت: كذبوا وبيت الله، ما تضرُّ اللات والعزى وما تنفعان! فردَّ الله بصرها.

وأعتق النهديَّة وبيتها، وكانت لامرأة من بني عبد الدار، فمرَّ بهما وقد بعثتهما سيديتهما بطحين لها وهي تقول: والله لا أعتقكما أبداً! فقال أبو بكر رضي الله عنه: حلُّ^(١) يا أم فلان! فقالت: حلُّ؟ أنت أفسدتها فأعتقها! قال: فيكم هما؟ قالت: بكذا وكذا. قال: قد أخذتهما، وهما حُرَّتَان، أرجعا إليها طحينها. قالتا: أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليها؟ قال: ذلك إن شئتما.

ومرَّ بجارية بني مؤمِّل، وكانت مُسلمة، وعمر بن الخطاب يعذبها لتترك الإسلام. وهو يومئذ مشرك، وهو يضربها حتى إذا ملَّ قال: إني أعتذرُ إليك إني لم أتركك إلا ملالة! فتقول: كذلك فعلَ الله بك! فابتاعها أبو بكر فأعتقها.

قال أبو قحافة لأبي بكر: يا بُني، إني أراك تُعتق رقاباً ضعافاً، فلو أنك إذ فعلتَ أعتقتَ رجالاً جُلداً يمنعونك ويقومون دونك؟ فقال أبو بكر: يا أبتِ إني إنما أريد ما أريد لله عزَّ وجلَّ!

وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمَّار بن ياسر وبأبيه وأمه، وكانوا أهل بيتِ إسلام، إذا حُميت الظهيرة، يعذبونهم برمضاء مكة^(٢)، فيمرُّ رسول الله ﷺ فيقول: صبراً آل ياسر، موعدكم الجنة! فأما أمه فقتلوا وهي تآبى إلا الإسلام.

وكان أبو جهل الفاسق الذي يُغري بهم في رجالٍ من قريش، إذا سمع بالرجل قد أسلم، له شرفٌ ومنعة، أنبه وأخزاه وقال: تركتَ دينَ أبيك وهو خيرٌ منك! لنُسْفهن جِلْمَك، ولنُقيلن^(٣) رأيك، ولنضعنُ شرفك!

(١) أي تحلي من يمينك.

(٢) الرمضاء: الرمل الساخن من شدة حرارة الشمس.

وإن كان تاجراً قال: والله لنكسبُن تجارتك، ولنهلكن مالك!
وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به.
عند سعيد بن جبیر قال:

قلت لعبد الله بن عباس: أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يُعذرون به في ترك دينهم؟ قال: نعم والله، إن كانوا ليضربون أحدهم ويجمعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي نزل به، حتى يعطيهم ما سألوهُ من الفتنة، حتى يقولوا له: اللات والعزى إهلك من دون الله؟ فيقول: نعم. حتى إن الجعل^(١) ليمر بهم فيقولون له: هذا الجعل إهلك من دون الله؟ فيقول: نعم، افتداءً منهم مما يبلغون من جهده.

الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة

فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية، بمكانه من الله ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه. فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم. فكانت أول هجرة كانت في الإسلام.

وكان أول من خرج من المسلمين عثمان بن عفان معه امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ، وأبو حذيفة بن عتبة معه امرأته سهلة بنت سهيل، والزبير بن العوام، ومصعب بن عمير، وعبدالرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبد الأسد وامراته أم سلمة بنت أبي أمية، وعثمان بن مظعون، وعامر بن ربيعة معه امرأته ليلي بنت أبي حثمة، وأبو سبرة بن أبي رهم، وسهيل بن بيضاء فكان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة^(٢).

ثم خرج جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة، فكانوا بها، منهم من خرج بأهله معه، ومنهم من خرج بنفسه لا أهل له معه. فكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغاراً أو ولدوا بها، ثلاثة وثمانين رجلاً.

(١) الجعل: دابة سوداء كالخنفساء من دواب الأرض، (٢) قال ابن هشام: وكان عليهم عثمان بن مظعون. قيل هو أبو جهران.

إرسال قريش إلى الحبشة في طلب المهاجرين إليها

فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة، وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً، ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جلدتين إلى النجاشي، فيردّهم عليهم، ليفتنوهم عن دينهم، ويخرجوهم من دارهم التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها، فبعثوا عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص بن وائل، وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارقتة ثم بعثوهما إليه.

عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوج رسول الله ﷺ قالت: لما نزلت أرض الحبشة جاورنا بها خير جارٍ، النجاشي، أمنا على ديننا، وعبدنا الله تعالى لا نُؤذِي ولا نُسَمَعُ شيئاً نكرهه. فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جلدتين، وأن يُهدوا للنجاشي هدايا مما يُستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم^(١). فجمعوا له أدماً كثيراً، ولم يتركوا من بطارقتة بطريقاً إلا أهدوا إليه هدية، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص، وأمروهما بأمرهم، وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلمنا النجاشي فيهم، ثم قدما إلى النجاشي هداياه، ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم. فخرجا حتى قدما على النجاشي ونحن عنده بخير دار، عند خير جارٍ، فلم يبق من بطارقتة بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلمنا النجاشي، وقالوا لكل بطريق منهم: إنه قد ضوى^(٢) إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدع، لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردّهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عينا^(٣) وأعلم بما عابوا عليهم. فقالوا لهما: نعم.

ثم إنهما قدما هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما. ثم كلماه فقالا له: أيها الملك، إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشيرتهم، لتردّهم إليهم، فهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه.

قالت: ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن

(١) الأدم: الجلود.

(٢) ضوى إليه: لجأ وأوى.

بسمع كلامهم النجاشي، فقالت بطارقه حوله: صدقا أيها الملك، قومهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم، فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم. فغضب النجاشي ثم قال: لاها الله^(١)، إذا لا أسلمهم إليهما، ولا يكاد قوم جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواي، حتى أَدعَوْهم فأسألمهم عما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولون أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منها وأحسنت جوارهم ما جاوروني.

قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علمنا، وما أمرنا به نبينا ﷺ كائناً في ذلك ما هو كائن. فلما جاءوا، وقد دعا النجاشي أسألفته فنشروا مصاحفهم حوله، سألمهم فقال لهم: ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به في ديني ولا في دين أحد من هذه الملل؟

فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب، فقال له: أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسبي الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه، من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام - قالت: فعدد عليه أمور الإسلام - فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً، وحرّمنا ما حرّم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورجعنا إليك ونظّم عندك أيها الملك!

فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟

فقال له جعفر: نعم. فقال له النجاشي: فاقرأه علي. فقرأ عليه صدرًا من

(١) اي لا والله.

﴿ كَتَيْمَصْر ﴾ . قالت : فبكى واللّه النجاشي حتى اخضلت لحيته^(١) . وبكت اساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم ! ثم قال لهم النجاشي : إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة^(٢) ! انطلقا ، فلا واللّه لا أسلمهم إليكما ، ولا يكادون !

قالت : فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص : واللّه لآتينه غداً بما أستأصل به خضراءهم^(٣) ! فقال له عبد الله بن أبي ربيعة - وكان أتقى^(٤) الرجلين فينا - : لا تفعل ، فإن لهم أرحاماً وإن كانوا قد خالفونا . قال : واللّه لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد ! ثم غدا عليه من الغد فقال له أيها الملك ، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً ، فأرسل إليهم فسألهم عما يقولون فيه .

فأرسل إليهم ليسألهم عنه . قالت : ولم ينزل بنا مثلها قط . فاجتمع القوم ثم قال بعضهم لبعض : ماذا تقولون في عيسى بن مريم إذا سألكم عنه ؟ قالوا : نقول واللّه ما قال الله ، وما جاءنا به نبينا ، كائناً في ذلك ما هو كائن !

فلما دخلوا عليه قال لهم : ماذا تقولون في عيسى بن مريم ؟ فقال جعفر بن أبي طالب : نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ ، يقول : هو عبد الله ورسوله وروحه ، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول^(٥) .

فضرب النجاشي بيده إلى الأرض فأخذ منها عوداً ، ثم قال : واللّه ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العود^(٦) .

فتناحرت بطارقه حوله حين قال ما قال ، فقال : وإن نخرتم واللّه ، اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي^(٧) ، من سبكم غريم ، من سبكم غريم ! ما أحب أن لي دبراً^(٨) من ذهب وأني أذيت رجلاً منكم ! ردوا عليها هداياهما فلا حاجة لي بها . فقال : اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت ، فواللّه لا أسلمك لشيء أبداً .

قالت : فخرجنا من عنده مقبوخين ، مردوداً عليها ما جاءا به ، وأقمنا عنده بخير دارٍ مع خير جار .

قالت : فواللّه إنا لعل ذلك إذ نزل به رجلٌ من الحبشة ينازعه في ملكه فواللّه ما

(١) البتول : العذراء المنقطعة عن الأزواج .

(٢) أي مقدار هذا العود .

(٣) وروى : «سيوم» أي آمنون .

(٤) الدبر ، بلغة الحبشة : الجبل .

(١) أي ابتلت من الدموع .

(٢) المشكاة : الكوة غير النافذة .

(٣) أي شجرتهم التي تفرعوا منها . وخضراء كل شيء .

(٤) وروى : «أبقى» . أصله .

علمتُنا حزناً حزناً قط كان أشدَّ علينا من حزنِ حزنائه عند ذلك، تخوفاً أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي، فيأتي رجلاً لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه. وسار إليه النجاشي وبينهما عرض النيل، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مَنْ رجلٌ يخرج حتى يحضرُ وقية القوم ثم يأتينا بالخبر؟ فقال الزبير بن العوام: أنا. قالوا: فانت. وكان من أحدث القوم سناً. فنفخوا له قربةً فجعلها في صدره، ثم سبَّح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم.

قالت: فدعونا الله للنجاشي بالظهور على عدوه، والتمكين له في بلاده. فوالله إنا لعل ذلك متوقعون لما هو كائن، إذ طلع الزبير وهو يسعى، فلمع بثوبه^(١)، وهو يقول: ألا أبشروا فقد ظفر النجاشي!

وأهلك الله عدوه، ومكَّن له في بلاده، واستوسق^(٢)، عليه امر الحبشة. فكنا عنده في خير منزل، حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وهو بمكة.

إسلام عمر بن الخطاب

ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة على قريش، ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله ﷺ، وردَّهما النجاشي بما يكرهون وأسلم عمر بن الخطاب، وكان رجلاً ذا شكيمة لا يُرام ما وراء ظهره، امتنع به أصحاب رسول الله ﷺ وبحمزة، حتى عازوا قريشاً^(٣).

وكان عبد الله بن مسعود يقول: ما كنا نقدر أن نصليَّ عند الكعبة حتى أسلم عمر بن الخطاب، فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صليَّ عند الكعبة، وصلينا معه. وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة.

وكان إسلام عمر فيما بلغني، أن أخته فاطمة بنت الخطاب كانت قد أسلمت وأسلمت بعلمها سعيد بن زيد، وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر، وكان نعيم بن عبد الله النخام - رجل من قومه من بني عدي بن كعب - قد أسلم، وكان أيضاً يستخفي بإسلامه فرقاً من قومه^(٤).

وكان خباب بن الارت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن، فخرج عمر

(١) لمع بثوبه: رفعه وحركه ليراه غيره.

(٢) استوسق: اجتمع.

(٣) أي غلبوهم.

(٤) الفرق: الخوف.

يوماً متوشحاً سيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطاً من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيتٍ عند الصفا، وهم قريبٌ من أربعين ما بين رجالٍ ونساء، ومع رسول الله ﷺ عمه حمزة بن عبد المطلب وأبو بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب، في رجال من المسلمين، ممن كان أقام مع رسول الله ﷺ بمكة ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة، فلقبه نعيم بن عبد الله فقال له: أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد محمداً هذا الصابيء الذي فرّق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها، وسب آهتها، فأقتله. فقال له نعيم: والله لقد غرتك نفسك يا عمر! أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً؟! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ قال: وأي أهل بيتي؟ قال: خنتك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو، وأختك فاطمة بنت الخطاب، فقد والله أسلمها وتابعا محمداً على دينه، فعليك بهما^(١).

فرجع عمرُ عامداً إلى أخته وختته^(٢)، وعندهما خباب بن الارت معه صحيفة فيها ﴿طه﴾ يقرئها إياها. فلما سمعوا حسَّ عمر تغيب خباب في مخدع^(٣) لهم^(٤) أو في بعض البيت، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما، فلما دخل قال: ما هذه الهيئمة^(٥) التي سمعتُ؟ قال له: ما سمعتُ شيئاً. قال: بلى والله، لقد أخبرتُ أنكما تابعتما محمداً على دينه! وبطش بختنه سعيد بن زيد، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها، فضربها فشجها، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختته: نعم، قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ما بدا لك! فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما كان صنع، فارعوى، وقال لأخته: أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرؤون أنفاً، أنظر ما هذا الذي جاء به محمد - وكان عمر كاتباً^(٦) - فلما قال ذلك قالت له أخته: إنا نخشاك عليها. قال: لا تخافي. وحلف لها بألته ليردنها إذا قرأها إليها. فلما قال ذلك طمعت في إسلامه فقالت له: يا أخي، إنك نجس، على شركك، وإنه لا يمسه إلا الطاهر^(٧)! فقام عمر فاغتسل، فأعطته الصحيفة وفيها ﴿طه﴾ فقرأها، فلما قرأ منها صدراً قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه! فلما سمع ذلك خبابٌ خرج إليه فقال له: يا عمر، والله إنني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة

(١) إنما أراد بذلك صرفه عن رسول الله ﷺ، خشية

عليه، وإيذاء فاطمة وزوجها أهون من ذلك أمراً.

(٤) الهيئمة: صوت كلام لا يفهم.

(٥) أي عارفاً بالكتابة.

(٦) اختلف في الطهارة عند مس المصحف، فقيل فرض،

وقيل مندوب.

(٢) الختن: زوج البنت أو الأخت.

(٣) المخدع: بيت صغير داخل البيت الكبير.

نبيّه، فإنّي سمعته أمس وهو يقول: اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب! فالله الله يا عمر!

فقال له عند ذلك عمر: فدُلّني يا خبابُ على محمد حتى آتية فأسلم. فقال له خباب: هو في بيت عند الصفا، معه نفرٌ من أصحابه.

فأخذ عمر سيفه فتوشّحه، ثم عمَدَ إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فضربَ عليهم الباب، فلما سمعوا صوته قام رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ فنظرَ من خلل الباب، فرأه متوشّحاً بالسيف، فرجع إلى رسول الله ﷺ وفضعُ فقال: يا رسول الله، هذا عمر بن الخطاب متوشّحاً بالسيف. فقال حمزة بن عبد المطلب: فأذنْ له، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له، وإن كان جاء يريد شراً قتلناه بسيفه. فقال رسول الله ﷺ: إذنْ له. فأذن له الرجل ونهضَ إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجرة، فأخذَ حُجزته^(١) أو بمجمع ردايه، ثم جَبَذَه به جبذةً شديدة وقال: ما جاء بك يا ابنَ الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى يُنزلَ الله بك قارعة^(٢). فقال عمر: يا رسول الله، جئتُك لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله!

فكبر رسول الله ﷺ تكبيرةً عرفَ أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ أن عمر قد أسلم.

فتفرّق أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم وقد عزّوا في أنفسهم حين أسلم عمر، مع إسلام حمزة، وعرفوا أنها سيمنعان رسول الله ﷺ ويتصفون بهما من عدوّهم.

قال عمر: لما أسلمت تلك الليلة تذكّرتُ أي أهل مكة أشدُّ لرسول الله ﷺ عداوةً حتى آتية فأخبره أنّي قد أسلمت. قال: قلت أبو جهل. فأقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليه بابه. قال: فخرج إليّ أبو جهل فقال: مرحباً وأهلاً بابنِ أختي^(٣)، ما جاء بك؟ قال: جئتُ لأخبرك أنّي قد آمنت بالله وبرسوله محمد، وصدّقت بما جاء به. قال: فضرب الباب في وجهي، وقال: قَبَحَكَ اللهُ وقَبَحَ ما جئتُ به!

خير الصحيفة

فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا به أمناً وقراراً، وأن

(٣) كانت أم عمر حنمة بنت هشام بن المغيرة، أخت أبي جهل بن هشام.

(١) الحجزة: موضع شد الإزار.

(٢) القارعة: الداهية.

النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم، وأن عمر قد أسلم فكان هو وحزمة بن عبد المطلب مع رسول الله ﷺ وأصحابه، وكان الإسلام يفشو في القبائل، اجتمعوا واثمروا بينهم أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني عبد المطلب، على ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم.

فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة، ثم تعاهدوا وتوثقوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم.

وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة، فدعا عليه رسول الله ﷺ فسل بعض أصابعه.

فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب بن عبد المطلب، فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا إليه، وخرج من بني هاشم أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب، إلى قريش فظاهرهم. وكان يقول بعض ما يقول:

يَعْدُنِي عَمْدٌ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا، يَزْعَمُ أَنَّهَا كَائِنَةٌ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَمَاذَا وَضَعَ فِي يَدَيَّ بَعْدَ ذَلِكَ؟ ثُمَّ يَنْفُخُ فِي يَدَيْهِ وَيَقُولُ: تَبًّا لَكُمَا، مَا أَرَى فِيكُمَا شَيْئًا مِمَّا يَقُولُ مُحَمَّدٌ! فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾^(١).

فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً حتى جهدوا، لا يصل إليهم شيء إلا سراً، مستخفياً به من أراد صلتهم من قريش.

ذكر ما لقي رسول الله ﷺ من قومه من الأذى

فجعلت قريش حين منعه الله منها وقام عمه وقومه من بني هاشم وبني المطلب دونه وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من البطش به، يهمزونه ويستهزئون به ويخاصمون، وجعل القرآن ينزل في قريش بأحداثهم وفيمن نصب لعداوته منهم، فمنهم من سمي لنا، ومنهم من نزل فيه القرآن في عامة من ذكر الله من الكفار.

فكان ممن سمي لنا من قريش ممن نزل فيه القرآن عمه أبو لهب بن عبد المطلب

تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذباً. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. قال أبو لهب: تباً لك الهذا جمعنا! فأنزل الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.

(١) وقيل: إن سبب نزولها أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتَك الأقرين﴾ - حرج رسول الله ﷺ حتى أتى الصفا، فصعد عليه وقال: يا صباحاه! فلما اجتمعوا إليه قال أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن

وامراته أم جميل بنت حرب بن أمية «حمالة الحطب» لأنها كانت تحمل الشوك فتطرّحه على طريق رسول الله ﷺ حيث يمرّ، فأنزل الله تعالى فيها:
﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ *
وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ .

قال ابن إسحاق: فذكر لي أنّ أم جميل، حين سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن، أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد عند الكعبة، ومعه أبو بكر الصديق، وفي يدها فِهْرٌ^(١) من حجارة، فلما وقفت عليها أخذ الله يبصرها عن رسول الله ﷺ، فلا ترى إلاّ أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر، أين صاحبك فقد بلغني أنه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه! ثم انصرفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله، أما تراها رأتك؟ فقال: ما رأيتني، لقد أخذ الله يبصرها عني.

وأمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جحج، كان إذا رأى رسول الله ﷺ همزةً ولمزّه^(٢)، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ وَيَلْ لِكُلِّ هَمْزَةٍ لُّمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَضْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْتِدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾

والعاص بن وائل السهمي، كان خباب بن الارت، صاحب رسول الله ﷺ، قيناً يعمل السيف، وكان قد باع من العاص بن وائل سيفاً عملها له، حتى كان له عليه مال، فجاء يتقاضاه، فقال له: يا خباب، أليس يزعم محمدٌ صاحبكم هذا الذي أنت على دينه أنّ في الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب أو فضة، أو ثياب أو خدم! قال خباب: بلى. قال: فأنظرنى إلى يوم القيامة يا خباب، حتى أرجع إلى تلك الدار فأقضيك هنالك حقك، فوالله لا تكون أنت وصاحبك يا خباب آثر عند الله مني ولا أعظم حظاً في ذلك. فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ أفرأيت الذي كَفَرَ بآيَاتِنَا وَقَالَ لَأَوْتِينَ مَالًا وَوَلَدًا * أُطْلَعِ الْغَيْبَ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَنَرَاهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ .

ولقي أبو جهل بن هشام رسول الله ﷺ - فيما بلغني - فقال له: والله يا محمد لستركن سب أهتنا أو لنسبن إهلك الذي تعبد! فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ . فذكر لي أن رسول الله ﷺ كف عن سب أهتهم

(١) فِهْر: حجر في مقدار ملء الكف.

(٢) الهمز: أن يشتم الرجل علانية، ويكر عينه عليه ويغمز به، واللمز: أن يعيبه سراً.

وجعل يدعوهم إلى الله .

والنضر بن الحارث بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، كان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلساً فدعا فيه إلى الله تعالى وتلا فيه القرآن، وحذر فيه قريشاً ما أصاب الأمم الخالية، خلفه في مجلسه إذا قام، فحدثهم عن رستم الشيد^(١)، وعن إسفنديار، وملوك فارس ثم يقول: والله ما محمد بأحسن حديثاً مني، وما حديثه إلا أساطير الأولين اكتبتها كما اكتبتها محمد. فأنزل الله فيه: ﴿ وَقَالُوا أساطيرُ الأولينِ اكتبتَها فهي تملى عليه بكرةً وأصيلاً ﴾ قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً ﴿، ونزل فيه ﴿ إِذَا تَتلى عليه آياتنا قال أساطيرُ الأولينِ ﴾ . ونزل فيه: ﴿ وَيَلْ لَكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتلى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ وَقراً فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أليمٍ ﴿ .

والأخنس بن شريق بن وهب الثقفي، وكان من أشرف القوم ومن يستمع منه، فكان يصيب من رسول الله ﷺ ويرد عليه، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ وَلَا تُطعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ﴾ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بَنَمِيمٍ ﴿ إلى قوله: ﴿ زَنِيمٍ ﴾

والوليد بن المغيرة قال: أُنزِلَ على محمدٍ وأترك وأنا كبير قريش وسيدها ! ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف، ونحن عظيمي القريتين^(٢) ! فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ إلى قوله ﴿ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ . وأبي بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وكانا متصافيين، حسناً ما بينهما، فكان عقبة قد جلس إلى رسول الله ﷺ وسمع منه، فبلغ ذلك أياً، فأتى عقبة فقال له: ألم يبلغني أنك جالست محمداً وسمعت منه ! وجهي من وجهك حرام أن اكلمك - واستغلظ من اليمين - إن أنت جلست إليه أو سمعت منه، أو لم تأتني فتتفل في وجهه ! ففعل ذلك عدو الله عقبة بن أبي معيط لعنه الله، فأنزل الله تعالى فيها: ﴿ وَيَوْمَ يَعْضُ الظالمُ على يديه يَقُولُ يا ليتني اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴾ إلى قوله: ﴿ لِلإِنسَانِ خُدُولاً ﴾ .

ومشي أبي بن خلف إلى رسول الله ﷺ بعظم بال قد ارفق فقال يا محمد، أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرم^(٣) ! ثم فته في يده ثم نفخه في الريح نحو رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: نعم، أنا أقول ذلك، يبعث الله وإياك بعد ما تكونان

(٣) أرم : بلي، وصارمة.

(١) معناه في الفارسية الشمس، أو ضوءها.

(٢) القريتان: مكة والطائف.

هكذا، ثم يدخلك الله النار! فانزل الله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يحييها الذي اُنشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم * الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون ﴾

واعترض رسول الله ﷺ، وهو يطوف بالكعبة فيما بلغني، الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى، والوليد بن المغيرة، وأميه بن أبي خلفٍ والعاص بن وائل السهمي، وكانوا ذوي أسنانٍ في قومهم، فقالوا: يا محمد، هلم فلنعبد ما تعبد، فنشرك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيراً مما نعبد، كُنَّا أخذنا بحظنا منه، وإن كان ما نعبد خيراً مما تعبد، كنت قد أخذت بحظك منه. فانزل الله تعالى فيهم: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾

وأبو جهل بن هشام، لما ذكر الله عز وجل شجرة الزقوم تخويفاً لهم بها قال: يا معشر قريش، هل تذرُونَ ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد؟ قالوا: لا. قال: عجوة يثرب بالزبد، والله لئن استمكننا منها لتزقمنها تزقماً^(١)! فانزل الله تعالى فيه: ﴿ إِنْ شَجَرَةَ الزُّقُومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ ﴾ أي ليس كما يقول.

ووقف الوليد بن المغيرة مع رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ يكلمه، وقد طمع في إسلامه، فبينما هو في ذلك إذ مر به ابن أم مكتوم الأعمى، فكلم رسول الله ﷺ وجعل يستقرئه القرآن، فشق ذلك منه على رسول الله ﷺ حتى أضجره، وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد، وما طمع فيه من إسلامه، فلما أكثر عليه انصرف عنه عابساً وتركه، فانزل الله تعالى فيه: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ﴾. أي إنما بعثتك بشيراً ونذيراً، لم أخص بك أحداً دون أحد، فلا تمنعه ممن ابتغاه، ولا تتصدئين به لمن لا يريد.

وكان نفر الذين يؤذون رسول الله ﷺ في بيته أبا لهب والحكم بن أبي العاص، وعقبة بن أبي معيط، وعدي بن حمراء الثقفي، وابن الأصداء الهذلي، وكانوا جيرانه، لم يسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبي العاص فكان أحدهم - فيما ذكر لي - يطرح عليه ﷺ رجم الشاة وهو يصلي، وكان أحدهم يطرحها في برمته^(٢) إذا نصبت له، حتى اتخذ رسول الله ﷺ حجراً^(٣) يستتر به منهم إذا صلى. فكان إذا طرحوا عليه ذلك الأذى، يخرج به ﷺ

(١) التزقيم: الابتلاع. (٢) البرمة: القدر من حجارة. (٣) الحجر: كل ما حجرته من حائط.

على العود، فيقف به على بابه ثم يقول: يا بني عبد مناف، أي جوارٍ هذا؟ ! ثم يلقيه في الطريق.

عودة مهاجرة الحبشة لما بلغهم إسلام أهل مكة

وبلغ أصحاب رسول الله ﷺ الذين خرجوا إلى أرض الحبشة إسلام أهل مكة، فأقبلوا لما بلغهم من ذلك حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن ما كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلاً، فلم يدخل منهم أحدٌ إلا بجوارٍ أو مستخفياً.

وجميع من قدم عليه من مكة من أصحابه من أرض الحبشة ثلاثة وثلاثون رجلاً. فكان من دخل منهم بجوارٍ فيمن سُمي لنا: عثمان بن مظعون بن حبيب الجمحي، دخل بجوارٍ من الوليد بن المغيرة. وأبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ودخل بجوارٍ من أبي طالب بن عبد المطلب - وكان خاله - وأم أبي سلمة برة بنت عبد المطلب.

حديث نقض الصحيفة

ثم إنه قام في نقض تلك الصحيفة التي تكأبت فيها قريش على بني هاشم وبني المطلب نفرٌ من قريش، ولم يُبل فيها أحدٌ أحسن من بلاء هشام بن عمرو وذلك أنه كان ابن أخي نضلة بن هاشم بن عبد مناف لأمه، فكان هشام لبني هاشم واصلًا، وكان ذا شرفٍ في قومه، فكان فيما بلغني يأتي بالبعير، وبنو هاشم وبنو المطلب في الشعب ليلاً، قد أوقره^(١) طعاماً، حتى إذا أقبل به فَمَ الشعب خلعَ خِطامه من رأسه، ثم ضَرَبَ على جنبه، فيدخل الشعبَ عليهم، ثم يأتي به قد أوقره بَرًّا^(٢) فيفعلُ به مثل ذلك.

ثم إنه مشى إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب، فقال: يا زهير، أقد رضيت أن تأكل الطعام، وتلبس الثياب، وتنكح النساء، وأحوالك حيث قد علمت، ولا يُبتاع منهم، ولا ينكحون ولا يُنكح إليهم. أما إني لأحلف بالله أن لو كانوا أحوال أبي الحكم بن هشام ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبداً! قال: ويحك يا هشام فماذا أصنع؟ إنما أنا رجلٌ واحدٌ، والله لو كان معي رجلٌ آخرُ لَقُمْتُ في نقضها حتى أنقضها. قال: قد وجدت رجلاً قال: فمن هو؟ قال: أنا. قال له زهير: أبغنا رجلاً ثالثاً.

(٢) البز: الثياب.

(١) أوقره: حمله.

فذهب إلى المطعم بن عدّي فقال له : يا مطعم ، أقد رضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وأنت شاهد على ذلك ، موافق لقريش فيه ؟ ! أما والله لئن أمكتموهم من هذه لتجدنهم إليها منكم سراعاً . قال : ويحك فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد . قال : قد وجدت ثانياً . قال : من هو ؟ قال : أنا . قال : أبغنا ثالثاً . قال : قد فعلت . قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبي أمية . قال : أبغنا رابعاً .

فذهب إلى أبي البختري بن هشام ، فقال له نحواً مما قال للمطعم بن عدّي فقال : وهل من أحد يعين على هذا ؟ قال نعم . قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبي أمية ، والمطعم بن عدّي ، وأنا معك . قال : أبغنا خامساً .

فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب . فكلّمه وذكر له قرابتهم وحقهم فقال له : وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد ؟ قال : نعم . ثم سئى له القوم .

فأتعدوا خطم الحجون^(١) ليلاً بأعلى مكة ، فاجتمعوا هنالك فأجمعوا أمرهم وتعاهدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها ، وقال زهير : أنا أبدوكم فأكون أول من يتكلم .

فلما أصبحوا غدّوا إلى أنديتهم ، وغدا زهير بن أمية عليه حلة فطاف بالبيت سبعاً ثم أقبل على الناس فقال : يا أهل مكة ، أناكل الطعام ونلبس الثياب ، وبنو هاشم هلكت لا يباعون ولا يبتاع منهم ! والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة .

قال أبو جهل - وكان في ناحية من المسجد : كذبت والله لا تشق !

قال زمعة بن الأسود : أنت والله أكذب ، ما رضينا كتابتها حيث كتبت . قال أبو البختري : صدق زمعة ، لا نرضى ما كتب فيها ولا نقرّ به . قال المعظم بن عدّي : صدقتما ، وكذب من قال غير ذلك ، نبراً إلى الله منها ومما كتبت فيها ! وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك .

فقال أبو جهل : هذا أمر قضيّ بليل . تُشور فيه بغير هذا المكان .

قال : وأبو طالب جالس في ناحية المسجد . فقام المطعم إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا « باسمك اللهم » .

وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة ، فسلّت يده فيها يزعمون .

(١) خطم الحجون : موضع . والحجون : جبل بأعلى مكة .

أمر الإراشي الذي باع أبا جهل إبله

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان الثقفي وكان واعية، قال:

قدم رجلٌ من إراشٍ بإبلٍ له مَكَّةَ، فابتاعها منه أبو جهل، فمطَّله بأثمانها، فأقبل الإراشيُّ حتى وقفَ على نادٍ من قريش، ورسول الله ﷺ في ناحية من المسجد جالس، فقال: يا معشرَ قريش، مَنْ رجلٌ يُؤدِّيني^(١) على أبي الحكم بن هشام، فإني رجلٌ غريبٌ، ابنُ سبيلٍ، وقد غلبني على حقي؟ فقال له أهلُ ذلك المجلس: أترى ذلك الرجلُ الجالس - لرسولِ الله ﷺ، وهم يهزؤون به، لما يعلمون بينه وبين أبي جهل من العداوة - اذهب إليه فإنه يُؤدِّيك عليه!

فأقبل الإراشيُّ حتى وقفَ على رسولِ الله ﷺ، فقال: يا عبدَ الله، إنَّ أبا الحكم بنَ هشام قد غلبني على حقِّي لي قبْلَه، وأنا رجلٌ غريبٌ ابنُ سبيلٍ، وقد سألت هؤلاء القومَ عن رجلٍ يُؤدِّيني عليه، يأخذني حقي منه، فأشاروا لي إليك، فخذ لي حقي منه يرحمك الله! قال: انطلقْ إليه. وقام معه رسولُ الله ﷺ، فلما رأوه قام معه قالوا لرجلٍ مِّنْ معهم: اتَّبِعْهُ فانظر ماذا يصنع؟

وخرج رسولُ الله ﷺ حتى جاءه فضربَ عليه بابه، فقال: مَنْ هذا؟ قال: محمد، فاخرج إليَّ. فخرج إليه وما في وجهه من رائحة^(٢)، قد انتقع لونه، فقال: أعطِ هذا الرجلُ حقه، قال: نعم، لا تبرح حتى أعطيه الذي له. فدخل فخرَجَ إليه بحقه فدفعه إليه.

ثم انصرف رسولُ الله ﷺ، وقال للإراشي: الحقُّ بشأنك. فأقبل الإراشيُّ حتى وقفَ على ذلك المجلس فقال: جزاه الله خيراً، فقد والله أخذ لي بحقي.

قال: وجاء الرجلُ الذي بعثوا معه فقالوا: ويحك! ماذا رأيت؟ قال: عجباً من العجب. والله ما هو إلا أن ضربَ عليه بابه، فخرج إليه وما معه رُوحه، فقال له: أعطِ هذا حقه، فقال: نعم، لا تبرح حتى أخرجَ إليه حقه، فدخل فخرجَ إليه بحقه فأعطاه إياه!

ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء، فقالوا له: ويلك! مالك؟ والله ما رأينا مثل ما صنعتَ قط! قال: ويحكم، والله ما هو إلا أن ضربَ عليَّ بابي وسمعتُ صوته فملتُ رعباً

(٢) أي بقية روح.

(١) يؤدِّيني: يعينني.

ثم خرجت إليه، وإن فوق رأسه لفحلاً من الإبل ما رأيت مثل هامته، ولا قصرتة، ولا أنيابه لفحلٍ قطُّ، واللَّه لو أبيت لأكلني !

حديث الإسراء

ثم أسري برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى^(١)، وهو بيت المقدس من إيلياء، وقد فشا الإسلام بمكة في قريش وفي القبائل كلها.

فكان عبد الله بن مسعود - فيما بلغني عنه - يقول:

أتى رسول الله ﷺ بالبراق، وهي الدابة التي كانت تحمل عليها الأنبياء قبله، تضع حافرهما في منتهى طرفها، فحمل عليها، ثم خرج به صاحبه، يرى الآيات فيها بين السماء والأرض، حتى انتهى إلى بيت المقدس فوجد فيه إبراهيم الخليل وموسى وعيسى، في نفر من الأنبياء قد جمعوا له، فصلى بهم. ثم أتى بثلاثة آنية: إناء فيه لبن، وإناء فيه خمر، وإناء فيه ماء. فقال رسول الله ﷺ: فسمعتُ قائلاً يقول حين عُرِضتُ عليّ: إن أخذ الماء غرق وغرقت أمته، وإن أخذ الخمر غوى وغوت أمته، وإن أخذ اللبن هُديتْ وهديتْ أمته. قال: فأخذتُ إناء اللبن فشربت منه، فقال لي جبريل عليه السلام: هُديتْ وهديتْ أمتك يا محمد!

قال ابن إسحاق: وحُدِّثت عن الحسن أنه قال:

قال رسول الله ﷺ: بينا أنا نائم في الحجر إذ جاءني جبريل فهمزني بقدمه، فجلستُ فلم أر شيئاً، فعدت إلى مضجعي، فجاءني الثانية فهمزني بقدمه، فجلستُ فلم أر شيئاً، فعدت إلى مضجعي، فجاءني الثالثة فهمزني بقدمه، فجلستُ فأخذ بعضدي، فقامت معه، فخرج بي إلى باب المسجد، فإذا دابة أبيض، بين البغل والحمار، في فخذيه جناحان يحفز^(٢) بهما رجله، يضع يده في منتهى طرفه، فحملني عليه، ثم خرج معي لا يفوتني ولا أفوته.

قال الحسن في حديثه: فمضى رسول الله ﷺ ومضى جبريل عليه السلام معه حتى انتهى به إلى بيت المقدس، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء، فأمهم رسول الله ﷺ فصلّى بهم، ثم أتى بإناءين في أحدهما خمر وفي الآخر لبن، فأخذ رسول الله ﷺ إناء اللبن فشرب منه وترك إناء الخمر، فقال له جبريل: هُديتْ للفطرة وهديتْ أمتك يا محمد، وحُرِّمتْ عليكم الخمر. ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى مكة، فلما أصبح

(٢) يحفز: يدفع.

(١) قال السهيلي: قيل كان قبل الهجرة بعام.

غدا على قريش فأخبرهم الخبر فقال أكثر الناس: هذا والله الإمر^(١) البين! والله إن العيرَ لتَطْرُدُ^(٢) شهراً من مكة إلى الشام مدبرةً، وشهراً مُقبلةً، أفذهب ذلك محمدٌ في ليلةٍ واحدةٍ ويرجع إلى مكة!

قال: فارتد كثير ممن كان أسلم، وذهب الناس إلى أبي بكر فقالوا له: هل لك يا أبا بكر في صاحبك، يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع إلى مكة! فقال لهم أبو بكر: إنكم تكذبون عليه. فقالوا: بلى، ها هو ذاك في المسجد يحدث به الناس. فقال أبو بكر: والله لئن كان قاله لقد صدق، فما يُعجبكم من ذلك! فوالله إنه ليُخبرني أن الخبر ليأتيه من الله من السماء إلى الأرض في ساعةٍ من ليلٍ أو نهار فأصدقه! فهذا أبعدهما تعجبون منه. ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله، أحدثت هؤلاء القوم أنك جئت بيت المقدس هذه الليلة؟ قال: نعم. قال: يا نبي الله فصفه لي، فإنني قد جئتُه. فقال رسول الله ﷺ: فرُفِعَ لي حتى نظرتُ إليه. فجعل رسول الله ﷺ يصفه لأبي بكر ويقول أبو بكر صدقت، أشهد أنك رسول الله. حتى إذا انتهى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر: وأنت يا أبا بكر الصديق. فيومئذ سماه «الصديق».

عن سعيد بن المسيب، أن رسول الله ﷺ رصف لأصحابه إبراهيم وموسى وعيسى حين رماهم في تلك الليلة فقال:

أما إبراهيم فلم أر رجلاً أشبه قط بصاحبكم، ولا صاحبكم أشبه به منه^(٣). وأما موسى فرجل آدم طويل ضرب جعد أقي^(٤) كأنه من رجال شنوءة^(٥). وأما عيسى بن مريم فرجل أحمر بين القصير والطويل، سبط الشعر كثير خيلان الوجه^(٦)، كأنه خرج من ديماس^(٧)، تخال رأسه يقطر ماءً، أشبه رجالكم به عروة بن مسعود الثقفي.

قصة المعراج

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: لما فرغتُ مما كان في بيت المقدس، أتيت بالمعراج، ولم أر شيئاً قط أحسن منه، وهو الذي يمدُّ إليه ميتكم عينيه إذا حُضِرَ، فأصعدني صاحبي فيه

(١) الإمر، بكسر الهمزة: العجيب المنكر.

(٢) العير: النافلة، تطرد طرداً: تجري وتسرع.

(٣) أي ولم أر رجلاً صاحبكم أشبه به منه.

(٤) آدم: أسمر. الضرب: الخفيف اللحم. الجعد:

(٥) شنوءة: قبيلة من الأزد.

(٦) الخيلان: جمع خال، وهو الشامة السوداء.

(٧) الديماس، بكسر الدال، وفتحها: الحمام.

حتى انتهى بي إلى بابٍ من أبواب السماء يقال له باب الحفظة، عليه مَلَكٌ من الملائكة يقال له إسماعيل، تحت يديه اثنا عشر ألفَ ملك، تحت يدي كل ملك منهم اثنا عشر ألفَ ملك - يقول رسول الله ﷺ حين حدث بهذا الحديث: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ - فلما دخل بي قال: مَنْ هذا يا جبريل؟ قال: هذا محمد. قال: أو قد بُعث؟ قال: نعم. قال: فدعاني بخير وقاله.

لما دخلت السماء الدنيا رأيت بها رجلاً جالساً تعرّض عليه أرواحُ بني آدم فيقول لبعضها إذا عُرضت عليه خيراً وُسُراً به، ويقول: روح طيبة خرجت من جسد طيب. ويقول لبعضها إذا عُرضت عليه: أفت! ويعبس بوجهه ويقول: روح خبيثة خرجت من جسد خبيث. قلت: مَنْ هذا يا جبريل؟ قال: هذا أبوك آدم، تعرّض عليه أرواحُ ذريته فإذا مرّت به روح المؤمن منهم سرّ بها وقال: روح طيبة خرجت من جسد طيب! وإذا مرّت به روح الكافر منهم أفت^(١) منها وكريها وساءه ذلك، وقال: روح خبيثة خرجت من جسد خبيث!

ثم رأيت رجالاً لهم مشافر^(٢) كمشافر الإبل، في أيديهم قطعٌ من نار كالأفهار^(٣)، يقذفونها في أفواههم فتخرج من أدبارهم. فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلةُ أموال اليتامى ظلماً.

ثم رأيت رجالاً لهم بطونٌ لم أر مثلها قط، بسبيل آل فرعون^(٤) يمرّون عليهم كالإبل المهبومة^(٥) حين يُعرضون على النار، يطئونهم لا يقدرّون على أن يتحولوا من مكانهم ذلك. قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلةُ الربا.

ثم رأيت رجالاً بين أيديهم لحمٌ سمين طيب، إلى جنبه لحمٌ غثٌ متن^(٦) يأكلون من الغث المتن ويتركون السمين الطيب. قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يتركون ما أحلّ الله لهم من النساء، ويذهبون إلى ما حرّم الله عليهم منهن.

ثم رأيت نساءً معلقاتٍ بثديهن، فقلت: مَنْ هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء اللاتي أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم.

(٤) آل فرعون، لهم في الآخرة أشد العذاب.

(٥) المهبومة: العطاش.

(٦) الغث: الضعيف المهزول.

(١) أي قال: أفت، تفجراً.

(٢) المشفر: شفة البعير.

(٣) الأفهار: جمع فهر، حجر في مقدار ملء الكف.

ثم أصدني إلى السماء الثانية، فإذا فيها ابنا الخالة: عيسى بن مريم، ويحيى بن زكريا.

ثم أصدني إلى السماء الثالثة، فإذا فيها رجلٌ صورته كصورة القمر ليلة البدر، قلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أخوك يوسف بن يعقوب.

ثم أصدني إلى السماء الخامسة، فإذا فيها كهلاً أبيض الرأس واللحية، عظيم العثون^(١)، لم أر كهلاً أجمل منه، قلت من هذا يا جبريل؟ قال: هذا المحبب في قومه هارون بن عمران.

ثم أصدني إلى السماء السادسة، فإذا فيها رجلٌ آدم طويلٌ أفتى، كأنه من رجال شنوءة، فقلت له: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أخوك موسى بن عمران.

ثم أصدني إلى السماء السابعة، فإذا فيها كهلاً جالسٌ على كرسيٍّ إلى باب البيت المعمور، يدخله كلُّ يوم سبعون ألف ملك، لا يرجعون فيه إلى يوم القيامة، لم أر رجلاً أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه. قلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أبوك إبراهيم.

ثم دخل بي الجنة فرأيت فيها جاريةً لَعَساء^(٢)، فسألتها: لمن أنت؟ وقد أعجبتني ورأيتها. فقالت: لزيد بن حارثة.

فبشر بها رسول الله ﷺ زيد بن حارثة.

قال رسول الله ﷺ: فأقبلت راجعاً، فلما مررت بموسى بن عمران، ونعم الصاحب كان لكم، سألتني: كم فرض عليك من الصلاة؟ فقلت: خمسين صلاة كل يوم. فقال: إن الصلاة ثقيلة، وإن أمتك ضعيفة، فارجع إلى ربك فاسأله أن يخفف عنك وعن أمتك. فرجعتُ فسألتُ ربي أن يخفف عني وعن أمتي، فوضع عني عشراً. ثم انصرفت فمررتُ على موسى فقال لي مثل ذلك، فرجعتُ فسألتُ ربي فوضع عني عشراً. ثم انصرفت فمررتُ على موسى فقال لي مثل ذلك، فرجعتُ فسألته فوضع عني عشراً، ثم لم يزل يقول لي مثل ذلك، كلما رجعتُ إليه قال: فارجع فاسأل. حتى انتهيت إلى أن وضع ذلك عني إلا خمس صلواتٍ في كل يومٍ وليلة. ثم رجعتُ إلى موسى فقال لي مثل ذلك، فقلت: قد راجعتُ ربي وسألته، حتى استحيت منه، فما أنا بفاعل.

(٢) اللعساء: التي يضرب لون شفتها إلى السواد قليلاً.

(١) العثون: اللحية.

فمن أذاهن منكم إيماناً بهن واحتساباً لهن، كان له أجر خمسين صلاة مكتوبة .

وفاة أبي طالب وخديجة

ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا في عام واحد، فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب، بهلك خديجة، وكانت له وزير صدق على الإسلام، يشكو إليها، وبهلك عمه أبي طالب، وكان له عضداً وجرزاً في أمره، ومنعةً وناصرأ على قومه. وذلك قبل مهاجره إلى المدينة بثلاث سنين .

فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش، فنثر على رأسه تراباً، ودخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه، فقامت إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول الله ﷺ يقول لها: لا تبكي يا بُنية فإن الله مانع أباك. ويقول بين ذلك: ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب .

ولما اشتكى أبو طالب^(١) وبلغ قريشاً ثقله، قالت قريش بعضها لبعض: إن حمزة وعمر قد أسلما، وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها، فانطلقوا بنا إلى أبي طالب فليأخذ لنا على ابن أخيه، وليعطيه منا. والله ما نأمن أن يبتزونا أمرنا. قال ابن عباس: مشوا إلى أبي طالب فكلّموه، وهم أشراف قومه: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وأمّية بن خلف، وأبوسفيان بن حرب، في رجال من أشرافهم، فقالوا: يا أبا طالب، إنك منا حيث قد علمت، وقد حضرنا ما ترى وتخوفنا عليك، وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك، فادعه. فخذ له منا وخذ لنا منه، ليكف عنا ونكف عنه، وليدعنا وديننا وندعه ودينه .

فبعث إليه أبو طالب فجاءه، فقال: يا ابن أخي، هؤلاء أشراف قومك، قد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك. فقال رسول الله ﷺ: نعم كلمة واحدة تعطونها تملكون بها العرب، وتدين لكم بها العجم. فقال أبو جهل: نعم وأبيك وعشر كلمات. قال: «تقولون لا إله إلا الله، وتخلعون ما تعبدون من دونه». فصفقوا بأيديهم ثم قالوا: أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً، إن أمرنا لعجب! ثم قال بعضهم لبعض: إنه والله ما هذا الرجل، بمعطيكم شيئاً مما تريدون، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم، حتى يحكم الله بينكم وبينه .

(١) اشتكى: مرض. والشكو والشكوى والشكاة والشكاه: المرض.

ثم تفرقوا فقال أبو طالب لرسول الله ﷺ: والله يا ابن أخي ما رأيتك سألتهم شططاً! فلما قالها أبو طالب طمع رسول الله ﷺ في إسلامه فجعل يقول له: أي عم، فانت فقلها استحل لك بها الشفاعة يوم القيامة.

فلما رأى حرص رسول الله ﷺ قال: يا ابن أخي، والله لولا مخافة السببة عليك وعلى بني أبيك من بعدي وأن تظن قريش أنني إنما قتلتها جزعاً من الموت لقلتها، لا أقولها إلا لأسرك بها.

فلما تقارب من أبي طالب الموت نظر العباس إليه يحرك شفتيه، فأصغى إليه بأذنه فقال: يا ابن أخي، والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها! فقال رسول الله ﷺ: لم أسمع.

قال: وأنزل الله تعالى في الرهط الذين كانوا اجتمعوا إليه وقال لهم ما قال وردوا عليه ما ردوا: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿اجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وانطلق الملائمة منهم أن أمشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يُراد * ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة﴾ - يعنون النصارى لقولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ﴾ - ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾.

ثم هلك أبو طالب.

سعي الرسول إلى ثقيف يطلب النصرة

ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تنال منه في حياة عمه أبي طالب، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف، والمنعة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل، فخرج إليهم وحده.

ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف، عمد إلى نفر من ثقيف، يومئذ سادة ثقيف وأشرفهم، وهم إخوة ثلاثة: عبد ياليل بن عمرو بن عمير، ومسعود بن عمرو بن عمير، وحبیب بن عمرو بن عمير، وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح، فجلس إليهم رسول الله ﷺ فدعاهم إلى الله وكلمهم بما جاءهم له من نصرتة على الإسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه، فقال له أحدهم: هو يمرط^(١) ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك. وقال الآخر: أما وجد الله أحداً يرسله غيرك! وقال الثالث: والله لا اكلمك أبداً، لكن

(١) يمرطها: يتزعمها ويرمي بها.

كنت رسولاً من الله كما تقول، لانت أعظم خطراً من أن أردد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن اكلمك !

فقام رسول الله ﷺ من عندهم، وقد قال لهم: إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني. وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه عنه فيذئبرهم^(١) ذلك عليه. فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم، يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس، وألجؤوه إلى حائط^(٢) لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه، فعمد إلى ظل حبل^(٣) من عنب، فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه، ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف.

وقد لقي رسول الله ﷺ المرأة التي من بني جح فقال لها: ماذا لقينا من أحائك ؟ ! فلما اطمان رسول الله ﷺ قال - فيما ذكر لي - : اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلمني: إلى بعيد يتجهمني^(٤)، أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبي^(٥) حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك !

فلما رآه ابنا ربيعة: عتبة وشيبة، وما لقي، تحركت له رجمها، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له «عداس» فقالا له: خذ قطعاً من هذا العنب فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه. ففعل عداس، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ، ثم قال له: كل. فلما وضع رسول الله ﷺ فيه يده قال: باسم الله. ثم أكل، فنظر عداس في وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد ! فقال له رسول الله ﷺ: ومن أي البلاد أنت يا عداس، وما دينك ؟ قال: نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى^(٦). فقال رسول الله ﷺ: من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ! فقال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال رسول الله ﷺ: ذاك أخي، كان نبياً وأنا نبي ! فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه.

(٤) يتجهمني: يلقاني بالغلظة والوجه الكريه.
(٥) العتبي: الرجوع عن الإساءة إلى ما يرضي العاتب.
(٦) نينوى: قرية بالموصل، من العراق.

(١) أذاره عليه: أثاره وجراه.
(٢) الحائط: البستان إذا كان عليه جدار.
(٣) الحبل: شجرة العنب.

قال: يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك! فلما جاءهما عدّاس قالاه: ويلك يا عدّاس، مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيدي، ما في الأرض شيءٌ خير من هذا، لقد أخبرني بأمرٍ ما يعلمه إلا نبي! قالاه: ويحك يا عدّاس، لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه!

أمر جن نصيبين

ثم إن رسول الله ﷺ انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة، حين يش من خير ثقيف، حتى إذا كان بنخلة^(١) قام من جوف الليل يصلي فمرّ به نفر من الجن الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى، وهم - فيما ذكر لي - سبعة نفر من جن أهل نصيبين^(٢)، فاستمعوا له، فلما فرغ من صلاته ولّوا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا.

فقص الله خبرهم عليه ﷺ: قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾، إلى قوله: ﴿وَيُجْرِكُمْ مِنْ عَذَابِ إِلِيمٍ﴾. وقال تبارك وتعالى: ﴿أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ إلى آخر القصة من خبرهم في هذه السورة.

عرض رسول الله ﷺ نفسه على القبائل

ثم قدّم رسول الله ﷺ مكة وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه، إلا قليلاً مستضعفين ممن آمن به، فكان رسول الله ﷺ يعرض نفسه في المواسم إذا كانت، على قبائل العرب، يدعوهم إلى الله، ويخبرهم أنه نبي مرسل، ويسألهم أن يصدّقوه ويمنعوه حتى يبين لهم عن الله ما بعثه به.

قال ربيعة بن عباد:

إني لغلامٌ شابٌ مع أبي بمني، ورسول الله ﷺ يقف على منازل القبائل من العرب، فيقول: يا بني فلان، إني رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي وتصدّقوا بي وتمنعوني، حتى أبين عن الله ما بعثني به. وخلفه رجلٌ أحولٌ وضِيءٌ، له غديرتان^(٣)، عليه حلة عدنية، فإذا فرغ رسول الله ﷺ من قوله وما دعا إليه، قال ذلك الرجل: يا بني فلان، إن هذا إنما

(١) نخلة: أحد واديين على ليلة من مكة، يقال لأحدهما نخلة الشامية، وللآخر نخلة اليمانية.
(٢) نصيبين: مدينة من بلاد الجزيرة على طريق القوافل.
(٣) الغديرة: الذؤابة من الشعر.

(١) نخلة: أحد واديين على ليلة من مكة، يقال لأحدهما نخلة الشامية، وللآخر نخلة اليمانية.
(٢) نصيبين: مدينة من بلاد الجزيرة على طريق القوافل.

يدعوكم إلى أن تسَلِّخوا اللات والعزى من أعناقكم، وحُلفاءكم من بني مالك بن أقيش^(١)، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه !

فقلت لأبي: من هذا الذي يتبعه ويردُّ عليه ما يقول؟ قال: هذا عمُّه عبد العزى بن عبدالمطلب، أبو لهب.

قال ابن إسحاق: حدثنا ابن شهاب الزهري: أنه أتى كندة في منازلهم، وفيهم سيدُّ لهم يقال له مُليح، فدعاهم إلى الله عزَّ وجلَّ، وعرضَ عليهم نفسه فأبوا عليه.

وأَنَّ أتي بني عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله عزَّ وجلَّ وعرضَ عليهم نفسه، فقال له رجلٌ منهم يقال له «بيحرة بن فراس»: واللَّه لو أتى أخذتُ هذا الفتى من قريش لأكلتُ به العرب! ثم قال له: أرايت إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظهركَ الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء. فقال له: أفتهديف^(٢) نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهركَ الله كان الأمرُ لغيرنا؟! لا حاجة لنا بأمرك! فأبوا عليه.

فلما صدر الناسُ رجعت بنو عامرٍ إلى شيخٍ لهم قد كانت أدركته السنُّ حتى لا يقدرُ أن يُوافي معهم المواسم، فكانوا إذا رجعوا إليه حدَّثوه بما يكون في ذلك الموسم، فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان في موسمهم، فقالوا: جاءنا فتى من قريش، ثم أخذ بني عبد المطلب، يزعم أنه نبي، يدعوننا إلى أن نمنعه ونقومَ معه ونخرج به إلى بلادنا! فوضع الشيخ يديه على رأسه ثم قال: يا بني عامر، هل لها من تلافٍ^(٣)، هل لِدُناباها من مَطْلَب^(٤)! والذي نفسُ فلان بيده ما تقوُّها إسماعيليُّ قط، وإنما لحقَّ، فأين رأيكم كان عنكم؟!

عن عبد الله بن كعب أن رسول الله ﷺ أتى بني حنيفة في منازلهم فدعاهم إلى الله، وعرضَ عليهم نفسه، فلم يكن أحدٌ من العرب أقبحَ عليه ردًّا منهم.

فكان رسول الله ﷺ على ذلك من أمره، كلُّما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الإسلام، ويعرض عليهم نفسه وما جاء به من الله من الهدى والرحمة، وهو لا يسمع بقادمٍ يقدِّم مكة من العرب، له اسمٌ وشرفٌ، إلا تصدَّى له فدعاه إلى الله، وعرض عليه ما عنده.

(١) هم حي من الجن تنسب إليهم الإبل الأقيشية، وهي

(٣) التلافي: التدارك.

إبل ليست عتاقاً تنفر من كل شيء.

(٤) مثل يضرب لما فات، وهو من «فناي الطائر» أي

(٢) نهديها: نصيرها هدفاً للرمي.

ذنبه، إذا أفلت من الخيالة فطلبت الأخذ به.

قدم سويد بن صامت، أحد بني عمرو بن عوف، مكة حاجاً أو معتمراً، فتصدى له رسول الله ﷺ حين سمع به، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام فقال له سويد: فلعل معك مثل الذي معي. فقال رسول الله ﷺ وما الذي معك؟ قال: مجلّة لقمان. فقال رسول الله ﷺ: اعرضها عليّ. فعرضها عليه. فقال له: إنّ هذا لكلام حسن، والذي معي أفضل من هذا: قرآن أنزله الله تعالى عليّ، وهو هدى ونور. فتلا عليه رسول الله القرآن، ودعاه إلى الإسلام فلم يبعد منه. وقال: إنّ هذا لقول حسن. ثم انصرف عنه، فقدم المدينة على قومه، فلم يلبث أن قتله الخزرج.

فإن كان رجال من قومه ليقولون: إنا لنراه قد قتل وهو مسلم.

وكان قتله قبل يوم بُعث^(١).

بدء إسلام الأنصار

فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه، وإعزاز نبيه ﷺ، وإنجاز مواعده له، خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار، فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم، فبينما هو عند العقبة^(٢) لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً^(٣).

لما لقيهم رسول الله ﷺ قال لهم: من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج. قال: أمن موالي يهود؟ قالوا: نعم. قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى. فجلسوا معه فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن.

وكان مما صنع الله لهم به في الإسلام، أن يهود كانوا معهم في بلادهم. وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا قد غزّوهم ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إنّ نبياً مبعوث الآن قد أظلم زمانه، تبيعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم!

فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر، ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: تعلموا والله إنه للنبي الذي توعدكم يهود، فلا يسبقنكم إليه.

فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام وقالوا:

(١) بعث: موضع من نواحي المدينة، كانت فيه حرب

ميلين، ومنها ترمى جرة العقبة.
(٣) كان ذلك في السنة الحادية عشرة من النبوة.

بين الأوس والخزرج.

(٢) العقبة: موضع بين منى ومكة، بينها وبين مكة نحو

إننا قد تركنا قومنا ولا قومَ بينهم من العداوة والشرِّ ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسندم عليهم فندعوهم إلى امرِك، ونعرض عليهم الذي أجبتك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجلَ أعزُّ منك.

ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدّقوا. وهم فيما ذكر لي ستة نفر من الخزرج.

فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ، ودعّوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم، فلم تبق دارٌ من دور الأنصار إلا وفيها ذكرٌ من رسول الله ﷺ.

بيعة العقبة الأولى

حتى إذا كان العامَ المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً، فلَقَّوه بالعقبة، وهي العقبة الأولى، فبايعوا رسول الله ﷺ على بيعة النساء^(١)، وذلك قبل أن تُفترَضَ عليهم الحرب، منهم أسعد بن زُرارة، ورافع بن مالك، وعُباد بن الصامت، وأبو الهيثم بن التيهان.

عن عبادة بن الصامت قال:

كنت فيمن حضر العقبة الأولى، وكنا اثني عشر رجلاً، فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء، وذلك قبل أن تُفترَضَ الحرب، على ألا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرِق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله عزّ وجلّ، إن شاء عذب، وإن شاء غفر.

قال ابن إسحاق: فلما انصرف عنه القومُ بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف، وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين، فكان يسمّى المقرئ بالمدينة.

كان يصلي بهم، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمّه بعض.

بيعة العقبة الثانية

ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة، وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم، مع حجاج قومهم من أهل الشرك، حتى قدموا مكة، فواعدوا رسول الله ﷺ

(١) أي على نخطها. وكانت بيعة النساء في ثاني يوم الفتح على جبل الصفا بعدما فرغ من بيعة الرجال.

العقبة، من أوسط أيام التشريق^(١) حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته، والنصر لنيبه، وإعزاز الإسلام وأهله.

قال كعب بن مالك:

خرجنا في حجاج قومنا من المشركين، وقد صلينا وفقهنا، ومعنا البراء بن معرور، سيدنا وكبيرنا، فلما وجهنا^(٢) لسفرنا وخرجنا من المدينة قال البراء لنا: يا هؤلاء، إني قد رأيت رأياً فوالله ما أدري أتوافقونني عليه أم لا؟ قلنا: وما ذاك؟ قال: رأيت ألا أدع هذه البنية مني بظهر - يعني الكعبة - وأن أصلي إليها. فقلنا: والله ما بلغنا أن نبينا ﷺ يصلي إلا إلى الشام^(٣)، وما نريد أن نخالفه. فقال: إني لمصل إليها. فقلنا له: لكننا لا نفعل. فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام وصلنا إلى الكعبة، حتى قدمنا مكة وقد كنا عينا عليه ما صنع وأبى إلا الإقامة على ذلك. فلما قدمنا مكة قال لي: يا ابن أخي، انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ حتى نسأله عما صنعت في سفري هذا، فإنه والله لقد وقع في نفسي منه شيء، كما رأيت من خلافكم إياي فيه.

قال: فخرجنا نسأل عن رسول الله ﷺ، وكنا لا نعرفه ولم نره قبل ذلك، فلقينا رجلاً من أهل مكة فسألناه عن رسول الله ﷺ، فقال: هل تعرفانه؟ فقلنا: لا. قال: فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه؟ قلنا: نعم. وقد كنا نعرف العباس، كان لا يزال يقدم علينا تاجراً. قال: فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس. فدخلنا المسجد فإذا العباس جالس، ورسول الله ﷺ جالس معه. فسلمنا ثم جلسنا إليه، فقال رسول الله ﷺ للعباس: هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟ قال: نعم، هذا البراء بن معرور سيد قومه، وهذا كعب بن مالك. فوالله ما أنسى قول رسول الله ﷺ: الشاعر؟ قلت: نعم. فقال له البراء بن معرور: يانبي الله، إني خرجت في سفري هذا وقد هداني الله للإسلام، فرأيت ألا أجعل هذه البنية مني بظهر، فصليت إليها، وقد خالفني أصحابي في ذلك، حتى وقع في نفسي من ذلك شيء، فماذا ترى يا رسول الله؟ قال: قد كنت على قبلة لو صبرت عليها!

قال: فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ، وصلنا معنا إلى الشام.

ثم خرجنا إلى الحج، وواعدنا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق. فلما

(١) أيام التشريق: ثلاثة بعد النحر، كانوا يشرقون فيها
(٢) وجهنا: اتجهنا.
(٣) أي بيت المقدس.

فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر، سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، أخذناه معنا، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا، فكلمناه وقلنا له: يا أبا جابر، إنك سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، وإننا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غداً. ثم دعونا إلى الإسلام، وأخبرناه بميعاد الرسول ﷺ إيانا العقبة. فأسلم وشهد معنا العقبة، وكان نقيباً.

فمننا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ نتسلل تسلل القطا مستخفين، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً، ومعنا امرأتان من نساتنا: نسيبة بنت كعب، وأسما بنت عمرو بن عدي^(١).

قال: فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ، حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضر امرأ ابن أخيه ويتوثق له. فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب، فقال: يا معشر الخزرج - وكانت العرب تسمي هذا الحي من الأنصار: الخزرج، خزرجها وأوسها - إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا، ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه، ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم، واللاحق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتوه إليه، ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده. فقلنا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت.

فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغب في الإسلام، ثم قال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبنائكم!

فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم، والذي بعثك بالحق نبياً، لنمنعك مما تمنع منه أئمتنا^(٢)، فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أبناء الحروب، وأهل الحلقة^(٣)، ورثناها كابراً عن كابر!

(٢) كانوا بالأزر عن النساء، أو عن النفوس، يقال لكل منها: إزار.
(٣) الحلقة: السلاح كله.

(١) قال ابن إسحاق: كان رسول الله ﷺ لا يصفح النساء، إنما كان يأخذ عليهن، فإذا أقررن قال: اذهبن فقد بايعتن.

فاعترض القول، والبراء يكلم رسول الله ﷺ، أبو الهيثم بن التيهان، فقال: يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال حبلاً وأنا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: بل الدّم الدم، والهدم الهدم^(١)، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتكم، وأسلم من سلمتم!

وقد كان قال رسول الله ﷺ: أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم. فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً، تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس^(٢).

وكان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن معرور، ثم بايع بعد القوم.

فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط: يا أهل الجباب^(٣)، هل لكم في مذمم^(٤) والصباة^(٥) معه، قد اجتمعوا على حربكم، فقال رسول الله ﷺ: هذا أذب العقبة، هذا ابن أذيب^(٦)!

ثم قال رسول الله ﷺ: ارفضوا إلى رحالكم. فقال له العباس بن عباد بن نضلة: والله الذي بعثك بالحق، إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيافتنا! فقال رسول الله ﷺ: لم تؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم.

فرجعنا إلى مضاجعنا، فمنا عليها حتى أصبحنا، فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش فقالوا: يا معشر الخزرج، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم، منكم!

فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء، وما علمناه! وقد صدقوا، لم يعلموه. قال: وبعضنا ينظر إلى بعض.

خيشمة، ورفاعة بن المنذر. قال ابن هشام: وأهل العلم يعدون فيهم أبا الهيثم بن التيهان، ولا يعدون رفاعة.

(٣) الجباب: المنازل، منازل منى.

(٤) كان المشركون يلقبونه بذلك.

(٥) الصباة: جمع صباب، والصابيء: الخارج من دينه، كانوا يسمونه من أسلم بذلك.

(٦) أذب بن أذيب: اسم شيطان.

(١) الهدم، بإسكان الدال وفتحها: إهدار الدم، أي إن طلب دمكم فقد طلب دمي، وإن أهدر دمكم فقد أهدر دمي. والهدم، بالتحريك: القبر والمنزل، أي أقبر حيث تقبرون، وأنزل حيث تنزلون.

(٢) أما نقيب الخزرج السبعة فهم: أسعد بن زرارة، وسعد بن الربيع، وعبد الله بن رواحة، ورافع بن مالك، والبراء بن معرور، وعبد الله بن عمرو بن حرام، وعبادة بن الصامت.

وأما نقيب الأوس فهم: أسيد بن حضير، وسعد بن

ونفر الناس من منى، فتنطس^(١) القوم الخبر فوجدوه قد كان، وخرجوا في طلب القوم، فأدركوا سعد بن عبادة بأذاخر^(٢)، والمذرب بن عمرو، وكلاهما كان نقيباً. فأما المنذر فأعجز القوم، وأما سعد فأخذه، فربطوا يديه إلى عنقه ينسج رجليه^(٣)، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه، ويجذبونه بجمته^(٤)، وكان ذا شعر كثير.

قال سعد:

فوالله إني لفي أيديهم إذ طلع عليّ نفرٌ من قريش، فيهم رجلٌ وضيءٌ أبيض، شعشاع^(٥) حلو من الرجال، فقلت في نفسي: إن يك عند أحدٍ من القوم خيرٌ فعند هذا. فلما دنا مني رفع يده فلکمني لكمةً شديدة، فقلت في نفسي: والله ما عندهم بعد هذا من خير! فوالله إني لفي أيديهم يسحبونني إذ أوى لي^(٦) رجلٌ ممن كان معهم فقال: ويحك! أما بينك وبين أحدٍ من قريشٍ جوارٌ ولا عهد؟ قلت: بلى والله، لقد كنت أجير لجبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف تجاره وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادي، وللحارث بن حرب بن أمية بن عبدشمس بن عبد مناف. قال: ويحك فاهتف باسم الرجلين واذكر ما بينك وبينهما.

قال: ففعلتُ وخرج ذلك الرجل إليهما، فوجدتهما في المسجد عند الكعبة فقال لهما: إن رجلاً من الخزرج الآن يُضرب بالأبطح ويهتف بكما، ويذكر أن بينه وبينكما جواراً. قالوا: ومن هو؟ قال: سعد بن عبادة. قالوا: صدق والله، إن كان ليجير لنا تجارنا، ويمنعهم أن يُظلموا ببلده!

قال: فخلصنا سعداً من أيديهم، فانطلق.

شروط بيعة العقبة الأخيرة

وكانت بيعة الحرب حين أذن الله لرسوله في القتال شروطاً سوى شرطه عليهم في العقبة الأولى. كانت الأولى على بيعة النساء، وذلك أن الله تعالى لم يكن أذن لرسوله ﷺ في الحرب، فلما أذن الله له فيها، وبايعهم رسول الله ﷺ في العقبة الأخيرة على حرب الأحمر والأسود، أخذ لنفسه، واشترط على القوم لربه، وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة.

(٤) الجملة: مجتمع شعر الرأس.

(٥) الشعشاع: الطويل الحسن.

(٦) أوى له: رقى له ورحمه.

(١) أي اكثروا البحث.

(٢) أذاخر: موضع قريب من مكة.

(٣) التسع: شراك يشد به الرجل.

قال عبادة بن الصامت:

بايعنا رسول الله ﷺ بيعة الحرب، على السمع والطاعة، في عُسرنا ويُسرنا، ومُنشطنا ومكْرَهنا^(١)، وأثرة^(٢) علينا، وألا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم.

نزول الأمر بالقتال

وكان رسول الله ﷺ قبل بيعة العقبة لم يؤذن له في الحرب ولم تُحلل له الدماء، إنما يؤمر بالدعاء إلى الله والصبر على الأذى، والصفح عن الجاهل. وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم، ونفّوهم من بلادهم، فهم من بين مفتون في دينه، ومن بين معذب في أيديهم، وبين هارب في البلاد فراراً منهم، منهم من بأرض الحبشة، ومنهم من بالمدينة، وفي كل وجه. فلما عتت قريش على الله عز وجل، وردوا عليه ما أرادهم به من الكرامة، وكذبوا نبيه ﷺ، وعدّبوا ونفّوا من عبده ووحدته وصدق نبيه، واعتصم بدينه، أذن الله عز وجل لرسوله ﷺ في القتال والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم، فكانت أول آية أنزلت في إذنه له في الحرب، وإحلاله له الدماء والقتال، فيها بلغني عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء قول الله تبارك وتعالى: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير. الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز * الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾

أي إني إنما أحللت لهم القتال لأنهم ظلموا، ولم يكن لهم ذنب فيما بينهم وبين الناس، وإنهم إذا ظهروا أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر. يعني النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين.

ثم أنزل الله تبارك وتعالى عليه: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ أي لا يفتن مؤمن عن دينه ﴿ويكون الدين لله﴾ أي حتى يُعبد الله لا يعبد معه غيره.

(٢) الأثرة بمعنى الاستثار، إشارة إلى إثارة المهاجرين على أنفسهم.

(١) المنشط: الأمر تنشط له وتخف له. وهو خلاف المكروه.

الإذن بهجرة المسلمين إلى المدينة

فلما أذن الله تعالى له ﷺ في الحرب، وبيّعه هذا الحي من الأنصار على الإسلام والنصرة له ولمن أتبعه وأوى إليه من المسلمين، أمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهاجرين من قومه، ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها، واللحوق بإخوانهم من الأنصار، وقال: «إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً آمناً بها». فخرجوا أرسالاً^(١) وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة، والهجرة إلى المدينة.

ذكر المهاجرين إلى المدينة

فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين من قريش من بني محزوم أبو سلمة بن عبد الأسد، هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة، وكان قدم رسول الله ﷺ مكة من أرض الحبشة، فلما آذته قريش وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار، خرج إلى المدينة مهاجراً.

ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبي سلمة عامر بن ربيعة، ومعه امرأته ليلي بنت أبي حثمة، ثم عبد الله بن جحش، احتمل بأهله وبأخيه عبد بن جحش، وهو أبو أحمد، وكان أبو أحمد رجلاً ضريراً البصر، وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد، وكان شاعراً.

ثم خرج عمر بن الخطاب، وعياش بن أبي ربيعة المخزومي، حتى قدما المدينة، ثم تتابع المهاجرون.

هجرة الرسول ﷺ

وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له في الهجرة، ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين إلا من حبس وقتن، إلا علي بن أبي طالب، وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق، رضي الله عنهما وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فيقول له رسول الله ﷺ: «لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً»، فيطمع أبو بكر أن يكونه.

ولما رأت قريش أن رسول الله ﷺ صارت له شيعه وأصحاب من غيرهم بغير

(١) أي جماعات، واحدة إثر الأخرى.

بلدهم، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً وأصابوا منهم منعة، فحذروا خروج رسول الله ﷺ إليهم، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم.

فاجتمعوا له في دار الندوة - وهي دار قُصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها - يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ، حين خافوه.

عن ابن عباس قال: لما اجتمعوا لذلك وأتعدوا أن يدخلوا في دار الندوة، ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله ﷺ، غَدُوا في اليوم الذي أتعدوا له، وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة، فاعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل^(١)، عليه بَت^(٢)، فوقف على باب الدار، فلما رآوه واقفاً على بابها قالوا: مَنْ الشيخ؟ قال: شيخ من أهل نجد^(٣) سمع بالذي أتعدتم له، فحضر معكم لسمع ما تقولون، وعسى ألا يُعدمكم منه رأياً ونُصحاً! قالوا: اجل فادخل. فدخل معهم وقد اجتمع فيها أشرف قريش، فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، فإننا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد أتبعه من غيرنا. فاجمعوا فيه رأياً.

فتشاوروا ثم قال قائل منهم: احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه باباً ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله: زهيراً والنابغة، ومن مضى منهم، من هذا الموت، حتى يصيبه ما أصابهم! فقال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي، والله لئن حبستموه كما تقولون، ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه، فلا وشكوا أن يشبوا عليكم فينزعه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم. ما هذا لكم برأي، فانظروا في غيره...

فتشاوروا ثم قال قائل منهم^(٤): نُخرجه من بين أظهرنا، فننفيه من بلادنا، فإذا أخرجنا عنا فوالله ما نبالي أين ذهب، ولا حيث وقع، إذا غاب عنا وفرغنا منه، فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت.

فقال الشيخ النجدي: لا والله، ما هذا لكم برأي، ألم تروا حُسن حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به، والله لو فعلتم ذلك ما أمتم أن يجل على

لأن هواهم مع محمد، فلذلك تمثل لهم في صورة شيخ
نجدي.

(٤) هو أبو الأسود ربيعة بن عامر.

(١) جليل: مسن.

(٢) البت: كساء غليظ مربع.

(٣) السهيلي إنما قال لهم، إني من أهل نجد، لأنهم قالوا:

لا يدخلن معكم في المشاورة أحد من أهل تهامة،

حيّ من العرب، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم في بلادكم، فيأخذ أمركم من أيديكم، ثم يفعل بكم ما اراد، أديروا فيه رأياً غير هذا.

فقال أبو جهل بن هشام: والله إن لي لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد. قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ قال: أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جليداً نسيباً وسيطاً^(١) فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه، فنستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً، فرضوا منا بالعقل^(٢)، فعقلناه لهم.

فقال الشيخ النجدي: القول ما قال الرجل، هذا الرأي لا رأي غيره!! فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له.

فأتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ فقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه.

فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام، فيشون عليه، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلي بن أبي طالب: نم على فراشي، وتَسَجَّ^(٣) بيردي هذا الحضرمي الأخضر^(٤) فَنَمَ فيه، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم. وكان رسول الله ﷺ ينام في برده ذلك إذا نام.

عن محمد بن كعب القرظي قال:

لما اجتمعوا له وفيهم أبو جهل بن هشام، فقال وهم على بابه: إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بُعثتم من بعد موتكم فجُعلت لكم جنان كجنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح، ثم بعثتم من بعد موتكم، ثم جُعلت لكم نارٌ تُحرقون فيها.

وخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب في يده، ثم قال: أنا أقول ذلك، أنت أحدهم. وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلا يروونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات من يس: ﴿يس * والقرآن الحكيم﴾ إلى قوله: ﴿فاغشيناهم فهم﴾

(٣) تسجى بالثوب: غطى به جسده ووجهه.

(٤) الحضرمي: منسوب إلى حضرموت.

(١) الوسيط: الشريف.

(٢) العقل: الدية.

لا يُصرون ، حتى فرغ رسول الله ﷺ من هؤلاء الآيات، ولم يبق منهم رجلٌ إلا وقد وَضَعَ على رأسه تراباً، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب .

فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون ها هنا؟ قالوا: محمداً. قال: خيبيكم الله ! قد والله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً، وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟ فوضع كل رجلٍ منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلعون فيرون علياً على الفراش مُتَسَجِّياً يُرِدُّ رسول الله ﷺ فيقولون: والله إن هذا لمحمدٌ نائماً، عليه برده. فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا. فقام علي رضي الله عنه عن الفراش فقالوا: والله لقد كان صدقنا الذي حدثنا.

قال ابن إسحاق: وكان أبو بكر رضي الله عنه رجلاً ذا مال، فكان حين استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فقال له رسول الله ﷺ: لا تعجل لعلَّ الله يجعل لك صاحباً - قد طمع بأن يكون رسول الله ﷺ، إنما يعني نفسه حين قال له ذلك - فابتاع راحلتين فاحتبسهما في داره يعلفهما.

قالت عائشة: كان لا يخطيء رسول الله ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار، إما بكرةً وإما عشية، حتى إذا كان اليوم الذي أُذِنَ فيه لرسول الله ﷺ في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهري قومه، أتانا رسول الله ﷺ بالهجرة في ساعة كان لا يأتي فيها، فلما رآه أبو بكر قال: ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة إلا لأمر حدث! فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره، فجلس رسول الله ﷺ وليس عند أبي بكرٍ إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر، فقال رسول الله ﷺ: أخرج عني من عندك. فقال: يا رسول الله، إنما هما ابتائي، وما ذاك؟ فذاك أبي وأمي! فقال: إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة. فقال أبو بكر: الصُّحْبَةُ يا رسول الله؟ قال: الصُّحْبَةُ. قالت: فوالله ما شعرت قطُّ قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ. ثم قال: يا نبي الله، إن هاتين راحلتان قد كنت أعددتُهما لهذا. فاستأجرا عبد الله بن أرقط، وكان مشركاً، يدهما على الطريق، فدفعنا إليه راحلتيهما، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما.

قال ابن إسحاق: ولم يعلم فيما بلغني بخروج رسول الله ﷺ أحدٌ حين خرج، إلا علي بن أبي طالب، وأبو بكر الصديق وآل أبي بكر. أما عليٌّ فإن رسول الله ﷺ - فيما بلغني - أخبره بخروجه، وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدِّي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، وكان رسول الله ﷺ ليس بمكة أحدٌ عنده شيءٌ يخشى عليه إلا وضعه عنده، لما يعلم من صدقه وأمانته.

فلما أجمع رسول الله ﷺ الخروج، أتى أبا بكر بن أبي قحافة فخرجا من خوخة^(١) لأبي بكر في ظهر بيته، ثم عمداً إلى غار بثور^(٢) فدخلاه، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبي بكر أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر، وأمر عامر بن فهيرة مولاة أن يرعى غنمه نهاره ثم يريجها عليهما، يأتيهما إذا أمسى في الغار، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام إذا أمسّت بما يصلحهما^(٣).

فأقام رسول الله ﷺ في الغار ثلاثاً ومعه أبو بكر، وجعلت قريش فيه، حين فقدوه، مائة ناقة، لمن يرده عليهم. وكان عبد الله بن أبي بكر يكون في قريش نهاره معهم، يسمع ما يأترون به، وما يقولون في شأن رسول الله ﷺ وأبي بكر، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر، وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر رضي الله عنه، يرعى في رعيان أهل مكة، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر، فاحتلبا وذبحا. فإذا عبد الله بن أبي بكر غداً من عندهما إلى مكة، أتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يعفَى عليه. حتى إذا مضت الثلاث، وسكن عنها الناس، أتاهما صاحبهما الذي استأجراه، ببيعيريهما وبيعير له، وأتتهما أسماء بنت أبي بكر بسفرتيها، ونسيت أن تجعل لهما عصاماً^(٤)، فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرّة فإذا ليس لها عصام، فتحلّ نطاقها فتجعله عصاماً، ثم علقتها به.

فكان يقال لأسماء بنت أبي بكر: ذات النطاق، لذلك^(٥).

فلما قرب أبو بكر، رضي الله عنه، الراحلتين إلى رسول الله ﷺ قدّم له أفضلهما ثم قال: اركب، فذاك أبي وأمي! فقال رسول الله ﷺ: إني لا أركب بغيراً ليس لي. قال: فهي لك يا رسول الله، بأبي أنت وأمي! قال: لا ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به؟ قال: كذا وكذا. قال: قد أخذتها به. قال: هما لك يا رسول الله.

فركبا وانطلقا، وأردف أبو بكر الصديق رضي الله عنه عامر بن فهيرة مولاة خلفه، ليخدمهما في الطريق.

قالت أسماء بنت أبي بكر: لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه، أتانا نفرٌ

(١) الخوخة: باب صغير كالنافذة الكبيرة تكون بين بيتين ينصب عليها باب.

(٢) جبل بأسفل مكة.

(٣) ابن هشام عن الحسن البصري: « انتهى رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى الغار ليلاً، فدخل أبو بكر رضي الله عنه قبل رسول الله ﷺ، فلمس الغار، لينظر:

أفيه سبع أوحية؟ بقي رسول الله ﷺ بنفسه. »
(٤) العصام: رباط القربة والمزادة ونحوهما.

(٥) قال ابن هشام: « سمعت غير واحد من أهل العلم يقول: ذات النطاقين. وتفسيره بأنها لما أرادت أن تعلق السفرّة شقت نطاقها بائنين، فعلقت السفرّة بواحد، وانتطقت بالآخر. »

من قريش فيهم أبو جهل بن هشام، فوقفوا على باب أبي بكر، فخرجت إليهم فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ قلت: لا أدري والله أين أبي. قالت: فرفع أبو جهل يده - وكان فاحشاً خبيثاً - فلطم خدي لطمه طرح منها قرطي!

ثم انصرفوا. فمكثنا ثلاث ليال وما ندري أين وجه رسول الله ﷺ، حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة، يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب، وإن الناس ليتبعونه يسمعون صوته ما يرونه، حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول:

جزى الله رب الناس خيراً جزائه رفيقين حلاً خيمتي أم معبد^(١)
 هما نزلاً بالبر ثم تروحا فأفلح من أمسي رفيق محمد
 ليهن بني كعب مكان فتاتهم ومقعدهما للمؤمنين بمرصداً

فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجه رسول الله ﷺ، وأن وجهه إلى المدينة.

قال سراقه بن مالك بن جعشم: لما خرج رسول الله ﷺ من مكة مهاجراً إلى المدينة جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن رده عليهم. فبينما أنا جالس في نادي قومي إذ أقبل رجل منّا حتى وقف علينا، فقال: والله لقد رأيت ركبة ثلاثة مرؤا علي أنفاً، إني لأراهم محمداً وأصحابه. فأومأت إليه بعيني: أن اسكت. ثم قلت: إنما هم بنو فلان يتبعون ضالة لهم! قال: لعله. ثم سكت ثم مكثت قليلاً ثم قمت فدخلت بيتي، ثم أمرت بفرسي فقيدت لي إلى بطن الوادي، وأمرت بسلاحي فأخرج لي من دبر حجرتي، ثم أخذت قداحي التي أستقسم بها، ثم انطلقت فلبست لأمتي^(٢) ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها، فخرج السهم الذي أكره «لا يضره»^(٣). وكنت أرجو أن أردّه على قريش فأخذ المائة الناقة. فركبت على أثره، فبينما فرسي يشتد بي عثر بي، فسقطت عنه، فقلت: ما هذا! ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها، فخرج السهم الذي أكره «لا يضره» فأبيت إلا أن أتبعه، فركبت في أثره، فلما بدا لي القوم ورأيتهم عثر بي فسقطت عنه، فقلت: ما هذا! ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها، فخرج السهم الذي أكره «لا يضره» فأبيت إلا أن أتبعه، فركبت في أثره، فلما بدا لي القوم ورأيتهم عثر بي فرسي. فذهبت يداه في الأرض، وسقطت عنه، ثم انتزع يديه

(١) أم معبد، واسمها عاتكة بنت خالد: امرأة من بني كعب، نزل بها رسول الله ﷺ وأبو بكر، وعامر بن فهيرة، وعبدالله بن أرقط، فسألوها لحماً وتمراً يشترون منها، فلم يصيبوا عندها شيئاً ورأى رسول الله ﷺ شاة بكسر الخيمه لا تدر، فاستأذنها أن يجلبها،

(٢) أم معبد، واسمها عاتكة بنت خالد: امرأة من بني كعب، نزل بها رسول الله ﷺ وأبو بكر، وعامر بن فهيرة، وعبدالله بن أرقط، فسألوها لحماً وتمراً يشترون منها، فلم يصيبوا عندها شيئاً ورأى رسول الله ﷺ شاة بكسر الخيمه لا تدر، فاستأذنها أن يجلبها،

(٣) الأمانة: الدرع والسلاح.
 أي المكتوب فيه هذه الكلمة.

من الأرض، وتبعها دخان كالإعصار، فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد مُنِعَ مني وأنه ظاهر^(١)، فناديت القوم فقلت: أنا سراقه بن جُعشم، أنظروني أكلمكم، فوالله لا أريكم، ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه. فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: قل له: وما تبغي منا؟ فقال ذلك أبو بكر. قلت: تكتب لي كتاباً يكون آية بيني وبينك. قال: اكتب له يا أبا بكر.

فكتب لي كتاباً في عظم، أو في رقعة، أو في خزفة، ثم ألقاه إلي، فأخذته فجعلته في كنانتي ثم رجعت. فسكت فلم أذكر شيئاً مما كان، حتى إذا كان فتح مكة على رسول الله ﷺ وفرغ من حنين والطائف، خرجت ومعني الكتاب لألقاه فلقيته بالجمرة^(٢)، فدخلت في كتيبة من خيل الأنصار، فجعلوا يقرعونني بالرمح ويقولون: إليك إليك، ماذا تريد؟ فدنوت من رسول الله ﷺ وهو على ناقته، والله لكأنني أنظر إلى ساقه في غرزه^(٣) كأنها جمارة، فرفعت يدي بالكتاب ثم قلت: يا رسول الله، هذا كتابك لي، أنا سراقه بن مالك بن جعشم. فقال رسول الله ﷺ: يوم وفاء وبر، ادنه. فدنوت منه فأسلمت. ثم تذكرت شيئاً أسأل رسول الله ﷺ عنه فما أذكره، إلا أني قلت: يا رسول الله، الضالة من الإبل تغشى حياضي وقد ملأها لإبلي، هل لي من أجر في أن أسقيها؟ قال: «نعم، في كل ذات كبد حرى أجر». ثم رجعت إلى قومي فسقت إلى رسول الله ﷺ صدقتي.

قال ابن إسحاق:

فلما خرج بها دليلهما عبد الله بن أرقط، سلك بهما أسفل مكة ثم مضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق أسفل من عسفان، ثم سلك بهما على أسفل أمج، ثم استجاز بهما حتى عارض بهما الطريق بعد أن أجاز قديداً، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخرار، ثم سلك بهما لقفاً، ثم أجاز بهما مدلجة لقف، ثم استبطن بهما مدلجة محاج، ثم سلك بهما مرجح محاج، ثم تبطن بهما مرجح من ذي الغصوين، ثم بطن ذي كشر، ثم أخذ بهما على الجداجد، ثم على الأجرد. ثم سلك بهما ذا سلم من بطن أعداء مدلجة تعهن، ثم على العبايد، ثم أجاز بهما الفاجة.

قال ابن هشام: ثم هبط بهما العرج وقد أبطأ عليهما بعض ظهرهم، فحمل رسول الله ﷺ رجل من أسلم يقال له أوس بن حجر^(٤)، على جمل له يقال له ابن الرداء، إلى

(٤) أوس بن حجر هذا صحابي، وهو غير أوس بن حجر الشاعر الجاهلي.

(١) أي غالب منتصر.

(٢) الجمرة: ماء بين الطائف ومكة.

(٣) الغرز للرحل، بمنزلة الركاب للسر.

المدينة، وبعث معه غلاماً له يقال له مسعود بن هنيذة، ثم خرج بهما دليلهما من العرج، فسلك بهما ثنية العائر عن يمينه ركوبة، حتى هبط بهما بطن ريم، ثم قدم بهما قباء على بني عمرو بن عوف، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين، حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تعتدل.

قدوم قباء

عن عبد الرحمن بن عويمر بن ساعدة، قال: حدثني رجال من قومي، من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا:

لما سمعنا بمخرج رسول الله ﷺ من مكة، وتوكلنا^(١) قدومه، كنا نخرج إذا صلينا الصبح إلى ظاهر حرتنا ننتظر رسول الله ﷺ، فوالله لا نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال، فإذا لم نجد ظلاً دخلنا، وذلك في أيام حارة، حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ جلسنا كما كنا نجلس، حتى إذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا. وقدم رسول الله ﷺ حين دخلنا البيوت، فكان أول من رآه رجل من اليهود، وقد رأى ما كنا نصنع وأنا ننتظر قدوم رسول الله ﷺ علينا، فصرخ بأعلى صوته: يا بني قيلة^(٢)، هذا جدكم^(٣) قد جاء.

فخرجنا إلى رسول الله ﷺ في ظل نخلة، ومعه أبو بكر رضي الله عنه في مثل سبته، وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله ﷺ قبل ذلك، وركبه الناس^(٤) وما يعرفونه من أبي بكر، حتى زال الظل عن رسول الله ﷺ، فقام أبو بكر فأظله بردائه فعرفناه عند ذلك.

قال ابن إسحاق:

فنزل رسول الله ﷺ - فيما يذكرون - على كلثوم بن هدم، ويقال: بل نزل على سعد بن خيثمة. ويقول من يذكر أنه نزل على كلثوم بن هدم:

إنما كان رسول الله ﷺ إذا خرج من منزل كلثوم بن هدم جلس للناس في بيت سعد بن خيثمة، وذلك أنه كان عزباً لا أهل له، وكان منزل الأعزاب من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين.

ونزل أبو بكر الصديق رضي الله عنه على حبيب بن إساف. ويقول قائل: كان منزله

(٣) الجد: الحظ.

(٤) أي ازدحموا عليه.

(١) توكلناه: استشعرناه وانتظرناه.

(٢) هم الأنصار جميعاً، وقيلة جدة كانت لهم.

على خارجه بن زيد .

وأقام علي بن أبي طالب عليه السلام بمكة ثلاث ليالٍ وأيامها، حتى أدى عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله ﷺ فنزل معه على كلثوم بن هدم .

فأقام رسول الله ﷺ بقاءً في بني عمرو بن عوف، يوم الاثنين، ويوم الثلاثاء، ويوم الأربعاء، ويوم الخميس . وأسس مسجده .

قدوم المدينة

ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة . فأدركت رسول الله ﷺ الجمعة في بني سالم بن عوف، فصلاًها في المسجد الذي في بطن الوادي، وادي رانونا، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة .

فأتاه عتيبان بن مالك، وعباس بن عباد بن نضلة، في رجالٍ من بني سالم بن عوف، فقالوا: يا رسول الله، أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة . قال: خلوا سبيلها، فإنها مأمورة - لناقة - فخلوا سبيلها، فانطلقت حتى إذا وازنت دار بني بياضة تلقاه زياد بن لبيد، وفروة بن عمرو، في رجالٍ من بني بياضة، فقالوا: يا رسول الله، هلم إلينا، إلى العدد والعدة والمنعة . قال: خلوا سبيلها فإنها مأمورة . فانطلقت حتى إذا مرت بدار بني ساعدة اعترضه سعد بن عباد، والمنذر بن عمرو، في رجالٍ من بني ساعدة، فقالوا: يا رسول الله، هلم إلينا، إلى العدد والعدة والمنعة . قال: خلوا سبيلها فإنها مأمورة . فخلوا سبيلها فانطلقت، حتى إذا وازنت دار بني الحارث بن الخزرج، اعترضه سعد بن الربيع وخارجه بن زيد، وعبد الله بن رواحة، في رجالٍ من بني الحارث بن الخزرج فقالوا: يا رسول الله، هلم إلينا، إلى العدد والعدة والمنعة . قال: خلوا سبيلها فإنها مأمورة . فخلوا سبيلها فانطلقت . حتى إذا مرت بدار بني عدي بن النجار، وهم أخواله دنيا - أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو، إحدى نسائهم - اعترضه سليط بن قيس وأبو سليط أسيرة بن أبي خارجه، في رجالٍ من بني عدي بن النجار، فقالوا: يا رسول الله، هلم إلى أخوالك، إلى العدد والعدة والمنعة . قال: خلوا سبيلها فإنها مأمورة . فخلوا سبيلها فانطلقت .

حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار، بركت على باب مسجده ﷺ وهو يومئذٍ مريدٌ^(١)

(١) المريد: الموضع الذي يجفف فيه التمر.

لغلامين يتيمين من بني النجار - وهما في حجر معاذ بن عفراء - سهل وسهيل ابني عمرو. فلما بركت ورسول الله ﷺ عليها لم ينزل وثبت، فسارت غير بعيد ورسول الله ﷺ واضع لها زمامها لا يثنيها به، ثم التفتت إلى خلفها، فرجعت إلى مبركها أول مرة، فبركت فيه، ثم تحلحلت^(١) وأرزمت^(٢) ووضعت جرانها^(٣)، فنزل عنها رسول الله ﷺ. فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله فوضعه في بيته، ونزل عليه رسول الله ﷺ وسأل عن المرشد: لمن هو؟ فقال له معاذ بن عفراء: هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابني عمرو، وهما يتيمان لي وسأرضيهما منه فاتخذ مسجداً

فأمر به رسول الله ﷺ أن يُبنى مسجداً، ونزل رسول الله ﷺ على أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه، فعمل فيه رسول الله ﷺ ليرغب المسلمين في العمل فيه، فعمل فيه المهاجرون والأنصار، ودأبوا فيه، فقال قائل من المسلمين:

لئن قعدنا والنبى يعمل لئذاك منا العمل المضلل

وارتجز المسلمون، وهم بينونه، يقولون: «لا عيش إلا عيش الآخرة، اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة». فيقول رسول الله ﷺ: «لا عيش إلا عيش الآخرة، اللهم ارحم المهاجرين والأنصار».

فأقام رسول الله ﷺ في بيت أبي أيوب حتى بُني له مسجده ومساكنه، ثم انتقل إلى مساكنه من بيت أبي أيوب، رحمة الله عليه ورضوانه.

قال أبو أيوب:

لما نزل علي رسول الله ﷺ في بيتي نزل السفل، وأنا وأم أيوب في العلو، فقلت له: يا نبي الله، بأبي أنت وأمِّي، إني لأكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي، فإظهر أنت فكن في العلو، وننزل نحن فنكون في السفل. فقال: يا أبا أيوب، إن أرفق بنا وبمن يغشانا أن نكون في سفلى البيت.

قال: فكان رسول الله ﷺ في سفله وكنا فوقه في المسكن، فلقد انكسر حُب^(٤) لنا فيه ماء، فقامت أنا وأم أيوب بقطيفة^(٥) لنا مالنا لحاف غيرها، ننشف بها الماء، تخوفاً أن يقطر على رسول الله ﷺ منه شيء يؤذيه.

(١) تحلحلت: تحركت.

(٢) أرزمت: صوتت.

(٣) الجران: ما يصيب الأرض من صدر الناقة وباطن

(٤) الحب: الجرة، أوجرة ضخمة.

(٥) القطيفة: كساء له خمل، أي أهداب.

حلقها.

قال: وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث به إليه، فإذا رد علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب موضع يده، فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة، حتى بعثنا إليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له فيه بصلاً أو ثوماً، فردّه رسول الله ﷺ، ولم أر ليده فيه أثراً، فجيته فزِعاً فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، رددت عشاءك ولم أر فيه موضع يدك، وكنت إذا رددته علينا تيممت أنا وأم أيوب موضع يدك، نبتغي بذلك البركة. قال: إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة، وأنا رجل أناجي، فأما أنتم فكلوه.

قال: فأكلناه، ولم نصنع له تلك الشجرة بعد.

قال ابن إسحاق: وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله ﷺ فلم يبق بمكة منهم أحد إلا مفتون أو محبوس، ولم يُوعب أهل هجرة من مكة بأهلهم وأموالهم إلى الله تبارك وتعالى وإلى رسول الله ﷺ إلا أهل دُورِ مَسْمُون: بنو مظعون من بني جمح، وبنو جحش بن رثاب حلفاء بني أمية، وبنو البكير من بني سعد بن ليث حلفاء بني عدي بن كعب، فإن دُورهم غُلقت بمكة هجرة، ليس فيها ساكن.

الخطب والعهود بالمدينة

فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة إذ قديمها شهر ربيع الأول إلى صفر من السنة الداخلة، حتى بُني له فيها مسجده ومساكنه واستجمع له إسلام هذا الحي من الأنصار، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا أسلم أهلها، إلا ما كان من خَطْمَة وواقف ووائل وأمية، وتلك أوس الله، وهم حي من الأوس، فإنهم أقاموا على شركهم.

وكانت (أول خطبة) خطبها رسول الله ﷺ - فيما بلغني عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، نعوذ بالله أن نقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل - أنه قام فيهم، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال:

أما بعد، أيها الناس، فقدّموا لأنفسكم. تَعَلَّمَنَّ وَاللَّهِ لِيُصَعَّقَنَّ أَحَدَكُمْ، ثم لِيَدَعَنَّ غَنَمَهُ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ، ثم لِيَقُولَنَّ لَهُ رَبُّهُ وَلَيْسَ لَهُ تَرْجَمَانٌ وَلَا حَاجِبٌ يَحْجِبُهُ دُونَهُ: ألم يأتك رسولي فبلغك، وأتيتك مالاً وأفضلت عليك؟ فما قدّمت لنفسك؟ فليُنظر يمينا وشمالاً فلا يرى شيئاً، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم. فمن استطاع أن يقني وجهه من النار ولو بشقّ تمره فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة، فإن بها يُجزى الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ثم خطب رسول الله ﷺ الناس مرة أخرى فقال:

إن الحمد لله، أحمده وأستعينه، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من

يَهْدِي اللَّهُ فَلَامُضَلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلُّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. إِنْ أَحْسَنَ الْحَدِيثُ كِتَابُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَيَّنَهُ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَدْخَلَهُ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْكُفْرِ، وَاخْتَارَهُ عَلَى مَا سِوَاهُ مِنْ أَحَادِيثِ النَّاسِ، إِنَّهُ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ وَأَبْلَغُهُ. أَحِبُّوا مَا أَحَبَّ اللَّهُ، أَحِبُّوا اللَّهَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكُمْ، وَلَا تَمَلُّوا كَلَامَ اللَّهِ وَذَكَرَهُ، وَلَا تَقْسُ عَنْهُ قَلُوبَكُمْ، فَإِنَّهُ مِنْ كُلِّ مَا يَخْلُقُ اللَّهُ يَخْتَارُ وَيَصْطَفِي، قَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ خَيْرَتَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ^(١) وَمَصْطَفَاهُ مِنَ الْعِبَادِ^(٢)، وَالصَّالِحِ مِنَ الْحَدِيثِ، وَمَنْ كُلُّ مَا أُوتِيَ لِلنَّاسِ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ. فَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَاتَّقُوا حَقَّ تَقَاتِهِ، وَاصْدُقُوا اللَّهَ صَالِحاً مَا تَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ، وَتَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ بَيْنَكُمْ. إِنْ اللَّهُ يَغْضَبُ أَنْ يُنَكِّثَ عَهْدَهُ. وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ.

* * *

وَكُتِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كِتَاباً بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَادَّعَى فِيهِ يَهُودٌ وَعَاهِدَهُمْ، وَأَقْرَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَشَرَطَ لَهُمْ وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدِ النَّبِيِّ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلِحَقِّ بِهِمْ، وَجَاهِدْ مَعَهُمْ، إِنَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ دُونِ النَّاسِ، الْمُهَاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ^(٣) يَتَعَاوَلُونَ بَيْنَهُمْ^(٤)، وَهُمْ يَفْقَدُونَ عَانِيَهُمْ^(٥) بِالْمَعْرُوفِ وَالْقَسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَبَنُو عَوْفٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاوَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى، كُلُّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقَسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَبَنُو سَاعِدَةَ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاوَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى، وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقَسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَبَنُو الْحَارِثِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاوَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقَسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَبَنُو جُشْمٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاوَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى، وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقَسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَبَنُو النَّجَارِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاوَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى، وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقَسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَبَنُو عَمْرُوبِ بْنِ عَوْفٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاوَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى، وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقَسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَبَنُو النَّبَيْتِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاوَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى، وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقَسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَبَنُو الْأَوْسِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاوَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ

(١) أَيِ الذِّكْرِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾.
(٢) أَيِ وَسَمَى الْمَصْطَفَى مِنَ عِبَادِهِ.
(٣) لِرَبِيعَةِ: الْحَالِ الَّتِي وَجَدَهُمْ عَلَيْهَا الْإِسْلَامَ.
(٤) أَيِ يَعْقِلُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ. وَالْعَقْلُ: الدِّينَةُ.
(٥) الْعَانِيَةُ: الْأَسِيرُ.

والقسط بين المؤمنين . وإن المؤمنين لا يتركون مُفْرَحاً^(١) بينهم أن يُعطوه بالمعروف في فداءٍ أو عقل . وألاً يحالف مؤمناً مولى مؤمنٍ دونه ، وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيسة^(٢) ظلم أو إثم أو عدوان أو فسادٍ بين المؤمنين ، وإن أيديهم عليه جميعاً ، ولو كان ولدٌ أحدهم . ولا يقتل مؤمناً مؤمناً في كافرٍ ، ولا ينصر كافرأً على مؤمن . وإن ذمة الله واحدة ، يجير عليهم أدناهم . وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس . وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصره والأسوة ، غير مظلومين ولا متناصرٍ عليهم . وإن سِلْمَ المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم . وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً . وإن المؤمنين يُبِيء^(٣) بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله . وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدي وأقومه . وإنه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً ، ولا يحول دونه على مؤمن ، وإنه من اعتبط^(٤) مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قودٌ به إلا أن يرضى وليُّ المقتول ، وإن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم إلا قيام عليه . وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر مُحدثاً ولا يؤويه ، وإنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل . وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مردّه إلى الله عز وجل وإلى محمد ﷺ .

وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ^(٥) إلا نفسه وأهل بيته . وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف ، وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف ، وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف ، وإن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف ، وإن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف ، وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف ، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته . وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم ، وإن لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف وإن البرّ دون الإثم^(٦) ، وإن موالي ثعلبة كأنفسهم ، وإن بطانة يهود كأنفسهم ، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ ، وإنه لا ينحجز على ثأر جرح ، وإنه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته ، إلا من ظلم . وإن الله على أبرّ هذا^(٧) . وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم . وإن بينهم

(١) المفرح : المقتل بالدين والكثير العيال .

(٢) الدسيسة : العظيمة .

(٣) أباءه به : قتله به ، جعله بواء له .

(٤) اعتبطه : قتله بلا جناية توجب القتل .

(٥) يوتغ : يهلك .

(٦) أي إن البر والوفاء ينبغي أن يكون حاجزاً عن الإثم .

(٧) أي إن الله وحزبه المؤمنين على الرضا به .

النصرَ على من حاربَ أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبرّ دون الإثم. وإنه لم يَأثم امرؤٌ بحليفه، وإن النصر للمظلوم. وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين^(٢). وإن يثرب حرامٌ جوفُها لأهل هذه الصحيفة، وإن الجار كالنفس غير مضارٍّ ولا آثم، وإنه لا تُجار حرمة إلا بإذن أهلها. وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدثٍ أو اشتجارٍ يخاف فساده فإن مردّه إلى الله عزّ وجلّ وإلى محمد رسول الله ﷺ. وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبرّه، وإنه لا تُجار قريش ولا من نصرها، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب، وإذا دعوا إلى صلحٍ يصلحون ويلبسونه، فإنهم يصلحونه ويلبسونه. وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين، إلا من حارب في الدين، على كل أناسٍ حصّتهم من جانبهم الذي قبلهم. وإن يهود الأوس، مواليهم وأنفسهم، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة، مع البرّ المحض من أهل هذه الصحيفة. وإن البرّ دون الإثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره أنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالمٍ أو آثمٍ وأنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم وأثم، وإن الله جارٌ لمن برّ واتقى، ومحمد رسول الله ﷺ.

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

قال ابن إسحاق:

وأخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فقال - فيما بلغنا، ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل.

تآخروا في الله أخوين أخوين». ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: هذا أخي. فكان رسول الله ﷺ سيد المرسلين وإمام المتقين، ورسول رب العالمين، الذي ليس له خطير ولا نظير من العباد وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أخوين. وكان حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله ﷺ وعم رسول الله ﷺ، وزيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، وإليه أوصى حمزة يوم أحد حين خصره القتال إن حدث به حادث الموت. وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين الطيّار، ومعاذ بن جبل أخو بني سلمة أخوين.

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه بن أبي قحافة وخارجة بن زهير أخوين،

مع المسلمين، وشرط عليهم في هذا الكتاب النفقة معهم في الحروب.

(٢) كان هذا قبل أن تفرض الجزية وحين كان الإسلام ضعيفاً، كان لليهود إذ ذاك نصيب في المغنم إذا قاتلوا

وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين . وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن معاذ أخوين .
وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين . والزبير بن العوام وسلمة بن سلامة بن
وقش أخوين . وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت بن المنذر أخوين . وطلحة بن عبيد الله
وكعب بن مالك أخوين . وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وأبي بن كعب أخوين .
ومصعب بن عمير وأبو أيوب خالد بن زيد أخوين . وأبو حذيفة بن عتبة وعباد بن بشر
أخوين . وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان أخوين . وأبو ذر الغفاري والمنذر بن عمرو
أخوين .

وكان حاطب بن أبي بلتعة وعويم بن ساعدة أخوين . وسلمان الفارسي وأبو الدرداء
أخوين . وبلال مولى أبي بكر وأبو رويحة أخوين .
فهؤلاء من سُمِّي لنا، ممن كان رسول الله ﷺ وسلم آخى بينهم من أصحابه .

خبر الأذان

فلما اطمأن رسول الله ﷺ بالمدينة، واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين، واجتمع أمر
الأنصار، استحکم أمر الإسلام، فقامت الصلاة، وفرضت الزكاة والصيام وقامت الحدود،
وفرض الحلال والحرام، وتبوا الإسلام بين أظهرهم، وكان هذا الحي من الأنصار هم الذين
تبؤوا الدار والإيمان . وقد كان رسول الله ﷺ حين قدمها إنما يجتمع الناس إليه للصلاة
لحين مواقيتها بغير دعوة، فهم رسول الله ﷺ حين قدمها أن يجعل بُوقاً كبوق يهود الذي
يهرعون به لصلاتهم، ثم كرهه . ثم أمر بالناقوس فُنحت ليضربَ به للمسلمين للصلاة .

فبينما هم على ذلك إذ رأى عبدالله بن زيد بن ثعلبة أخو بلحارث بن الخزرج النداء:
فاتى رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله إنه طاف بي هذه الليلة طائف، مرُّ بي رجلٌ عليه
ثوبان أخضران، يحمل ناقوساً في يده فقلت له: يا عبدالله، أتبيع هذا الناقوس؟ قال: وما
تصنع به؟ قلت: ندعو به إلى الصلاة. قال: أفلا أدلك على خير من ذلك؟ قلت: وما
هو؟ قال: تقول: الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر. أشهد ألا إله إلا الله، أشهد ألا
إله إلا الله. أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله. حيٌّ على الصلاة،
حيٌّ على الصلاة. حيٌّ على الفلاح، حيٌّ على الفلاح. الله أكبر، الله أكبر. لا إله إلا الله.

فلما أخبر بها رسول الله ﷺ قال: إنها لرؤيا حق إن شاء الله فقم مع بلال فآلقها عليه
فليؤذن بها. فإنه أندى صوتاً منك^(١). فلما أذن بها بلال سمعها عمر بن الخطاب وهو في

(١) أي أهل وأرفع وأبعد مذعباً.

بيته، فخرج إلى رسول الله ﷺ يجرّ رداءه، وهو يقول: يا نبي الله، والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذي رأى. فقال رسول الله ﷺ: فله الحمد على ذلك.

ذكر من اعتل من أصحاب رسول الله ﷺ

عن عائشة رضي الله عنها قالت:

لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قدمها وهي أرباً أرض الله من الحمى، فأصاب أصحابه منها بلاءٌ وسقم، فصرف الله ذلك عن نبيه ﷺ. فكان أبو بكر، وعامر بن فهيرة وبلال موليا أبي بكر، مع أبي بكر في بيت واحد، فأصابتهم الحمى، فدخلت عليهم أعودهم، وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب، وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوَعَك^(١)، فدنوت من أبي بكر فقلت له: كيف تجدك يا أبت؟ فقال:

كسل امرئٍ مصبُح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

فقلت: والله ما يدري أبي ما يقول!

ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة فقلت له: كيف تجدك يا عامر؟ فقال:

لقد وجدتُ الموتَ قبل ذوقه إن الجبانَ حتفُه من فوقه

كل امرئٍ مجاهدٌ بطوقه^(٢) كالثور يحمي جلده بروقه^(٣)

فقلت: والله ما يدري عامر ما يقول!

وكان بلالٌ إذا تركبه الحمى اضطجع بفناء البيت ثم رفع عقيرته^(٤) فقال:

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلةً بفتحٍ وحولي إذ خِرَّ وجليل^(٥)

وهل أردنُ يوماً مِياهَ مجنَّةٍ وهل يبدونُ لي شامةً وطفيل^(٦)

فذكرت لرسول الله ﷺ ما سمعت منهم فقلت: إنهم ليَهْدُون وما يعقلون من شدة الحمى. فقال رسول الله ﷺ: .

«اللهم حبِّبْ إلينا المدينة كما حبَّبت إلينا مكة أو أشدَّ، وبارك لنا في مُدَّها وصاعها^(٧)،

(١) الوَعَك: شدة ألم المرض.

(٢) الطوق: الطاقة.

(٣) الروق: القرن.

(٤) أي رفع صوته.

(٥) فح: موضع خارج مكة، الإذخر: نبت طيب

(٦) مجنة: اسم سوق للعرب في الجاهلية كانت بأسفل مكة على قدر بريد منها. وشامة وطفيل: جبلان بمكة.

(٧) أي ما يكال بالمد والصاع. المد: رطلان عند أهل العراق، ورطل وثلاث عند أهل الحجاز. والصاع: أربعة أمداد عند الحجازيين.

(١) الوَعَك: شدة ألم المرض.

(٢) الطوق: الطاقة.

(٣) الروق: القرن.

(٤) أي رفع صوته.

(٥) فح: موضع خارج مكة، الإذخر: نبت طيب

(٦) مجنة: اسم سوق للعرب في الجاهلية كانت بأسفل مكة على قدر بريد منها. وشامة وطفيل: جبلان بمكة.

(٧) أي ما يكال بالمد والصاع. المد: رطلان عند أهل العراق، ورطل وثلاث عند أهل الحجاز. والصاع: أربعة أمداد عند الحجازيين.

وانقل وباءها إلى مهبة (١).

تاريخ الهجرة

قدم رسول الله ﷺ المدينة يوم الاثنين، حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تعتدل، لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول، ورسول الله ﷺ يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنة، وذلك بعد أن بعثه الله عز وجل بثلاث عشرة سنة، فأقام بها بقية شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر، وجماديين، ورجب، وشعبان ورمضان، وشوالاً، وذا القعدة، وذا الحجة، والمحرم.

أول الغزوات

ثم خرج غازياً في صفر غزوة ودان على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة، حتى بلغ ودان، وهي غزوة الأبواء، يريد قريشاً وبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فوادعته فيها بنو ضمرة، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلق كيداً. فأقام بها بقية صفر وصدرأ من شهر ربيع الأول.

سرية عبدة بن الحارث وهي أول راية عقدها عليه الصلاة والسلام

وبعث رسول الله ﷺ، في مقامه ذلك بالمدينة، عبدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي، في ستين أو ثمانين راكباً من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد، فسار حتى بلغ ماءً بأسفل ثنية المرة، فلقي بها جمعاً عظيماً من قريش، فلم يكن بينهم قتال، إلا أن سعد بن أبي وقاص قد رُمي يومئذ بسهم، فكان أول سهم رُمي به في الإسلام. ثم انصرف القوم عن القوم، وللمسلمين حامية.

سرية حمزة إلى سيف البحر

وبعث في مقامه ذلك حمزة بن عبد المطلب بن هاشم إلى سيف البحر (٢) من ناحية العيص، في ثلاثين راكباً من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد، فلقي أبا جهل ابن هشام بذلك الساحل في ثلثمائة راكب من أهل مكة، فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني، وكان موادعاً للفريقين، فانصرف بعض القوم عن بعض، ولم يكن بينهم قتال.

(١) مهبة: هي الجحفة، وهي مبات أهل الشام. (٢) السيف، بالكسر: الشاطئ.

غزوة بواط

ثم غزا رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول يريد قريشاً^(١)، حتى بلغ بواط^(٢)، من ناحية رضوى، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً، فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى.

غزوة العُشيرة

ثم غزا قريشاً^(٣)، فسلك على نقب بني دينار، ثم على فيفاء الخبار فنزل تحت شجرة بيطحاء ابن أزهري، فصلى عندها، فثَمَّ مسجده ﷺ، وصنع له طعام فأكل منه وأكل الناس معه، فموضع أثافي البرمة معلوم هنالك، واستقى له من ماء به يقال له: المُشترَب، ثم ارتحل رسول الله ﷺ فترك الخلائق بيسار^(٤)، وسلك شعبة يقال لها شعبة عبد الله، ثم صبَّ لليسار حتى هبط يَلِيل، فنزل بمجمعه ومجتمع الضبوعة، واستقى من بئر بالضبوعة. ثم سلك الفرش: فرش ملل، حتى لقي الطريق بصُخيرات اليمام، ثم اعتدل به الطريق حتى نزل العُشيرة من بطن ينبع، فأقام بها جمادى الأولى وليالي من جمادى الآخرة، ووادع فيها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضَمرة، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً.

سرية سعد بن أبي وقاص

وقد كان بعث رسول الله ﷺ فيما بين ذلك من غزوة سعد بن أبي وقاص، في ثمانية رهط من المهاجرين، فخرج حتى بلغ الخُرار من أرض الحجاز، ثم رجع ولم يلق كيداً.

غزوة سفوان وهي غزوة بدر الأولى

ولم يقم رسول الله ﷺ بالمدينة حين قدم من غزوة العُشيرة إلا ليالي قلائل لا تبلغ العشر، حتى أغار كُرْز بن جابر الفهري على سرح المدينة^(٥) فخرج رسول الله ﷺ في طلبه^(٦) حتى بلغ وادياً يقال له سفوان من ناحية بدر، وفاته كرز بن جابر فلم يدركه، وهي غزوة بدر الأولى. ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة فأقام بها بقية جمادى الآخرة ورجب وشعبان.

(٤) أرض بالمدينة لعبد الله بن أحمد بن جحش.

(٥) السرح: الإبل والمواشي تسرح للرعي بالغداة.

(٦) واستعمل على المدينة زيد بن حارثة.

(١) واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون.

(٢) جبل من جبال جهينة، بقرب ينبع.

(٣) واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد.

سرية عبد الله بن جحش

وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش في رجب مَقْفَلَه من بدر الأولى، وبعث ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد وكتب له كتاباً، وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه، فيمضي لما أمره به، ولا يستكره من أصحابه أحداً.

فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب فنظر فيه، فإذا فيه: إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل «نخلة» بين مكة والطائف، فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم.

فلما نظر عبد الله بن جحش في الكتاب قال: سمعاً وطاعة. ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضي إلى نخلة، أرصد بها قريشاً حتى آتية منهم بخبر، وقد نهاني أن أستكره أحداً منكم. فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينتلق، ومن كره ذلك فليرجع، فأما أنا فامض لأمر رسول الله ﷺ.

فمضى ومضى معه أصحابه، لم يتخلف منهم أحد.

وسلك على الحجاز حتى إذا كان بمعدن فوق القرع يقال له: بخران، أضل سعد بن أبي وقاص وعُتْبَةُ بن غزوان بعيراً لهما كانا يتعقبانه، فتخلفا عليه في طلبه، ومضى عبد الله بن جحش وبقيّة أصحابه حتى نزل بنخلة، فمرت به غير لقريش تحمل زيباً وأدماً^(١) وتجارة من تجارة قريش، فيها عمرو بن الحضرمي، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة، وأخوه نوفل بن عبد الله، والحكم بن كيسان، فلما رأهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم، فأشرف لهم عكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه، فلما رأوه أمنوا وقالوا: عمار لا بأس عليكم منهم. وتشاور القوم فيهم، وذلك في آخر يوم من رجب، فقال القوم: والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتعن منكم به، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام! فتردد القوم وهابوا الإقدام عليهم، ثم شجعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم. فرمى واقد بن عبد الله التيمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله، واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان، وأفلت القوم نوفل بن عبد الله فأعجزهم، وأقبل عبد الله بن جحش بالبعير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ المدينة.

(١) الأدم: الجلد.

فلما قدموا على رسول الله ﷺ المدينة قال: ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام. فوقف العير والأسيرين، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً. فلما قال ذلك رسول الله ﷺ سقط في أيدي القوم وظنوا أنهم هلكوا، وعنفهم إخوانهم المسلمون فيما صنعوا. وقالت قريش: قد استحل محمدٌ وأصحابه الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الأموال، وأسروا فيه الرجال! فقال من يردُّ عليهم من المسلمين ممن كان بمكة: إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان.

فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله على رسول الله ﷺ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾، أي إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به، وعن المسجد الحرام، وإخراجكم منه وأنتم أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم. ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾، أي قد كانوا يفتنون المسلم في دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه، فذلك أكبر عند الله من القتل. ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾، أي ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه، غير تائبين ولا نازعين.

فلما نزل القرآن بهذا من الأمر، وفرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق^(١)، قبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين، وبعثت إليه قريش في فداء عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان، فقال رسول الله ﷺ: لا تُفديكموهما حتى يُقدّم صاحبانا - يعني سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان - فإننا نخشاكم عليهما، فإن تقتلوهما نقتل صاحببيكم! فقدم سعد وعتبة، فأفداهما رسول الله ﷺ منهم.

فأما الحكم بن كيسان فأسلم فحسن إسلامه، وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً. وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة فمات بها كافراً.

صرف القبلة إلى الكعبة

ويقال: صُرفت القبلة في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة.

غزوة بدر الكبرى

ثم إن رسول الله ﷺ سمع بأبي سفيان بن حرب مقبلاً من الشام في عير لقريش عظيمة، فيها أموال لقريش، وتجارة من تجاراتهم، وفيها ثلاثون رجلاً من قريش أو

(١) الشفق: الخوف والحذر.

أربعون، منهم نخرة بن نوفل، وعمرو بن العاص. فندب المسلمين إليهم وقال: هذه غير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها. فانتدب الناس، فحفت بعضهم وثقل بعضهم، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقي حرباً.

وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار، ويسأل من لقي من الركبان، تخوفاً على أمر الناس، حتى أصاب خبراً من بعض الركبان: إن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك! فحذر عن ذلك، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة، وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه، فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة.

وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا أفزعته، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له: يا أخي، والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني، وتخوفت أن يدخل على قومك منها شرٌ ومصيبة، فآتكم عني ما أحدثك به. فقال لها: وما رأيت؟ قالت: رأيت راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح، ثم صرخ بأعلى صوته: ألا انفروا يا لغدر لمصارعكم في ثلاث! فأرى الناس اجتمعوا إليه، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه، فبينما هم حوله مثل به بعيره^(١) على ظهر الكعبة، ثم صرخ بمثلها: ألا انفروا يا لغدر لمصارعكم في ثلاث! ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها، ثم أخذ صخرة فأرسلها، فأقبلت تهوي، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت^(٢) فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها منها فلقه!

قال العباس: والله إن هذه لرؤيا! وأنتِ فاكتميتها ولا تذكرها لأحد.

ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة بن ربيعة، وكان صديقاً، فذكرها له واستكتمه إياها، فذكرها الوليد لأبيه عتبة، ففشا الحديث بمكة حتى تحدثت به قريش في أنديتها.

قال العباس: فغدوت لأطوف بالبيت، وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة، فلما رأني أبو جهل قال: يا أبا الفضل، إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا. فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم فقال لي أبو جهل: يا بني عبد المطلب، متى حدثت فيكم هذه البنية؟ قلت وما ذاك؟ قال: تلك الرؤيا التي رأت عاتكة. فقلت: وما

(١) مثل به: قام.

(٢) ارفضت: تفرقت وتفتت.

رأت ؟ قال : يا بني عبد المطلب ، أما رضيتم أن يتبأ رجالكم حتى تتبأ نساؤكم ؟ قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال : انفروا في ثلاث . فستربص بكم هذه الثلاث ، فإن يك حقاً ما تقول فسيكون ، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب .

قال العباس : فوالله ما كان مني إليه من كبير ، إلا أني جحدت ذلك ، وأنكرت أن تكون رأيت شيئاً . ثم تفرقنا ، فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غير^(١) لشيء مما سمعت ! قلت : قد والله فعلت ، ما كان مني إليه من كبير ، وإيم الله لأتعرضن له ، فإن عاد لأكفينكنه .

فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مغضب ، أرى أني قد فاتني منه امرؤ أحب أن ادركه منه . فدخلت المسجد فرأيت ، فوالله إنني لأمشي نحوه أتعرضه ليعود لبعض ما قال فأقع به . وكان رجلاً خفيفاً حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر . إذ خرج نحو باب المسجد يشتد ، فقلت في نفسي : ما له لعنه الله ! أكل هذا فرق مني أن أشاتم ؟ وإذا هو قد سمع ما لم أسمع : صوت ضمضم بن عمرو الغفاري وهو يصرخ يبطن الوادي واقفاً على بعيره ، قد جدع بعيره^(٢) وحول رحله وشق قميصه ، وهو يقول : يا معشر قريش ، اللطيمة اللطيمة ! أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه ، لا أرى أن تُدركوها ! الغوث الغوث !

فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر .

فتجهز الناس سراعاً وقالوا : أيعظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي^(٣) . كلا والله ليعلمن غير ذلك ! فكانوا بين رجلين : إما خارج وإما باعث مكانه رجلاً . وأوعبت^(٤) قريش ، فلم يتخلف من أشرافها أحد ، إلا أن أبا هب بن عبد المطلب تخلف ، وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة ، وكان قد لاط له^(٥) بأربعة آلاف درهم كانت له عليه ، أفلس بها ، فاستأجره بها على أن يجزيه عنه .

وأن أمية بن خلف كان أجمع القعود ، وكان شيخاً جليلاً جسيماً ثقيلاً ، فأتاه عقبة بن

الله بن جحش . انظر ما سبق في صفحة ١٠٨ س ٢٢

(١) الغير : الغيرة .

(٢) أوعبت : خرجت كلها للغزو .

(٣) جدعه : قطع أنفه .

(٤) لاط له : احتبس وامتسك .

(٥) هو عمرو بن الحضرمي الذي قتل في سرية عبد

أبي مُعيطٍ، وهو جالسٌ في المسجد بين ظهراي قومه، بمجمرة يحملها فيها نار ومجمر (١) حتى وضعها بين يديه ثم قال: يا أبا علي، استجمر، فإنما أنت من النساء. قال: قبحك الله وقبح ما جئت به! ثم تجهز فخرج مع الناس.

ولما فرغوا من جهازهم وأجمعوا المسير ذكروا ما كان بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة من الحرب فقالوا: إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا. فكاد ذلك يشيهم، فتبدى لهم إبليس في صورة سُراقة بن مالك بن جُعشم المدلجي فقال لهم: أنا جارٌ لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيءٍ تكرهونه فخرجوا سراعاً.

وخرج رسول الله ﷺ في ليالٍ مضت من شهر رمضان، في أصحابه، واستعمل عمرو بن أم مكتوم على الصلاة بالناس ثم ردُّ أبا لُبابة من الرُّوحاء واستعمله على المدينة، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير، وكان أبيض. وكان أمام رسول الله ﷺ رايتان سوداوان، إحداهما مع علي بن أبي طالب، يقال لها العقاب، والأخرى مع بعض الأنصار.

وكانت إبل أصحاب رسول الله ﷺ يومئذ سبعين فاعتقبوها، فكان رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد الغنوي يعتقبون بعيراً. وكان حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأبو كبشة وأنسة موليا رسول الله ﷺ يعتقبون بعيراً. وكان أبو بكر وعمر وعبدالرحمن بن عوف يعتقبون بعيراً.

فسلك طريقه من المدينة إلى مكة على نقب المدينة، ثم على العقيق، ثم على ذي الحليفة، ثم على أولات الجيش. ثم مرَّ على تُرَبان ثم على ملل ثم غميس الحمام من مَريين. ثم على صخيرات اليمام، ثم على السَّيالة، ثم على فجِّ الرُّوحاء ثم على شُوكة. حتى إذا كان بعرق الظبية لقوا رجلاً من الأعراب فسألوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبراً، فقال له الناس: سلّم على رسول الله. قال: أو فيكم رسول الله؟ قالوا: نعم. فسلم عليه. ثم قال: إن كنت رسول الله فأخبرني عما في بطن ناقتي هذه. قال له سلمة بن سلامة بن وقش: لا تسأل رسول الله ﷺ وأقبل إليّ فانا أخبرك عن ذلك، نزوت عليها، ففي بطنها منك سَخلة (٢) ! فقال رسول الله ﷺ: مه، أفحشت على الرجل! ثم أعرض عن سلمة.

ونزل رسول الله ﷺ سَجَسَج، وهي بئر الروحاء، ثم ارتحل منها حتى إذا كان بالمنصرف ترك طريق مكة بيسار، وسلك ذات اليمين على النازية يريد بدرأ. فسلك في

(١) المجرم: العود يتخر به.

(٢) السخلة: الصغيرة من الضأن استعارها لولد الناقة.

ناحية منها حتى جزع وادياً يقال له رُحقان، بين النازية وبين مضيق الصفراء. ثم على المضيق، ثم انصب منه حتى إذا كان قريباً من الصفراء بعث بسبس بن عمرو الجهني وعدي بن أبي الزغباء الجهني إلى بدر يتحسّسان له الأخبار عن أبي سفيان بن حرب وغيره. ثم ارتحل رسول الله ﷺ وقد قدّمها.

وأناه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا غيرهم، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد^(١)، لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه. فقال له رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له به.

ثم قال رسول الله ﷺ: أشيروا علي أيها الناس، وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم عدد الناس، وأنهم حين بايعوه بالعقبة، قالوا: يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا. فكان رسول الله ﷺ يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصرة إلا من دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم. فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل. قال: فقد آمنا بك وصدقتك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة. فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسير بنا على بركة الله!

فسر رسول الله ﷺ بقول سعد، ونشطه ذلك، ثم قال: سيروا وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين^(٢)، والله لكأنني الآن أنظر إلى مصارع القوم!

ثم نزل رسول الله ﷺ قريباً من بدر، فركب هو ورجل من أصحابه^(٣) حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش، وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم، فقال الشيخ:

(١) برك الغماد: موضع باليمن.
(٢) الطائفة الأولى طائفة غير قريش ذات التجارة
والأخرى الطائفة التي استفرها أبو جهل، وكانوا
نوي شوكة وعدد.
(٣) هو أبو بكر الصديق، وفيها أبو سفيان وأبو عمرو بن العاص،

لا أخبركما حتى تخبراني من أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: إذا أخبرتنا أخبرناك؟ قال: أذاك بذاك؟ قال: نعم. قال الشيخ: فإنه بلغني أن عمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي به رسول الله ﷺ. وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي فيه قريش. فلما فرغ من خبره قال: ممن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: نحن من ماء! ثم انصرف عنه. يقول الشيخ: ما من ماء؟ أمن ماء العراق؟

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه، فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، في نفر من أصحابه، إلى ماء بدر يلتمسون الخبر عليه، فأصابوا راوية^(١) لقريش، فيها أسلم، غلام بني الحجاج، وعريض أبو يسار غلام بني العاص بن سعيد، فأتوا بهما فسألوهما ورسول الله ﷺ قائم يصلي. فقالا: نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء. فكره القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لأبي سفيان، فضربوهما، فلما أذلقوهما^(٢) قالا: نحن لأبي سفيان. فتركوهما، وركع رسول الله ﷺ وسجد سجديته، ثم سلم وقال: إذا صدقاكم ضربتموهما، وإذا كذباكم تركتموهما؟ صدقا والله إنهما لقريش! أخبرني عن قريش؟ قالا: هم والله وراء هذا الكئيب الذي ترى بالعدوة القصوى. فقال لهما رسول الله ﷺ: كم القوم؟ قالا: لا ندري. قال: كم ينحرون كل يوم؟ قالا: يوماً تسعاً ويوماً عشراً. فقال رسول الله ﷺ: القوم فيما بين التسعمائة والألف. ثم قال لهما: فمن فيهم من أشرف قريش؟ قالا: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو البختري بن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر بن نوفل، وطعيمة بن عدي بن نوفل، والنضر بن الحارث، وزمعة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وسهيل بن عمرو، وعمرو بن عبد ود، فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال: هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها^(٣)!

وكان بسبس بن عمرو، وعدي بن أبي الزغباء، قد مضيا حتى نزلا بدرأ، فأناخا إلى تل قريب من الماء، ثم أخذوا شناً^(٤) لهما يستقيان فيه، ومجدي بن عمرو الجهني على الماء، فسمع عدي وبسبس جاريتين من جوارى الحاضر^(٥) وهما يتلازمان^(٦) على الماء،

(١) الراوية: البعير يستقي عليه الماء. والمراد بها السقاة.
(٢) أذلقوهما: بالغوا في ضربهما حتى أجهدوهما.
(٣) جمع فلنة، وهي القطعة.
(٤) الشن: الزق البالي.
(٥) الحاضر: القوم النزول على الماء.
(٦) التلازم: أن يتعلق الغريم بغريمه.

والملزومة^(١) تقول لصاحبها: إنما تأتي العيرُ غداً أو بعد غدٍ فأعملُ لهم ثم أقضيك الذي لك، قال مجدي: صدقت. ثم خلصَ بينهما. وسمع ذلك عدي وبسبس فجلسا على بعيريهما ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ، فأخبراه بما سمعا.

وأقبل أبو سفيان بن حرب حتى تقدم العير حذراً حتى ورد الماء، فقال لمجدي بن عمرو: هل أحسستَ أحداً؟ قال: ما رأيت أحداً أنكره، إلا أني قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التلِّ، ثم استقيا في شئٍ لهما ثم انطلقا.

فأتى أبو سفيانُ مناخهما فأخذ من أبعاد بعيريهما ففثه فإذا فيه النوى. فقال: هذه والله علائف يثرب. فرجع إلى أصحابه سريعاً فضربَ وجهَ عيره عن الطريق فساحلَ بها، وترك بدرأً ببسارٍ، وانطلق حتى أسرع.

ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش: إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم، فقد نجَّها الله فارجعوا. فقال أبو جهل بن هشام: والله لا نرجع حتى نردَ بدرأً - وكان بدرٌ موسماً من مواسم العرب، يجتمع لهم به سوقٌ كلَّ عام - فنقيم عليه ثلاثاً، فننحر الجزر وننطعم الطعام، ونُسقي الخمر وتعزف علينا القيان^(٢)، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها، فامضوا.

ومضت قريشٌ حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي، وبعث الله السماء وكان الوادي دهساً^(٣)، فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه منها ما لبد لهم الأرض ولم يمنعهم عن السير، وأصاب قريشاً منها ما لم يقدرُوا على أن يرتحلوا معه. فخرج رسول الله ﷺ يبادرهم إلى الماء، حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به.

قال الحباب بن المنذر: يا رسول الله، أرأيتَ هذا المنزل، أمزلاً أنزلَكَ الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة. فقال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فننزله، ثم نغور^(٤) ما وراءه من القلب، ثم نبي عليه حوضاً فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ: لقد أشرتَ بالرأي. فنهض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس، فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه، ثم أمر بالقلب فغورت، وبني حوضاً على القلب الذي نزل عليه، فملء ماء، ثم قذفوا فيه الأنية.

(٣) الدهس: اللين لم يبلغ أن يكون رملاً.

(٤) التغوير: الدفن والطمس.

(١) الملزومة: المدينة، التي عليها الدين.

(٢) القيان: الجواري المغنيات.

وقال سعد بن معاذ: يا نبي الله، ألا نبني لك عريشاً تكون فيه، ونعبدُ عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا، كان ذلك ما أحببنا. وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشدُّ لك حُباً منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك بمنعك الله بهم، يناصحونك ويجاهدون معك.

فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له بخير ثم بني لرسول الله ﷺ عريش فكان فيه.

وقد ارتحلت قريش حين أصبحت، فأقبلت، فلما رآها رسول الله ﷺ تصوب^(١) من العنقل - وهو الكئيب الذي جاؤوا منه إلى الوادي - قال: اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها^(٢) وفخرها، تحادك وتكذب رسولاك اللهم فنصرك الذي وعدتني، اللهم أجنهم الغداة^(٣)!

فلما نزل الناس أقبل نفرٌ من قريش حتى وردوا حوض رسول الله ﷺ، فيهم حكيم بن حزام، فقال رسول الله ﷺ: دعوهم. فما شرب منه رجلٌ يومئذٍ إلا قُتل، إلا ما كان من حكيم بن حزام، فإنه لم يُقتل، ثم أسلم بعد ذلك فحسُن إسلامه، فكان إذا اجتهد في يمينه قال: لا والذي نجاني من يوم بدر!

ولما اطمأن القوم بعثوا عمير بن وهب الجمحي فقالوا: احزر^(٤) لنا أصحاب محمد. فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع إليهم فقال: ثلثمائة رجل، يزيدون قليلاً أو ينقصون، ولكن أمهلوني حتى أنظر ألقوم كمين أو مدد؟ فضرب في الوادي حتى أبعدهم فلم ير شيئاً، فرجع إليهم فقال: ما وجدت شيئاً، ولكني قد رأيت يا معشر قريش، البلياء^(٥) تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع^(٦)، قوم ليس معهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم، والله ما أرى أن يُقتل رجلٌ منهم حتى يُقتل رجلاً منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك! فرؤا رأيكم.

فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس، فأتى عتبة فقال: يا أبا الوليد، إنك كبير قريش وسيدها، والمطاع فيها، هل لك إلى ألا تزال تُذكر فيها بخير إلى آخر الدهر؟

(١) أي تنحدر.

(٢) الخيلاء: الكبر والاعجاب.

(٣) أجنهم: أهلكهم، حان: هلك.

(٤) احزر: أي قدر بالحدس والظن.

(٥) البلياء: جمع بلية، وهي الناقعة أو الدابة تربط إلى قبر الميت فلا تعلق ولا تسقى حتى تموت.

(٦) النواضح: الإبل يستقى عليها. الناقع: الثابت، البالغ في الإفناء.

قال: وما ذاك يا حكيم؟ قال: ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي^(١) قال: قد فعلت، أنت عليّ بذلك، إنما هو حلفي فعليّ عقله^(٢) وما أصيب من ماله، فأت ابن الحنظلية^(٣) فإني لا أخشى أن يشجر أمر الناس^(٤) غيره. ثم قام عتبة بن ربيعة خطيباً فقال: يا معشر قريش، إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه، قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته، فارجعوا وخلّوا بين محمد وسائر العرب: فإن أصابوه فذاك الذي أردتم، وإن كان غير ذلك ألكم ولم تعرضوا منه ما تريدون.

قال حكيم: فانطلقت حتى جئت أبا جهل فوجدته قد نث^(٥) درعاً له من جرابها فهو يهتها^(٦)، فقلت له: يا أبا الحكم، إن عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا للذي قال. فقال: انتفخ والله سخره^(٧) حين رأى محمداً وأصحابه، كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، وما بعتة ما قال، ولكنه قد رأى أن محمداً وأصحابه أكلت جزور^(٨) وفيهم ابنه، فقد تخوفكم عليه. ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي فقال: هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس، وقد رأيت نارك بعينك، فقم فانشد خفرتك^(٩) ومقتل أخيك.

فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثم صرخ: واعمره واعمره^(١٠)! فحميت الحرب، وحقب أمر الناس^(١١)، واستوسقوا^(١٢)، على ما هم عليه من الشر، وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة.

وقد خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي - وكان رجلاً شرساً سيء الخلق - فقال: أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه، فلما خرج، خرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فلما التقيا ضربه حمزة فاطن قدمه^(١٣) بنصف ساقه، وهو دون الحوض، فوقع على ظهره تشخب^(١٤) رجله دماً نحو أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه، يريد أن يبر يمينه. وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض.

- ١١٤ . (١) انظر ما مضى في سرية عبد الله بن جحش ص ١٠٨ .
(٢) العقل: الدية.
(٣) هو أبو جهل بن هشام. أمه من حنظلة بن مالك.
(٤) أي يخالف بينهم.
(٥) نث: أخرج.
(٦) يهتها: يطليها بعكر الزيت، ويروي: «يهتها».
(٧) السحر: الرقة. وهذا كناية عن الجبن.
(٨) أي قليلو العدد، وأكلة الجزور نحو المائة. انظر ص ١٠٨ .
(٩) أي أطلب من قريش الوفاء بخفرتهم لك، أي عهدهم، فقد كان جاراً لهم وحليفاً.
(١٠) يندب أخاه عمرو بن الحضرمي.
(١١) حقب: اشتد.
(١٢) استوسقوا: اجتمعوا.
(١٣) أطنها: أطارها.
(١٤) تشخب: تسيل بصوت.

ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة، بين أخيه شيبه وابنه الوليد بن عتبة، حتى إذا فصل من الصف دعا إلى المبارزة، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة، وهم عوف ومعاذ ابنا الحارث، ورجل آخر يقال هو عبدالله بن رواحة، فقالوا: من أنتم؟ فقالوا: رهط من الأنصار. قالوا: ما لنا بكم من حاجة. ثم نادى مناديتهم: يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا. فقال رسول الله ﷺ: قم يا عبيدة بن الحارث، وقم يا حمزة، وقم يا علي. فلما قاموا ودنوا منهم فقالوا: من أنتم؟ قال عبيدة: عبيدة. وقال حمزة: حمزة. وقال علي: علي. قالوا: نعم، أكفاء كرام. فبارز عبيدة - وكان أسن القوم - عتبة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبه بن ربيعة، وبارز علي الوليد بن عتبة. فأما حمزة فلم يمهل شيبه أن قتله، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين، كلاهما اثبت صاحبه^(١)، وكر حمزة وعلي بأسيا فها على عتبة فذقنا عليه^(٢) واحتملا صاحبهما إلى أصحابه.

ثم تراحف الناس ودنا بعضهم من بعض، وقد أمر رسول الله ﷺ أصحابه ألا يجملوا حتى يأمرهم، وقال: إن اكتفكم القوم فانضحوهم^(٣) عنكم بالنبل. ورسول الله ﷺ في العريش معه أبو بكر الصديق.

فكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من رمضان.

ثم عدل رسول الله ﷺ الصفوف ورجع إلى العريش، فدخله ومعه أبو بكر الصديق، ليس معه غيره، ورسول الله ﷺ يناشد ربه ما وعده من النصر، ويقول فيما يقول: اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد! وأبو بكر يقول: يا نبي الله، بعض مناشدتك ربك، فإن الله منجز لك ما وعدك.

وقد خفق رسول الله خفقة^(٤) وهو في العريش، ثم انتبه فقال: أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله! هذا جبريل أخذ بعنان فرس يقوده، على ثنياه النقع^(٥).

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرضهم وقال: والذي نفس محمد بيده، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة. فقال عمير بن الحمام، أخو بنو سلمة، وفي يده تمرات يأكلهن: بخ بخ^(٦)، أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء! ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه، فقاتل القوم حتى قتل.

(٤) أي نام نومة يسيرة.
(٥) النقع: الغبار.
(٦) كلمة تقال عند الإعجاب.

(١) أثبتته: جرحه جراحة لم يقم معها.
(٢) ذقق عليه: أجهز وأسرع.
(٣) انضحوهم: ارموهم.

ثم إن رسول الله ﷺ أخذ حَفْنَةً من الحصباء فاستقبل قريشاً بها، ثم قال: شأهت الوجوه! ثم نفحهم بها، وأمر أصحابه، فقال: شُدُّوا! فكانت الهزيمة. فقتل الله من قتل من صنديد قريش، وأسر من أسر من أشرافهم.

عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال لأصحابه يومئذ: إني عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البخترى بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله. ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله، فإنه إنما أخرج مُستكرهاً. فقال أبو حذيفة: أنقتل آباءنا واخوتنا وعشيرتنا ونترك العباس؟ والله لئن لقيته لألجمنه السيف^(١)! فبَلَّغْتُ رسول الله ﷺ فقال لعمر بن الخطاب: يا أبا حفص، أياضربُ وجه عمِّ رسول الله بالسيف؟ فقال عمر: يا رسول الله دعني فلاضربُ عنقه بالسيف، فوالله لقد ناقق! فكان أبو حذيفة يقول: ما أنا بآمنٍ من تلك الكلمة التي قلتُ يومئذٍ، ولا أزال منها خائفاً إلا أن تكفرها عني الشهادة! فقتل يوم اليمامة شهيداً.

ولم تقاتل الملائكة في يوم سوى بدرٍ من الأيام، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عدداً ومَدداً، لا يضربون.

فلما فرغ رسول الله ﷺ من عدوه أمر بأبي جهل أن يلتمس في القتلى. قال ابن مسعود: احتزرت رأسه ثم جثت به رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، هذا رأس عدوِّ الله أبي جهل. فقال رسول الله ﷺ: آله^(٢) الذي لا إله غيره! - قال: وكان يمين رسول الله ﷺ - قلت: نعم والله الذي لا إله غيره. ثم ألقيت رأسه بين يدي رسول الله ﷺ، فحمد الله.

ولما أمر رسول الله ﷺ أن يُطرحوا في القليب طُرحوا، إلا ما كان من أمية بن خلف، فإنه انتفخ في درعه فملاها، فذهبوا ليحركوه فتزائل^(٣) لحمه فأقروه، وألقوا عليه ما غييه من التراب والحجارة. فلما ألقاهم في القليب وقف رسول الله ﷺ فسمعه أصحابه من جوف الليل وهو يقول: يا أهل القليب، يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبه بن ربيعة، ويا أمية بن خلف، ويا أبا جهل - فعَدَّد من كان منهم في القليب - هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً؟ فقال المسلمون: يا رسول الله، أتنادي قوماً قد جئفوا؟

(١) أي لا يمكن منه السيف. ويروى: «الأجمنه» أي (٢) أي والله.
(٣) أي تساقط.

قال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني !

ثم إن رسول الله ﷺ أمر بما في العسكر، مما جمع الناس، فجمع، فاختلف المسلمون فيه، فقال من جمعه: هو لنا، وقال الذين كانوا يقاتلون العدو ويطلبونه: والله لولا نحن ما أصبتموه، لنحن شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ما أصبتم. وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ مخافة أن يخالف إليه العدو: والله ما أنتم بأحق منا. والله لقد رأينا أن نقتل العدو إذ منحنا الله تعالى اكتافه، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه، ولكننا نجفنا على رسول الله ﷺ كره العدو فقمنا دونه، فما أنتم بأحق به منا.

ثم بعث رسول الله ﷺ عند الفتح عبد الله بن رواحة بشيراً إلى أهل العالية بما فتح الله عز وجل على رسوله ﷺ وعلى المسلمين، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة، ثم أقبل قافلاً إلى المدينة ومعه الأسارى من المشركين، وفيهم عقبه بن أبي معيط، والنضر بن الحارث. واحتمل رسول الله ﷺ معه النفل الذي أصيب من المشركين، وجعل على النفل عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف.

ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى إذا خرج من مضيق الصفراء، نزل على كتيب بين المضيق وبين النازية، فقسم هنالك النفل الذي أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء.

ثم ارتحل رسول الله ﷺ حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهثونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين، فقال لهم سلمة بن سلامة: ما الذي تهثوننا به؟ فوالله إن لقينا إلا عجائز صُلماً كالإبل المعقلة فنحرناها! فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: أي ابن أخي، أولئك الملا!

حتى إذا كان رسول الله ﷺ بالصفراء قُتل النضر بن الحارث، قتله علي بن أبي طالب. ثم خرج حتى إذا كان بعرق الظبية قتل عقبه بن أبي معيط، فقال عقبه حين أمر رسول الله ﷺ بقتله: فمن للصبية يا محمد؟ قال: النار. فقتله عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري. ثم مضى رسول الله ﷺ حتى قدم المدينة قبل الأسارى بيوم، وحين أقبل بالأسارى فرّقهم بين أصحابه وقال: استوصوا بالأسارى خيراً.

وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحيسمان بن عبد الله.

وناحت قريش على قتلاهم ثم قالوا: لا تفعلوا فيبلغ محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم،

ولا تبعثوا في أسراكم حتى تستأنوا بهم^(١) لا يارب^(٢) عليكم محمد وأصحابه في الفداء .
 وكان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده : زمعة بن الأسود ، وعقيل بن الأسود ،
 والحارث بن زمعة ، وكان يحبُّ أن يبكي على بنيه ، فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل ،
 فقال لغلام له وقد ذهب بصره : انظر هل أجلُّ النُحب^(٣) ! هل بكت قريشٌ على قتلاها ؟
 لعلي أبكي على أبي حكيمة - يعني زمعة - فإن جوفي قد احترق ! فلما رجع إليه الغلام قال :
 إنما هي امرأة تبكي على بغير لها أضلته . فذلك حين يقول الأسود :

أتبكي أن يضل لها بغير	ويمنعها من النوم السهود
فلا تبكي على بكر ولكن	على بدرٍ تقاصرت الحدود ^(٤)
على بدرٍ سراة بني هضيب	ومخزوم ورهط أبي الوليد
وبكي إن بكيت على عقيل	وبكي حارثاً أسد الأسود
وبكيهم ولا تسمي جميعاً	وما لأبي حكيمة من نديد ^(٥)

ثم بعثت قريشٌ في فداء الأسارى . فقدم مكرز بن حفص في فداء سهيل بن عمرو ،
 فلما قاوهم فيه مكرز وانتهى إلى رضاهم قالوا : هات الذي لنا . قال : اجعلوا رجلي مكان
 رجله وخلوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه . فخلوا سبيل سهيل ، وحبسوا مكرزاً مكانه
 عندهم .

وكان عمر بن الخطاب قال لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، دعني أنزع ثنيتي
 سهيل بن عمرو ، ويدلج^(٦) لسأته فلا يقوم عليك خطيباً في موطنٍ أبداً . فقال رسول
 الله ﷺ : لا أمثل به فيمثل الله بي ، وإن كنت نبياً .

وقد كان في الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى : ختن رسول الله ﷺ
 وزوج ابنته زينب ، وكان الإسلام فرّق بين زينب حين أسلمت وبين أبي العاص بن الربيع ،
 إلا أن رسول الله ﷺ كان لا يقدر أن يفرق بينهما ، فأقامت معه على إسلامها وهو على
 شركه ، حتى هاجر رسول الله ﷺ ، فلما سارت قريشٌ إلى بدر سار فيهم أبو العاص بن
 الربيع ، فأصيب في الأسارى يوم بدر ، فكان بالمدينة عند رسول الله ﷺ .

ولما بعث أهل مكة في فداء أسرائهم ، بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي

(٤) البكر: الفقى من الإبل - وفي الشعر إقواء ظاهر .

(٥) لا تسمي : لا تسامي . النديد : المثيل .

(٦) يدلج : يخرج .

(١) أي تؤخروا فداءهم .

(٢) يارب : يشتد .

(٣) النحب : النحيب ، وهو رفع الصوت بالبكاء .

العاص بن الربيع بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها . فلما رآها رسول الله ﷺ رقى لها رقعة شديدة ، وقال : إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا . فقالوا : نعم يا رسول الله . فأطلقوه وردوا عليها الذي لها .

وأقام أبو العاص بمكة ، وأقامت عند رسول الله ﷺ بالمدينة حتى فرق بينهما الإسلام حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام ، وكان رجلاً مأموناً ، بمال له وأموال لرجال من قريش ، أبضعوها معه ، فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلاً لقيته سرية لرسول الله ﷺ فأصابوا ما معه ، وأعجزهم هارباً . فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله ، أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله ﷺ فاستجار بها فأجارته ، وجاء في طلب ماله ، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى الصبح فكبر وكبر الناس معه ، صرخت زينب من صفة النساء^(١) : أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع . فلما سلم رسول الله ﷺ من الصلاة أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس ، هل سمعتم ما سمعت ؟ قالوا : نعم . قال : أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء من ذلك حتى سمعت ما سمعت ، إنه يجير على المسلمين أديانهم . ثم انصرف رسول الله ﷺ فدخل على ابنته فقال : أي بنية ، أكرمي مثواه ، ولا يخلصن إليك ، فإنك لا تحلين له .

عن عبد الله بن أبي بكر ، أن رسول الله ﷺ بعث إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاص فقال لهم : إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم وقد أصبتم له مالاً ، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذي له فإننا نحب ذلك ، وإن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم ، فأنتم أحق به . فقالوا : يا رسول الله ، بل نرده عليه . فردوه عليه حتى إن الرجل ليأتي بالدلو ، ويأتي الرجل بالشنّة^(٢) وبالإداوة^(٣) حتى إن أحدهم ليأتي بالشظاظ^(٤) ، حتى ردوا عليه ماله بأسره لا يفقد منه شيئاً . ثم احتمل إلى مكة فأدى إلى كل ذي مال من قريش ماله ، ومن كان أبضع معه . ثم قال : يا معشر قريش ، هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه ؟ قالوا : لا ، فجزاك الله خيراً ، فقد وجدناك وفياً كريماً . قال : فأننا أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ! والله ما منعتني من الإسلام عنده إلا تخوف أن تظنوا أنني إنما أردت أن آكل

(١) الصفة : السقيفة .

(٣) الإداوة : وعاء من الجلد صغير .

(٢) الشنة : السقاء البالي .

(٤) الشظاظ : خشبة تدخل في عروقي الجوالق .

اموالكم، فلما أذاها الله إليكم وفرغت منها أسلمت .

ثم خرج حتى قدم على رسول الله .

وكان ممن سُمي لنا من الأسارى ممن مَنُّ عليه بغير فداء أبو العاص بن الربيع والمطلب بن حنطب، وصيفي بن أبي رفاعة، وأبو عزة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن أهيب بن حذافة بن جُمح، كان محتاجاً ذا بنات، فكلم رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، لقد عرفت مالي من مال، وإني لذو حاجة وذو عيال فامنن عليّ. فمن عليه رسول الله ﷺ وأخذ عليه ألا يظاهر عليه أحداً فقال أبو عزة في ذلك يمدح رسول الله ﷺ ويذكر فضله في قومه :

بأنك حق والمليك حميد	مَنْ مُبْلَغُ عَنِّي الرَّسُولَ مُحَمَّدًا
عليك من الله العظيم شهود	وَأَنْتَ أَمْرٌ تَدْعُو إِلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى
لها درجات سهلة وصعود ^(١)	وَأَنْتَ أَمْرٌ بُوِّتَتْ فِيْنَا مَبَاءة
شقي ومَنْ سَأَلْتَهُ لَسَعِيدٌ	فَإِنَّكَ مِنْ حَارِبَتِهِ لِمَحَارِبٌ

وكان فداء المشركين يومئذ أربعة آلاف درهم للرجل إلى ألف درهم، إلا من لا شيء له. فمن رسول الله ﷺ عليه .

وجميع من شهد بدرًا من المهاجرين ومن ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره ثلاثة وثمانون رجلاً. وجميع من شهد بدرًا من الأوس مع رسول الله ﷺ ومن ضرب له بسهمه وأجره واحد وستون رجلاً. وجميع من شهد بدرًا من الخزرج مائة وسبعون رجلاً.

فجميع من شهد بدرًا من المسلمين من المهاجرين والأنصار، من شهدها منهم ومن ضرب له بسهمه وأجره ثلثمائة رجل وأربعة عشر رجلاً.

غزوة بني سليم بالكدر

فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة لم يقم بها إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بني سليم^(٢) فبلغ ماءً من مياههم يقال له «الكدر»، فأقام عليه ثلاث ليال ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً، فأقام بها بقية شوال وذا القعدة، وأفدى في إقامته تلك جُلَّ الأسارى من قريش.

(١) أي أنزلت فينا منزلة عظيمة .

(٢) واستعمل على المدينة حيثئذ سباع بن عرفطة الغفاري، وقيل: ابن أم كلثوم.

غزوة السوق

ثم غزا أبو سفيان بن حرب غزوة السوق^(١) في ذي الحجة، وولى تلك الحجة المشركون من تلك السنة، فكان أبو سفيان حين رجع إلى مكة ورجع فل^(٢) قريش من بدر، نذر ألا يمسه رأسه ماء من جنابة^(٣) حتى يغزو محمداً ﷺ، فخرج في مائتي راكب من قريش ليبراً بيمينه، فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له «ثيب» من المدينة على بريد أو نحوه، ثم خرج من الليل حتى أتى بني النضير تحت الليل، فأتى حَيَّ بن أخطب فضرب عليه بابَه، فأبى أن يفتح عليه بابَه وخافه، فانصرف إلى سلام بن مشكم، وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك وصاحب كتهم^(٤) فاستأذن فأذن له فقراه^(٥) وسقاه، وبطن له من خبر الناس^(٦). ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه، فبعث رجالاً من قريش إلى المدينة، فأتوا ناحية منها يقال لها العريضة، فحرقوا في أصوار^(٧) من نخل بها، ووجدوا بها رجلاً من الأنصار وحليفاً له في حرث لها، فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين، ونذروا^(٨) بهم الناس، فخرج رسول الله ﷺ في طلبهم، واستعمل على المدينة بشير بن عبد المنذر، حتى بلغ «قرقرة الكدر»، ثم انصرف راجعاً وقد فاته أبو سفيان وأصحابه، وقد رأوا أزواداً من أزواد القوم قد طرحوها في الحرث، يتخفون منها للنجاء، فقال المسلمون حين رجع بهم رسول الله ﷺ: يا رسول الله، أتطمع لنا أن تكون غزوة؟ قال: نعم.

غزوة ذي أمر

فلما رجع رسول الله ﷺ من غزوة السوق أقام بالمدينة بقية ذي الحجة أو قريباً منها، ثم غزا نجداً، يريد غطفان، وهي غزوة ذي أمر^(٩). فأقام بنجد صفراً كله أو قريباً من ذلك، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً فلبث بها شهر ربيع الأول كله، أو إلاً قليلاً منه.

(٤) يراد بالكثرة ما كانوا يجمعونه من مال بينهم، لنوابهم وما يعرض لهم.

(٥) قراه: أطعمه القرى، وهو طعام الضيف.

(٦) بطن له من خبرهم: أعلمه سرهم.

(٧) جمع صور، بالفتح، وهو جماعة النخل.

(٨) نذروا بهم: علموا بهم.

(٩) واستعمل على المدينة عثمان بن عفان.

(١) سميت بذلك لأن أكثر ما طرح القوم من أزوادهم فيها السوق، فهجم المسلمون على كثير منه.

والسويق: مطحون الحنطة أو الشعير، ويؤكل ممزوجاً باللبن والعسل والسمن، أو بللاء.

(٢) الفل: المنهزمون.

(٣) كان الغسل من الجنابة معمولاً به في الجاهلية، كالحج والنكاح.

غزوة الفرع من بحران

ثم غزا رسول الله ﷺ يريد قريشاً^(١) حتى بلغ بحران : معدناً بالحجاز من ناحية الفرع، فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادي الأولى، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً.

أمر بني قينقاع

كان من أمر بني قينقاع^(٢) أن امرأة من العرب قدمت بجلب^(٣) لها فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها، فضحكوا بها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله - وكان يهودياً - وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فغضب المسلمون، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع.

وكان بنو قينقاع أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ، فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه، فقام إليه عبد الله بن أبي بن سلول حين أمكنه الله منهم، فقال: يا محمد، أحسن في موالي! فأبطأ عليه رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، أحسن في موالي! فأعرض عنه، فأدخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ، فقال له: أرسلني! وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه ظللاً^(٤)، ثم قال: وبحك أرسلني. قال: لا، والله، لا أرسلك حتى تحسن في موالي: أربعمئة حاسر وثلاثمئة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود^(٥) تحصدهم في غداة واحدة! إني والله امرؤ أخشى الدوائر. فقال رسول الله ﷺ: هم لك.

ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ، وكان لهم من جلفه مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي، فخلعهم إلى رسول الله ﷺ، وتبرأ إلى الله عز وجل وإلى رسول الله ﷺ من جلفهم، وقال: يا رسول الله، أتولى الله ورسوله ﷺ والمؤمنين وأبرأ من جلف هؤلاء الكفار وولايتهم.

ففيه وفي عبد الله بن أبي نزلت هذه القصة من المائدة: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخلوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض، ومن يترلهم منكم فإنه منهم، إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن

(١) واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم.
(٢) بفتح القاف وتثنية النون، شعب من اليهود.
(٣) الجلب، بالتحريك: ما يجلب للأسواق ليباع فيها.
(٤) جمع ظلة، وأصلها السحابة، عني بذلك تغير الوجه إلى السواد حين يشتد الغضب.
(٥) أي العجم والعرب.

تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ * وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴿ ثُمَّ الْقِصَّةُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ . وَذَكَرَ لَتَوَلَّى عِبَادَةَ بَنِ الصَّامِتِ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ، وَتَبَرَّيَهُ مِنْ بَنِي قَيْنِقَاعٍ وَحَلَفَهُمْ وَوَلَايَتَهُمْ : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ .

سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ إِلَى الْقَرْدَةِ مِنْ مِائَةِ نَجْدٍ

وَكَانَ مِنْ حَدِيثِهَا أَنَّ قَرِيشًا خَافُوا طَرِيقَهُمُ الَّذِينَ كَانُوا يَسْلُكُونَ إِلَى الشَّامِ حِينَ كَانَ مِنْ وَقْعَةِ بَدْرٍ مَا كَانَ ، فَسَلَكُوا طَرِيقَ الْعِرَاقِ ، فَخَرَجَ مِنْهُمْ تِجَارٌ فِيهِمْ أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، وَمَعَهُ فَضَّةٌ كَثِيرَةٌ ، وَهِيَ عَظْمُ تِجَارَتِهِمْ ، وَاسْتَأْجَرُوا رَجُلًا مِنْ بَنِي بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ يُقَالُ لَهُ قُرَاتُ بْنُ حَيَانَ ، يَدُلُّهُمْ عَلَى ذَلِكَ الطَّرِيقِ .

وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ فَلَقِيَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْمَاءِ ، فَأَصَابَ تِلْكَ الْعِيرَ وَمَا فِيهَا ، وَأَعْجَزَهُ الرِّجَالُ ، فَقَدَّمَ بِهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

غَزْوَةُ أَحَدَ

لَمَّا أَصِيبَ يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ كَفَّارِ قَرِيشٍ أَصْحَابُ الْقَلِيبِ ، وَرَجَعَ فَلَهُمْ إِلَى مَكَّةَ ، وَرَجَعَ أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ بِعَيْرِهِ ، مَشَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَعِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ ، وَصَفْوَانَ بْنِ أُمِيَّةَ ، فِي رِجَالٍ مِنْ قَرِيشٍ ، مِمَّنْ أَصِيبَ آبَاؤُهُمْ وَأَبْنَاؤُهُمْ وَإِخْوَانُهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَكَلَّمُوا أَبَا سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ فِي تِلْكَ الْعِيرِ مِنْ قَرِيشٍ تِجَارَةٌ فَقَالُوا : يَا مَعْشَرَ قَرِيشٍ ، إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ وَتَرَكَمُ وَقَتَلَ خِيَارَكُمْ ، فَأَعِينُونَا بِهَذَا الْمَالِ عَلَى حَرْبِهِ ، فَلَعَلْنَا نَدْرُكُ مِنْهُ نَارَنَا بِمَنْ أَصَابَ مِنَّا . ففعلوا .

فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير بأحابيشها^(١) ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة وخرجوا معهم بالظعن^(٢) إلتماس الحفيظة، وألا يفروا. فخرج أبو سفيان بن حرب، وهو قائد الناس، بهند بنت عتبة، وخرج عكرمة بن أبي جهل بأم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة، وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة، وخرج صفوان بن أمية ببرزة بنت مسعود

(١) الأحابيش: من اجتمع إلى العرب وانضم إليهم من (٢) جمع ظعنة، وهي المرأة.

غيرهم.

الثقفة وخرج عمرو بن العاص بربيعة بنت منبه بن الحجاج.

فأقبلوا حتى نزلوا بعينين، بجبل بطن السبخة، من قناة على شفير الوادي مقابل المدينة. فلما سمع بهم رسول الله ﷺ والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا، قال رسول الله ﷺ للمسلمين: إني قد رأيت والله خيراً، رأيت بقرأ لي تذبج، ورأيت في ذباب^(١) سيفي ثلماً، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة^(٢)، فأولتها المدينة. فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بشرّ مقام، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها! وكان رأي عبد الله بن أبي بن سلول مع رأي رسول الله ﷺ، يرى رأيه في ذلك وألا يخرج إليهم، وكان رسول الله ﷺ يكره الخروج، فقال رجال من المسلمين، ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيره، ممن كان فاته بدر: يا رسول الله، اخرج بنا إلى أعدائنا، لا يرون أنا جبننا عنهم وضعفنا! فقال عبد الله بن أبي بن سلول: يا رسول الله، أقم بالمدينة لا تخرج إليهم، فوالله ما خرجنا منها إلى عدونا قط إلا أصاب منا، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه، فدعهم يا رسول الله، فإن أقاموا أقاموا بشرّ محبس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجههم، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤوا. فلم يزل الناس برسول الله ﷺ، الذين كان من أمرهم حب لقاء القوم، حتى دخل رسول الله ﷺ بيته، فلبس لأمته^(٣)، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة، وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له مالك بن عمرو، فصلّى عليه رسول الله ﷺ ثم خرج عليهم، وقد ندم الناس وقالوا استكرهنا رسول الله ﷺ، ولم يكن لنا ذلك. فلما خرج عليهم رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله، استكرهناك ولم يكن ذلك لنا، فإن شئت فاقعد صلي الله عليك. فقال رسول الله: «ما ينبغي لني إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل». فخرج رسول الله ﷺ في ألف من أصحابه، حتى إذا كانوا بالشوط، بين المدينة وأحد، انخزل عنه عبد الله بن أبي بن سلول بثلاث الناس، وقال: أطاعهم وعصاني، ما ندري علام نقتل أنفسنا هنا أيها الناس!

فرجع بمن أتبعه من أهل النفاق والرّيب، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام يقول: يا قوم، أذكركم الله ألا تتخذوا قومكم ونببيكم عندما حضر من عدوهم. فقالوا: لو نعلم

(١) ذباب السيف: حده.

أهل بيتي يقتل». (٣) الأمة: الدرع، وقيل: السلاح.

(٢) قال ﷺ: «أما البقر فهي ناس من أصحابي يقتلون. وأما الثلم الذي رأيت في ذباب سيفي فهو رجل من

أنكم تقاتلون لما أسلمناكم، ولكننا لا نرى أنه يكون قتال. فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الإنصراف عنهم قال: أبعذكم الله أعداء الله، فسيغني الله عنكم نبيه.

وقال الأنصار يوم أحد: يا رسول الله، ألا نستعين بحلفائنا من يهود؟ فقال: لا حاجة لنا فيهم.

ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشعب من أحد في غُدوة الوادي إلى الجبل، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد، وقال لا يقاتلن أحد منكم حتى نأمره بالقتال. وقد سرخت قريش الظهر والكراع^(١) في زروع كانت بالصنفة^(٢) من «قناة» للمسلمين، فقال رجل من الأنصار حين نهي رسول الله ﷺ عن القتال: اترعى زروع بني قيلة^(٣) ولما نُضارب!

وتعنى رسول الله ﷺ وهو في سبعمائة رجل، وأمر على الرماة عبد الله بن جبير، وهو معلّم يومئذ بثياب بيض، والرماة خمسون رجلاً، فقال: انضح الخيل عتاً بالنبل^(٤)، لا يأتونا من خلفنا، إن كانت لنا أو علينا، فاثبت علينا لا نؤتين من قبلك. وظاهر رسول الله ﷺ بين درعين^(٥) ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير، أخي بني عبد الدار.

وأجاز رسول الله ﷺ يومئذ سمرة بن جندب، ورافع بن خديج أخا بني حارثة، وهما ابنا خمس عشرة سنة، وكان قد ردّهما، ف قيل له: يا رسول الله، إن رافعاً رام. فأجازه. فلما أجاز رافعاً قيل له: يا رسول الله، فإن سمرة يصرع رافعاً. فأجازه. وردّ رسول الله ﷺ أسامة بن زيد، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت، والبراء بن عازب، وعمرو بن حزم، وأسيد بن ظهير، ثم أجازهم يوم الخندق وهم أبناء خمس عشرة سنة.

وتعبات قريش، وهم ثلاثة آلاف رجل، ومعهم مائتا فرسٍ قد جنّبوها، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل.

وقال رسول الله ﷺ: مَنْ يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام إليه رجالٌ فأمسكه عنهم، حتى قام إليه أبو دجانة سِماك بن خرّشة فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: أن تضرب به العدو حتى ينحني. قال: أنا آخذه يا رسول الله بحقه. فأعطاه إياه. وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يمتثل عند الحرب إذا كانت، وكان إذا أُعْلِمَ بعصاية له حمراء فاعتصب بها علم الناس أنه سيقاتل. فلما أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ أخرجَ عصابته تلك فعصّب بها

(٤) انضحهم: ادفهم.

(٥) ظاهر بينهما: لبس إحداهما فوق الأخرى.

(١) الظهر: الإبل، والكراع: الخيل.

(٢) الصنفة: أرض قرب أحد.

(٣) هم الأوس والخزرج، وقيلة أمهم.

رأسه، وجعل يتبخر بين الصفيين، فقال رسول الله ﷺ حين رأى أبا دُجانة: إنها لمشيئة يُغضها الله إلا في مثل هذا الموطن.

وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم بذلك على القتال: يا بني عبد الدار، إنكم قد وليتم لواءنا يوم بدر، فأصابنا ما قد رأيتم، وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم، إذا زالت زالوا، فإمّا أن تكفونا لواءنا وإما أن تخلّوا بيننا وبينه فنكفيكموه. فهُمُّوا به فتواعدوه، وقالوا: نحن نُسلم إليك لواءنا، ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع! وذلك أراد أبو سفيان.

فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضنهم، فقالت هند فيما تقول:
ويهاً بني عبد الدار ويهاً حماة الأدبار^(١)
ضرباً بكل بتار^(٢)

وتقول:

إن تُقبلوا نعانق ونفرش النمارق^(٣)
أو تدبروا نفارق فراق غير وامق^(٤)

وكان شعار^(٥) أصحاب رسول الله ﷺ يوم أحد: أمّ أمّ!

فاقتل الناس حتى حميت الحرب، وقاتل أبو دُجانة حتى أمعن في الناس، فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله وكان في المشركين رجل لا يدع لنا جريحاً إلا ذفق عليه^(٦)، فجعل كل واحدٍ منها يدنو من صاحبه، فدعوتُ الله أن يجمعَ بينهما، فالتقيا فاختلفا ضربتين، فضرب المشرك أبا دُجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه، وضربه أبو دُجانة فقتله، ثم رأته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة، ثم عدل السيف عنها^(٧).

وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطاة بن عبد شريحيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء، ثم مرّ به سباع بن عبد العزى

(١) حماة الأدبار: الذين يحمون أعقابهم.

(٢) البتار: السيف القطاع.

(٣) النمرقة: الوسادة.

(٤) الوامق: المحب.

(٥) الشعار: علامة يتنادون بها في الحرب، ليعرف

بعضهم بعضاً.

(٦) ذفق عليه: أجهز عليه.

(٧) قال أبو دُجانة: رأيت إنساناً يحمش الناس خشاً شديداً،

فصمّلت له، فلما حملت عليه السيف ولول، فلذا امرأة،

فاكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة.

الغُبْشَانِي، وكان يكنى بأبي نيار، فقال له حمزة: هلمَّ إليَّ يا ابنَ مقطَّعة البُظور! وكانت أمه ختانة بمكة.

قال وحشيُّ غلام جبير بن مُطِيع: واللَّه إنِّي لانتظرُ إلى حمزة يَهْدُ^(١) النَّاسَ بسيفه ما يُلِيقُ^(٢) به شيئاً، مثلَ الجمل الأورق^(٣)، إذ تقدَّمني إليه سباع بن عبد العزى، فقال له حمزة: هلمَّ إليَّ يا ابنَ مقطَّعة البظور! فضربه ضربة فكان ما أخطأ رأسه، وهزرتُ حربتي حتى إذا رضيتُ منها دفعتها عليه، فوقعت في نُتته^(٤) حتى خرجتُ من بين رجله، فأقبل نحوي فغلب فوقع، وأمهلته حتى إذا مات جئت فأخذتُ حربتي، ثم تنحيت إلى العسكر، ولم تكن لي بشيء حاجةً غيره، وإنما قتلته لأعتق، فلما قدمت مكة أعتقت، ثم أقيمتُ حتى إذا افتتح رسولُ الله ﷺ مكة هربت إلى الطائف فمكثت بها، فلما خرج وفدُ الطائف إلى رسول الله ﷺ ليسلموا تعيَّت عليَّ المذاهب، فقلت: ألحق بالشام، أو اليمن، أو ببعض البلاد فوالله إنِّي لفي ذلك من همِّي إذ قال لي رجل: ويحك! إنه والله ما يقتل أحداً من الناس دخل في دينه، وتشهد شهادته. فلما قال لي ذلك خرجتُ حتى قدمت على رسول الله ﷺ المدينة، فلم يرعه إلا بي قائماً على رأسه أتشهد بشهادة الحق فلما رأي قال: أوحشي؟ قلت: نعم، يا رسول الله. قال: أقعد فحدثني كيف قتلت حمزة؟ فلما فرغت من حديثي قال: ويحك! غيب عني وجهك فلا أرينك! فكنتُ أتكذب عن رسول الله ﷺ حيث كان، لثلا يراني حتى قبضه الله ﷺ.

وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله ﷺ حتى قتل، وكان الذي قتله ابن قمئة الليثي، وهو يظن أنه رسول الله ﷺ، فرجع إلى قريش فقال: قتلتُ عمداً! فلما قُتل مصعب أعطى رسول الله ﷺ اللواءَ عليَّ بن أبي طالب، وقاتل عليُّ بن أبي طالب ورجالُ من المسلمين.

ولما اشتدَّ القتال يوم أحد، جلس رسول الله ﷺ تحت راية الأنصار، وأرسل رسول الله ﷺ إلى علي بن أبي طالب: أن قدَّم الراية. فتقدم عليُّ فقال: أنا أبو القُصم^(٥)! فناداه أبو سعد بن أبي طلحة، وهو صاحب لواء المشركين: أن هل لك يا أبا القُصم في البراز من حاجة؟ قال: نعم. فبرز بين الصَّفين فاختلفا ضربتين، فضربه عليُّ فصرعه، ثم انصرف

(١) يهد: يسرع في قطع لحومهم بسيفه. وروي «هد» (٤) الثنة: ما بين أسفل البطن إلى العانة.

(٢) ما يُلِيقُ: ومعناها يرددهم ويهلكهم.

(٣) الأورق: ما لونه إلى الغيرة.

(٤) ما يُلِيقُ: ما يقي.

(٥) القُصم: الدواهي، وأحدثها قصى. وإنما قال ذلك رداً على قول أبي سعد: أنا قاصم من يبارزني!

عنه ولم يجهز عليه، فقال له أصحابه: أفلا أجهزت عليه؟ قال: إنه استقبلني بعورته فعظفتني عنه الرحم، وعرفت أن الله عز وجل قد قتله.

وقاتل عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، فقتل مسافع بن طلحة وأخاه الجلاس بن طلحة، كلاهما يُشعره سهماً^(١)، فيأتي أمه سُلَافَة، فيضع رأسه في حجرها فتقول: يا بني، من أصابك؟ فيقول: سمعت رجلاً حين رماني وهو يقول: خذها وأنا ابن أبي الأقلح. فنذرت إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر.

والتقى حنظلة بن أبي عامر الغسيل وأبو سفيان، فلما استعلاه حنظلة بن أبي عامر رآه شذاد بن الأسود - وهو ابن شعوب - قد علا أبا سفيان، فضربه شذاد فقتله بمسقال رسول الله ﷺ: إن صاحبكم - يعني حنظلة - لتفسله الملائكة. فسألوا أهله: ما شأنه؟ فسئلت صاحبه عنه فقالت: خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة.

ثم أنزل الله نصره على المسلمين وصدقهم وعده، فحسّوهم بالسيف^(٢)، حتى كشفوهم عن العسكر، وكانت الهزيمة لا شك فيها.

قال الزبير: والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها، مشمّرات هوارب، ما دون أخذهن قليل ولا كثير، إذ مالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه، وخلّوا ظهورنا للخيل، فأتينا من خلفنا، وصرخ صارخ: ألا إن محمداً قد قُتل! فانكفأنا^(٣) وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم، ولم يزل صريعاً حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعت له قریش، فلاثوا به^(٤).

وانكشف المسلمون فأصاب فيهم العدو، وكان يوم بلاء وتمحيص، أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة حتى خلص إلى رسول الله ﷺ، فرث^(٥) بالحجارة حتى وقع لشقه^(٦)، فأصابت رباعيته^(٧)، وشج^(٨) في وجهه، وكلمت^(٩) شفته، وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص. فجعل الدم يسيل على وجهه، وجعل يمسح الدم وهو يقول: «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم!»، فأنزل الله عز وجل في ذلك: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

(١) أشعره السهم: أصابه به في جسده فصار له

كالشعار.

(٢) حسوهم: قتلوهم واستأصلوهم.

(٣) انكفأنا: رجعنا.

(٤) لاثوا به: اجتمعوا من حوله والتفوا.

(٥) رث: أصيب.

(٦) الشق: الجانب.

(٧) الرباعية، كثمانية: السن المجاورة للثاب.

(٨) الشج: الجرح في الوجه والرأس.

(٩) كلمت: جرحت.

وعن أبي سعيد الخدري، أن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله ﷺ يومئذ فكسر رباعيته اليمنى السفلى، وجرح شفته السفلى، وأن عبد الله بن شهاب الزهري شجّه في جبهته، وأن ابن قمئة جرح وجنته^(١)، فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته، ووقع رسول الله ﷺ في حفرة من الحفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون، وهم لا يعلمون، فأخذ علي بن أبي طالب بيد رسول الله ﷺ، ورفع طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً. ومص مالك بن سنان، أبو أبي سعيد الخدري، الدم عن وجه رسول الله ﷺ، ثم ازدرده، فقال رسول الله ﷺ، مَنْ مَسَّ دَمِي دَمَهُ لَمْ تُصِبْهُ النَّارُ.

وقال رسول الله ﷺ حين غشيه القوم: مَنْ رَجُلٌ يَشْتَرِي لَنَا نَفْسَهُ؟ فقام زياد بن السكّن في نفر خمسة من الأنصار، فقاتلوا دون رسول الله ﷺ رجلاً ثم رجلاً، يُقتلون دونه، حتى كان آخرهم زياد، أو عمارة بن يزيد بن السكّن، فقاتل حتى أثبتته الجراحة، ثم فاءت فئة^(٢) من المسلمين، فأجهضوهم عنه^(٣)، فقال رسول الله ﷺ: أدنوه مني. فأدنوه منه، فوسّده قدمه فمات وخدّه على قدم رسول الله ﷺ.

وترس دون رسول الله ﷺ أبو دجانة بنفسه، يقع النبل في ظهره وهو منحني عليه، حتى كثُر فيه النبل. ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله ﷺ. قال سعد: فلقد رأيتُه يناولني النبل، وهو يقول: ارم، فإدراك أبي وأمي! حتى إنّه ليناولني السهم ماله نصل، فيقول: ارم به.

وكان أول من عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة، وقول الناس: قُتِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كعب بن مالك، قال: عرفت عينيه تزهران^(٤) من تحت المغفر، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين، أبشروا، هذا رسول الله ﷺ! فأشار إلي رسول الله ﷺ: أن أنصت.

فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به، ونهض معهم نحو الشعب، معه أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام - رضوان الله عليهم - والحارث بن الصمة، ورهط من المسلمين.

فلما أسند رسول الله ﷺ في الشعب أدركه أبي بن خلف، وهو يقول: أي عمّد، لا نجوت إن نجوت! فقال القوم: يا رسول الله، أيعطف عليه رجل منا؟ فقال رسول الله ﷺ: دَعُوهُ فَلَمَّا دَنَا تَنَاوَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَرْبَةَ مِنْ الْحَارِثِ بْنِ الصَّمَّةِ فَلَمَّا تَنَاوَلَ رَسُولُ

(٣) اجهضوهم: أزالوهم وغلبوهم.

(٤) تزهران: تلمعان.

(١) الوجنة: أعلى الخد.

(٢) الفئة: الجماعة.

اللَّهُ ﷺ الحربة من الحارث ابن الصُّمَّة، يقول بعض القوم فيما ذكر لي: فلما أخذها رسول الله ﷺ منه انتفض بها انتفاضةً تطايرنا عنه تطاير الشُّعراء^(١) عن ظهر البعير إذا انتفض بها. ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنةً تدأداً^(٢) منها عن فرسه مراراً.

وكان أبي بن خلف يلقى رسول الله ﷺ بمكة فيقول: يا محمد، إن عندي العوذ^(٣): فرساً، أعلفه كل يوم فرقاً^(٤) من ذرة، أقتلك عليه. فيقول رسول الله ﷺ: بل أنا أقتلك إن شاء الله. فلما رجع إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير، فاحتقن الدم، قال: قتلني والله محمد! قالوا له: ذهب والله فؤادك! والله إن بك من بأس. قال: إنه قد كان قال لي بمكة: أنا أقتلك، فوالله لو بصق علي لقتلني.

فمات عدو الله بسرف^(٥) وهم قافلون به إلى مكة.

فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى فم الشعب خرج علي بن أبي طالب حتى ملأ درفته^(٦) ماءً من المهراس^(٧)، فجاء به إلى رسول الله ﷺ ليشرب منه، فوجد له ريحاً، فعافه فلم يشرب منه، وغسل عن وجهه الدم، وصب على رأسه وهو يقول: اشتد غضب الله على من دمی وجه نبيه.

ونفض رسول الله ﷺ إلى صخرة من الجبل ليعلوها، وقد كان بدن^(٨) رسول الله ﷺ، وظاهر بين درعين، فلما ذهب لينفض ﷺ لم يستطع، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنفض به حتى استوى عليها، فقال رسول الله ﷺ يومئذ: أوجب طلحة^(٩)! حين صنع برسول الله ﷺ ما صنع.

وكان ممن قُتل يوم أحد مخيريق، وكان أحد بني ثعلبة بن الفطيمون، لما كان يوم أحد قال: يا معشر يهود، والله لقد علمتم إن نصر محمد عليكم لحق. قالوا: إن اليوم يوم السبت. قال: لا سبت لكم. فأخذ سيفه وعُدته، وقال: إن أصبت فما لي لمحمد يصنع فيه ما شاء. ثم غدا إلى رسول الله ﷺ فقاتل معه حتى قُتل، فقال رسول الله ﷺ: مخيريق خير يهود.

وكان أبو هريرة يقول: حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يصل قط؟ فإذا لم يعرفه

(١) الشعراء: ذباب له لدغ.

مكة.

(٢) تدأداً: تدرج.

(٣) العوذ: اسم فرسه.

(٤) الدرقة: ترس من جلود.

(٥) الفرق: بالفتح والتحريك: مكيال يسع اثني عشر

(٦) المهراس: ماء بأحد، أو حجر ينقر ويجعل إلى جانب

البر ويودع فيه الماء.

رطلاً.

(٧) بدن: أسن وضعف.

(٨) سرف، بفتح فكسر: موضع على ستة أميال من

(٩) أي وجبت له الجنة.

الناس سألوه: من هو؟ فيقول: أصيرم بنى عبد الأشهل، عمرو بن ثابت بن وقش.

قام الحصين بن عبد الرحمن: فقلت لمحمود بن أسد: كيف كان شأن الأصيرم؟ قال: كان يابى الإسلام على قومه، فلما كان يوم خرج رسول الله ﷺ إلى أحد بدا له في الإسلام فأسلم، ثم أخذ سيفه فعدا حتى دخل في عرض الناس، فقاتل حتى أثبتته الجراحة^(١). فبينما رجال من بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به، فقالوا: والله إن هذا للأصيرم، ما جاء به؟ لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الحديث. فسألوه: ما جاء به؟ فقالوا: ما جاء بك يا عمرو؟ أهدب على قومك أم رغبة في الإسلام؟ قال: بل رغبة في الإسلام، آمنت بالله وبرسوله وأسلمت، ثم أخذت سيفي فغدوت على رسول الله ﷺ ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني. ثم لم يلبث أن مات في أيديهم، فذكروه لرسول الله ﷺ فقال: إنه لمن أهل الجنة.

وكان عمرو بن الجموح رجلاً أعرج شديد العرج، وكان له بنون أربعة مثل الأسد، يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد، فلما كان يوم أحد ارادوا حبسه وقالوا له: إن الله عز وجل قد عذرك؟ فأتى رسول الله ﷺ، فقال: إن بني يريدون أن يجسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه، فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة. فقال رسول الله ﷺ: أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك. وقال لبنيه: ما عليكم ألا تمنعوه، لعل الله أن يرزقه الشهادة. فخرج معه فقُتِلَ معه يوم أحد.

ووقعت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها، يمثُلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ، يجذعن الأذان والأنف، حتى اتُّخذت هند من آذان الرجال وأنفهم خدماً^(٢) وقلائد، وأعطت خدمها وقلائدها وقراطتها وحشياً غلام جبير بن مطعم، وبقرت عن كبد حمزة، فلاكتها^(٣) فلم تستطع أن تُسيغها، فلفظتها^(٤).

وقد كان الحليس بن زبآن، وهو يومئذ سيد الأحابيش، قد مرُّ بابي سفيان، وهو يضرب في شِدْق حمزة بن عبد المطلب بزُج الرمح ويقول: ذق عُقُق^(٥)! فقال الحليس: يا بني كنانة، هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ما ترون لحم^(٦)! فقال: ويحك، اكنمها عني فإنها كانت زلة.

(١) أثبتته: أنقلته فلم يتحرك

(٢) الخدم: جمع خدمة، وهي الخللخال.

(٣) لاكتها: مضغتها.

(٤) لفظتها: طرحتها.

(٥) يا عقق، أي يا عاق.

(٦) أي ميتا ليست به قدرة على الانتصار.

ثم إن أبا سفيان بن حرب حين أراد الإنصراف أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته فقال: أنعمتَ فعَالٌ^(١)، إن الحرب سجَالٌ^(٢) يوم بيوم، أغلِ هُبِلٌ^(٣) أي أظهر دينك. فقال رسول الله ﷺ: قم يا عمر فاجبه فقل: الله أعلى وأجل! لا سواء^(٤)، قتلتنا في الجنة وقتلكم في النار. فلما أجاب عمر أبا سفيان قال له أبو سفيان: هلم إلي يا عمر. فقال رسول الله ﷺ لعمر: ائت فانظر ما شأنه؟ فجاءه فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمداً؟ قال عمر: اللهم لا، وإنه ليسمع كلامك الآن. قال: أنت أصدق عندي من ابن قمئة وأبر! لقول ابن قمئة لهم^(٥): إني قد قتلت محمداً!

ثم نادى أبو سفيان: إنه قد كان في قتلكم مثل^(٦)، والله ما رضيت وما سخطت، وما نبيت وما أمرت!

ولما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى: إن موعدكم بدرٌ للعام القابل. فقال رسول الله ﷺ لرجلٍ من أصحابه: قل: نعم، هو بيننا وبينكم موعد.

ثم بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فقال: اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وما يريدون، فإن كانوا قد جنبوا الخيل^(٧) وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة. والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنهم. قال علي: فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون. فجنبوا الخيل، وامتطوا الإبل، ووجهوا إلى مكة.

وفرغ الناس لقتلاهم، فقال رسول الله ﷺ: من رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع؟ أفي الأحياء هو أم في الأموات؟ فقال رجل من الأنصار^(٨): أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل سعد. فنظر فوجدَه جريحاً في القتلى وبه رمق. فقلت له: إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر، أفي الأحياء أنت أم الأموات؟ قال: أنا في الأموات، فأبلغ رسول الله ﷺ عني السلام، وقل له: إن سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله عنا خيراً ما جزى نبياً عن أمته، وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عذر لكم

(١) أنعمت: بالفت، بفتح التاء خطاب لنفسه، وبكسرهما خطاب للحرب أو الواقعة. عال: أي ارتفع، وعالي: ارتفعي. أو فعال: اسم للفعل، كما قالوا فجار للفجرة.
(٢) أي مداولة، مرة لهذا الفريق ومرة لذلك.
(٣) هبل: اسم صنم.
(٤) أي لا نحن سواء، لا نستوي.
(٥) أنظر ما سبق في ص ١٣٠.
(٦) المثل: التمثيل بالقتيل.
(٧) جنبوا الخيل: قادوها إلى جنوبهم.
(٨) هو محمد بن مسلمة الأنصاري.

عند الله إن خلص إلى نبيكم ﷺ ومنكم عين تطرف^(١). قال: ثم لم أبرح حتى مات، فجثت رسول الله ﷺ فأخبرته خبره .

وخرج رسول الله ﷺ، فيما بلغني، يلتمس حمزة بن عبد المطلب، فوجده يبطن الوادي قد يقرب بطنه عن كبده ومثل به فجذع أنفه وأذناه، فقال رسول الله ﷺ حين رأى ما رأى: لولا أن تحزن صفة ويكون سنة من بعدي لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم! فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ وغبطه على من فعل بعنه ما فعل قالوا: والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لنمثلن بهم مثله لم يمثلها أحد من العرب.

عن ابن عباس أن الله عز وجل أنزل في ذلك من قول رسول الله ﷺ وقول أصحابه: ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . واضبر وما صبرك إلا بالله ، ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ﴾ . فعفا رسول الله ﷺ، ونهى عن المثلة .

وأمر رسول الله ﷺ بحمزة فسجى^(٢) بريدة، ثم صلى عليه فكبر سبع تكبيرات، ثم أمر بالقتل يوضعون إلى حمزة، فصلى عليهم وعليه معهم، حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة .

قال ابن إسحاق: وقد أقبلت - فيما بلغني - صفة بنت عبد المطلب لتنظر إليه، وكان أخاها لأبيها وأمها، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير بن العوام: القها فأرجعها لا ترى ما بأخيها. فقال لها: يا أمه، إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي. قالت: ولم؟ وقد بلغني أن مثل بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك! لأحسبن ولأصبرن إن شاء الله! فلما جاء الزبير إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك قال: خل سبيلها. فأتته فنظرت إليه واسترجعت^(٣) واستغفرت له. ثم أمر به رسول الله ﷺ فدفن .

وكان قد احتمل ناس من المسلمين قتلاهم إلى المدينة، فدفنوهم بها، ثم نهى رسول الله ﷺ عن ذلك وقال: ادفنوهم حيث صرعوا .

عن عبد الله بن ثعلبة أن رسول الله ﷺ لما أشرف على القتل يوم أحد قال: أنا شهيد على هؤلاء، إنه ما من جريح يجرح في الله إلا ويبعثه الله يوم القيامة يذمى جرحه، اللون لون دم، والريح ريح مسك! انظروا أكثر هؤلاء جمعاً للقرآن فاجعلوه أمام أصحابه في القبر.

(٣) استرجعت: قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(١) تطرف: تضرب بجفنها الأعلى على الأسفل.

(٢) سجي: غطي.

وكانوا يدفعون الاثني والثلاثة في القبر الواحد.

ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينة، فلقيته حمّة بنت جحش، فلما لقيت الناس نعي إليها أخوها عبد الله بن جحش، فاسترجعت واستغفرت له. ثم نعي لها خالها حمزة بن عبد المطلب، فاسترجعت واستغفرت له، ثم نعي لها زوجها مصعب بن عمير، فصاحت وولولت! فقال رسول الله ﷺ: إن زوج المرأة منها ليمكان! لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها، وصياحها على زوجها.

ومر رسول الله ﷺ بدار من دور الأنصار من بني عبد الأشهل وظفر، فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم، فذرفت عينا رسول الله ﷺ فبكى، ثم قال: «لكن حمزة لا بواكي له». فلما رجع سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، إلى دار بني عبد الأشهل، أمرا نساءهم أن يتحزمن ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله ﷺ. ولما سمع رسول الله ﷺ بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهن على باب مسجده يبكين عليه، فقال: ارجعن يرحمك الله، فقد آسيتن^(١) بأنفسكن.

ومر رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد، فلما نعوها لها قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيراً يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين. قالت: أروني حتى انظر إليه. فأشير لها إليه، حتى إذا رآته قالت كل مصيبة بعدك جلل. تريد صغيرة.

فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة فقال: اغسلي عن هذا دمه يا بنية، فوالله لقد صدقتي اليوم. وناولها علي بن أبي طالب سيفه فقال: وهذا أيضاً فاغسلي عنه دمه، فوالله لقد صدقتي اليوم. فقال رسول الله ﷺ: لئن كنت صدقت القتال لقد صدق معك سهل بن حنيف وأبو دجاجة.

وكان يوم أحد يوم السبت، للنصف من شوال.

فلما كان الغد من يوم الأحد لست عشر ليلة مضت من شوال، أذن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو، فأذن مؤذنه أن لا يخرج من معنا أحد إلا أحد حضر يومنا بالأمس. فكلّمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام فقال: يا رسول الله، إن أبي كان خلفني على أخواتي لي سبع، وقال: يا بني، إنه لا ينبغي لي ولا لك أن تترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن، ولست

(١) المؤاساة: التعزية والمعاونة.

بالذي أوثرِك بالجهاد مع رسول الله ﷺ على نفسي، فتخلفت على أخواتك. فتخلفت عليهن. فأذن له رسول الله فخرج معه. وإنما خرج رسول الله ﷺ مرهباً للعدو، وليبلغهم أنه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم.

فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأسد - وهي من المدينة على ثمانية أميال - واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، فأقام بها الاثني والثلاثاء والأربعاء، ثم رجع إلى المدينة.

وقد مرَّ به معبد بن أبي معبد الخزاعي، وكانت خزاعة مسلمهم ومشرِكهم عيبة نصح^(١) لرسول الله ﷺ بتهامه، صَفَقْتَهُمْ مَعَهُ^(٢)، لا يُخْفُونَ عَنْهُ شَيْئاً كَانَ بِهَا، ومعبد يومئذ مشرك، فقال: يا محمد، أما والله لقد عزَّ علينا ما أصابك، ولوددنا أن الله عافاك فيهم. ثم خرج ورسول الله ﷺ بحمراء الأسد، حتى لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء^(٣)، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، فقالوا: أصبنا حذَّ أصحابه، وأشرفهم وقادتهم، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم! لنكرنَّ على بقيتهم فلنفرغنَّ منهم. فلما رأى أبو سفيان معبداً قال: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمعٍ لم أر مثله قط، يتحرَّقون عليكم تحرقاً^(٤)، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم، وندموا على ما صنعوا، فيهم من الحنق^(٥) عليكم شيء لم أر مثله قط! قال: ويحك، ما تقول؟ قال: والله ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصي الخيل. قال: فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم. قال: فإني أنهاك عن ذلك، والله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيهم أبياتاً من شعر. قال: وما قلت؟ قال: قلت:

كادت تُهدُّ من الأصوات راحلتي إذ سالت الأرض بالجرد الأبايل^(٦)
تَردي بأسد كرام لا تنابله عند اللقاء ولا ميل معازيل^(٧)
فظلتُ عدواً أظنُّ الأرض مائلة لما سموا برئيس غير مخذول^(٨)
فقلت ويل ابن حربٍ من لقائكم إذا تغطمطت البطحاء بالجيل^(٩)

(١) عيبة نصحه: موضع سره.

(٢) الصفقة: الاجتماع.

(٣) الروحاء: قرية لمزينة على ليلتين من المدينة.

(٤) التحرق: الغيظ.

(٥) الحنق: شدة الغيظ.

(٦) تهد: تسقط لهول ما رأت. والجرد: جمع أجرد، وهو

الفرس القصير الشعر. الأبايل: الجماعات.

(٧) تَردي: تسرع. التنابله: القصار. الأميل: الذي لا

يثبت على السرج. المعزال: الذي لا سلاح معه.

(٨) العدو: مشي سريع. سموا: ارتفعوا إلينا.

(٩) تغطمطت: اهتزت. الجيل: الصنف من الناس.

إني نذيرٌ لأهل البَسلِ ضاحيةٌ
 من جيشِ أحمدٍ لا وَخَشٍ قنابله
 لِكُلِّ ذِي إِزْبَةِ مِنْهُمْ وَمَعْقُولٍ^(١)
 وَلَيْسَ يُوصَفُ مَا أَنْذَرْتُ بِالْقَيْلِ^(٢)
 مُنِّيَ ذَلِكَ أبا سفيانٍ ومن معه .

ومرُّ به ركبٌ من عبد القيس فقال: أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة. قال: ولم؟ قالوا: نريد الميرة^(٣). قال: فهل أنتم مبلغون عني محمداً رسالة أرسلكم بها إليه، وأحمل لكم هذه غداً زيبياً بعكاظ إذا وافيتموها؟ قالوا: نعم. قال: فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السيرَ إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم. فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد فأخبرته بالذي قال أبو سفيان، فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل.

وأخذ رسول الله ﷺ في جهة ذلك قبل رجوعه إلى المدينة معاوية بن المغيرة بن أبي العاص، وأبا عزة الجمحي، وكان رسول الله ﷺ أسره بيد رثم من عليه، فقال: يا رسول الله، أقلني. فقال رسول الله ﷺ: والله لا تمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول: خدعت محمداً مرتين^(٤)، اضرب عنقه يا زبير! فضرب عنقه.

فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، وكان عبد الله بن أبي بن سلول له مقامٌ بقومه كل جمعة لا يُنكر، شرفاً له في نفسه وفي قومه، وكان فيهم شريفاً، إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس، قام فقال: «أيها الناس، هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم، أكرمكم الله وأعزكم به، فانصروه وعززوه^(٥)، واسمعوا له وأطيعوا». ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أحدٍ ما صنع ورجع بالناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا: اجلس أي عدو الله، لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت! فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول: والله لكأنما قلتُ بُجراً^(٦) أن قمتُ أشدُّ أمره! فلقبه رجلٌ من الأنصار بباب المسجد فقال: مالك وملك! قال: قمتُ أشدُّ أمره فوثب عليَّ رجالٌ من أصحابه يجذبونني ويعنفونني، لكأنما قلتُ بُجراً أن قمتُ أشدُّ أمره. قال: وملك ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ. قال: والله ما أبتغي أن يستغفر لي.

قال ابن إسحاق:

- (١) البسل: الحرام. والمراد قريش لأنهم أهل مكة، ومكة حرام. ضاحية: أي علانية. الإربة: العقل. وكذلك المعقول.
 (٢) الوخش: رذالة الناس والأخساء منهم. والقنابل: جمع قبيلة وقنبل، وهم الطائفة من الناس ومن الخيل
 (٣) الميرة: الطعام يجلب من بلد إلى آخر.
 (٤) وقيل: قال له: إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين! اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت. فضرب عنقه.
 (٥) التعزيز: النصر.
 (٦) البجر: الشر والأمر العظيم.

وكان يوم أحد يومَ بلاءٍ ومصيبةٍ وتمحيصٍ، اختبر الله به المؤمنين ومحن به المنافقين، من كان يظهر الإيمان بلسانه، وهو مستخفٍ بالكفر في قلبه، ويوماً أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته .

يوم الرجيع في سنة ثلاث

قديم على رسول الله ﷺ بعد أحدٍ رهطٌ من عَصَلٍ والقارة^(١) فقالوا: يا رسول الله، إن فينا إسلاماً، فابعث معنا نفرأً من أصحابك يفقهوننا في الدين، ويقرئوننا القرآن، ويعلموننا شرائع الإسلام. فبعث رسول الله ﷺ نفرأً من أصحابه، وهم مرثد بن أبي مرثد، وخالد بن البكير، وعاصم بن ثابت، وخبيب بن عدي، وزيد بن الدثنة، وعبد الله بن طارق. وأمر رسول الله ﷺ على القوم مرثد بن أبي مرثد، فخرج مع القوم حتى إذا كانوا على الرجيع: ماء لهذيل بناحية الحجاز على صدور الهدأة^(٢)، غدروا بهم، فاستصرخوا^(٣) عليهم هذيلًا، فلم يرع القوم وهم في رحاهم إلا الرجال بأيديهم السيوف، قد غشوهم، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوهم، فقالوا لهم: إنا والله ما نريد قتلكم، ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة، ولكم عهدُ الله وميثاقه ألا نقتلكم.

فأما مرثد بن أبي مرثد، وخالد بن البكير، وعاصم بن ثابت، فقالوا: والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً. فقال عاصم بن ثابت:

ما عِلَّتِي وَأَنَا جَلْدٌ نَابِلٌ ^(٤)	وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرٌّ عُنَابِلٌ ^(٥)
تَزَلُّ عَنْ صَفْحَتِهَا الْمَعَابِلُ ^(٦)	الموت حق والحياة باطل
وَكُلُّ مَا حَمَّ الْإِلَهُ نَازِلٌ ^(٧)	بالمراء والمراء إليه آئل ^(٨)

ثم قاتل القوم حتى قُتِلَ وقتل أصحابه.

فلما قُتِلَ عاصم أرادت هذيلٌ أخذَ رأسه لبيعوه من سُلَافَةَ بنت سعد بن شهيد، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنها يوم أحد: لئن قَدَرْتُ على رأس عاصم لتشربن في تحفه الخمر، فمنعته الدبيرة^(٩) فلما حالت بينه وبينهم الدبيرة قالوا: دَعَوْهُ حتى يمسي فتذهب

(١) قبيلتان من الهون بن خزيمه بن مدركة.

(٢) الهدأة: موضع بين عسفان ومكة.

(٣) استصرخوا: استنصروا.

(٤) الجلد: الشديد. النابل: صاحب النبل.

(٥) العنابل: الغليظ الشديد.

(٦) المعابل: جمع معبلة، وهو نصل عريض طويل.

(٧) حم الإله: قدره.

(٨) آئل: صائر.

(٩) الدبيرة: الزنابير والنحل.

عنه فناخذه . فبعث الله الوادي فاحتمل عاصماً فذهب به .

وقد كان عاصمٌ قد أعطى الله عهداً ألا يمسه مشرك ولا يمسه مشركاً أبداً، تنجساً . فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول حين بلغه أن الدبر منعتة : يحفظ الله العبد المؤمن ، كان عاصم نذر ألا يمسه مشرك ولا يمسه مشركاً أبداً في حياته ، فمنعه الله بعد وفاته ، كما امتنع منه في حياته .

وأما زيد بن الدثنة وخبيب بن عدي وعبد الله بن طارق ، فلانوا ورقوا ورجبوا في الحياة ، فأعطوا بأيديهم فأسروهم ، ثم خرجوا بهم إلى مكة ، ليبيعوهم بها ، حتى إذا كانوا بالظهران انتزع عبد الله بن طارق يده من القِران^(١) ، ثم أخذ سيفه ، واستأخر عنه القوم فرموه بالحجارة ، فقبره رحمه الله بالظهران .

وأما خبيب بن عدي ، وزيد بن الدثنة ، فقدما بها مكة ، فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة ، فابتاع خبيبا حجير بن أبي إهاب لعقبة بن الحارث بن عامر ، ليقتله بأبيه .

وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف . وبعث به صفوان بن أمية مع مولى له ، يقال له نسطاس ، إلى التنعيم^(٢) ، وأخرجوه من الحرم ليقتلوه . واجتمع رهط من قريش ، فيهم أبو سفيان بن حرب ، فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل : انشدك الله يا زيد ، أتحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنت في أهلك ؟ قال : والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي !

يقول أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً ! ثم قتله نسطاس ، يرحمه الله .

عن ماوية مولاة حجير بن أبي إهاب - وكانت قد أسلمت - قالت : كان خبيب عندي ، حبس في بيتي ، فلقد أطلعت عليه يوماً وإن في يده لقطفاً من عنب مثل رأس الرجل ، يأكل منه ، وما أعلم في أرض الله عنباً يؤكل ، قال لي حين حضره القتل : ابعني إلي بحديدة أتطهر بها للقتل . فاعطيت غلاماً من الحي الموسى فقلت : ادخل بها علي هذا

(١) القِران : حبل يربط به الأسير .

(٢) التنعيم : موضع بين مكة وسرف ، على فرسخين من مكة .

الرجل البيت. قالت: فوالله ما هو إلا أن ولي الغلام بها إليه، فقلت: ماذا صنعت، أصاب والله الرجل ثأره بقتل هذا الغلام، فيكون رجلاً برجل! فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال: لعمرك ما خافت أمك غدري حين بعثك بهذه الحديدة إلي؟! ثم خلى سبيله.

ثم خرجوا بخبيب حتى إذا جاؤوا به إلى التنعيم ليصلبوه قال لهم: إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا. قالوا: دونك فاركع. فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما، ثم أقبل على القوم فقال: أما والله لولا أن تظنوا أني إنما طولت جزءاً من القتل لاستكثرت من الصلاة! فكان خبيب بن عدي أول من سنَّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين.

ثم رفعوه على خشبة، فلما أوثقوه قال: اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا!! ثم قال: اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً^(١)، ولا تغادر منهم أحداً!! ثم قتلوه رحمه الله.

فكان معاوية بن أبي سفيان يقول: حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبي سفيان، فلقد رأيت يلقىني إلى الأرض فرقاً^(٢) من دعوة خبيب. وكانوا يقولون: إن الرجل إذا دُعِيَ عليه فاضطجع لجنبه زالت عنه.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل سعيد بن عامر بن جذيم الجمحي على بعض الشام، فكانت تصيبه غشية وهو بين ظهري القوم، فذكر ذلك لعمر بن الخطاب، وقيل إن الرجل مصاب. فسأله عمر في قدمة قدمها عليه فقال: يا سعيد، ما هذا الذي يصيبك؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين ما بي من بأس، ولكني كنت فيمن حضر خبيب بن عدي حين قُتل، وسمعتُ دعوته فوالله ما خطرتُ على قلبي وأنا في مجلسٍ قطُّ إلا غشي علي! فزادته عند عمر خيراً.

قال ابن عباس: لما أُصيبت السرية التي كان فيها مرثد وعاصم بالرجيع، قال رجال من المنافقين: يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا، لاهم قعدوا في أهلهم، ولا هم أدوا رسالة صاحبهم. فأنزل الله تعالى في ذلك من قول المنافقين: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، أي يظهر من الإسلام بلسانه ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ﴾ وهو يخالف لما يقوله بلسانه ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾، أي ذو جدالٍ إذا كلمك وراجعك. ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾ أي خرج من عندك ﴿سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا

(٢) الفرق، بالتحريك: الخوف والفرع.

(١) بدداً: متفرقين.

يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿ أَي لا يَحِبُّ عَمَلَهُ ولا يَرْضَاهُ . ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلِبِئْسَ الْجِهَادُ . وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿ ، أَي قد شَرَوْا أَنفُسَهُم من اللَّهِ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ ، وَالْقِيَامَ بِحَقِّهِ ، حتَّى هَلَكُوا على ذلك . يعني تلك السريَّة .

وكان مما قيل في ذلك من الشعر قول خبيب بن عدي حين بلغه أن القوم قد اجتمعوا

لصلبه :

قبائلهم واستجمعوا كلَّ مجمع^(١)
عليّ لأني في وثاقٍ بمضيق
وقربتُ من جذعٍ طويلٍ ممنع
وما أرى صدَّ الأحزابُ لي عند مصرعي^(٢)
فقد بضعوا لحمي وقد ياسَ مطعمي^(٣)
يُبارِكُ على أوصالِ شلوٍ ممزَع^(٤)
وقد هملتُ عيناي من غير مجزع
ولكن حذارٍي حَجَمَ نارٍ مَلْفَع^(٥)
على أيّ جنبٍ كان في الله مصرعي^(٦)
ولا جَزَعاً إنِّي إلى الله مرجعي

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا
وكلُّهم مُبِدِي العداوة جاهد
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم
إلى الله أشكو غربتي ثم كُربتني
فذا العرشِ ، صبرني على ما يراد بي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ
وقد خيروني الكُفْرَ والموتُ دونه
وما بي حذارُ الموت إنِّي لميتُ
فوالله ما أرجو إذا مت مسلماً
فلستُ بمبيدٍ للعدوِّ تخشعاً
وقال حسان بن ثابت يبكي خبيياً :

سَحاً على الصُّدرِ مثل اللؤلؤِ القَلِقِ^(٧)
لا فِشلٍ حين تلقاه ولا نزق^(٨)
وجنَّةِ الخلدِ عند الحُورِ في الرُّفِقِ^(٩)
حين الملائكةُ الأبرارُ في الأفقِ
طاغٍ قد أوعثَ في البلدانِ والرُّفِقِ^(١٠)

ما بال عينك لا ترقا مدامعها
على خبيب فتى الفتيان قد علموا
فأذهب خبيبُ جزاك الله طيبة
ماذا تقولون إن قال النبيُّ لكم
فيم قتلتهم شهيدَ الله في رجلٍ

(١) ألبوا: جمعوا.

(٢) أرى صدوا: أعدوا.

(٣) بضعوا: قطعوا. ياس: يش.

(٤) الشلو: الجسد، المزع: المقطع.

(٥) الجحيم: اضطراب النار. ملفع: يشمله من جميع

نواحيه.

(٦) أرجو: أخاف.

(٧) ترقا: تسكن. السح: الصب.

(٨) من النزق، وهو التسرع والطيش.

(٩) الرفق: جمع رفقة، وهم الأصحاب.

(١٠) الرفق، بالتحريك: المرتع السهل المطلوب.

حديث بئر معونة في صفر سنة أربع

فأقام رسول الله ﷺ بقية شوال، وذا القعدة، وذا الحجة - وولي تلك الحجة المشركون - والمحرم، ثم بعث رسول الله ﷺ أصحاب بئر معونة في صفر، على رأس أربعة أشهر من أحد.

وكان قد قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة، على رسول الله ﷺ المدينة، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام ودعاه إليه، فلم يسلم ولم يبعث من الإسلام وقال: يا محمد، لو بعثت رجلاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوتهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك. فقال رسول الله ﷺ: إني أخشى عليهم أهل نجد. قال أبو براء: أنا لهم جار، فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك.

فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو أخا بني ساعدة، «المعنى ليموت»^(١) في أربعين رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين، منهم الحارث بن الصمة، وحرام بن ملحان، وعروة بن أسماء، ونافع بن بديل بن ورقاء، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق، في رجال مسمين من خيار المسلمين، فساروا حتى نزلوا ببئر معونة، وهي بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم، كلا البلدين منها قريب، وهي إلى حرّة بني سليم أقرب.

فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل. فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل فقتله، ثم استصرخ^(٢) عليهم بني عامر فأبوا أن يجيئوه إلى ما دعاهم إليه، وقالوا لن نخفر أبا براء^(٣) وقد عقد لهم عقداً وجواراً. فاستصرخ عليهم قبائل من سليم فاجابوه إلى ذلك، فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحاهم، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم، ثم قاتلوهم حتى قتلوا من عند آخرهم، يرحمهم الله، إلا كعب بن زيد فإنهم تركوه وبه رمق، فارتث^(٤) من بين القتلى، فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيداً، يرحمه الله.

وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري، ورجل من الأنصار أحد بني عمرو بن عوف^(٥)، فلم ينبثها بمصاب أصحابها إلا الطير تحوم حول العسكر، فقالا: والله إن هذه

(١) أعنى: أسرع. وإنما سمي بذلك لأنه أسرع إلى
(٤) الارتثات: أن يحمل الجريح من المعركة وهو ضعيف قد
أثخته الجراح.

(٥) هو المنذر بن محمد بن عقبة.

(٢) استصرخهم: استعان بهم.

(٣) نخفروه: نفّس عهده.

الطير لشأنًا. فأقبلا لينظرا فإذا القوم في دِمَائِهِمْ وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة، فقال الأنصاريّ لعمر بن أمية؟: ما ترى؟ قال: أرى أن نلحق برسول الله ﷺ، فنخبره الخبر. فقال الأنصاريّ: ما كنت لأرغبَ بنفسِي عن موطنٍ قُتِلَ فيه المنذر بن عمرو، وما كنت لتخبرني عنه الرجال! ثم قاتل القوم حتى قتل.

وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً، فلما أخبرهم أنه من مُضَرَ أطلقه عامر بن الطفيل، وجزأ ناصيته، وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه، فخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة^(١) من صدر قناة^(٢)، أقبل رجلاين من بني عامر حتى نزلا معه في ظل هوفيه. وكان مع العامريين عقد من رسول الله ﷺ وجوار لم يعلم به عمرو بن أمية، وقد سألهما حين نزلا: ممن أنتما؟ فقالا: من بني عامر فأمهلها حتى إذا ناما عدا عليهما، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثورة^(٣) من بني عامر، فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ.

فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، قال الرسول ﷺ: لقد قتلت قتيلين لأدينهما! ثم قال رسول الله ﷺ: هذا عمل أبي براء، قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً!

فبلغ أبا براء فشق عليه إخفار عامر إياه، وما أصاب أصحاب رسول الله ﷺ بسببه وجواره.

وكان فيمن أصيب عامر بن فهيرة.

عن هشام بن عروة عن أبيه، أن عامر بن الطفيل كان يقول: من رجلٍ منهم لما قُتِلَ رأيتُه بين السماء والأرض حتى رأيتُ السماء من دونه؟ قالوا: هو عامر بن فهيرة.

إجلاء بني النضير في سنة أربع

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر، اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري، للجوار الذي كان رسول الله ﷺ عقد لها، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عقد وحلف، فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم في دية ذينك القتيلين قالوا: نعم، يا أبا القاسم، نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه.

ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله ﷺ إلى جنب جدارٍ من بيوتهم قاعد - فمن رجلٍ يعلو على هذا البيت فيُلقي عليه

(١) قرقرة الكدر: بينها وبين المدينة ثمانية برد. (٢) واد يعصب في قرقرة الكدر. (٣) الثورة. النار.

صخرة فيريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب، أحدهم، فقال: أنا لذلك. فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال، ورسول الله ﷺ في نفرٍ من أصحابه، فيهم أبو بكر وعمر وعليّ رضوان الله عليهم.

فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة. فلما استلبث^(١) النبي ﷺ أصحابه قاموا في طلبه، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه عنه، فقال: رأيتُه داخلاً المدينة. فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه ﷺ فأخبرهم الخبر، بما كانت اليهود أرادت من الغدر به. وأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم، ثم سار بالناس حتى نزل بهم، فتحصنوا منه في الحصون، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها، فنادوه: أن يا محمد، قد كنت تنهي عن الفساد وتعيبه على من صنعَه، فما بال قطع النخيل وتحريقها!

وقد كان رهطاً من بني عوف بن الخزرج، منهم عبد الله بن أبي بن سلول، ووديعة، ومالك بن أبي قوئل، وسويد، وداعس، قد بعثوا إلى بني النضير، أن اثبتوا وتمنعوا، فإننا لن نسلمكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم. فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا، وقذف الله في قلوبهم الرعب، وسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم ويكف عن دمايتهم، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة^(٢). ففعل، فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه^(٣) فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به. فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام. فكان أشرافهم من سار منهم إلى خيبر سلام بن أبي الحقيق، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وحبي بن أخطب. فلما نزلوها دان لهم أهلها.

حدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث أنهم استقلوا بالنساء والأبناء والأموال، معهم الدُّفوف والمزامير، والقيان يعزفن خلفهم، وإن فيهم لأم عمرو صاحبة عروة بن الورد العبسي التي ابتاعوها منه^(٤)، بزهاءٍ وفخر ما رُئي مثله من حي من الناس في زمانهم.

فأبى، فسقوه الخمر واحتالوا عليه حتى ابتاعوها منه وأشهدوا عليه. وفي ذلك يقول:
سقوني الخمر ثم تكسفنوا
عداة الله من كذب وزور
فيا للناس كيف غلبت نفي
على شيء ويكرهه ضميري

(١) استلبثه: استبطاه. (٢) الحلقة: السلاح كله.
(٣) النجاف: العتبة التي بأعلى الباب.
(٤) اسمها سلمى، وكانت ناكحاً في مزينة، فأغار عليهم عروة بن الورد فسبها. وكان عروة يتردد على بني النضير فيستقرضهم إذا احتاج ويبيع منهم إذا غنم. فرأوا عنده سلمى فاعجبتهن، فسألوه أن يبيعهن منهم

وخلّوا الأموال لرسول الله ﷺ، فكانت له خاصّة يضعها حيث يشاء، فقسمها رسول الله ﷺ على المهاجرين الأوّلين دون الأنصار، إلا أنّ سهل بن حنيف وأبا دُجّانة سِمَاك بن خَرَشَة ذكرا فقرا، فأعطاهما رسول الله ﷺ.

ونزل في بني النضير سورة الحشر بأسرها، يذكر فيها ما أصابهم الله به من نقمته، وما سلّط عليهم به رسول الله ﷺ وما عمل به فيهم، فقال تعالى: ﴿ هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأوّل الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يُخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ﴾ وذلك لهدمهم بيوتهم عن نجف أبوابهم إذ احتملوها. ﴿ فاعتبروا يا أولي الأبصار. ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء ﴾ وكان لهم من الله نقمة ﴿ لعذبهم في الدنيا ﴾، أي بالسيف. ﴿ ولهم في الآخرة عذاب النار ﴾ مع ذلك. ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها ﴾ واللينّة: ما خالف العجوة من النخل ﴿ فبإذن الله ﴾ أي فبأمر الله قطعت، لم يكن فساداً، ولكن كان نقمة من الله ﴿ وليخزي الفاسقين. وما أفاء الله على رسوله منهم ﴾ يعني من بني النضير ﴿ فما أوجفتُم عليه من خيل ولا ركاب، ولكنّ الله يسلّط رسوله على من يشاء والله على كلّ شيء قدير. ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ﴾ ما يوجف عليه المسلمون بالخيل والركاب وفتح بالحرب عنوة فلله وللرسول ﴿ ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾.

يقول: هذا قسم آخر فيما أصيب بالحرب بين المسلمين على ما وضعه الله عليه.

ثم قال تعالى:

﴿ ألم تر إلى الذين نافقوا ﴾ يعني عبد الله بن أبي وأصحابه ومن كان على مثل أمرهم ﴿ يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب ﴾ يعني بني النضير، إلى قوله ﴿ كمثل الذين من قبلهم ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم ﴾ يعني بني قينقاع، ثم القصّة إلى قوله: ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله ربّ العالمين. فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدتين فيها وذلك جزاء الظالمين ﴾.

غزوة ذات الرقاع في سنة أربع

ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهر ربيع الآخر وبعض جمادى. ثم غزا نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان، واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري

حتى نزل نخلاً^(١)، وهي غزوة ذات الرقاع^(٢). فلقني بها جمعاً عظيماً من غطفان، فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب، وقد خاف الناس بعضهم بعضاً حتى صلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف، ثم انصرف بالناس.

عن جابر بن عبد الله قال:

خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذات الرقاع من نخل، على جبل لي ضعيف، فلما قفل رسول الله ﷺ جعلت الرقاق تمضي، وجعلت أتخلف حتى أدركني رسول الله ﷺ فقال: مالك يا جابر؟ قلت: يا رسول الله، أبطأ بي جلي هذا. قال: أينخه. فأنخته وأناخ رسول الله ﷺ ثم قال: أعطني هذه العصا من يدك، أو اقطع لي عصاً من شجرة. ففعلت، فأخذها رسول الله ﷺ فنخسه بها نخساتٍ ثم قال: اركب. فركبت فخرج، والذي بعثه بالحق، يوافق ناقته موافقة^(٣).

وتحدثت مع رسول الله ﷺ فقال لي: أتبعيني جملك هذا يا جابر؟ قلت: يا رسول الله، بل أهبه لك. قال: لا، ولكن بعني. قلت: فسمنيه يا رسول الله. قال: قد أخذته بدرهم! قلت: لا، إذن تغبني يا رسول الله. قال: بدرهمين؟ قلت: لا. فلم يزل يرفع لي رسول الله ﷺ في ثمنه حتى بلغ الأوقية. فقلت: أفقد رضىت يا رسول الله؟ قال: نعم. قلت: فهو لك. قال: قد أخذته. ثم قال: يا جابر، هل تزوجت بعد؟ قلت: نعم يا رسول الله. قال: أثيباً أم بكرأ؟ قلت: لا، بل ثيباً. قال: أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك؟ قلت: يا رسول الله إن أبي أصيب يوم أحد وترك بناتٍ له سبعاً، فنكحت امرأة جامعة، تجمع رؤوسهن وتقوم عليهن. قال: أصبت إن شاء الله، أما إنا لو قد جئنا صراراً^(٤) أمرنا بجزور فنحرت، وأقمنا عليها يومنا ذاك، وسمعت بنا فنفضت نمارقها^(٥). فقلت: والله يا رسول الله ما لنا من نمارق! قال: إنها ستكون، فإذا أنت قدمت فاعمل عملاً كيباً.

فلما جئنا صراراً أمر رسول الله ﷺ بجزور فنحرت، وأقمنا عليها ذلك اليوم، فلما أمسى رسول الله ﷺ دخل ودخلنا، فحدثت المرأة الحديث وما قال لي رسول الله ﷺ. قالت: فدونك، فسمع وطاعة.

(١) نخل: موضع بنجد من أرض عطفان.

(٢) إنما قيل لها ذات الرقاق لأنهم رقعوا فيها راياتهم.

وقيل: ذات الرقاق شجرة بذلك الموضع يقال لها ذات

الرقاع. وقيل: لأن الحجارة أو هنت أقدامهم فشدوا

رقاعاً، فقيل لها: ذات الرقاق.

(٣) يوافقها: يعارضها في المشي لسرعته.

(٤) صرار: موضع على ثلاثة أميال من المدينة.

(٥) النمارق: جمع نمرقة، وهي الوسادة الصغيرة.

فلما أصبحت أخذتُ برأس الجمل، فأقبلتُ به حتى أنخته على باب رسول الله ﷺ، ثم جلستُ في المسجد قريباً منه، وخرج رسول الله ﷺ فرأى الجمل فقال: ما هذا؟ قالوا: يا رسول الله، هذا جملٌ جاء به جابر. قال: فأين جابر؟ فدُعيتُ له فقال: يا ابن أخي، خذ برأس جملك فهو لك. ودعا بلالاً فقال له: اذهب بجابر فأعطه أوقية. فذهبت معه فأعطاني أوقيةً وزادني شيئاً يسيراً، فوالله ما زال ينمي عندي، ويُرَى مكانه من بيتنا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا - يعني يومَ الحرة.

وعنه أيضاً قال:

خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع من نخل، فأصاب رجلٌ امرأةً رجلٍ من المشركين، فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلاً أتى زوجها وكان غائباً، فلما أخبر الخبر حلف لا ينتهي حتى يُبريق في أصحاب محمد ﷺ دماً! فخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ، فنزل رسول الله ﷺ منزلاً فقال: مَنْ رجلٌ يكلوننا ليلتنا هذه؟ فانتدب رجلٌ من المهاجرين ورجلٌ آخر من الأنصار فقالا: نحن يا رسول الله. قال: فكونا بضم الشعب. فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب قال الأنصاري للمهاجري: أي الليل تحبُّ أن أكفيك. أوله أم آخره؟ قال: بل أكفي أوله. فاضطجع المهاجري فنام وقام الأنصاري يصلي.

وأتى الرجل، فلما رأى شخصَ الرجل عرف أنه ربيثة القوم، فرمى بسهمٍ فوضعه فيه، فنزعه ووضعه فثبت فيه قائماً ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه، فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد، ثم أهبَّ صاحبه^(١) فقال: اجلس قد أثبت^(٢). فوثب، فلما رآهما الرجل عرف أن قد نذرا به^(٣) فهرب.

ولما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء قال: سبحان الله، أفلا أهبتني أول ما رماك؟ قال: كنت في سورة أقرؤها فلم أحبُّ أن أقطعها حتى أنفدتها فلما تابع عليّ الرمي ركعتُ فأذنتك. وإيمُ الله لولا أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفدتها.

قال ابن إسحاق: ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة من غزوة الرُقاع أقام بها بقية جمادى الأولى، وجمادى الآخرة، ورجباً.

(١) أهبه إهباباً: أيقظه.

(٢) أثبت: جرحه جرحاً لا يمكنه التحرك معه.

غزوة بدر الآخرة في شعبان سنة أربع

ثم خرج في شعبان إلى بدر، لميعاد أبي سفيان، حتى نزله .

فأقام عليه ثمانين ليالٍ ينتظر أبا سفيان . وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزلَ مَجَنَّةَ^(١)، من ناحية الظهران، ثم بدا له في الرجوع فقال: يا معشر قريش إنه لا يُصلحكم إلا عامٌ خصيب ترعون فيه الشجر، وتشربون فيه اللبن، وإن عامكم هذا عامٌ جذب، وإنِّي راجعٌ فارجعوا .

فرجع الناس، فسماهم أهل مكة «جيشَ السويق» . يقولون: إنَّما خرجتم تشربون السويق .

وأقام رسول الله ﷺ على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده . فاتاه مخشيُّ بن عمرو الضمري، وهو الذي كان وادعه على بني ضمرة في غزوة ودان، فقال: يا محمد، أجيئتَ للقاء قريش على هذا الماء؟ قال: نعم، يا أبا بني ضمرة، وإن شئت مع ذلك رددنا إليك ما كان بيننا وبينك، ثم جالذناك^(٢) حتى يحكم الله بيننا وبينك . قال: لا والله يا محمد، ما لنا بذلك منك من حاجة .

فأقام رسول الله ﷺ ينتظر أبا سفيان، فمرَّ به معبد بن أبي معبد الخزاعي، فقال وقد رأى مكان رسول الله ﷺ وناقته تهوى به^(٣):

قد نَفَرْتُ من رُفْقَتِي محمد وعَجْوَةٌ من يَشْرِبُ كالعَنْجَدِ^(٤)
تهوى على دين أبيها الأتلد^(٥) قد جَعَلْتُ ماءً قُلَيْدٍ موعدي^(٦)
وماء ضَجْنَانَ لها ضَحَى الغَدِ

وقال عبد الله بن رواحة في ذلك^(٧):

وعدنا أبا سفيان بدرًا فلم نجد لميعاده صدقاً وما كان وافيًا
فأقسِمَ لو وافيتنا فلقيتنا لأبث ذمياً وافتقدت الموالي
تركنا به أوصال عُتْبة وابنه وعمراً أبا جهلٍ تركناه ثاورياً^(٨)

(٥) الدين: الداب والعادة. الأتلد: الأقدم.
(٦) قليد: موضع قرب مكة.
(٧) قال ابن هشام: أنشدنيها أبو زيد الأنصاري، لكعب بن مالك.
(٨) ثاورياً: مقيماً.

(١) واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول الأنصاري.
(٢) المجالدة: المضاربة بالسيوف.
(٣) تهوى به: تسرع.
(٤) العنجد: الزبيب الأسود.

عَصَيْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ أَفٍ لَدَيْكُمْ وَأَمْرَكُمْ السَّيِّءُ الَّذِي كَانَ غَاوِيَا
فَإِنِّي وَإِنْ عَنَّفْتُمُونِي لِقَائِلٌ فَذَى لِرَسُولِ اللَّهِ أَهْلِي وَمَالِيَا
أَطَعْنَاهُ لَمْ نَعْدِلْهُ فِينَا بغيره شَهَابًا لَنَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ هَادِيَا

غزوة دومة الجندل في شهر ربيع الأول سنة خمس

ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة فأقام بها شهراً حتى مضى ذو الحجة، وولي تلك الحجة المشركون، وهي سنة أربع من مقدم رسول الله ﷺ المدينة .
ثم غزا رسول الله ﷺ دومة الجندل^(١)، ثم رجع قبل أن يصل إليها، ولم يلق كيداً، فأقام بالمدينة بقية سنته .

غزوة الخندق في شوال سنة خمس

ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس .
إنه كان من حديث الخندق أن نفرًا من اليهود، منهم سلام بن أبي الحقيق النضري، وحبي بن أخطب النضري، وكنانة بن أبي الحقيق النضري، وهودة بن قيس الوائلي، وأبو عمار الوائلي، في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل - وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ - خرجوا حتى قدموا على قريش مكة فدعواهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله . فقالت لهم قريش: يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه .

فهم الذين أنزل الله فيهم: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجِبْتِ والطاغوت، ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدي من الذين آمنوا سبيلاً . أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً ﴾ إلى قوله: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ أي النبوة ﴿ فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيراً ﴾ .

فلما قالوا ذلك لقريش، سرهم ونشطوا لما دعواهم إليه من حرب رسول الله ﷺ، فاجتمعوا لذلك وأعدوا له، ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاؤوا غطفان، فدعواهم

(١) بضم الدال، وتفتح: من أعمال المدينة، بينها وبينها خمس عشرة ليلة. وقد استعمل رسول الله ﷺ على المدينة في هذه الغزوة سبع بن عرفطة.

إلى حرب رسول الله ﷺ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك فاجتمعوا معهم فيه .

فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن في بني فزارة ، والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة ، ومسعر بن ربيعة فيمن تابعه من أشجع .

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ، وما أجمعوا له من الأمر، ضرب الخندق على المدينة، فعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيباً للمسلمين في الأجر وعمل معه المسلمون فيه، فدأب فيه ودأبوا، وأبطأ عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين في عملهم ذلك رجال من المنافقين، وجعلوا يُورُونَ^(١)، بالضعيف من العمل، ويتسللون إلى أهلهم بغير علم من رسول الله ﷺ ولا إذن. وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته من الحاجة التي لا بد منها، يذكر ذلك لرسول الله ﷺ، ويستأذنه في اللُّحوق بحاجته، فيأذن له، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله، رغبة في الخير واحتساباً له، فأنزل الله تعالى في أولئك من المؤمنين: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ فنزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحسبة والرغبة في الخير، والطاعة لله ولسوله ﷺ .

ثم قال تعالى، يعني المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل، ويذهبون بغير إذن من النبي ﷺ: ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا، قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ - قال ابن هشام: اللواذ: الاستتار بالشيء عند الهرب - ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ من صدقٍ أو كذب ﴿ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسياال من رومة، بين الجرف وزغابة، في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد، حتى نزلوا بذنب نقي إلى جانب أحد، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون، حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره، والخندق بينه وبين القوم، وأمر بالذراري والنساء

(١) التورية: أن يستر شيئاً ويظهر غيره .

فجعلوا في الأطم^(١).

وخرج عدو الله حَيَّ بن أخطب النَّضْرِيَّ حتى أتى كعب بن أسد القُرْظِيَّ، صاحبَ عقدِ بني قريظة وعهدهم. وكان قد وادَعَ رسول الله ﷺ على قومه وعاقده على ذلك وعاقده، فلما سمع كعبُ بِحَيِّ بن أخطب أغلقَ دونه بابَ حصنه، فاستأذنَ عليه فأبى أن يفتحَ له، فناداه حَيَّ: ويحك يا كعب! افتح لي. قال: ويحك يا حَيَّ. إنك امرؤ مشؤوم، وإني قد عاهدت محمداً فليستُ بناقضُ ما بيني وبينه، ولم أرَ منه إلا وفاءً وصدقاً. قال: ويحك! افتح لي أكلمك. قال: ما أنا بفاعل. قال: والله إن أغلقت الحصنَ دوني إلا على جَشِيشتك^(٢) أن آكل منها معك! فأحفظ الرجلَ ففتحَ له، فقال: ويحك يا كعب! جئتكَ بعزِّ الدهرِ وبيحرِ طام^(٣)، جئتكَ بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة، ويغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنبِ نَقَمَى إلى جانب أحد، قد عاهدوني وعاهدوني على أن لا يبارحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه. فقال له كعب: جئتني والله بذلِّ الدهرِ، وبجَهَامٍ قد هراقَ ماءه، فهو يرعد ويبرق ليس فيه شيء، ويحك يا حَيَّ! فدعني وما أنا عليه، فإني لم أرَ من محمدٍ إلا صدقاً ووفاءً. فلم يزل حَيَّ بكعب يفتله في الذروة والغارب^(٤) حتى سمع له على أن أعطاه عهداً من الله وميثاقاً، لئن رجعت قريشٌ وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يُصيبني ما أصابك. فنقض كعب بن أسدِ عهده، وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ.

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبرُ وإلى المسلمين، بعث رسول الله ﷺ سعد بن معاذ بن النعمان، وهو يومئذ سيد الأوس، وسعد بن عبادة بن دُلَيْم، وهو يومئذ سيد الخزرج، ومعهما عبد الله بن رواحة وخوات بن جبير، فقال: انطلقوا حتى تنظروا، أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقاً فالحنوا^(٥) لي لحناً أعرُفه، ولا تفتؤا في أعضاد الناس^(٦)، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس.

فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم فيما نالوا من رسول الله ﷺ. وقالوا: من رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمدٍ ولا عقد! فشاتمهم سعد بن معاذٍ وشاتموه، وكان رجلاً فيه حِدَّة. فقال له سعد بن عبادة: دَعْ عنك مشاتمهم، فما بيننا

(١) الأطم: الحصون، جمع أطم.

(٢) الجشيشة: طعام من البر يطحن غليظاً.

(٣) طام: ممتلئ مرتفع الأمواج.

(٤) اللحن: التعريض والإشارة في الكلام.

(٥) فت في عضده: أوهنه وأضعفه.

وبينهم أربى^(١) من المشائمة . ثم أقبل سعدٌ وسعدٌ ومن معهما إلى رسول الله ﷺ فسَلِمُوا عليه ثم قالوا: عضل والقارة^(٢)! أي كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع: خُيب وأصحابه - فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين!

وعظم عند ذلك البلاء واشتدَّ الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم، حتى ظن المؤمنون كلُّ ظنٍّ، ونجم النفاق من بعض المنافقين، حتى قال معتب بن قشير: كان مُحَمَّدٌ يَعِدُّنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط. وحتى قال أوس بن قَيْظِي: يا رسول الله، إن بيوتنا عورة من العدو - وذلك عن ملاء من رجال قومه - فأذن لنا أن نخرجَ فترجعَ إلى دارنا فإنها خارجُ من المدينة. فأقام رسولُ الله ﷺ، وأقام عليه المشركون بعضاً وعشرين ليلةً، قريباً من شهر، لم تكن بينهم حربٌ إلا الرَّمِيَا^(٣) بالنبل، والحصارُ.

فلما اشتدَّ على الناس البلاء بعث رسولُ الله ﷺ إلى عُيَيْنَةَ بنِ حِصْن، وإلى الحارث بن عوف المري، وهما قائدا غطفان، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه. فَجَرَى بينه وبينها الصلح، حتى كتبوا الكتابَ، ولم تقع الشهادةُ ولا عزيمةُ الصلح، إلا المراوضة في ذلك. فلما أراد رسولُ الله ﷺ أن يفعلَ بعثَ إلى سعد بن معاذ وسعد بن عباد، فذكر ذلك لهما واستشارهما فيه، فقالا له: يا رسول الله، أمراً تحبُّه فنصنعه، أم شيئاً أمرك الله به لا بدُّ لنا من العمل به، أم شيئاً تصنعه لنا؟ قال: بل شيءٌ أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك، إلا لأنني رأيت العربَ قد رمتكم عن قوسٍ واحدة، وكالبوكم^(٤) من كلِّ جانب، فأردت أن أكسِرَ عنكم من شوكتهم إلى أمر ما. فقال له سعد بن معاذ: يا رسولَ الله، قد كُنَّا نحن وهؤلاء القومُ على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قَرِي^(٥) أو بيعاً، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزَّنَّا بك وبه نعطيهم أموالنا، والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيفَ حتى يحكم الله بيننا وبينهم. قال رسولُ الله ﷺ: فأنتَ وذاك. فتناول سعد بن معاذ الصحيفة، فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال: ليجهدوا علينا.

(٤) المكابرة: المضايقة والتشديد.

(٥) القرى: طعام الضيف.

(١) أربى: أزيد وأكثر.

(٢) انظر ما سبق في ص ١٣٨.

(٣) الرميا: المرامة بالسهم.

فأقام رسول الله ﷺ والمسلمون، وعدّوهم محاصروهم، ولم يكن بينهم قتال إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ودّ، وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان، وضرار بن الخطاب الشاعر، تلبّسوا^(١) للقتال ثم خرجوا على خيلهم حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا: تهيثوا يا بني كنانة للحرب، فستعلمون من الفُرسان اليوم. ثم أقبلوا تُعِنِق^(٢) بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق، فلما رأوه قالوا: واللّه إن هذه لمكيدة ما كانت العربُ تكيدها^(٣)!

ثم تيمّموا مكاناً ضيقاً من الخندق فضربوا خيلهم فاقتحمت منه، فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع، وخرج عليّ بن أبي طالب عليه السلام في نفرٍ من المسلمين، حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم، وأقبلت الفُرسانُ تُعِنِقُ نحوهم.

وكان عمرو بن عبد ودّ قد قاتل يوم بدرٍ حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أحد. فلما كان يوم الخندق خرج مُعلِّماً^(٤) ليري مكانه، فلما وقف هو وخيله قال: مَنْ يُبارز؟ فبرز له عليّ بن أبي طالب فقال له: يا عمرو، إنك كنت قد عاهدت الله ألا يدعوك رجلٌ من قريشٍ إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه. قال له: أجل! قال: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام قال: لا حاجة لي بذلك. قال: فإني أدعوك إلى النزال، فقال له: لم يا ابن أخي؟ فوالله ما أحبُّ أن أقتلك. قال له عليّ: لكني والله أحبُّ أن أقتلك! فجمي عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه، فعقره وضرب وجهه، ثم أقبل على عليّ، فتنازلاً وتجاولاً، فقتله عليّ رضي الله عنه.

وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة.

وألقي عكرمة بن أبي جهل رُحمة يومئذ وهو منهزمٌ عن عمرو، فقال حسان بن ثابتٍ في هذا:

فرُّ وألقى لنا رُحمة	لعلك عكرم لم تفعل
ووليت تعدوا كعدو الظليم	م ما إن تجور عن المعدل ^(٥)
ولم تلو ظهرك مستانساً	كأن قفاك قفا فرعل ^(٦)

(٤) المعلم: الذي يجعل لنفسه علامة في الحرب يعرف بها

(٥) الظليم: ذكر النعام، وهو المثل في الجبن. تجوز:

نحيد، المعدل: الطريق.

(٦) الفرعل: الصغير من الضباع.

(١) أي تهيثوا له.

(٢) تعنق: تسرع.

(٣) قال ابن هشام: يقال إن سلمان الفارسي أشار به على

رسول الله ﷺ.

وكان شعار^(١) أصحاب رسول الله ﷺ يوم الخندق وبني قريظة: «حم. لا ينصرون».

وأقام رسول الله ﷺ وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم عليهم، وإتيانهم من فوقهم ومن أسفل منهم.

ثم إن نعيم بن مسعود أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت. فقال رسول الله ﷺ: إنما أنت فينا رجل واحد، فخذل عنا^(٢) إن استطعت، فإن الحرب خدعة.

فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة، وكان لهم نديماً في الجاهلية، فقال: يا بني قريظة، قد عرفتم ودي إياكم، وخاصة ما بيني وبينكم. قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم. فقال لهم: إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم. لا تقدرن على أن تحولوا منه إلى غيره، وإن قريشاً وغطفان قد جاؤوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهروهم عليه، وبلدكم وأموالهم ونساؤهم بغيره، فليسوا كأنتم، فإن رأوا نُهزة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم، يكونون بأيديكم، ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تنجزوه. فقالوا له: لقد أشرت بالرأي!

ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عرفتم ودي لكم وفراقي محمداً، وإنه قد بلغني أمرٌ قد رأيت عليّ حقاً أن أبلغكموه، نصحاً لكم، فاكتموا عني. فقالوا: نفع. قال: تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه إنا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم؟ فأرسل إليهم: أن نعم. فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً.

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال: يا معشر غطفان، إنكم أصلي وعشيرتي، وأحب الناس إلي، ولا أراكم تتهموني. قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتهم: قال: فاكتموا عني.

(١) الشعار: العلامة التي كانوا يتعارفون بها في الحرب. (٢) أي أدخل بين القوم حتى يخذل بعضهم بعضاً.

قالوا: نفعل. ثم قال لهم مثل ما قال لقريش، وحذرهم ما حذرهم.

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس، وكان من صنع الله لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل، في نفر من قريش وغطفان، فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الخف والحافر^(١)، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً، ونفرغ مما بيننا وبينه. فأرسلوا إليهم: إن اليوم يوم السبت، وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً فأصابه ما لم يخف عليكم، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تُعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا، حتى نناجز محمداً، فإننا نخشى إن ضرستكم^(٢) الحرب واشتد عليكم القتال أن تنشروا^(٣) إلى بلادكم، وتركونا والرجل في بلدنا، ولا طاقة لنا بذلك منه!

فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان: والله إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق، فأرسلوا إلى بني قريظة: إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا. فقالت بنو قريظة، حين انتهت الرسل إليهم بهذا: إن الذي ذكر لكم نعيم لحق! ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا، فإن رأوا فرصة انتهزوها، وإن كان غير ذلك انشروا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم. فأرسلوا إلى قريش وغطفان: إنا والله لا نقاتل معكم محمداً حتى تُعطونا رهناً. فأبوا عليهم وخذل الله بينهم، وبعث الله عليهم الریح في ليالٍ شاتية باردة شديدة البرد، فجعلت تكفاً قدورهم وتطرح أنيتهم.

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم، وما فرّق الله من جماعتهم، دعا حذيفة بن اليمان، فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلاً.

عن محمد بن كعب القرظي قال:

قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله، أرايتم رسول الله ﷺ وصحبتموه؟ قال: نعم، يا ابن أخي. قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجهد. فقال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض، ولحملناه على أعناقنا. فقال حذيفة: يا ابن أخي، والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالحنديق وصلى رسول الله ﷺ هويماً من الليل^(٤)، ثم التفت إلينا فقال: من رجل يقوم فينظر ما فعل القوم ثم يرجع -

(٣) انشروا: انقبضوا وأسرعوا إلى بلادهم.

(٤) هويماً من الليل: قطعة منه.

(١) الخف: الإبل. والحافر: الخيل.

(٢) ضرستكم: نالت منكم.

يشترط له رسول الله ﷺ الرجعة - أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة؟ فما قام رجل من القوم، من شدة الخوف، وشدة الجوع، وشدة البرد. فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله ﷺ، فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني، فقال: يا حذيفة، اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يصنعون، ولا تُحدثن شيئاً حتى تأتينا! فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تُقرُّ لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء. فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش، لينظر امرؤ من جلسه؟ فقال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي، فقلت: من أنت؟ قال: فلان ابن فلان^(١).

ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدارٍ مُقام، لقد هلك الكراع والخف، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تظمنن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل.

ثم قام إلى جملة وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث، فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم، ولولا عهد رسول الله ﷺ إلي: «أن لا تحدث شيئاً حتى تأتيني» ثم شئت لقتلته بسهم.

قال حذيفة: فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي في مرط^(٢) لبعض نسائه مَراجِل^(٣)، فلما رأني أدخلني إلى رجليه، وطرح علي طرف المرط، ثم ركع وسجد وإني لفيه. فلما سلم أخبرته الخبر.

وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم.

ولما أصبح رسول الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون، ووضعوا السلاح.

غزوة بني قريظة في سنة خمس

فلما كانت الظهر، أتى جبريل رسول الله ﷺ، معتجراً بعمامة من إستبرق^(٤)، على بغلة عليها رحالة^(٥)، عليها قطيفة من ديباج، فقال: أوقد وضعت السلاح يا رسول الله؟

(١) في شرح المواهب: «فضربت بيدي على يد الذي عن يميني فأخذت بيده فقلت: من أنت؟ قال: معاوية بن أبي سفيان، ثم ضربت بيدي على يد الذي عن شمالي، فقلت: من أنت؟ قال: عمرو بن العاص».

(٢) المرط: الكساء.

(٣) المراجِل: ضرب من وشي اليمن.

(٤) الإستبرق: ديباج غليظ.

(٥) الرحالة: السرج.

قال: نعم. فقال جبريل: فما وضعت الملائكة السلاح بعد، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم. إن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة، فإني عامدٌ إليهم فمزلزلٌ بهم. فأمر رسول الله ﷺ مؤذناً فأذن في الناس: من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة.

وقدم رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب برايته إلى بني قريظة وابتدراها الناس، فسار علي بن أبي طالب حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالةً قبيحة لرسول الله ﷺ، فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق فقال: يا رسول الله، لا عليك أن لا تدنوا من هؤلاء الأخابث. قال: لم؟ أظنك سمعت منهم لي أذى. قال: نعم، يا رسول الله. قال: لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً. فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم قال: يا إخوان القردة، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نعمته؟ قالوا: يا أبا القاسم ما كنت جهولاً.

ولما أتى رسول الله ﷺ بني قريظة نزل على بئر من آبارها من ناحية أموالهم يقال لها: بئر أنا.

وتلاحق به الناس، فأتى رجالٌ منهم من العشاء الآخرة ولم يصلوا العصر، لقول رسول الله ﷺ: «لا يصلين أحد العصر إلا ببني قريظة» فشغلهم ما لم يكن منهم بدٌ في حربهم، وآبوا أن يصلوا، لقول رسول الله ﷺ: «حتى تأتوا بني قريظة». فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة، فما عابهم الله بذلك في كتابه، ولا عَنَّفهم به رسول الله ﷺ.

وحاصروهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلةً حتى جَهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب.

وقد كان حُيَي بن أخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان، وفاءً لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه. فلما أيقنوا بأن رسول الله ﷺ غير منصرفٍ عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسدٍ لهم: يا معشر يهود، قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإني عارضٌ عليكم خلالاً ثلاثاً فخذوا أيها شتم. قالوا: وما هي؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدقَه، فوالله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل، وأنه للذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم. قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره. قال: فإذا أبيتم علي هذه فهلم نقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف، لم نترك وراءنا ثقلاً، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه، وإن نظهر فلعمري لنجدن النساء

والأبناء. قالوا: نقتل هؤلاء المساكين! فما خير العيش بعدهم؟ قال: فإن أبيتم عليّ هذه فإن الليلة ليلة السبت، وإنه عسى أن يكون محمدٌ وأصحابه قد آمنونا فيها، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة. قالوا: نفسد سبتنا علينا، ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت، فأصابه ما لم يحفّ عليك من المسخ! قال: ما بات رجلٌ منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً!

ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ: ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر لنستشيره في أمرنا. فأرسله رسول الله ﷺ إليهم فلما رأوه قام إليه، الرجال، وجّهش إليه النساء والصبيان فيكون في وجهه، فرق لهم وقالوا له: يا أبا لبابة، أترى أن تنزل على حكم محمد^(١)؟ قال: نعم - وأشار بيده إلى حلقه - إنه الذبح^(٢).

قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدمي عن مكانها حتى عرفت أنّي قد خنت الله ورسوله ﷺ.

ثم انطلق أبو لبابة على وجهه، ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده، وقال: لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله عليّ مما صنعت. وعاهدت الله ألا أطأ بني قريظة أبداً، ولا أرى في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً.

فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره، وكان قد استبطأه قال: أما إنه لو جاءني لاستغفرت له، فأما إذ فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه.

عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال: تيبّ على أبي لبابة. قلت: أفلا أبشّره يا رسول الله؟ قال: بلى إن شئت. فقامت على باب حجرتها - وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب - فقالت: يا أبا لبابة، أبشّر فقد تاب الله عليك!

قالت: فثار الناس إليه ليطلقوه، فقال: لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقني بيده. فلما مرّ عليه رسول الله ﷺ خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه.

(١) فعاد شأس إليهم بذلك. «عن شرح المواهب للزرقاني».

(٢) في شرح المواهب: كان أبا لبابة فهم ذلك من عدم إجابة الرسول ﷺ لهم بحقن دماهم، وعرف أن رسول الله سيذبحهم إن نزلوا على حكمه. وبهذا أشار إلى بني قريظة.

(١) وذلك أنهم لما حوصروا حتى أيقنوا بالهلكة، أنزلوا شأس بن قيس، فكلّمه رسول الله ﷺ أن ينزلوا على ما نزل بنو النضير، من ترك الأموال والحلقة، والخروج بالنساء والذراري وما حملت الإبل إلا الحلقة. فأبى رسول الله ﷺ. فقال: تحقن دماءنا وتسلم لنا النساء والذرية، ولا حاجة لنا فيما حملت الإبل، فأبى رسول الله ﷺ إلا أن ينزلوا على حكمه.

قال ابن هشام: أقام أبو لبابة مرتبطاً بالجذع ست ليال، تأتيه امرأته في كل وقت صلاة فتُحلُّه للصلاة، ثم يعود فيرتبط بالجذع.

فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ. فتواثبت الأوس فقالوا: يا رسول الله، إنهم موالينا دون الخزرج، وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت - وقد كان رسول الله ﷺ قبل بني قريظة قد حاصر بني قينقاع، وكانوا حلفاء الخزرج، فنزلوا على حكمه. فسأله إياهم عبد الله بن أبي بن سلول فوهبهم له - فلما كلمته الأوس قال رسول الله ﷺ: ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجلٌ منكم؟ قالوا: بلى. قال رسول الله ﷺ: فذاك إلى سعد بن معاذ.

وكان رسول الله ﷺ قد جعل سعد بن معاذٍ في خيمة لامرأةٍ من أسلم، يقال لها رُفيدة، في مسجده، كانت تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمةٍ من كانت به ضيعة من المسلمين، وكان رسول الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخنديق: اجعلوه في خيمة رُفيدة حتى أعوده من قريب. فلما حكمه رسول الله ﷺ في بني قريظة أتاه قومه فحملوه على حمارٍ قد وطئوا له بوسادة من آدم، وكان رجلاً جسيماً جميلاً، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون: يا أبا عمرو، أحسن في مواليك، فإن رسول الله ﷺ إنما ولأك لتحسن فيهم! فلما اكثروا عليه قال: لقد أنى لسعدٍ ألا تأخذه في الله لومة لائم. فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل فنعى لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد، عن كلمته التي سمع منه^(١).

فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين، قال رسول الله ﷺ: قوموا إلى سيدكم - فأما المهاجرون من قريش فيقولون: إنما أراد رسول الله ﷺ الأنصار. وأما الأنصار فيقولون: قد عمَّ بها رسول الله ﷺ - فقاموا إليه فقالوا: يا أبا عمرو، إن رسول الله ﷺ قد ولأك أمر مواليك لتحكم فيهم. فقال سعد بن معاذ: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه، أن الحكم فيهم لما حكمتُ؟ قالوا: نعم. قال: وعلى من ها هنا؟ - في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ، وهو معرضٌ عن رسول الله ﷺ إجلالاً - فقال رسول الله ﷺ: نعم. قال سعد فإني أحكم فيهم، أن تُقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسي الذراري والنساء.

(١) أي ما فهمه من قوله: «أنى لسعدٍ ألا تأخذه في الله لومة لائم»، أن سعداً رأى قتلهم، فنعاهم، قبل موثم.

قال رسول الله ﷺ لسعد: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة»^(١).

ثم استنزّلوا، فحبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة في دار بنت الحارث^(٢) ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة - التي هي سوقها اليوم - فخندق بها خنادق، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق يخرج بهم إليه أرسالاً^(٣)، وفيهم عدو الله حَيَّ بن أخطب، وكعب بن أسد رأس القوم، وهم ستمائة أو سبعمائة، والمكثّر لهم يقول: كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة، وقد قالوا لكعب بن أسدٍ وهم يُذهَبُ بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالاً: يا كعب، ما تراه يصنع بنا؟ قال: أفي كل موطنٍ لا تعقلون ألا ترون الداعي لا ينزع، وإنه من ذهب به منكم لا يرجع؟ هو والله القتل! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ.

وأبي يحيى بن أخطب عدو الله، وعليه حُلَّةٌ له فُقَّاحِيَّةٌ^(٤) قد شقها عليه من كل ناحية قدر أنملة، لئلا يُسَلَّبَهَا، مجموعةٌ يدها إلى عنقه بحبل. فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال: أما والله ما ملت نفسي في عداوتك ولكنني من يَحْذِلُ الله يَحْذِلُ! ثم أقبل على الناس فقال: يا أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر وملحمة^(٥) كتبها الله على بني إسرائيل. ثم جلس فُضِرِبَ عنقه.

عن عائشة أم المؤمنين قالت: لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة. قالت: والله إنها لعندي تحدّثت معي وتضحك ظهراً وبطناً، ورسول الله ﷺ يقتل رجالها في السوق إذ هتف باسمها: أين فلانة؟ قالت: أنا والله. قلت لها: ويلك! مالك؟ قالت: أقتل. قلت: ولم؟ قالت: لحديث أحدثته^(٦). قالت: فانطلق بها فضربت عنقها.

فكانت عائشة تقول: فوالله ما أنسى، عجباً منها، طيبَ نفسها، وكثرة ضحكها وقد عرفت أنها تُقتل.

وكان رسول الله ﷺ قد أمر بقتل كل من أنبت منهم. عن عطية القرظي قال: كان رسول الله ﷺ قد أمر أن يقتل من بني قريظة كل من أنبت منهم، وكنت غرمًا فوجدوني لم

(١) جمع رقيق، وهي الساء.

(٢) اسمها كيسة بنت الحارث.

(٣) أرسالاً: جماعات.

(٤) فُقَّاحِيَّةٌ: على لون الورد هم أن يتفتح:

(٥) الملحمة: الواقعة العظيمة القتل.

(٦) قال ابن هشام: هي التي طرحت الرحي على

خلاد بن سويد فقتلته.

أُنبت، فخلّوا سبيلي.

وعن أيوب بن عبد الرحمن، أن سلمى بنت قيس - وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ قد صلت معه القبليتين، وبايعته بيعة النساء - سألته رفاعَةَ ابنَ سموءل القرظي، وكان رجلاً قد بلغ، فلاذ بها^(١) وكان يعرفهم قبل ذلك، فقالت: يا نبيَّ الله، بأبي أنت وأمي، هب لي رفاعَةَ، فإنه قد زعم أنه سيصلي ويأكل لحم الجمل - فوهبه لها فاستحيته.

ثم إن رسول الله ﷺ قسم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين.

ثم بعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأنصاري أخا بني عبد الأشهل، بسبايا من سبايا بني قريظة إلى نجد، فابتاع لهم بها خيلاً وسلاحاً.

وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى لنفسه من نسائهم ریحانة بنت عمرو بن خنافة، فكانت عند رسول الله ﷺ حتى تُوفِّي عنها وهي في ملكه. وقد كان رسول الله ﷺ عرض عليها أن يتزوجها ويضرب عليها الحجاب، فقالت: يا رسول الله، بل تتركني في ملكك فهو أخفُّ عليّ وعليك. فتركها. وقد كانت حين سباها قد تعصت بالإسلام وأبت إلا اليهودية، فعزلها رسول الله ﷺ ووجد في نفسه لذلك من أمرها، فبينما هو مع أصحابه إذ سمع نعلين خلفه، فقال: إن هذا لثعلبة بن سعية يبشّرني بإسلام ریحانة. فجاءه فقال: يا رسول الله، قد أسلمت ریحانة! فسره ذلك من أمرها.

وأنزل الله تعالى في أمر الخندق وأمر بني قريظة من القرآن القصة في سورة الأحزاب، يذكر فيها ما نزل من البلاء، ونعمته عليهم، وكفايته إياهم، حين فرّج ذلك عنهم، بعد مقالة من قال من أهل النفاق: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً و جنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً﴾. والجنود قريش و غطفان وبنو قريظة. وكانت الجنود التي أرسل الله عليهم مع الريح الملائكة. يقول الله تعالى: ﴿إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم، وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا﴾. فالذين جاؤوهم من فوقهم: بنو قريظة، والذين جاؤوا من أسفل منهم: قريش و غطفان. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿هنا لك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزلاً شديداً وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً﴾، لقول معتب بن قشير^(٢) إذ يقول ما قال: ﴿وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا

(١) لاذ بها: التجأ إليها.

(٢) انظر ما مضى في صفحة ١٥٤.

مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا، وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ، وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١﴾ لَقَوْلِ أَوْسِ بْنِ قَيْظٍ وَمَنْ كَانَ عَلَى رَأْيِهِ مِنْ قَوْمِهِ ﴿٢﴾ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ﴿٣﴾ أَيْ الْمَدِينَةَ ﴿٤﴾ ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ ﴿٥﴾ أَيْ الرَّجُوعَ إِلَى الشَّرْكِ ﴿٦﴾ لِأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا. وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿٧﴾ فَهُمْ بَنُو حَارِثَةَ، وَهُمْ الَّذِينَ هُمُّوا أَنْ يَفْشَلُوا يَوْمَ أَحَدٍ مَعَ بَنِي سُلَيْمَةَ حِينَ هَمَّتْ بِالْفِشْلِ يَوْمَ أَحَدٍ، ثُمَّ عَاهَدُوا اللَّهَ أَنْ لَا يَعُودُوا لِمِثْلِهَا أَبَدًا، فَذَكَرَ لَهُمُ الَّذِي أَعْطَوْا مِنْ أَنْفُسِهِمْ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿٨﴾ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا. قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا. قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْوِقِينَ مِنْكُمْ ﴿٩﴾ أَيْ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ ﴿١٠﴾ وَالْقَاتِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١١﴾ أَيْ إِلَّا دَفْعًا وَتَعْذِيرًا^(١)، ﴿١٢﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ﴿١٣﴾ أَيْ لِلضُّغْنِ الَّذِي فِي أَنْفُسِهِمْ ﴿١٤﴾ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ تَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴿١٥﴾ أَيْ إِعْظَامًا لَهُ وَفَرَقًا مِنْهُ ﴿١٦﴾ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّبَةِ حَدَادٍ ﴿١٧﴾ أَيْ فِي الْقَوْلِ بِمَا لَا تَحْبُونَ، لِأَنَّهُمْ لَا يَرْجُونَ آخِرَةَ، وَلَا تَحْمِلُهُمْ حِسْبَةَ^(٢)، فَهُمْ يَهَابُونَ الْمَوْتَ هَيْبَةً مِنْ لَا يَرْجُو مَا بَعْدَهُ. ﴿١٨﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ﴿١٩﴾ قَرِيشٌ وَغَطَفَانٌ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَلُونَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢١﴾.

ثم أقبل على المؤمنين فقال: ﴿٢٢﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴿٢٣﴾ أَيْ لثَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ، وَلَا عَنْ مَكَانِ هُوَبِهِ. ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء يختبرهم به، فقال: ﴿٢٤﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٥﴾، أَيْ صَبْرًا عَلَى الْبَلَاءِ، وَتَسْلِيمًا وَتَصَدِيقًا لِلْحَقِّ، لَمَّا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى وَعَدَهُمْ وَرَسُولُهُ ﷺ. ثم قال: ﴿٢٦﴾ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ ﴿٢٧﴾ أَيْ فَرَّغَ مِنْ عَمَلِهِ وَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ كَمَنْ اسْتَشْهَدَ يَوْمَ بَدْرٍ وَيَوْمَ أُحُدٍ ﴿٢٨﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَفِرُ ﴿٢٩﴾ أَيْ مَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ مِنْ نَصْرِهِ وَالشَّهَادَةِ عَلَى مَا مَضَى عَلَيْهِ أَصْحَابِهِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ﴿٣٠﴾ وَمَا بَدَّلُوا بَدِيلًا ﴿٣١﴾ أَيْ مَا شَكُّوا وَمَا تَرَدَّدُوا فِي دِينِهِمْ وَمَا اسْتَبَدَّلُوا بِهِ غَيْرَهُ ﴿٣٢﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا

(١) التعذير: أن يفعل الشيء إنما يريد أن يقيم العذر عند (٢) الحسبة: الأجر.

من يراه.

رحيماً. وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم ﴿، أي قريشاً وغطفان ﴿ لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً. وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب ﴿ أي بني قريظة ﴿ من صياصبيهم ﴿ والصياصي: الحصون والأطام التي كانوا فيها ﴿ وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً ﴿ أي قتل الرجال وسبي الذراري والنساء. ﴿ وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطئوها ﴿ يعني خيبر ﴿ وكان الله على كل شيء قديراً ﴿ .

فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه فمات منه شهيداً.

عن الحسن البصري قال: كان سعد رجلاً بادناً، فلما حمله الناس وجدوا له خفة، فقال رجال من المنافقين: والله إن كان لبادنا، وما حملنا من جنازة أخف منه! فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «إن له حمة غيركم، والذي نفسي بيده لقد استبشرت الملائكة بروح سعد، واهتز له العرش» .

وقتل من المشركين ثلاثة نفر: منبه بن عثمان بن عبيد، أصابه سهم فمات منه بمكة. ومن بني مخزوم بن يقظة: نوفل بن عبدالله بن المغيرة، سألوا رسول الله ﷺ أن يبيعهم جسده، وكان اقتحم الخندق، فتورط فيه فقتل، فغلب المسلمون على جسده، فقال رسول الله ﷺ: « لا حاجة لنا في جسده ولا بثمنه » فحلى بينهم وبينه.

ومن بني عامر بن لؤي: عمرو بن عبد ود، قتله علي بن أبي طالب.

واستشهد يوم بني قريظة من المسلمين: خلاد بن سويد، طرحت عليه رحي فشدخته شدخاً شديداً فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: «إن له لأجر شهيدين» .

ومات أبو سنان بن محصن بن حُرثان، ورسول الله ﷺ محاصراً بني قريظة، فدفن في مقبرة بني قريظة.

ولما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله ﷺ فيما بلغني: «لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا، ولكنكم تغزونهم» .

فلم تغزهم قريش بعد ذلك، وكان هو الذي يغزوها، حتى فتح الله عليه مكة .

غزوة بني لحيان

ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفرًا وشهري ربيع، وخرج في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح قريظة، إلى بني لحيان، يطلب بأصحاب

الرجيع : خبيب بن عدي وأصحابه، وأظهر أنه يريد الشام، ليصيب من القوم غرة^(١).

فخرج من المدينة^(٢) فسلك على غراب : جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام، ثم على مخيض، ثم على البتراء، ثم صفق^(٣) ذات اليسار فخرج على بين^(٤) ثم على صخيرات اليمام، ثم استقام به الطريق على المحجة من طريق مكة فأغذ السير سريعاً حتى نزل على غران، وهي منازل بني لحيان - وغران : واد بين أمج وعسفان، إلى بلد يقال له ساية - فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في رؤوس الجبال، فلما نزلها رسول الله ﷺ وأخطاه من غرتهم لما أراد قال : لو أنا هبطنا عسفان لرأى أهل مكة أننا قد جئنا مكة. فخرج في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عسفان. ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم، ثم كروا وراح رسول الله ﷺ قافلاً.

فكان جابر بن عبد الله يقول :

سمعت رسول الله ﷺ يقول حين وجّه راجعاً :

أيون تائبون إن شاء الله، لربنا حامدون. أعود بالله من وعشاء السفر^(٥) وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في الأهل والمال.

غزوة ذي قرد

ثم قدم رسول الله ﷺ المدينة، فلم يقم بها إلا ليالي قلائل حتى أغار عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، في خيل من غطفان على لقاح^(٦) لرسول الله ﷺ بالغابة^(٧) وفيها رجل من بني غفار^(٨) وامرأة له، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللقاح.

وكان أول من نذر بهم^(٩) سلمة بن عمرو بن الأكوع السلمي، غدا يريد الغابة متوشحاً قوسه ونبله، ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله، معه فرس له يقوده. حتى إذا علا ثنية الوداع نظر إلى بعض خيولهم، فأشرف في ناحية سلع ثم صرخ : واصْبِحْها ! ثم خرج يشتد في آثار القوم، وكان مثل السبع، حتى لحق بالقوم، فجعل يردُّهم بالنبل، ويقول إذا رمى : «خذها وأنا ابن الأكوع، اليوم يوم الرضيع^(١٠)». فإذا وجَّهت الخيل نحوه انطلق هارباً ثم

(١) الغرة: الغفلة.

(٢) واستعمل عليها ابن أم مكتوم.

(٣) صفق: عدل وانصرف.

(٤) بين، بالكسر: واد قرب المدينة.

(٥) هو ابن أبي ذر. (٩) نذر بهم: علم بهم.

(٦) اللقاح، بكسر اللام: الإبل الحوامل ذوات الألبان.

(٧) الغابة: موقع قرب المدينة من ناحية الشام.

(٨) جمع راضع، والراضع: اللثيم. والمعنى: اليوم يملك اللثام.

(٩) أي مشقته وشدته.

عارضهم، فإذا أمكنه الرمي رمى ثم قال: «خذها وأنا ابن الأكوع، اليوم يوم الرضع». فيقول قائلهم: أويكنا هو أول النهار.

وبلغ رسول الله ﷺ صياح ابن الأكوع، فصرخ بالمدينة: الفرع الفرع! فترامت الخيول إلى رسول الله ﷺ.

وكان أول من انتهى إلى رسول الله ﷺ من الفرسان المقداد بن عمرو، ثم عبادة بن بشر بن وقش، وسعد بن زيد، وأسيد بن ظهير، وعكاشة بن محصن، وعمر بن نضلة، وأبو قتادة الحارث بن ربعي، وأبو عياش عبيد بن زيد. فلما اجتمعوا إلى رسول الله ﷺ أمر عليهم سعد بن زيد، ثم قال: اخرج في طلب القوم حتى ألقك بالناس.

ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة الحارث بن ربعي، حبيب بن عينة بن حصن، وغشاه ببردة، ثم لحق بالناس.

وأقبل رسول الله ﷺ في المسلمين، فإذا حبيب مسجى ببرد أبي قتادة، فاسترجع الناس وقالوا: «قتل أبو قتادة! فقال رسول الله ﷺ: ليس بأبي قتادة، ولكنه قتيل لأبي قتادة وضع عليه برده لتعرفوا أنه صاحبه.

وأدرك عكاشة بن محصن أوباراً وابنه عمرو بن أوبار، وهما على بعير واحد، فانتظمها بالرمح فقتلها جميعاً، واستنقذوا بعض اللقاح، وسار رسول الله ﷺ حتى نزل بالجبل من ذي قرد، وتلاحق به الناس، فنزل رسول الله ﷺ به وأقام عليه يوماً وليلة. وقال سلمة بن الأكوع: يا رسول الله، لو سرحتني في مائة رجل لاستنقذت بقية السرح، وأخذت بأعناق القوم. فقال رسول الله ﷺ: إنهم الآن ليغبقون في غطفان^(١).

فقسم رسول الله ﷺ في أصحابه، في كل مائة رجل جزوراً وأقاموا عليها. ثم رجع رسول الله ﷺ قافلاً حتى قدم المدينة.

وأقبلت امرأة الغفاري على ناقة من إبل رسول الله ﷺ حتى قدمت عليه، فأخبرته الخبر، فلما فرغت قالت: يا رسول الله، إني قد نذرت لله أن أنحرها إن نجاني الله عليها! فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: «بئس ما جزيتها إن حملك الله عليها ونجاك بها ثم تنحرينها! إنه لا نذر في معصية الله ولا فيها لآملكين، إنما هي ناقة من إبل، فارجمي إلى أهلك على بركة الله».

(١) يغبقون: يسقون الغبوق، وهو اللبن يشرب في العشي.

غزوة بني المصطلق^(١)

فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجباً، ثم غزا بني المصطلق من خزاعة، في شعبان سنة ست

بلغ رسول الله ﷺ أن بني المصطلق يجمعون له، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار، أبو جويرية بنت الحارث زوج رسول الله، فلما سمع رسول الله ﷺ بهم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء يقال له: المريسيع، من ناحية قديد إلى الساحل، فتزاحف الناس واقتلوا، فهزم الله بني المصطلق وقتل من قتل منهم، ونقل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفاءهم عليه.

وقد أصيب رجل من المسلمين من بني كعب بن عوف، يقال له هشام بن صبابه، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت، وهو يرى أنه من العدو فقتله خطأ.

فبينما رسول الله ﷺ على ذلك الماء، وردت واردة الناس، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار يقال له: جهجاه بن مسعود، يقود فرسه، فازدحم جهجاه وسانان بن وبر الجهنى على الماء، فاقتلا، فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار، وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين. فغضب عبدالله بن أبي بن سلول - وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم، غلام حدث - فقال: أوقد فعلوها، قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما أعدنا وجلابيب قريش^(٢) إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك! أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل! ثم أقبل على من حضره من قومه فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم! وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم!.

فسمع ذلك زيد بن أرقم فمشى به إلى رسول الله ﷺ، وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوه، فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب، فقال: مَرُّ به عبادة بن بشر فليقتله. فقال رسول الله ﷺ: فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه! لا ولكن أذن بالرحيل. وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها. فارتحل الناس.

وقد مشى عبدالله بن أبي بن سلول إلى رسول الله ﷺ حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه، فحلف بالله: ما قلت ما قال ولا تكلمت به! وكان في قومه شريفاً

(١) وتسمى أيضاً غزوة المريسيع.

(٢) لقب كان المشركون يلقبون به من أسلم من المهاجرين.

عظيماً، فقال من حضر رسول الله ﷺ من الأنصار من أصحابه: يا رسول الله، عسى أن يكون الغلام قد أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل! حدباً على ابن أبي بن سلول، ودفعاً عنه.

فلما استقل رسول الله ﷺ وسار، لقيه أسيد بن حضير، فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال: يا نبي الله، والله لقد رُحِتَ في ساعةٍ منكراً ما كنت تروح في مثلها! فقال له رسول الله ﷺ: أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟ قال: وأي صاحب يا رسول الله؟ قال: عبد الله بن أبي. قال: وما قال؟ قال: زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. قال: فانت يا رسول الله والله تخرجه منها إن شئت، هو والله الذليل وأنت العزيز! ثم قال: يا رسول الله، ارفق به، فوالله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكاً.

ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدَرَ يومهم ذلك، حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مسَّ الأرض فوقعوا نياماً، وإنما فعل ذلك رسول الله ﷺ ليشغل الناس بالحديث الذي كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبي.

ثم راح رسول الله ﷺ بالناس وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فويق النقيع يقال له بقعاء، فلما راح رسول الله ﷺ هبت على الناس ريح آذتهم وتخوفوها، فقال رسول الله ﷺ: لا تخافوها، فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار. فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت، أحد بني قينقاع - وكان عظيماً من عظماء يهود، وكهفياً للمنافقين - مات في ذلك اليوم.

ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين في ابن أبي ومن كان على مثل أمره، فلما نزلت أخذ رسول الله ﷺ بأذن زيد بن أرقم، ثم قال: هذا الذي أوقى لله بأذنه. وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي الذي كان من أمر أبيه فقال: يا رسول الله، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت لا بد فاعلاً فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبرج والده مني، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس، فأقتله فأقتل رجلاً مؤمناً بكافر فادخل النار. فقال رسول الله ﷺ: بل نترفق به ونُحسِن صحبته ما بقي معنا.

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه، فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب، حين بلغه ذلك من شأنهم: كيف ترى يا عمر؟ أما

والله لو قتلته يوم قلت لي اقلته لأرعدت له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته . قال عمر: قد والله علمتُ لأمر رسول الله ﷺ أعظمُ بركةً من أمري .

وقدم مقيس بن صُبابه من مكة مسلماً فيما يُظهر، فقال: يا رسول الله، جئتُك مسلماً، وجئتُك أطلب ديةَ أخي، قُتل خطأ! فأمر له رسول الله ﷺ بدية أخيه هشام بن صُبابه، فأقام عند رسول الله ﷺ غير كثير، ثم غدا على قاتل أخيه فقتله، ثم خرج إلى مكة مرتداً .

وأصيب من بني المصطلق يومئذ ناس^(١)، وقتل عليُّ بن أبي طالب منهم رجلين: مالكاً وابنه . وقتل عبد الرحمن بن عوف رجلاً من فرسانهم يقال له أحر، أو أحيمر .

وكان رسول الله ﷺ قد أصاب منهم سبياً كثيراً، فشا قسمه في المسلمين، وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، زوج رسول الله ﷺ .

قالت عائشة: لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشماس، أو لابن عم له، فكاتبته على نفسها، وكانت امرأة حلوة ملاحه^(٢) ولا يراها أحدٌ إلا أخذت بنفسه، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها، فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها، وعرفت أنه سيرى منها رسول الله ﷺ ما رأيت، فدخلت عليه فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخفَ عليك، فوَقَعْتُ في السهم لثابت بن قيس بن الشماس - أو لابن عم له - فكاتبته على نفسي، فجئتُك أستعينك على كتابتي . قال: فهل لك في خير من ذلك؟ قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: أقضي عنك كتابتك وأتزوجك . قالت: نعم يا رسول الله . قال: قد فعلت .

وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية بنت الحارث ابن أبي ضرار، فقال الناس أصهار رسول الله ﷺ . وأرسلوا ما بأيديهم .

قالت: فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق . فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركةً منها .

وعن يزيد بن رومان: أن رسول الله ﷺ بعث إليهم بعد إسلامهم الوليد بن عقبة بن أبي مُعيط، فلما سمعوا به ركبوا إليه، فلما سمع بهم هابهم، فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره أن القوم قد هموا بقتله ومنعوه ما قبلهم من صدقتهم، فأكثر المسلمون في ذكر غزوهم حتى

(١) قال ابن هشام: «وكان شعار المسلمين يوم بني (٢) أي شديدة الملاحه .

المصطلق: يا منصور، أم، أمت» .

هم رسول الله ﷺ بأن يغزوهم . فبينما هم على ذلك قدم وفدهم على رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله ، سمعنا برسولك حين بعثته إلينا ، فخرجنا إليه لنكرمه ، ونؤدّي إليه ما قبلنا من الصدقة ، فانشمر راجعاً^(١) ، فبلغنا أنه زعم لرسول الله ﷺ أنا خرجنا إليه لنقتله ، ووالله ما جئنا لذلك .

فأنزل الله تعالى فيه وفيهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِبُوهَا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ . وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَتَمَّ ﴾ إلى آخر الآية .

وقد أقبل رسول الله ﷺ من سفره ذلك حتى إذا كان قريباً من المدينة ، وكانت معه عائشة في سفره ذلك ، قال فيها أهل الإفك ما قالوا .

خبر الإفك ، في غزوة بني المصطلق سنة ست

عن عائشة قالت :

كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه ، فأيتهنَّ خرج سهمها خرج بها معه ، فلما كانت غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه كما كان يصنع ، فخرج سهمي عليهنَّ معه ، فخرج بي رسول الله ﷺ .

وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العلق^(٢) لم يهيجهنَّ^(٣) اللحم فيثقلن ، وكنت إذا رُحلت لي بعيري جلست في هودجي ، ثم يأتي القوم الذين يرحلون لي ويحملونني ، فيأخذون بأسفل الهودج فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فيشدونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به .

فلما فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذلك وجّه قافلاً ، حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً فبات فيه بعض الليل ، ثم أذن في الناس بالرحيل ، فارتحل الناس ، وخرجت لبعض حاجتي وفي عنقي عقد لي ، فيه جَزْعُ ظَفَار^(٤) ، فلما فرغت انسلت من عنقي ولا أدري ، فلما رجعت إلى الرحل ذهبت ألتمسه في عنقي فلم أجده ، وقد أخذ الناس في الرحيل ، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه فالتمسته حتى وجدته ، وجاء القوم خِلافي ، الذين كانوا يرحلون

(٣) الهيج : الورم . هبجه تهيجاً : ورمه .

(١) انشمر : جد وأسرع .

(٢) العلق : جمع علقة ، بالضم ، وهو ما يتبلغ به من الطمام .

(٤) الجزع : الحرز . وظفار : مدينة باليمن قرب صنعاء .

لي البعير^(١)، وقد فرغوا من رحلته، فأخذوا الهودج وهم يظنون أنني فيه كما كنت أصنع، فاحتملوه فشدوه على البعير، ولم يشكوا أنني فيه، ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به، فرجعت إلى العسكر وما فيه من داع ولا مجيب. قد انطلق الناس، فتلففت بجلبابي ثم اضطجعت في مكاني، وعرفت أن لو قد افتقدت لرجع إلي، فوالله إنني لمضطجعة إذ مر بي صفوان بن المعطل السلمي، وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته، فلم يبت مع الناس، فرأى سوادى فأقبل حتى وقف علي، وقد كان يراني قبل أن يضرب علينا الحجاب فلما رآني قال: إننا لله وإنا إليه راجعون، طعينة رسول الله ﷺ! وأنا متلففة في ثيابي. قال: ما خلّفك يرحمك الله؟ فما كلمته. ثم قرب البعير فقال: اركبي. واستأخر عني. فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريعاً يطلب الناس، فوالله ما أدركنا الناس وما افتقدت حتى أصبحت، ونزل الناس، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بي، فقال أهل الإفك ما قالوا فارتعج^(٢) العسكر، ووالله ما أعلم بشيء من ذلك.

ثم قدمنا المدينة، فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة^(٣)، ولا يبلغني من ذلك شيء، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ وإلى أبيي لا يذكرون لي منه قليلاً ولا كثيراً، إلا أنني أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه بي، كنت إذا اشتكيت رحمني ولطف بي، فلم يفعل ذلك بي في شكواي تلك، فأنكرت ذلك منه، كان إذا دخل عليّ وعندني أمي^(٤) تمرّضني قال: كيف تبيكم؟ لا يزيد على ذلك، حتى وجدت^(٥) في نفسي فقلت: يا رسول الله - حين رأيت ما رأيت من جفائه لي - لو أذنت لي فانتقلت إلى أمي فمرّضتني؟ قال: لا عليك.

قالت: فانتقلت إلى أمي ولا علم لي بشيء مما كان، حتى نقيت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة.

وكنّا قوماً لا نتخذ في بيوتنا هذه الكنف التي تتخذها الأعاجم، نعافها ونكرها، وإنما كنا نذهب في فُسح المدينة، وإنما كانت النساء يخرجن كل ليلة في حوائجهن. فخرجت ليلة لبعض حاجتي ومعني أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف، فوالله إنها لتمشي معي إذ عثرت في مرطها^(٦)، فقالت: تعس مسطح! قالت: بش لعمر الله ما قلت لرجل

(٤) اسمها زينب بنت عبد دهمان، فيما قال ابن هشام.

(٥) الوجد: الحزن.

(٦) المرط: الكساء.

(١) رحل البعير: وضع عليه الرحل.

(٢) ارتعج: تحرك واضطرب.

(٣) الشكوى: المرض.

من المهاجرين قد شهد بديراً ! قالت : أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر ؟ قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك . قلت : أو قد كان هذا ؟ قالت : نعم والله لقد كان .

قالت : فوالله ما قدرت على أن أقضي حاجتي ، ورجعت ، فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدع^(١) كبدي ، وقلت لأمي : يغفر الله لك ، تحدث الناس بما تحدثوا به ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً ! قالت : أي بنيه ، خفصي عليك الشأن^(٢) ، فوالله لقلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها ، لها ضرائر ، إلا كثرن وكثر الناس عليها^(٣) .

قالت : وقد قام رسول الله ﷺ في الناس يخطبهم - ولا أعلم بذلك - فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس ، ما بال رجال يؤذونني في أهلي ، يقولون عليهم غير الحق ، والله ما علمت منهم إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً ، وما يدخل بيتاً من بيوتي إلا وهو معي » .

قالت : وكان كبير ذلك^(٤) عند عبد الله بن أبي بن سلول ، في رجال من الخزرج ، مع الذي قال مسطح وحمئة بنت جحش . وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله ﷺ ، ولم تكن من نسائه امرأة تناصيني^(٥) في المنزلة عنده غيرها . فأما زينب فعصمها الله بدينها فلم تقل إلا خيراً . وأما حمئة بنت جحش فأشاعت من ذلك ما أشاعت ، تضادني لأختها ، فشقيت بذلك .

فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة قال أسيد بن حضير : يا رسول الله ، إن يكونوا من الأوس نكفيكهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فمرنا بأمرك ، فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم ! فقام سعد بن عبادة ، وكان قبل ذلك يرى رجلاً صالحاً . فقال : كذبت لعمر الله ، لا تضرب أعناقهم ، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا ! فقال أسيد : كذبت لعمر الله ، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين !

قالت : وتساور الناس^(٦) حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر ،

(٤) كبر ذلك ، أي معظم ذلك الإثم .

(٥) المناصاة : المساواة .

(٦) تساوروا : توثبوا .

(١) يصدع : يشق .

(٢) أي هوني عليك الأمر .

(٣) أي كثروا القول فيها والعتت عليها . ويروي : (٦) تساوروا : توثبوا .

(كبرن) من الكبر وهو الإثم .

ونزل رسول الله ﷺ (١) ودخل عليّ، فدعا علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد فاستشارهما، فأما أسامة فأتني عليّ خيراً وقاله ثم قال: يا رسول الله، أهلك ولا نعلم إلاّ خيراً، وهذا الكذب والباطل ! وأما عليّ فإنه قال: يا رسول الله، إن النساء لكثير، وإنك لقادرٌ عليّ أن تستخلف، وسلّ الجارية فإنها تصدّك.

فدعا رسول الله ﷺ بُريرة (٢) ليسألها، فقام إليها علي بن أبي طالب فضربها ضرباً شديداً وقال: اصدّقني رسول الله ﷺ. فتقول: واللّه ما أعلم إلاّ خيراً، وما كنت أعيب علي عائشة شيئاً إلاّ أنّي كنت أعجن عجيني فأمرها أن تحفظه، فتنام عنه فتأتي الشاة فتأكله !

قالت: ثم دخل عليّ رسول الله ﷺ وعندي أبوي، وعندي امرأة من الأنصار، وأنا أبكي وهي تبكي معي، فجلس فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا عائشة، إنه كان ما بلغك من قول الناس فاتقي الله، وإن كنت قد قارفتِ سوءاً مما يقول الناس فتوبي إلى الله، فإن الله يقبل التوبة عن عباده ! فوالله ما هو إلا أن قال لي ذلك فقلص دمعي (٣) حتى ما أحس منه شيئاً، وانتظرت أبواي أن يجييا عني رسول الله ﷺ، فلم يتكلّما ! وإيم الله لأنّ كنت أحقر في نفسي وأصغر شأناً من أن ينزل الله في قرآناً يُقرأ به في المساجد ويصلّى به، ولكنني قد كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في نومه شيئاً يكذب به الله عني، لما يعلم الله من براءتي، أو يخبر خبيراً، فأما قرآن يُنزل في فوالله لُنُفي أحقر عندي من ذلك !

فلما لم أر أبواي يتكلمان قلتُ لهما: ألا تحييان رسول الله ﷺ ؟ فقالا: واللّه ما ندري بماذا نجيبه. ووالله ما أعلم أهل بيتٍ دخل عليهم مادخل عليّ آل أبي بكر في تلك الأيام ! فلما أن استعجما عليّ (٤) استعبرت فبكيت، ثم قلت: واللّه لا أتوب إلى الله ممّا ذكرتُ أبداً ! واللّه إنّي لأعلم لئن أقررتُ بما يقول الناس واللّه يعلم أنّي منه بريئة لأقولن ما لم يكن، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقوني.

قالت: ثم التمت اسم يعقوب فما أذكره، فقلت: ولكن سأقول كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾. فوالله ما برح رسول الله ﷺ مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه، فسجّيت بثوبه ووضعت له وسادةً من آدم تحت رأسه، فأما أنا حين رأيتُ من ذلك ما رأيتُ فوالله ما فرعتُ ولا باليت، قد عرفتُ أنّي بريئة، وأن الله عزّ وجلّ غير ظالمي. وأمّا أبواي فوالذي نفس عائشة بيده ما سُري عن

(٣) قلص: ارتفع وأمسك.

(٤) استعجم: لم ينطق.

(١) أي من علي المنبر.

(٢) بريرة: مولاة عائشة.

رسول الله ﷺ حتى ظننتُ لتخرجنَّ أنفسهما، فرقا من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس .
قالت: ثم سُري عن رسول الله ﷺ فجلسَ وإنه ليتحدَّر منه مثلُ الجمان^(١) في يوم
شاتٍ، فجعل يمسح العرقَ عن جبينه ويقول: أبشري يا عائشة، فقد أنزل الله براءتك .
قلت: بحمدِ الله !

ثم خرجَ إلى الناس فخطبهم، وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن في ذلك، ثم
أمر بمسطح بن أثاثه، وحسان بن ثابت، وحمئة بنت جحش، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة،
فضربوا حدهم .

قال ابن إسحاق، عن بعض رجال بني النجار: أن أبا أيوب خالد بن زيد قالت له
امراته أم أيوب، أسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى، وذلك الكذب، أكنتِ يا أم
أيوب فاعلة؟ قالت: والله ما كنت لأفعله . قال: فعائشة والله خير منك !

قالت: فلما نزل القرآن ذكر من قال من أهل الفاحشة ما قال من أهل الإفك فقال
تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ
مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ - وذلك حسان بن ثابت
وأصحابه الذين قالوا ما قالوا - ثم قال تعالى: ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ
بأنفسهم خيرا ﴾ ، أي فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبه .

ثم قال: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا
وهو عند الله عَظِيمٌ ﴾ .

فلما نزل هذا في عائشة وفيمن قال لها ما قال، قال أبو بكر، وكان يُنفق على مسطح
لقرابته وحاجته: والله لا أنفق على مسطح شيئا أبداً، ولا أنفعه بنفع أبداً بعد الذي قال
لعائشة وأدخل علينا .

قالت: فأنزل الله في ذلك: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي
القربى والمساكين والمهاجرين في سبيلِ الله وليعفوا وليصْفَحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم
والله غفورٌ رحيم ﴾ . فقال أبو بكر: بلى والله إنِّي لأحبُّ أن يغفر الله لي . فرجع إلى
مسطح نَفَقَتَهُ التي كان يُنفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً .

قال ابن إسحاق: وقال قائل من المسلمين في ضرب حسان وأصحابه .

(١) الجمان: حب كالدريصنع من الفضة .

لقد ذاق حَسَانُ الذي كان أهله
تعاطوا بَرَجَمَ الغيب زوج نبيهم
وآذوا رسولَ الله فيها فَجَلَّلوا
وَصُبَّتْ عليهم مُحْصَدَاتُ كَأَنَّهَا
وَحَمْنَةٌ إذ قالوا هَجِيرًا، وَمَسْطَحٌ^(١)
وَسَخْطَةٌ ذِي العرش الكريم فَأَتْرَحُوا^(٢)
مَخَازِي تَبْقَى عُمُومَهَا وَفُضْحُوا
شَايِبٌ قَطْرٌ مِنْ ذُرَى المزن تَسْفَعُ^(٣)

أمر الحُدَيْبِيَّةِ فِي آخِرِ سَنَةِ سِتْ

ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة شهر رمضان وشوالاً ، وخرج في ذي القعدة معتمراً لا يريد حرباً^(٤) واستنفر العربَ وَمَنْ حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه ، وهو يخشى من قريش الذي صنعوا : أن يعرضوا له بحربٍ أو يصدُّوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثيرٌ من الأعراب ، وخرج رسولُ الله ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار وَمَنْ لحقَ به من العرب ، وساقَ معه الهدْيَ^(٥) ، وأحرمَ بالعمرة ، ليأمنَ الناسُ مِنْ حربِهِ ، وليعلمَ الناسُ أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظماً له .

وخرج رسول الله ﷺ حتى إذا كان بعُسفان^(٦) لقيه بشر بن سفيان الكعبي ، فقال : يا رسول الله ، هذه قريشٌ قد سمعتُ بمسيرك ، فخرجوا معهم العوذ المطافيل^(٧) ، وقد نزلوا بذِي طُوًى^(٨) يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً ، وهذا خالدُ بن الوليد في خيلهم قد قدّموها إلى كُرَاعِ الغمِيمِ^(٩) . فقال رسول الله ﷺ : يا ويحَ قريش ! لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب ، فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وإفريقين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظنُّ قريش؟ فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني به حتى يُظهره الله أو تنفردَ هذه السالفة^(١٠) ! ثم قال : مَنْ رجلٌ يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها؟ وإن رجلاً من بني أسلم قال : أنا يا رسول الله . فسلك بهم طريقاً وعرأً أجراً^(١١) بين شعاب ، فلما خرجوا

- (١) الهجير: الحجر، والقول الفاحش القبيح .
(٢) الرجم: القول بالظن . أترحوا: أحزنوا . .
(٣) المحصدات: السياط المحكمة القتل الشديدة .
الشاييب: جمع شؤبوب، وهو الدفعة من المطر الذرى: الأعالي . المزن: السحاب . تسفع: تسيل .
(٤) قال ابن هشام: واستعمل على المدينة نميلة بن عبد الله الليثي .
(٥) كان سبعين بدنة، وكان الناس سبعمائة رجل، فكانت كل بدنة عن عشرة نفر .
(٦) عسفان: منهل من مكة على مرحلتين .
(٧) العوذ: جمع عائد، وهي الحديثة التاج من الإبل .
المطافيل: التي معها أولادها . يريد أنهم خرجوا بدوات الألبان من الإبل ليتزودوا البانها ولا يرجعوا حتى يناجزوا محمداً .
(٨) ذو طوى: موضع قرب مكة .
(٩) كراع الغميم: واد أمام عسفان بثمانية أميال .
(١٠) السالفة: صفحة العنق .
(١١) الأجرل: الكثير الحجارة .

منه وقد شق ذلك على المسلمين وأفضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي قال رسول الله ﷺ للناس: قولوا: نستغفر الله ونتوب إليه. فقالوا ذلك. فقال: والله إنها للخطئة^(١) التي عرضت على بني إسرائيل فلم يقولوها.

فأمر رسول الله ﷺ الناس فقال: اسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحمض، في طريق تخرجهم على ثنية المرار، مهبط الحديدية من أسفل مكة.

فسلك الجيش ذلك الطريق، فلما رأته خيل قريش قترت الجيش^(٢)، قد خالفوا عن طريقهم، رجعوا راكضين إلى قريش. وخرج رسول الله ﷺ حتى إذا سلك في ثنية المرار بركت ناقته، فقالت الناس: خلأت^(٣) الناقة. قال: ما خلأت، وما هو لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة. لا تدعوني قريش اليوم إلى خطئة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها. ثم قال للناس: انزلوا. قيل له: يا رسول الله، ما بالوادي ماء نزل عليه. فأخرج سهماً من كنانته فأعطاه رجلاً من أصحابه فنزل به في قلب من تلك القلب^(٤) فغرز في جوفه، فجاش بالرواء^(٥) حتى ضرب الناس عنه بعطن^(٦).

فلما اطمأن رسول الله ﷺ أتاه بديل بن ورقاء الخزاعي في رجال من خزاعة، فكلموه وسألوه: ما الذي جاء به؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً، وإنما جاء زائراً للبيت، ومعظماً لحرمة، ثم قال لهم نحواً مما قال لبشر بن سفيان، فرجعوا إلى قريش فقالوا: يا معشر قريش، إنكم تعجلون على محمد، إن محمداً لم يأت لقتال وإنما جاء زائراً هذا البيت.

فاتهموهم وجبهوهم^(٧) وقالوا: وإن كان جاء لا يريد قتالاً، فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبداً، ولا تحدث بذلك عنا العرب.

وكانت خزاعة عيبة نصح^(٨) رسول الله ﷺ، مسلمها ومشرکها، لا يخفون عنه شيئاً كان بمكة.

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وقولوا حطة﴾، ومعناه:

اللهم حط عنا ذنوبنا.

(٢) القترت: الغبار.

(٣) خلأت: بركت ولم تنهض.

(٤) القلب: البئر.

(٥) جاش: ارتفع. الرواء: الكثير.

(٦) العطن: مبرك الإبل حول الماء.

(٧) جبهه: خاطبه بما يكره.

(٨) أي خاصته وأصحاب سره.

ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص بن الأخيف ، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال : هذا رجلٌ غادر . فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ وكلمه قال له رسول الله ﷺ نحواً مما قال لبديل وأصحابه . فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله ﷺ .

ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة - أو ابن زبان - وكان يومئذ سيد الأحابيش فلما رآه رسول الله ﷺ قال : إن هذا من قوم يتأهون^(١) ، فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه ، فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادي^(٢) في قلاته^(٣) ، وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله^(٤) ، رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله ﷺ ، إعظماً لما رأى . فقال لهم ذلك ، فقالوا له : اجلس فإنما أنت أعرابي لا علم لك . فغضب عند ذلك وقال : يا معشر قريش ، والله ما على هذا حالناكم ، ولا على هذا عاقدناكم ، أئصد عن بيت الله من جاء معظماً له ! والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أو لأنفرون بالأحابيش نفرة رجل واحد ! فقالوا له : مه ، كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ عروة بن مسعود الثقفي ، فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ فجلس بين يديه ثم قال : يا محمد ، أجمعت أوشاب الناس^(٥) ثم جئت بهم إلى بيضتك^(٦) لتفضها بهم^(٧) ، إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل^(٨) ، قد لبسوا جلود النمرور ، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبداً . وإيم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً ! وأبو بكر الصديق خلف رسول الله ﷺ قاعد ، فقال : امصص بظر اللات ، ونحن ننكشف عنه ؟ قال : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أبي قحافة . قال : أما والله لولا يد قد كانت لك عندي لكافأتك بها ، ولكن هذه بها .

ثم جعل يتناول لحية رسول الله ﷺ وهو يكلمه ، والمغيرة ابن شعبة واقف على رأس رسول الله ﷺ في الحديد ، فجعل يقرع يده إذا تناول لحية رسول الله ﷺ ويقول : اكفف يدك عن وجه رسول الله قبل أن لا تصل إليك ! فيقول عروة : ويحك ! ما أفظك وأغلظك ! فتبسم رسول الله ﷺ ، فقال له عروة : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة . قال : أي غدر ، وهل غسلت سوءتكم إلا بالأمس^(٩) ، فكلمه رسول

(١) يتأهون : يتعبدون ويعظمون الله .

(٢) عرض الوادي : جانبه .

(٣) القلادة : ما يعلق في عنق الهدى إعلماً له .

(٤) المحل : الموضع الذي ينحرف فيه من الحرم .

(٥) الأوشاب : الأخلاط .

(٦) بيضة الرجل : قبيلته وعشيرته

(٧) تفضها : تكسرها .

(٨) انظر ما سبق في صفحة ١٧٦ .

(٩) قال ابن هشام أراد عروة بهذا أن المغيرة بن شعبة قبل

إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك من ثقيف ، =

اللَّهُ ﷺ بنحوٍ مما كَلَّمَ به أصحابه، وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً.

فقام من عند رسول الله ﷺ وقد رأى ما يصنع به أصحابه، لا يتوضأ إلا وابتدروا وضوءه، ولا يبصق بصاقاً إلا ابتدروه، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه. فرجع إلى قريش فقال: يا معشر قريش، إني قد جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه! وقد رأيت قوماً لا يُسلمونه لشيء أبداً، فرؤا رأيكم.

وإن رسول الله ﷺ دعا خراش بن أمية الخزاعي، فبعثه إلى قريش بمكة، وحمله على بعير له يقال له: «الثعلب» ليلبغ أشرافهم عنه ما جاء له، فعقروا به جمل رسول الله ﷺ وأرادوا قتله، فمنعته الأحابيش فخلوا سبيله، حتى أتى رسول الله ﷺ.

ثم دعا عمر بن الخطاب ليعثه إلى مكة فيلبغ عنه أشراف قريش ما جاء له، فقال: يا رسول الله، إني أخاف قريشاً على نفسي، وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها، وغلظتي عليها، ولكنني أدلك على رجل أعز بها مني: عثمان بن عفان.

فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش، يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وأنه إنما جاء زائراً لهذا البيت ومعظماً لحرمة.

فخرج عثمان إلى مكة فلقية أبان بن سعيد بن العاص، حين دخل مكة، أو قبل أن يدخلها، فحمله بين يديه، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش، فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف. فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ. واحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان بن عفان قد قُتل.

بيعة الرضوان

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر:

أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان قد قُتل: لا نبرح حتى نناجز القوم.

= فتهايج الحيان من ثقيف، بنو مالك رهط المقتولين، والأحلاف رهط المغيرة، فودي عروة المقتولين ثلاث عشرة دية، وأصلح ذلك الأمر.

فدعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة .
فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله ﷺ على الموت . وكان جابر بن عبد الله
يقول: إن رسول الله ﷺ لم يبايعنا على الموت، ولكن بايعنا على ألا نفر.
فبايع رسول الله ﷺ الناس^(١)، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها، إلا
الجدُّ بن قيس، أخو بني سلمة، فكان جابر بن عبد الله يقول: والله لكأني أنظر إليه
لاصقاً بإبط ناقته، قد ضباً إليها^(٢) يستر بها من الناس .
ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل .

أمر الهدنة (صلح الحديبية)

ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو، أخا بني عامر بن لؤي، إلى رسول الله ﷺ وقالوا
له: ائت محمداً فصالحه، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا، فوالله لا تحدث
العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبداً .

فأتاه سهيل بن عمرو، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال: قد أراد القوم الصلح حين
بعثوا هذا الرجل . فلما انتهى سهيل إلى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام، وتراجعا، ثم
جرى بينهما الصلح .

فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر، فقال: يا أبا
بكر، أليس برسول الله، قال: بلى . قال: أو لسنا بالمسلمين؟ قال: بلى . قال: أليسوا
بالمشركين؟ قال: بلى . قال: فعلام نعطي الدنية^(٣) في ديننا؟ قال أبو بكر: يا عمر، الزم
عززه^(٤)، فإني أشهد أنه رسول الله . قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله .

ثم أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ألسنت برسول الله؟ قال: بلى . قال:
أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى . قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى . قال: فعلام نعطي الدنية
في ديننا؟ قال: أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره ولن يضيعني .

فكان عمر يقول: ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ،
مخافة كلامي الذي تكلمت به، حتى رجوت أن يكون خيراً .

(١) ذكر ابن هشام أن أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة
الرضوان أبو سنان الأسدي .
(٢) ضباً إليها: لصق بها واستتر .
(٣) الدنية: الذل والأمر الخسيس .
(٤) أي الزم أمره . والغرز للرحل، بمنزلة الركاب
للسرج .

ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه فقال: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم». فقال سهيل: لا أعرف هذا، ولكن اكتب «باسمك اللهم». فكتبها.

ثم قال: اكتب «هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو». فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقتلك، ولكن اكتب: اسمك واسم أبيك. فقال رسول الله ﷺ: اكتب:

« هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو. اصطالحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يرده عليه. وإن بيننا عيبة مكفوفة^(١). وإنه لا إسلال ولا إغلال^(٢). وإنه من أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ».

فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده. وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم، وإنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة، وإنه إذا كان عام قابل خرجنا عنها فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثاً، معك سلاح الرّكاب، السيوف في القرب، لا تدخلها بغيرها.

فبينما رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد، قد انفلت إلى رسول الله ﷺ؛ وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا، وهم يشكّون في الفتح، لرؤيا رآها رسول الله ﷺ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع، وما تحمل عليه رسول الله ﷺ في نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون. فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بتليبيه^(٣)، ثم قال: يا محمد، قد لجت القضية^(٤) بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا. قال: صدقت. فجعل يتّره^(٥) بتليبيه ويجره ليرده إلى قريش، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، أأرد إلى المشركين يفتنون في ديني؟! فزاد ذلك الناس إلى ما بهم، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا جندل، اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا! إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً، وأعطيناهم على ذلك

(٣) التلييب: مجمع الثياب عند الصدر والنحر، أخذ

بتليبيه: جمع عليه ثوبه عند صدره وقبض عليه يجره.

(٤) لجت القضية: تم الحكم.

(٥) نتره: جذبة جذباً شديداً.

(١) أصل العيبة وعاء من جلد يكون فيه المتاع. مكفوفة:

أشرجت على ما فيها وأقفلت. ضرب ذلك مثلاً

للقلوب التي طويت على ما تعاقدوا عليه.

(٢) الإسلال: السرقة الخفية. والإغلال: الخيانة.

وأعطونا عهد الله، وإنا لا نغدر بهم.

فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ويقول: اصبر يا أبا جندل فإنهم المشركون، وإنما دم أحدكم دم كلب! ويذني عمر قائم السيف منه، يقول عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه! فضن الرجل بأبيه، ونفذت القضية.

فلما فرغ من الكتاب أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسعد بن أبي وقاص، ومحمود بن مسلمة، ومكرز بن حفص وهو يومئذ مشرك، وعلي بن أبي طالب وكتب، وكان هو كاتب الصحيفة.

وكان رسول الله ﷺ مضطرباً في الحِلِّ، وكان يصلي في الحرم فلما فرغ من الصلح قام إلى هديه فنحره، ثم جلس فحلق رأسه، فلما رأى الناس أن رسول الله ﷺ قد نحر وحلق توثبوا ينحرون ويحلقون.

ثم انصرف رسول الله ﷺ ومن وجهه ذلك قافلاً، حتى إذا كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً. ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر، ويؤتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً﴾.

ثم قال تعالى: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمين، محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون، فعلم ما لم تعلموا﴾ أي لرؤيا رسول الله ﷺ التي رأى، أنه سيدخل مكة آمناً لا يخاف. يقول: محلقين رؤوسكم ومقصرين معه لا تخافون، فعلم من ذلك ما لم تعلموا ﴿فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً﴾: صلح الحديبية.

يقول الزهري: فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس. فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب. وأمن الناس بعضهم بعضاً، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه. ولقد دخل في تينك الستين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر^(١)

قول جابر بن عبد الله، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بستين في عشرة آلاف.

(١) قال ابن هشام: والدليل على قول الزهري أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية في ألف وأربع مائة، في

ذكر المسير إلى خيبر في المحرم سنة سبع

ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم، وولي تلك الحجة المشركون، ثم خرج في بقية المحرم إلى خيبر.

عن أبي معتب بن عمرو:

أن رسول الله ﷺ لما أشرف على خيبر قال لأصحابه وأنا فيهم: قفوا. ثم قال: اللهم ربّ السّموات وما أظللنّ، وربّ الأرضين وما أقتلنّ، وربّ الشياطين وما أضللنّ، وربّ الرّياح وما أذرّين، فإنّا نسألك خيرَ هذه القرية وخيرَ أهلها وخيرَ ما فيها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها. أقدموا باسم الله .

قال: وكان يقولها عليه السلام لكل قرية دخلها.

وعن أنس بن مالك قال:

كان رسول الله ﷺ إذا غزا قوماً لم يُغز عليهم حتى يصبح، فإن سمع أذاناً أمسك، وإن لم يسمع أذاناً أغار. فنزلنا خيبر ليلاً، فبات رسول الله ﷺ، حتى إذا أصبح لم يسمع أذاناً، فركب وركبنا معه، فركبت خلف أبي طلحة وإن قدمي لتمس قدم رسول الله ﷺ، واستقبلنا عمال خيبر غادين، قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم^(١)، فلما رأوا رسول الله ﷺ والجيش قالوا: محمد والخميس^(٢)! فأدبروا هرباً، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين.

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ حين خرج من المدينة إلى خيبر سلك على عصر^(٣)، فبني له فيها مسجد، ثم على الصهباء^(٤). ثم أقبل رسول الله ﷺ بجيشه حتى نزل بوادٍ يقال له الرجيع، فنزل بينهم وبين غطفان، ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله ﷺ.

فبلغني أن غطفان لما سمعت بمنزّل رسول الله ﷺ من خيبر جمعوا له، ثم خرجوا ليظاهروا^(٥) يهود عليه، حتى إذا ساروا منقلة^(٦) سمعوا خلفهم في أموالهم وأهليهم حساً،

(١) المساحي: جمع مسحاة، وهي مجرفة من حديد.

(٢) الخميس: الجيش، لانتظامه خمس فرق: الميمة،

والميسرة، والمقدمة، والمؤخرة، والقلب.

(٣) جبل بين المدينة ووادي الفرع.

(٤) موضع بينه وبين خيبر روضة.

(٥) ليظاهروا: ليعاونوا وينصروا.

(٦) منقلة: مرحلة.

ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم، فرجعوا على أعقابهم، فأقاموا في أهلهم وأموالهم، وخلّوا بين رسول الله ﷺ وبين خيبر.

وتدنى (١) رسول الله ﷺ الأموال يأخذها مالا مالا، ويفتحها حصناً حصناً. فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم، وعنده قُتل محمود بن مسلمة، ألقيت عليه منه رحى فقتلته. ثم القموص حصن بني أبي الحقيق، وأصاب رسول الله ﷺ منهم سبايا منهن صفية بنت حبيّ بن أخطب - وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق - وبنتي عم لها، فاصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه.

وكان دحية بن خليفة الكلبي قد سأل رسول الله ﷺ صفية، فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتي عمها. وفشت السبايا من خيبر في المسلمين.

ولما افتتح رسول الله ﷺ من حصونهم ما افتتح، وحاز من الأموال ما حاز انتهوا إلى حصنهم: الوطيح والسلام، وكان آخر حصون خيبر افتتحا. فحاصروهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة.

وخرج مَرَحِبُ اليهودي من حصنهم قد جمع سلاحه، يرتجز ويقول:

قد علمت خيبرُ أني مَرَحِبُ شاكِي السلاح بطلُ مَجْرِبُ (٢)
أطعنُ أحياناً وحيناً أضربُ إذا الليوثُ أقبلت تُحْرِبُ (٣)
إن حمائي للجمي لا يُقربُ

وهو يقول: من يبارز؟ فأجابه كعب بن مالك:

قد علمت خيبرُ أني كعبُ مفرجُ الغمي جريءُ صلبُ (٤)
إذ شبت الحرب تلتها الحربُ معي حُسامُ كالعقيق غضبُ (٥)
نطوكم حتى يذل الصعبُ نُعطي الجزاء أو يفنيء النهبُ
بكفُ ماضٍ ليس فيه عتبُ

فقال رسول الله ﷺ: من لهذا؟ قال محمد بن مسلمة: أنا له يا رسول الله، أنا والله الموتور الثائر. قُتل أخي بالأمس. قال: فقم إليه. اللهم أعنه عليه.

(٤) الغمي: الشدة والكرب.

(٥) العقيق: شعاع البرق.

(١) تدنى: أخذ الأذى فالأذى.

(٢) الشاكِي السلاح: التام السلاح الحديدية.

(٣) مَجْرِبُ: أي مغضبة.

فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة عُمرية^(١) من شجر العُشر^(٢) فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه، كلما لاذ بها اقتطع صاحبه بسيفه ما دونه منها، حتى برز كل واحد منها لصاحبه، وصارت بينهما كالرجل القائم، ما فيها فتن. ثم حمل مرحب على محمد بن مسلمة، فضربه فاتقاه بالدرقة، فوقع سيفه فيها، فعضت به فأمسكته. وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله.

ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يقول من يبارز؟ فزعم هشام بن عروة أن الزبير بن العوام خرج إلى ياسر فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب: يُقتل ابني يا رسول الله! قال: بل ابنك يقتله إن شاء الله! فخرج الزبير فالتقيا، فقتله الزبير.

وعن سلمة بن عمرو بن الأكوع قال:

بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه برأيته، إلى بعض حصون خيبر، فقاتل فرجع ولم يك فتح وقد جهد. ثم بعث الغد عمر بن الخطاب، فقاتل ثم رجع ولم يك فتح وقد جهد. فقال رسول الله ﷺ: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه، ليس بفرار. فدعا رسول الله ﷺ علياً رضوان الله عليه، وهو أرمد، فقل في عينيه ثم قال: خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك!

يقول سلمة: فخرج والله بها يأنح^(٣)، يُهول هرولة، وأنا لخلفه يتبع أثره، حتى ركز رأيته في رضم^(٤) من حجارة الحصن، فاطلع إليه يهودي من رأس الحصن فقال: من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب. يقول اليهودي: علوتم وما أنزل على موسى! فما رجع حتى فتح الله على يديه.

وحاصر رسول الله ﷺ أهل خيبر في حصنهم: الوطيح والسّلام، حتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيرهم^(٥) وأن يحقن لهم دماءهم. ففعل - وكان رسول الله ﷺ قد حاز الأموال كلها: الشق، ونطاة، والكتيبة، وجميع حصونهم إلا ما كان من ذينك الحصنين - فلما سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا، بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن يسيرهم وأن يحقن دماءهم ويخلوا له الأموال، ففعل.

وكان فيمن مشى بين رسول الله ﷺ وبينهم في ذلك مُحِبَصَة^(٦) بن مسعود، أخو بني

(١) عمرية: قديمة

(٤) الرضم: الحجارة المتجمعة.

(٢) العشر: شجر أملس ضعيف العود.

(٥) يسيرهم: يخرجهم ويحبهم عن بلادهم.

(٣) يأنح: أي به نفس شديد من الإغياء في العدو.

(٦) انظر جهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٣٤١.

حارثة، فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم في الأموال على النصف. وقالوا: نحن أعلم بها منكم وأعمر لها. فصالحهم رسول الله ﷺ على النصف، على أنا إن شئنا أن نخرجكم أخرجناكم. فصالحه أهل فدك على مثل ذلك، فكانت خيبر فيئاً بين المسلمين، وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ، لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب.

فلما اطمأن رسول الله ﷺ أهدت له زينب ابنة الحارث، امرأة سلام بن مشكم، شاة مصلية^(١)، وقد سألت: أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها: الذراع. فأكثرت فيها من السم ثم سمت سائر الشاة، ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ تناول الذراع فلاك منها مضغاً فلم يسغها، ومعه بشر بن البراء بن معرور، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ. فأما بشر فأساغها، وأما رسول الله ﷺ فلفظها ثم قال: إن هذا العظم ليخبرني إنه مسموم، ثم دعا بها فاعترفت، فقال: ما حملك على ذلك؟ قالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك، فقلت: إن كان ملكاً استرحت منه، وإن كان نبياً فسيخبر. فتجاوز عنها رسول الله ﷺ، ومات بشر من أكلته التي أكل.

فلما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر انصرف إلى وادي القرى، فحاصر أهله ليالي، ثم انصرف راجعاً إلى المدينة.

ولما أعرس رسول الله ﷺ بصفية، بخيبر أو ببعض الطريق، وكانت التي جمعتها لرسول الله ﷺ ومشطتها وأصلحت من أمرها، أم سليم بنت ملحان، أم أنس بن مالك، فبات بها رسول الله ﷺ في قبة له، وبات أبو أيوب خالد بن زيد متوشحاً سيفه، يحرس رسول الله ﷺ ويطيف بالقبة، حتى أصبح رسول الله ﷺ، فلما رأى مكانه قال: مالك يا أبا أيوب؟ قال: يا رسول الله، خفت عليك من هذه المرأة، وكانت امرأة قد قتلت أباهما وزوجها وقومها، وكانت حديثة عهد بكفر، فخفتها عليك. فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: اللهم احفظ أبا أيوب، كما بات يحفظني!

ولما انصرف رسول الله ﷺ من خيبر فكان ببعض الطريق قال من آخر الليل: من رجل يحفظ علينا الفجر لعننا ننام؟ قال بلال: أنا يا رسول الله أحفظه عليك. فنزل رسول الله ﷺ ونزل الناس فناموا، وقام بلال يصلي فصل ما شاء الله عز وجل أن يصلي، ثم استند إلى بعيره واستقبل الفجر يرمقه، فغلبته عينه فنام، فلم يوقظهم إلا مس الشمس.

(١) المصلية: المشوية.

وكان رسول الله ﷺ أول أصحابه هب فقال: ماذا صنعت بنا يا بلال؟ قال: يا رسول الله، أخذت بنفسي الذي أخذت بنفسك. قال: صدقت. ثم اقتاد رسول الله ﷺ بغيره غير كثير، ثم أناخ فتوضأ وتوضأ الناس، ثم أمر بلالاً فأقام الصلاة، فصلى رسول الله ﷺ بالناس، فلما سلم أقبل على الناس فقال: إذا نسيتم الصلاة فصلوها إذا ذكرتموها، فإن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ أقم الصلاة لذكري ﴾ .

وكان رسول الله ﷺ، فيما بلغني، قد أعطى ابن لقيم العبسي حين افتتح خيبر، ما بها من دجاجة أو داجن^(١)، وكان فتح خيبر في صفر، فقال ابن لقيم العبسي في خيبر:

رُميت نطاة من النبي بفيلق	شبهاء ذات مناكب وفقار ^(٢)
واستيقنت بالذل لما شيعت	ورجال أسلم وسطها وغفار ^(٣)
صبحت بني عمرو بن زرعة غدوة	والشق أظلم أهله بنهار ^(٤)
جرت بأبطحها الذبول فلم تدع	إلا الدجاج تصيح في الأسحار ^(٥)
ولكل حصن شاغل من خيلهم	من عبد أشهل أو بني النجار ^(٦)
ومهاجرين قد أعلموا سيماهم	فوق المغافر لم ينوا لفرار ^(٧)
ولقد علمت ليغلبن عمم	وليثوين بها إلى أصفار ^(٨)
فرت يهود يوم ذلك في الوغى	تحت العجاج غمائم الأبصار ^(٩)

قدوم جعفر بن أبي طالب إلى الحبشة وحديث المهاجرين إلى الحبشة

قال ابن هشام:

عن الشعبي: أن جعفر بن أبي طالب قدم على رسول الله ﷺ يوم فتح خيبر، فقبل رسول الله ﷺ بين عينيه والتزمه وقال: ما أدري بأيها أنا أسر، بفتح خيبر، أم بقدوم جعفر؟

قال ابن إسحاق:

- | | |
|---|---|
| (١) الداجن: ما يألف بيوت الناس، كالشاة والحمامة . | (٦) قبيلتان من الأنصار وفي البيت إقواء . |
| (٢) نطاة: حصن بخيبر. الفيلق: الكتيبة. الشهباء: البيضاء، الكثيرة السلاح. | (٧) المغفر: ما يكون على الرأس وقاية لها في الحرب . |
| (٣) شيعت: فرقت. أسلم وغفار: قبيلتان. | (٨) ليثوين: لقيمن. أصفار: جمع صفر، وهو اسم الشهر الذي فتحت فيه . |
| (٤) الشق: حصن بخيبر. | (٩) فرت: كشفت، كما تفر الدابة عن أسنانها. وغمائم الأبصار، أراد بها الجفون . |
| (٥) الأبطح: المكان السهل. | |

وكان من أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ حتى بعث فيهم إلى النجاشي عمرو بن أمية الضمري، فحملهم في سفيتين فقدم بهم عليه وهو بخير بعد الحديبية:

من بني هاشم بن عبد مناف : جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب، معه امرأته أسماء بنت عميس الخثعمية، وابنه عبد الله بن جعفر، وكانت ولدته بأرض الحبشة.

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف : خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، معه امرأته أمينة بنت خلف بن أسعد، وابناه سعيد بن خالد، وأمة بنت خالد، ولدتها بأرض الحبشة، وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص، ومعيقب بن أبي فاطمة، خازن عمر بن الخطاب على مال المسلمين، وأبو موسى الأشعري.

ومن بني أسد العزى : الأسود بن نوفل بن خويلد.

ومن بني عبد الدار بن قصي : جهم بن قيس.

ومن بني زهرة بن كلاب : عامر بن أبي وقاص، وعتبة بن مسعود.

ومن بني تميم بن مر : الحارث بن خالد بن صخر.

ومن بني جمح بن عمرو: عثمان بن ربيعة بن أهبان.

ومن بني سهم بن عمرو: محمية بن الجزء.

ومن بني عدي بن كعب: معمر بن عبد الله بن نضلة.

ومن بني عامر بن لؤي: أبو حاطب بن عمرو، ومالك بن ربيعة.

ومن بني الحارث بن فهر بن مالك: الحارث بن عبد قيس بن لقيط،

وقد كان حمل معهم في السفيتين نساء من نساء من هلك هنالك من المسلمين.

فهؤلاء الذين حمل النجاشي مع عمرو بن أمية الضمري في السفيتين. فجميع من قدم في السفيتين إلى رسول الله ﷺ ستة عشر رجلاً. وجميع من تخلف عن بدر ولم يقدم على رسول الله ﷺ مكة ومن قدم بعد ذلك، ومن لم يحمل النجاشي في السفيتين أربعة وثلاثون رجلاً.

عمرة القضاء في ذي القعدة سنة سبع

فلما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من خير أقالم بها شهري ربيع وجماديين، ورجبا وشعبان، ورمضان وشوالاً، يبعث فيما بين ذلك من غزوه وسراياه.

ثم خرج في ذي القعدة في الشهر الذي صدّه فيه المشركون معتمراً عمرة القضاء،

مكانَ عمرته التي صدّوه عنها، وخرج معه المسلمون ممن كان صدّ معه في عمرته تلك، وهي سنة سبع. فلما سمع به أهل مكة خرجوا، وتحدّثت قريش بينها أن محمداً وأصحابه في عسرة وجهٍ وشدة.

قال ابن عباس:

صَفُّوا له عند دار الندوة، لينظروا إليه وإلى أصحابه، فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد اضطجع بردائه^(١) وأخرج عضده اليماني ثم قال: رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة! ثم استلم الركن، وخرج يُهرول ويهرول أصحابه معه، حتى إذا واروه البيت منهم واستلم الركن اليماني، مشى حتى يستلم الركن الأسود. ثم هروا كذلك ثلاثة أطواف ومشى ساثرها.

وعنه أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة بنت الحارث في سفره ذلك وهو حرام. وكان الذي زوجه إياها العباس بن عبد المطلب.

فأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثاً، فاتاه حُوَيْطِب بن عبد العزى في نفرٍ من قريش، في اليوم الثالث، وكانت قريش قد وكلته بإخراج رسول الله ﷺ من مكة، فقالوا له: إنه قد انقضى أجلك^(٢) فاخرج عنا. فقال النبي ﷺ: وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم وصنعت لكم طعاماً فحضرتموه! قالوا: لا حاجة لنا في طعامك، فاخرج عنا.

فخرج رسول الله ﷺ وخلف أبا رافع مولاة على ميمونة حتى أتاه بها بسرف^(٣) فبنى رسول الله ﷺ هنالك، ثم انصرف إلى المدينة.

قال ابن هشام: فأنزل الله عز وجل - فيما حدثني أبو عبيدة:

﴿لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسِكُمْ وَمَقْصُرِينَ لَا تَخَافُونَ، فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا، فَبَجَلٍ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَحاً قَرِيباً﴾.

(٢) أي الأجل الذي اتفق عليه في صلح الحديبية، وهو ثلاثة أيام.

(٣) سرف: موضع قرب التنعيم.

(١) اضطجع: أدخل رداءه من تحت إبطه الأيمن، وجعل طرفه على منكبه الأيسر فبدأ بذلك أحد ضبعيه. والضبع يسكون الباء. وسط العضد بلحمه.

غزوة مؤتة^(١) في جمادى الأولى سنة ثمان

فأقام بها^(٢) بقية ذي الحجة - وولى تلك الحجة المشركون - والمحرم وصفرًا وشهري ربيع. وبعث في جمادى الأولى بعثة إلى الشام، الذين أصيبوا بمؤتة، واستعمل عليهم زيد بن حارثة، وقال: إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس.

فتجهز الناس ثم تهيئوا للخروج، وهم ثلاثة آلاف، فلما حضر خروجهم ودع الناس أمراء رسول الله ﷺ وسلموا عليهم، فلما ودع عبد الله بن رواحة مع من ودع من أمراء رسول الله ﷺ بكى، فقالوا له: ما يبكيك يا ابن رواحة؟ فقال: أما والله ما بي حب الدنيا، ولا صباية بكم، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله عز وجل، يذكر فيها النار: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾، فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود!

فقال المسلمون: صحبكم الله ودفع عنكم، وردكم إلينا صالحين! فقال عبد الله بن

رواحه:

لكنني أسأل الرحمن مغفرةً	وضربة ذات فرغٍ تقذف الزبدا ^(٣)
أو طعنة بيدي حرانٍ مجهزةً	بخربة تنفذ الأحشاء والكبدا ^(٤)
حتى يقال إذا مروا على جدثي	أرشده الله من غازٍ وقد رشدا ^(٥)

ثم خرج القوم وخرج رسول الله ﷺ، حتى إذا ودعهم وانصرف عنهم قال عبد الله بن رواحة:

خلف السلام على امرئٍ ودعته في النخل خير مشيعٍ وخليل^(٦)

ثم مضوا حتى نزلوا معان من أرض الشام، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في ألف من الروم، وانضم إليهم من لحم وجذام والقين وبهراء وبلي مائة ألف منهم، عليهم رجل من بلي ثم أحد إراثة، يقال له مالك بن رافلة، فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون في أمرهم وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا، فإما أن يمددنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له.

(١) مؤتة: قرية من أرض البلقاء بالشام.

(٢) أي بالمدينة.

(٤) مجهزة: سريعة القتل. تنفذها: تخترقها.

(٥) الجدث: القبر. ويروي: «يا أرشد الله».

(٦) خلف السلام، أي كان السلام خلفاً.

(٣) الفرغ: السعة. والزبد: رغبة الدم.

فشجَّع النَّاسَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَقَالَ: يَا قَوْمَ، وَاللَّهِ إِنَّ التِّي تَكْرَهُونَ لَلَّتِي خَرَجْتُمْ تَطْلُبُونَ الشَّهَادَةَ، وَمَا نَقَاتِلُ النَّاسَ بَعْدَ وَلَا قُوَّةَ وَلَا كَثْرَةَ، مَا نَقَاتِلُهُمْ إِلَّا بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِهِ، فَاَنْطَلِقُوا فَإِنَّمَا هِيَ إِحْدَى الْحُسَيْنِينَ: إِمَّا ظُهُورٌ، وَإِمَّا شَهَادَةٌ.

فَقَالَ النَّاسُ: قَدْ وَاللَّهِ صَدَقَ ابْنُ رَوَاحَةَ.

فَمَضَى النَّاسُ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِتُخُومِ^(١) الْبِلْقَاءِ لَقِيَتْهُمْ جُمُوعٌ هِرَقْلَ مِنَ الرُّومِ وَالْعَرَبِ، بِقَرْيَةٍ مِنْ قَرَى الْبِلْقَاءِ يُقَالُ لَهَا: مَشَارِفٌ، ثُمَّ دَنَا الْعَدُوَّ وَانْحَازَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا مُؤْتَةٌ، فَالتَقَى النَّاسُ عِنْدَهَا، فَتَعَبًا لَهُمُ الْمُسْلِمُونَ فَجَعَلُوا عَلَى مِيْمَتِهِمْ رِجَالًا مِنْ بَنِي عُذْرَةَ يُقَالُ لَهُ قُطْبَةُ بَنِ قَتَادَةَ، وَعَلَى مَسِيرَتِهِمْ رِجَالًا مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ عِبَايَةُ بْنُ مَالِكٍ.

ثُمَّ التَقَى النَّاسُ وَاقْتَتَلُوا، فَقَاتَلَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بَرَايَةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى شَاطَ^(٢) فِي رِمَاحِ الْقَوْمِ.

ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى إِذَا الْحَمَةُ الْقِتَالِ^(٣) اقْتَحَمَ عَنْ فَرَسٍ لَهُ شُقْرَاءَ فَعَقَرَهَا^(٤)، ثُمَّ قَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلَ وَهُوَ يَقُولُ:

يَا حَبْذَا الْجَنَّةُ وَاقْتَرَأُهَا طَيِّبَةٌ وَبَارِدًا شَرَابُهَا
وَالرُّومُ زَوْمٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهَا كَافِرَةٌ بِعَيْدَةِ أَنْسَابِهَا
عَلِيٌّ إِذْ لَاقَيْتَهَا ضِرَابُهَا

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَحَدَّثَنِي مَنْ أَثَقَّ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَخَذَ اللَّوَاءَ بِيَمِينِهِ فَقَطَعَتْ، فَأَخَذَهُ بِشِمَالِهِ فَقَطَعَتْ فَاحْتَضَنَهُ بِعُضُدَيْهِ حَتَّى قُتِلَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، فَأَثَابَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ جَنَاحِينَ فِي الْجَنَّةِ يَطِيرُ بِهَا حَيْثُ يَشَاءُ. وَيُقَالُ: إِنَّ رِجَالًا مِنَ الرُّومِ ضَرَبَهُ يَوْمَئِذٍ ضَرْبَةً فَقَطَعَهُ بِنِصْفَيْنِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:

فَلَمَّا قَتَلَ جَعْفَرٌ أَخَذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ الرَّايَةَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ بِهَا وَهُوَ عَلَى فَرَسِهِ فَجَعَلَ يَسْتَنْزِلُ نَفْسَهُ وَيَتَرَدَّدُ بَعْضَ التَّرَدُّدِ، ثُمَّ قَالَ:

(١) التُّخُومُ: الْحُدُودُ الْفَاصِلَةُ بَيْنَ أَرْضِ وَأَرْضٍ، وَاحِدُهَا: تَخْمٌ.
(٢) شَاطَ: سَالَ دَمُهُ فَهَلَكَ.
(٣) الْحَمَةُ الْقِتَالِ: نَشِبٌ فِيهِ فَلَمْ يَجِدْ مَخْلَصًا.
(٤) اقْتَحَمَ عَنْهَا: رَمَى بِنَفْسِهِ عَنْهَا. عَقَرَهَا: ضَرَبَ قَوَائِمَهَا بِالسِّيفِ وَهِيَ قَائِمَةٌ.

أقسمتُ يا نفسُ لتنزلنَّه • لتنزلينَّ أو لتُكرهنَّه
 إن أجلبَ الناسُ وشدُّوا الرُّنَّةَ^(١) مالي أراكِ تكرهين الجنَّه
 قد طال ما قد كنتِ مطمئنَّة هل أنتِ إلا نُطفةٌ في سنَّه^(٢)

وقال أيضاً:

يا نفسُ إلا تُقتلي تموتي هذا حمامُ الموتِ قد صليتِ
 وما تمنيتِ فقد أعطيتِ أن تفعلني فعملها هُديتِ

ثم نزل، فلما نزل أتاه ابنُ عمِّ له بعرقٍ من لحم^(٣) فقال: شدُّ بهذا صُلبك، فإنك قد لقيتَ في أيامك هذه ما لقيت ! فأخذه من يده ثم انتهس منه نهسةً^(٤) ثم سمع الحطمة^(٥) في ناحية الناس فقال: وأنتِ في الدنيا !! ثم ألقاه من يده ثم أخذ سيفه فتقدَّم، فقاتل حتى قُتل.

ثم أخذ الرايةَ ثابت بن أقرم، أخو بني العجلان، فقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجلٍ منكم. قالوا: أنت. قال: ما أنا بفاعل. فاصطلح الناس على خالد بن الوليد. فلما أخذ الرايةَ دافع القومَ وحاشى بهم^(٦) ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس.

ولما أصيب القوم قال رسول الله ﷺ فيما بلغني: «أخذ الرايةَ زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قُتل شهيداً، ثم أخذها جعفرُ فقاتل بها حتى قُتل شهيداً». ثم صمَّت رسول الله ﷺ حتى تغيَّرت وجوه الأنصار، وظنُّوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعضُ ما يكرهون. ثم قال: «ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قُتل شهيداً». ثم قال: «لقد رُفِعوا إليَّ في الجنةَ فيما يرى النائم على سُرُرٍ من ذهب، فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازوراراً^(٧) عن سريري صاحبيه، فقلت: عمَّ هذا؟ فقيل لي: مضياً، وتردَّد عبدُ الله بعضَ التردُّد ثم مضى».

فلما انصرف خالد بالناس أقبلَ بهم قافلاً.

ولما دَنوا من المدينة تلقَّاهم رسول الله ﷺ والمسلمون، ولقيهم الصُّبيان يشتدون^(٨)،

(١) اجلبوا: صاحوا واجتمعوا. الرنة: صوت فيه ترجيع شبيه بالبكاء.
 (٢) النطفة: الماء القليل الصافي. الشنة: السقاء البالي.
 (٣) العرق: بالفتح: العظم عليه بعض اللحم.
 (٤) انتهس: أخذ منه بضمه يسيراً.
 (٥) الحطمة: زحام الناس وحطم بعضهم بعضاً.
 (٦) حاشى بهم: انحاز.
 (٧) ازوراراً: ميلاً وعوجاً.
 (٨) يشتدون: يسرعون في العدو.

ورسول الله ﷺ مقبلٌ مع القوم على دابة، فقال: خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطوني ابن جعفر. فأتي بعبد الله بن جعفر فأخذه فحمله بين يديه.

وجعل الناس يَحْتُون على الجيش التراب ويقولون: يا فرار! فررتم في سبيل الله! فيقول رسول الله ﷺ: ليسوا بالفرار، ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى.

وكان مما بُكِي به أصحاب مؤتة من أصحاب رسول الله ﷺ قول حسان بن ثابت:

تأويني ليلٌ بيثربٍ أعسرُ	وهمُّ إذا ما نومُ الناسُ مُسهرُ ^(١)
لذكرى حبيبٍ هيجتُ لي عبرةٌ	سَفوحاً وأسبابُ البكاءِ التذكرُ ^(٢)
بلى، إنَّ فقدانَ الحبيبِ بليَّةٌ	وكم من كريمٍ يُبتلى ثم يصبرُ ^(٣)
رأيتَ خيارَ المسلمين تواردوا	شعوبَ وخلفاً بعدهم يتأخرُ
فلا يُبعدنَّ اللهَ قتلَى تتابعوا	بمؤتةٍ منهم ذو الجناحين جعفرُ
وزيدٌ وعبد الله حين تتابعوا	جميعاً وأسبابُ المنيَّةِ تخطرُ ^(٤)
غداةً مضوا بالمومنين يقودهم	إلى الموتِ ميمونُ النقيبةِ أزهَرُ ^(٥)
أغرُّ كضوءِ البدرِ من آلِ هاشمٍ	أبيُّ إذا سيمَ الظلَّامةِ مجسرُ ^(٦)
فطاعنَ حتى مالَ غيرَ موسىدٍ	بمعتركٍ فيه قنأٌ مُتَكَسرُ ^(٧)
فصار مع المُستشهدين، ثوابه	جِنانٌ وملتفُ الحداثقِ أخضرُ
وكنَّا نرى في جعفرٍ من محمد	وفاءً وأمرأً حازماً حين يأمرُ
فما زال في الإسلامِ من آلِ هاشمٍ	دعائمُ عزٍّ لا يزُلنَ ومفخرُ
همُّ جبلُ الإسلامِ والناسُ حولهم	رِضامٌ إلى طودِ يروقٍ ويبهَرُ ^(٨)
بَهاليلٍ منهم جعفرٌ وابن أمِّه	عليٌّ ومنهم أحمدُ المتخيرُ ^(٩)
وحمزةٌ والعبَّاسُ منهم ومنهم	عَقيلٌ وماءُ العودِ من حيثِ يعصرُ ^(١٠)
بهم تُفرجُ اللأواءُ في كلِّ مأزقٍ	عَماسٌ إذا ما ضاقَ بالناسِ مصدرُ ^(١١)

(١) تأويني: عادي. أعسر: عسير. نوم الناس: ناموا.
(٢) سفوح: سائلة غزيرة.
(٣) وىروى: «بلاء وفقدان».
(٤) تخطر: أصل معناه تحتال وتهتز.
(٥) ميمون النقيبة: مسعود الجدى. أزهَر: أبيض.
(٦) سيم الظلَّامة: حمل على قبول الظلم. المجسر: المقدم الجسور.
(٧) المعترك: موضع الحرب.
(٨) الرضام: الحجارة. الطود: الجبل. يروق: يعلو.
(٩) البهلول: السيد الوضيء الوجه.
(١٠) يعصر: يخطر.
(١١) اللأواء: الشدة. العماس: المظلم. يريد الظلام من كثرة النقع المثار في الحرب.

هُمُ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ أَنْزَلَ حُكْمَهُ عَلَيْهِمْ وَفِيهِمْ ذَا الْكِتَابِ الْمَطْهُرُ

فتح مكة في شهر رمضان سنة ثمان

ثم أقام رسول الله ﷺ بعد بعثه إلى مؤتة، جمادى الآخرة ورجباً.

ثم إن بني بكر بن عبد مناة بن كنانة عدت على خزاعة، وكان الذي هاج ما بين بكر وخزاعة أن رجلاً من بني الحضرمي، واسمه مالك بن عباد - وحلف الحضرمي يومئذ إلى الأسود بن رزن - خرج تاجراً، فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه وأخذوا ماله، فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه، فعدت خزاعة قبيل الإسلام على بني الأسود بن رزن الديلي: سلمى، وكلثوم، وذؤيب، فقتلوه عند أنصاب الحرم^(١).

فبينما بنو بكر وخزاعة على ذلك حجز بينهم الإسلام، وتشاغل الناس به. فلما كان صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ وبين قريش، كان فيما شرطوا لرسول الله ﷺ وشرط لهم: أنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله ﷺ وعهده فليدخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه. فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ وعهده.

فلما كانت الهدنة اغتتمها بنو الدليل من بني بكر، من خزاعة، وأرادوا أن يصيبوا منهم ثأراً بأولئك النفر الذين أصابوا منهم ببني الأسود بن رزن فخرج نوفل بن معاوية الديلي، في بني الدليل، وهو يومئذ قائدهم، وليس كل بني بكر تابعه، حتى بيت خزاعة وهم على الوتير: ماء لهم، فأصابوا منهم رجلاً، وتحاوزوا^(٢) واقتلوا، ورفدت بنو بكر قريش بالسلاح، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً، حتى حازوا خزاعة إلى الحرم، فلما انتهوا إليه قالت بنو بكر: يا نوفل، إنا قد دخلنا الحرم، إلهك إلهك! فقال كلمة عظيمة: لا إله له اليوم^(٣)! يا بني بكر أصيبوا ثاركم، فلعمري إنكم لتسرقون^(٤) في الحرم، أفلا تصيبون ثاركم فيه؟!

وقد أصابوا منهم ليلة يتوهم بالوتير رجلاً يقال له «منبه»، وكان منبه رجلاً مفشوداً^(٥)، خرج هو ورجل من قومه يقال له تميم بن أسد، فقال له منبه: يا تميم، انج بنفسك، فأما أنا فوالله إني لميت، قتلوني أو تركوني، لقد انبت فؤادي^(٦)!

(١) أنصاب الحرم: حجارة تجعل علامة بين الحبل والحرم. (٤) ويروى: «لتسرفون» بالفاء.

(٢) تحاوزوا، يعني انحاز كل منهم إلى قبيلة.

(٣) أي لا إله لنوفل، نطق بها ككفرأ.

(٥) المفشود: الضعيف الفؤاد.

(٦) انبت انبتاً: انقطع.

وانطلق تميم فأفلت، وأدركوا منبها فقتلوه.

فلما دخلت خزاعة مكة لجئوا إلى دار بُديل بن ورقاء، ودار مولى لهم يقال له رافع. فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة، وأصابوا منهم ما أصابوا، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق، بما استحلبوا من خزاعة وكانوا في عهده وعقده، خرج عمرو بن سالم الخزاعي ثم أحد بني كعب، حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة، وكان ذلك مما هاج فتح مكة، فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظهراي الناس، فقال:

يا رب إني ناشد محمداً	حلف أبينا وأبيه الأتلا(١)
قد كنتم ولداً وكننا والدا	ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصراً أعتدا(٢)	وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا	إن سيم خسفاً وجهه تربدا(٣)
في قتل كالبحر يجري مزبدا	إن قريشاً أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا	وجعلوا لي في كداء رصدا(٤)
وزعموا أن لست أدعو أحداً	وهم أذل وأقل عددا
هم يبتوننا بالوتير هجدا	وقتلونا ركعاً وسجدا

فقال رسول الله ﷺ: نصرت يا عمرو بن سالم!

ثم عرض لرسول الله ﷺ عنان(٥) من السماء فقال: إن هذه السحابة لتسهل بنصر بني كعب.

ثم خرج بُديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله ﷺ المدينة، فأخبروه بما أصيب منهم، وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة. وقد قال رسول الله ﷺ للناس: كأنكم بأبي سفيان قد جاء ليشد العقد ويزيد في المدة. ومضى بُديل بن ورقاء وأصحابه، حتى لقوا أبا سفيان بن حرب بعسفان(٦)، قد بعثه

(١) ناشد: طالب ومذكر. الأتلا: القديم.

(٢) أعتد، من العتيد، وهو الحاضر.

(٣) سيم الخسف: كلف الذل. تربد: تغير إلى السواد.

(٤) كداء: موضع بأعلى مكة. رصداً: جمع راصد، وهو

المرتقب.

(٥) العنان: السحاب.

(٦) عسفان: موضع على مرحلتين من مكة.

قريش إلى رسول الله ﷺ ليشدَّ العقد ويزيد في المدة، وقد رهبوا الذي صنعوا. فلما لقي أبو سفيان بُدَيْلَ بن ورقاء قال: من أين أقبلت يا بديل؟ وظنُّ أنه قد أتى رسول الله ﷺ. قال: تسيرت في خزاعة في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي. قال: أو ما جئت محمداً؟ قال: لا. فلما راح بُدَيْلُ إلى مكة قال أبو سفيان: لئن جاء بُدَيْلُ المدينة لقد علفَ بها النوى! فأتى مَبْرَكَ راحلته فأخذ من بعرها ففتته فوجد فيه النوى، فقال: أحلف بالله لقد جاء بديلُ محمداً!

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة، فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فلما جلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه فقال: يا بُنَيَّةُ، ما أدري، أرغبت بي عن هذا الفراش، أم رغبت به عني؟ قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت رجلٌ مشركٌ نجس، ولم أحبَّ أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ. قال: والله لقد أصابك يا بُنَيَّةُ بعدي شرٌّ!

ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ فكلَّمه فلم يردَّ عليه شيئاً، ثم ذهب إلى أبي بكر فكلَّمه أن يكلم له رسول الله ﷺ فقال: ما أنا بفاعل! ثم أتى عمر بن الخطاب فكلَّمه فقال: أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ، فوالله لو لم أجد إلا الذرَّ^(١) لجاهدتكُم به!

ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي عنها، وعندها حسن بن عليٍّ غلامٌ يدبُّ بين يديها، فقال: يا عليُّ، إنك أمسُّ القوم بي رجماً، وإني قد جئت في حاجةٍ فلا أرجعنَّ كما جئت خائباً، فاشفع لي إلى رسول الله ﷺ. فقال: ويحك يا أبا سفيان! والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمرٍ ما نستطيع أن نكلِّمه فيه.

فالتفت إلى فاطمة فقال: يا ابنة محمد، هل لك أن تأمري بُنَيَّك هذا فيجبر بين الناس، فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر؟ قال: والله ما بلغ بُنَيَّ ذاك: أن يُجبر بين الناس، وما يُجبر أحدٌ على رسول الله ﷺ.

قال: يا أبا الحسن، إني أرى الأمور قد اشتدت عليَّ فانصحي. قال: والله ما أعلم لك شيئاً يُغني عنك شيئاً، ولكنك سيد بني كنانة، فقم فأجز بين الناس، ثم الحق بأرضك. قال: أو ترى ذلك مُغنياً عني شيئاً؟ قال: لا والله ما أظن، ولكني لا أجد لك غير ذلك.

(١) الذر: صغار النمل.

فقام أبو سفيان في المسجد فقال: أيها الناس، إني قد أجزتُ بين الناس.

ثم ركب بعيره فانطلق، فلما قدم على قريش قالوا: ما وراءك؟

قال: جئت محمداً فكلّمته، فوالله ما ردّ عليّ شيئاً، ثم جئت ابنَ أبي قحافة فلم أجد فيه خيراً، ثم جئت ابنَ الخطّاب فوجدته أدنى العدو، ثم جئت علياً فوجدته ألين القوم، وقد أشار عليّ بشيءٍ صنعته، فوالله ما أدري هل يُغني ذلك شيئاً أم لا؟

قالوا: ويمّ أمرك؟ قال: أمرني أن أُجِيرَ بين الناس، ففعلت. قالوا: فهل أجاز ذلك محمد؟ قال: لا. قالوا: ويملك! والله إن زاد الرجلُ على أن لعب بك، فما يُغني عنك ما قلت؟! قال: لا والله ما وجدتُ غير ذلك.

وأمر رسول الله ﷺ بالجهاز، وأمر أهله أن يجهّزوه، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضي الله عنها وهي تحركُ بعضَ جهاز رسول الله ﷺ، فقال: أي بُنية، أأمركم رسول الله ﷺ أن تجهّزوه؟ قالت: نعم، فتجهّز. قال: فأين تريه يُريد؟ قالت: لا والله ما أدري.

ثم إن رسول الله ﷺ أعلمَ الناس أنه سائرٌ إلى مكة، وأمرهم بالجدِّ والتهيؤ، وقال: «اللهم خذ العيون والأخبارَ عن قريش حتى نَبغتها»^(١) في بلادها. فتجهّز الناس.

ولما أجمع رسول الله ﷺ المسيرَ إلى مكة كتب حاطبُ بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير إليهم، ثم أعطاه امرأة، وجعل لها جُعللاً على أن تبلغه قريشاً، فجعلته في رأسها ثم قتلت عليه قرونها^(٢) ثم خرجت به.

وأتى رسول الله ﷺ الخبرُ من السماء بما صنع حاطب، فبعث عليّ بن أبي طالب والزبير بن العوام رضي الله عنهما، فقال: أدركا امرأةً قد كتبت معها حاطب بن أبي بلتعة بكتابٍ إلى قريش يُحذّرهم ما أجمعنا له في أمرهم.

فخرجا حتى أدركاها بالخليقة، خليقة بني أبي أحمد، فاستنزلاها، فالتمسا في رحلها فلم يجدا شيئاً، فقال لها علي بن أبي طالب: إني أحلف بالله ما كُذِبَ رسولُ الله ﷺ ولا كُذِبنا، ولتُخرجنَ لنا هذا الكتابَ أو لنكشفنك!

فلما رأت الجدُّ منه قالت: أعرض. فأعرضَ فحلّت قرونها، فاستخرجت الكتابَ منها، فدفعته إليه فأتى به رسول الله ﷺ.

(٢) القرون: الضفائر.

(١) نبغتها، أي تفجّؤها.

فدعا رسول الله ﷺ حاطبا فقال: يا حاطب، ما حملك على هذا؟ فقال: أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله، ما غيرت ولا بدلت، ولكني كنت امرأ ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل، فصانعتهم عليه. فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، دعني فلاضرب عنقه، فإن الرجل قد نافق! فقال رسول الله ﷺ: وما يدريك يا عمر، لعل الله قد أطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.

فأنزل الله تعالى في حاطب: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾ إلى قوله: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَاللَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ، وَبَدَأَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ﴾ إلى آخر القصة.

ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره، واستخلف على المدينة أبا رهم الغفاري، وخرج لعشر مضي من رمضان، فصام رسول الله ﷺ وصام الناس معه، حتى إذا كانوا بالكديد، بين عسفان وأمج، أفطر.

ثم مضى حتى نزل الظهران في عشرة آلاف من المسلمين، فسبعت سليم، وبعضهم يقول: ألفت^(١) سليم وألفت مزية، وفي كل القبائل عدد وإسلام. وأوعب مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار لم يتخلف عنه منهم أحد.

فلما نزل رسول الله ﷺ مر الظهران وقد عميت الأخبار عن قريش فلم يأتهم خبر عن رسول الله ﷺ، ولا يدرون ما هو فاعل.

وخرج في تلك الليالي أبو سفيان بن حرب، وحكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء، يتحسسون الأخبار، وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به. وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله ﷺ ببعض الطريق، وقد كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة قد لقي رسول الله ﷺ أيضاً بنيق العقاب، فيما بين مكة والمدينة، فالتمسا الدخول عليه، فكلمته أم سلمة فيهما، فقالت: يا رسول الله، ابن عمك وابن عمتك وصهرك. قال: لا حاجة لي بهما، أما ابن عمي فهتك عرضي، وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال بمكة ما قال.

(١) سبعت: بلغت سبعمائة. وألفت: بلغت ألفاً.

فلما خرج الخبر إليهما بذلك، ومع أبي سفيان بُنيُّ له، فقال: والله ليأذنن لي أو لأخذن بُنيُّ هذا ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت جوعاً وعطشاً!

فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رَقَّ لهما، ثم أذن لهما فدخلا عليه فأسلما، وأنشد أبو سفيان بن الحارث قوله في إسلامه، واعتذر إليه عما كان مضى منه، فقال:

لِعَمْرِكَ إِنِّي يَوْمَ أَحْمَلُ رَايَةً	لِتَغْلَبَ خَيْلُ اللَّاتِ خَيْلَ مُحَمَّدٍ (١)
لِكَأَمْدَلِجَ الْخَيْرَانَ أَظْلَمَ لِيْلَهُ	فَهَذَا أَوَانِي حِينَ أَهْدَى وَاهْتَدَى (٢)
هَدَى بِي هَادٍ غَيْرُ نَفْسِي وَنَالِي	مَعَ اللَّهِ مِنْ طَرَدْتُ كُلَّ مَطْرَدٍ
أَصْدُ وَأَنَايَ جَاهِداً عَنْ مُحَمَّدٍ	وَأَدْعَى وَإِنْ لَمْ أَنْتَسِبْ مِنْ مُحَمَّدٍ (٣)
هُمْ مَا هُمْ مَنْ لَمْ يَقْلُ بِهَوَاهُمُ	وَإِنْ كَسَانَ ذَا رَأْيٍ يُلْمُ وَيَفْنَدُ (٤)
أُرِيدُ لِأَرْضِيهِمْ وَلَسْتُ بِلَانِطٍ	مَعَ الْقَوْمِ مَا لَمْ أَهْدَ فِي كُلِّ مَقْعَدٍ (٥)
فَقُلْ لِثَقِيفٍ لَا أُرِيدُ قِتَالَهَا	وَقُلْ لِثَقِيفٍ تَلِكُ غَيْرِي أَوْ عِدِّي (٦)
فَمَا كُنْتُ فِي الْجَيْشِ الَّذِي نَالَ عَامِراً	وَمَا كَانَ عَنْ جَرًّا لِلسَّانِي وَلَا يَدِي (٧)
قِبَائِلَ جَاءَتْ مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ	نَزَائِعَ جَاءَتْ مِنْ سَهَامٍ وَسُرْدَدٍ (٨)

فزعموا أنه حين أنشد رسول الله ﷺ قوله: «ونالني مع الله من طردت كل مطرد» ضرب رسول الله ﷺ في صدره وقال: أنت طردتني كل مطرد!

فلما نزل رسول الله ﷺ مر الظهران قال العباس بن عبد المطلب: واصباح قريش! والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر!

قال العباس: فجلستُ على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء، فخرجت عليها حتى جثت الأراك، فقلت: لعلي أجد بعض الخطابة، أو صاحب لبن، أو ذا حاجة، يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ، ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة.

قال: فوالله إنني لأسيرُ عليها وألتمس ما خرجتُ له إذ سمعتُ كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان، وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكرياً.

(١) أحمل زاية: أي أقود الناس للحرب. خيل اللات: (٥) لانتط: ملصق.
يعني جيوش الكفر والوثنية.
(٢) المدلج: الذي يسير ليلاً.
(٣) أناي: أبعد.
(٤) يفند: يكذب.
(٦) أوعلني، من الإبعاد.
(٧) عن جرا: أي من جراء ذلك.
(٨) سهام وسردد: موضعان في بلاد عك

ويقول بُدِيل: هذه والله خُزاعة حَمَشَتها الحرب^(١) ! ويقول أبو سفيان: خُزاعة أذلُّ وأقلُّ من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها !

قال فعرفت صوته فقلت: يا أبا حنظلة ! فعرف صوتي فقال: أبو الفضل؟ قلت: نعم. قال: مالك فذاك أبي وأمي؟ قلت: ويحك يا أبا سفيان ! هذا رسولُ الله ﷺ في الناس، واصْبَاحَ قريشِ والله ! قال: فما الحيلة، فذاك أبي وأمي؟ قلت: والله لئن ظفرك ليضربنَّ عنقك، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسولُ الله ﷺ، فأستأمنه لك.

فركب خلفي ورجع صاحبا. فجئت به كلما مررتُ بنارٍ من نيران المسلمين قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها قالوا: عمُّ رسول الله ﷺ على بغلته.

حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: من هذا؟ وقام إلي. فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال: أبو سفيان عدوُّ الله ! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد.

ثم خرج يشتدُّ نحو رسول الله ﷺ، وركضتُ البغلة فسبقتُه بما تسبق الدابة البطيئة الرجلَ البطيء. فافتحمتُ عن البغلة فدخلت على رسول الله ﷺ، ودخل عليه عمر فقال: يا رسول الله، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد، فدعني فلاضرب عنقه.

قلت: يا رسول الله، اني قد أجرته ! ثم جلستُ إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه فقلت: والله لا ينجيه الليلة دوني رجل !

فلما أكثر عمر في شأنه قلت: مهلاً يا عمر، فوالله أن لو كان من بني عدي بن كعب ما قلت هذا، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف.

فقال: مهلاً يا عباس، فلاسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم. فقال رسول الله ﷺ: اذهب به يا عباس إلى رحلك، فإذا أصبحت فأتني به.

فذهبتُ به إلى رحلي فبات عندي، فلما أصبح غدوتُ به إلى رسول الله ﷺ قال: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك^(٢) أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟ قال: بآبي أنت وأمي. ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد ! قال: ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟ قال: بآبي أنت وأمي،

(١) حَمَشَتها الحرب: أحرقتها واصلت بنارها. (٢) ألم يأن لك: أي ألم يمن لك.

ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! أمّا هذه واللّه فإنّ في النفس منها حتى الآن شيئاً ! فقال له العباس : ويحك ! أسلم وأشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، قبل أن تضرب عنقك .

قال : فشهد شهادة الحقّ فأسلم .

قال العباس : قلتُ يا رسول الله، إنّ أبا سفيان رجلاً يحبُّ هذا الفخرَ فاجعلْ له شيئاً . قال : « نعم، مَنْ دَخَلَ دارَ أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابَه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن » .

فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ : يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل (١) حتى تمرُّ به جنودُ الله فيراها .

قال : فخرجتُ حتى حبسته بمضيق الوادي حيث أمرني رسول الله ﷺ أن أحبسه .

ومرّت القبائل على راياتها، كلما مرّت قبيلة قال : يا عباس، من هذه ؟ فأقول : سليم . فيقول : مالي وسليم . ثم تمرّ القبيلة فيقول : يا عباس، من هؤلاء ؟ فأقول : مزينة . فيقول : مالي ولزينة . حتى نفذت القبائل، ما تمرُّ به قبيلة إلا يسألني عنها، فإذا أخبرته بهم قال : مالي ولبني فلان، حتى مرّ به رسول الله ﷺ في كتيبه « الخضراء » (٢)، فيها المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم، لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد، فقال : سبحان الله يا عباس، مَنْ هؤلاء ؟ قلت : هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار . قال : ما لأحدٍ بهؤلاء قِبَل ولا طاقة ! والله يا أبا الفضل لقد أصبح مُلك ابن أخيك الغداة عظيماً !! قلت : يا أبا سفيان، إنّها النبوة . قال : فنعم إذن . قلت : النجاء (٣) إلى قومك !

حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش، هذا محمدٌ قد جاءكم فيما لا قبيل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن !

فقامت إليه هند بنت عتبة، فأخذت بشاربه فقالت : اقتلوا الحميت الدسم الأحمس (٤)، قُبِح من طليعة القوم (٥) !

قال، ويلكم، لا تغرّبكم هذه من أنفسكم، فإنّه قد جاءكم ما لا قبيل لكم به، فمن

(١) خطم الجبل : أنف يخرج منه يضيق به طريق .

(٢) ابن هشام : إنّما قبيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها .

(٣) النجاء : الإسراع .

(٤) الحميت : زق السمن . الدسم : الكثير الودك . الأحمس : الشديد اللحم . شبهته بالزق لضخمه وسمته .

(٥) الطليعة : الذي يحرس القوم .

دخل دار أبي سفيان فهو آمن !

قالوا: قاتلك الله، وما تُغني عنا دارك ؟

قال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن !

فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد.

عن عبد الله بن أبي بكر: أن رسول الله ﷺ لما انتهى إلى ذي طوى وقف على راحلته معتجراً^(١) بشقة برد حبرة^(٢) حمراء، وإن رسول الله ﷺ ليضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى إن عُثونَه ليكاد يمَسُّ واسطة الرحل.

وعن أسماء بنت أبي بكر قالت:

لما وقف رسول الله ﷺ بذي طوى قال أبو قحافة لابنة من أصغر ولده: أي بنية، اظهري بي على أبي قبيس^(٣) - وقد كُفَّ بصره - فأشرفت به عليه فقال: أي بنية ماذا ترين؟ قالت: أرى سواداً مجتمعاً. قال: تلك الخيل. قالت: وأرى رجلاً يسعى بين يدي ذلك مقبلاً ومدبراً. قال: أي بنية، ذلك الوازع - يعني الذي يأمر الخيل ويتقدم إليها - ثم قالت: قد والله انتشر السواد. فقال: قد والله إذن دُفعت الخيل، فأسرعي بي إلى بيتي.

فانحطت به، وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته، وفي عُنق الجارية طوق من ورق^(٤)، فيلقاها رجل فيقتطعه من عنقها.

قالت: فلما دخل رسول الله ﷺ مكة ودخل المسجد أتى أبو بكر بأبيه يقوده، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: هلاً تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية فيه؟! قال أبو بكر: يا رسول الله، هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه أنت.

فأجلسه بين يديه، ثم مسح صدره ثم قال له: أسلم. فأسلم.

فدخل به أبو بكر وكان رأسه ثغامة^(٥) فقال رسول الله ﷺ: غيروا هذا من شعره.

ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته وقال: أنشد الله والإسلام طوق أختي! فلم يجبه أحد، فقال: أي أختي، احتسبي طوقك فوالله إن الأمانة في الناس اليوم لقليل !

(١) الاعتجار: التعمم بغير ذؤابة.

(٢) الشقة: النصف. والحبرة: ضرب من برود اليمن.

(٣) اظهري بي: اصعدي. أبو قبيس: جبل بمكة.

(٤) الطوق: القلادة. الورق: الفضة.

(٥) الثغامة: واحدة الثغام، نبت أشد ما يكون بياضاً إذا

أعمل، يشبهون به الشيب.

وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وحنين والطائف: شعار المهاجرين: يا بني عبد الرحمن، وشعار الخزرج: يا بني عبد الله، وشعار الأوس: يا بني عبيد الله.

وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى أمراءه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة ألا يقاتلوا، إلا أنه قد عهد في نفر سمامهم، أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة، منهم عبد الله بن سعد أخو عامر بن لؤي. وإنما أمر رسول الله ﷺ بقتله لأنه كان أسلم وكان يكتب لرسول الله ﷺ الوحي، فارتد مشركاً راجعاً إلى قريش، ففر إلى عثمان بن عفان، وكان أخاه للرضاعة، فغيبه حتى أتى به رسول الله ﷺ بعد أن اطمأن الناس وأهل مكة، فاستأمن له. فزعموا أن رسول الله ﷺ صمت طويلاً ثم قال: نعم. فلما انصرف عنه عثمان قال رسول الله ﷺ لمن حوله من أصحابه: لقد صمت ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه. فقال رجل من الأنصار: فهلاً أومات إلي يا رسول الله؟ قال: إن النبي لا يقتل بالإشارة^(١).

و « عبد الله بن خطل »: رجل من بني تميم بن غالب. إنما أمر بقتله أنه كان مسلماً، فبعثه رسول الله ﷺ مصدقاً^(٢) وبعث معه رجلاً وكان معه مولى له يخدمه، وكان مسلماً، فنزل منزلاً وأمر المولى أن يذبح له تيساً فيصنع طعاماً، فنام فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً. فغدا عليه فقتله ثم ارتد مشركاً.

وكانت له قينتان: فرتني وصاحبتهما، وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ، فأمر رسول الله ﷺ بقتلهما معه.

و « الحويرث بن نقيذ » وكان ممن يؤذيه بمكة.

و « مقيس بن صبابه^(٣) »: وإنما أمر رسول الله ﷺ بقتله لقتل الأنصاري الذي كان قد قتل أخاه خطأ، ورجوعه إلى قريش مشركاً.

و « سارة »: مولاة لبني عبد المطلب.

و « عكرمة بن أبي جهل ».

وكانت سارة ممن يؤذيه بمكة.

(٢) المصلى: جامع الصدقات، وهي الزكوات.

(٣) انظر جمهرة أنساب العرب ١٨٢.

(١) قال ابن هشام: ثم أسلم بعد فولاه عمر بن الخطاب

بعض أعماله، ثم ولاء عثمان بن عفان بعد عمر.

فأما عكرمة فهربَ إلى اليمن، وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام، فاستأمنت له من رسول الله ﷺ، فأمنه، فخرجت في طلبه إلى اليمن حتى أتت به رسول الله ﷺ، فأسلم.

وأما عبد الله بن خطل فقتله سعيد بن حريث المخزومي، وأبو برة الأسلمي، اشتركا في دمه.

وأما مقيس بن صباية فقتله نميلة بن عبد الله، رجل من قومه، فقالت أخت مقيس في قتله:

لعمري لقد أخزى نميلة رهطه وفجع أضياف الشتاء بمقيس
فله عينا من رأى مثل مقيسٍ إذا النفساء أصبحت لم تُخرس^(١)

وأما قيتنا ابن خطل. فقتلت إحداهما، وهربت الأخرى حتى استؤمن لها رسول الله ﷺ بعد، فأمنها.

وأما سارة فاستؤمن لها فأمنها، ثم بقيت حتى أوطأها رجل من الناس فرسأ، في زمن عمر بن الخطاب، بالأبطح فقتلها.

وأما الحويرث بن نقيذ فقتله علي بن أبي طالب.

عن أم هانيء ابنة أبي طالب قالت:

لما نزل رسول الله ﷺ بأعلى مكة فرأى إلي رجلان من أمهائي من بني مخزوم - وكانت عند هبيرة بن أبي وهب المخزومي - قالت: فدخل عليّ بن أبي طالب أخي فقال: والله لأقتلنها! فأغلقت عليها باب بيتي، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة، فوجدته يغتسل من جفنة إن فيها لأثر العجين، وفاطمة ابنته تستره بثوبه، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح ثم صلى ثماني ركعات من الضحى، ثم انصرف إلي فقال: مرحباً وأهلاً وسهلاً يا أم هانيء، ما جاء بك؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي. فقال: قد أجرنا من أجرت، وأمنا من أمنت، فلا يقتلها!

عن صفية بنت شيبة أن رسول الله ﷺ لما نزل مكة واطمأن الناس خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن^(٢) في يده. فلما قضى طوافه، دعا

(١) لم تخرس: لم يصنع لها طعام الولادة، واسمه الخرس والحرس، بضم الحاء. أرادت شدة الزمان.
(٢) المحجن: عود معوج الطرف، يمسه الراكب للبعير في يده.

عثمان بن طلحة، فأخذ منه مفتاح الكعبة، ففتحت له فدخلها، فوجد فيها حمامة من عيدان، فكسرها بيده ثم طرحها، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له الناس^(١) في المسجد.

قال ابن إسحاق:

فحدثني بعض أهل العلم: أن رسول الله ﷺ قام على باب الكعبة فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له: صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين، إلا سدانة البيت^(٢) وسقاية الحاج.

ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا، ففيه الدية مغلظة، مائة من الإبل، أربعون منها في بطونها أولادها.

يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمتها بالآباء. الناس من آدم، وآدم من تراب.

ثم تلا هذه الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾.

ثم قال: يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل فيكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم.

قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

ثم جلس رسول الله في المسجد، فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده، فقال: يا رسول الله، اجتمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك. فقال رسول الله ﷺ: أين عثمان بن طلحة؟ فدعي له. فقال: هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم برّ ووفاء.

قال هشام: وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دخل البيت يوم الفتح، فرأى صور الملائكة وغيرهم، فرأى إبراهيم عليه السلام مصوراً في يده الأزام يستقسم بها. فقال: قاتلهم الله! جعلوا شيخنا يستقسم بالأزام^(٣)! ما شأن إبراهيم والأزام! ﴿ ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً، ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ﴾.

ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست.

(٣) الأزام: السهام التي كانوا يستقسمون بها، يستشيرونها في أمورهم.

(١) استكفوا: استجمعوا.

(٢) سدانة البيت: خدمته.

وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ الْكَعْبَةَ عَامَ الْفَتْحِ وَمَعَهُ بِلَالٌ، فَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَدِّنَ، وَابُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَعَتَّابُ بْنُ أُسَيْدٍ وَالْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ جُلُوسٌ بِفِنَاءِ الْكَعْبَةِ. فَقَالَ عَتَّابُ بْنُ أُسَيْدٍ: لَقَدْ أَكْرَمَ اللَّهُ أُسَيْدًا أَلَا يَكُونُ سَمِيعَ هَذَا فَيَسْمَعُ مِنْهُ مَا يَغِيظُهُ! فَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمُ أَنَّهُ مَحِقٌّ لِاتَّبَعْتَهُ! فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ: لَا أَقُولُ شَيْئًا، لَوْ تَكَلَّمْتُ لِأَخْبَرْتُ عَنِّي هَذِهِ الْحَصَى!

فَخَرَجَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتُ الَّذِي قَلْتُمْ. ثُمَّ ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُمْ، فَقَالَ الْحَارِثُ وَعَتَّابُ: نَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، مَا أَطَّلَعَ عَلَى هَذَا أَحَدٌ كَانَ مَعَنَا فَنَقُولُ أَخْبَرَكَ! قَالَ ابْنُ هِشَامٍ:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ عَلَى رَاحِلَتِهِ، فَطَافَ عَلَيْهَا وَحَوْلَ الْبَيْتِ أَصْنَامٌ مَشْدُودَةٌ بِالرِّصَاصِ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَشِيرُ بِقَضِيْبٍ فِي يَدِهِ إِلَى الْأَصْنَامِ وَيَقُولُ: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾^(١) إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا. فَمَا أَشَارَ إِلَى صَنَمٍ مِنْهَا فِي وَجْهِهِ إِلَّا وَقَعَ لِقْفَاهُ، وَلَا أَشَارَ إِلَى قِفَاهُ إِلَّا وَقَعَ لَوَجْهِهِ، حَتَّى مَا بَقِيَ مِنْهَا صَنَمٌ إِلَّا وَقَعَ.

وَحَدَّثَنِي مَنْ أَتَقَى بِهِ مِنْ أَهْلِ الرَّوَايَةِ أَنَّ فَضَالَةَ بْنَ عَمِيرِ اللَّيْثِيِّ أَرَادَ قَتْلَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عَامَ الْفَتْحِ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَفْضَالَةُ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَضَالَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: مَاذَا كُنْتَ تَحَدِّثُ بِهِ نَفْسِكَ؟ قَالَ: لَا شَيْءَ، كُنْتُ أَذْكَرُ اللَّهَ! فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ قَالَ: اسْتَغْفِرُ اللَّهَ. ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ فَسَكَنَ قَلْبَهُ. فَكَانَ فَضَالَةُ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا رَفَعَ يَدَهُ عَن صَدْرِي حَتَّى مَا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ شَيْءٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ.

قَالَ فَضَالَةُ: فَرَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي فَمَرَرْتُ بِامْرَأَةٍ كُنْتُ أَتَحَدَّثُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ: هَلُمَّ إِلَى الْحَدِيثِ. فَقُلْتُ: لَا. وَانْبَعَثَ فَضَالَةُ يَقُولُ:

قَالَتِ هَلُمَّ إِلَى الْحَدِيثِ فَقُلْتُ لَا	يَا بِي عَلَيْكَ السَّلَامُ وَالْإِسْلَامُ
لَوْ مَا رَأَيْتِ مُحَمَّدًا وَقَبِيلَهُ	بِالْفَتْحِ يَوْمَ تُكْسَرُ الْأَصْنَامُ
لِرَأَيْتِ دِينَ اللَّهَ أَضْحَى بَيْنًا	وَالشَّرْكَ يَغْشَى وَجْهَهُ الْإِظْلَامُ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:

وَكَانَ جَمِيعٌ مَن شَهِدَ فَتْحَ مَكَّةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَشْرَةَ أَلْفٍ، مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ سَبْعِمِائَةَ، وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ: أَلْفٌ. وَمِنْ بَنِي غَفَارٍ أَرْبَعِمِائَةَ، وَمِنْ بَنِي مُزَيْنَةَ أَلْفٌ وَثَلَاثَةٌ نَفَرًا، وَسَائِرُهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ وَحُلَفَائِهِمْ وَطَوَائِفِ الْعَرَبِ مِنْ تَمِيمٍ وَقَيْسٍ وَأَسَدٍ.

(١) زهق: اضمحل وبطل.

وكان مما قيل من الشعر في يوم الفتح قول حسان بن ثابت الأنصاري :

عَفَّتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجَوَاءُ
دِيَارُ مَنْ بَنَى الْحَسْحَاسَ قَفْرًا
وَكَانَتْ لَا يَزَالُ بِهَا أَنْيْسُ
فَدَعُ هَذَا وَلَكِنْ مَنْ لَطِيفٍ
لشِعْشَاءِ الَّتِي قَدْ تَيَمَّمْتَهُ
كَأَنَّ خَبِيثَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسِ
إِلَى مَا الْأَشْرِبَاتُ ذُكِرْنَ يَوْمًا
نُوَلِّيَهَا الْمَلَامَةَ إِنْ أَلْمَنَّا
وَنَشْرِبَهَا فَتَتْرَكُنَا مَلُوكًا
عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا
يَنَازِعَنَّ الْأَعْنَةَ مُصَغَّبَاتٍ
تَظَلُّ جِيَادُنَا مَتَمَطَّرَاتٍ
فِيمَا تُعْرِضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا
وَالْأَصَابِعُ وَالْجَوَاءُ
وَجَبْرِيلَ رَسُولُ اللَّهِ فِينَا
وَقَالَ اللَّهُ: قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا
شَهِدْتُ بِهِ فَقُومُوا صِدْقُوهُ
وَقَالَ اللَّهُ: قَدْ سَيَّرْتُ جُنْدًا

إِلَى عَذْرَاءٍ مَنَزَلَهَا خَلَاءً^(١)
تَعْفِيهَا الرُّوَامِسُ وَالسَّيَاءُ^(٢)
خِلَالَ مُرُوجِهَا نَعَمٌ وَشَاءُ^(٣)
يُؤْرَقُنِي إِذَا ذَهَبَ الْعِشَاءُ
فَلَيْسَ لِقَلْبِهِ مِنْهَا شِفَاءُ
يَكُونُ مَزَاجَهَا عَسَلٌ وَمَاءُ^(٤)
فَهَنْ لَطِيبِ الرَّاحِ الْفِدَاءُ
إِذَا مَا كَانَ مَغْتًا أَوْ لِحَاءُ^(٥)
وَأَسْدًا مَا يَنْهِنُنَا الْلِقَاءُ^(٦)
تُثِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ^(٧)
عَلَى أَكْتَاْفِهَا الْأَسْلُ الْظَّمَاءُ^(٨)
يَلْطَمُهُنَّ بِالْخُمْرِ النَّسَاءُ^(٩)
وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ
يُعِينُ اللَّهَ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ
وَرُوحُ الْقُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ^(١٠)
يَقُولُ الْحَقُّ إِنْ نَفَعَ الْبِلَاءُ
فَقَلْتُمْ: لَا نَقُومُ وَلَا نَشَاءُ
هَمُّ الْأَنْصَارِ عَرَضَتْهَا الْلِقَاءُ^(١١)

(٥) المنة: فعلنا ما نستحق عليه اللوم. المغت: الضرب

باليد. اللحاء: السباب.

(٦) ينهنا: يزعجنا ويردنا.

(٧) النقع: الغبار. كداء: ثنية بأعلى مكة.

(٨) الأعنة: جمع عنان، وهو اللجام. الأسل: الرماح.

الظماء: النوايل.

(٩) متمطرات: مسرعات. الخمر: جمع خمار.

(١٠) ليس له كفاء: الكفاء والنظير والمثيل.

(١١) عرضتها اللقاء، أي عادت أن تتعرض للقاء، فهي

قادرة عليه.

(١) عفت: تغيرت ودرست. ذات الأصابع والجواء:

موضعان بالشام، وبالجواء كان منزل الحارث بن أبي
شمير الغساني بمدوح النابغة. وعذراء: قرية على بريد
من دمشق.

(٢) بنو الحسحاس: حي من بني أسد. الروامس:

الرياح تطمس الآثار. السياء: المطر.

(٣) النعم: المال الراعي، وأكثر ما يطلق على الإبل.

والشاة: جمع شاة.

(٤) الخبيثة: الخمر المصونة المضمون بها. بيت رأس:

موضع بالأردن مشهور بالخمر الجيدة.

لنا في كل يومٍ مع معبدٍ
فَنَحْكُمُ بِالْقَوافي مَنْ هجانا
ألا أبلغُ أبا سفيانَ عني
بأنَّ سيوفنا تركتك عبداً
هجوتَ محمداً وأجبتُ عنه
أتهجوه ولستَ له بكفءٍ
هجوتَ مباركاً براً حنيفاً
أمن يهجو رسولَ الله منكم
فإنَّ أبي ووالده وعرضي
لساني صارمٌ لا عيبَ فيه

سبباً أو قتالاً أو هجاء
ونضرب حين تختلط الدماء^(١)
مغلغلةً فقد برح الخفاء
وعبدُ الدار سادتها الإمامُ
وعند الله في ذاك الجزاء
فشركها لخيركم الفداء
أمينَ الله شيمته الوفاء^(٢)
وتمدُّحه وينصُّره سواء
لعرضِ محمدٍ منكم وقاء
وبحري لا تكذِّره الدلاء

غزوة حنين في سنة ثمان، بعد الفتح

ولما سمعت هوازن برسول الله ﷺ وما فتح الله عليه من مكة، جمعها مالك بن عوفِ النصرى، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها، واجتمعت نصر وجشم كلها، وسعد بن بكر، وناس من بني هلال وهم قليل، ولم يشهدا من قيس عيلان إلا هؤلاء، وغاب عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب، ولم يشهدا منهم أحدٌ له اسم.

وفي بني جشم دريد بن الصمة، شيخ كبير ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب، وكان شيخاً مجرباً. وفي ثقيف سيدان لهم. وفي الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود بن معتب. وفي بني مالك ذو الخمار سبيع بن الحارث بن مالك، وأخوه أحر بن الحارث. وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوفِ النصرى.

فلما أجمع السير إلى رسول الله ﷺ حطَّ مع الناس أمواهم ونساءهم وأبناءهم، فلما نزل بأوطاس^(٣) اجتمع إليه الناس وفيهم دُرَيْدُ بن الصمة في شجار له^(٤) يُقاد به. فلما نزل قال: بأي وادٍ أنتم؟ قالوا: بأوطاس. قال: نعم مجال الخيل، لا حَزْنٌ ضِرْس^(٥) ولا سهل دَهْس^(٦)، مالي أسمع رُغاء البعير، ونُهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويُعار الشاء^(٧)؟ قالوا:

(٥) الحَزْن: المرتفع من الأرض. الضرس: الذي فيه حجارة مكددة.
(٦) الدهس: اللبن الكثير التراب.
(٧) يعار الشاء: صوتها.

(١) نحكم: نمنع ونكف.
(٢) الحنيف: المسلم، سمي حنيفاً لأنه مال عن الباطل إلى الحق. الشيمة: الطبيعة.
(٣) أوطاس: وادٍ في ديار هوازن.
(٤) الشجار: شبه الهودج مكشوف الأعلى.

ساق مالك بن عوفٍ مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم. قال: أين مالك؟ قيل: هذا مالك. ودُعِيَ له، فقال: يا مالك، إنك قد أصبحت رئيس قومك، وإن هذا يومٌ كائنٌ له ما بعده من الأيام! مالي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويُعار الشاء؟ قال: سُقْتُ مع الناس أموالهم ونساءهم. قال: ولم ذاك؟ قال: أردت أن أجعل خَلْفَ كُلِّ رجلٍ منهم أهله وماله ليقاتل عنهم.

فأنقَضَ به^(١) ثم قال: راعي ضأنٍ واللَّه! وهل يردُّ المنهزمُ شيء؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجلٌ بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فُضِحَتْ في أهلك ومالك.

ثم قال: ما فعلت كعبٌ وكلاب؟ قالوا: لم يشهدا منهم أحد. قال: غاب الحدُّ^(٢) والجدُّ، ولو كان يومَ علاءٍ ورفعة لم تَغِبْ عنه كَعْبٌ ولا كلاب! ولوددتُ أنكم فعلتم ما فعلتُ كعب وكلاب، فمن شهدا منكم؟ قالوا: عمرو بن عامر، وعوف بن عامر. قال: ذاك الجدعان^(٣) من عامر، لا ينفعان ولا يضران! يا مالك، إنك لم تصنع بتقديم البيضة^(٤) هوازن إلى نحور الخيل شيئاً. ارفعهم إلى متمنِّع بلادهم وعُليا قومهم، ثم القِ الصُّبَّاء^(٥) على مُتون الخيل، فإن كانت لك لحق بك من وراءك، وإن كانت عليك أَلْفَاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك. قال: واللَّه لا أفعل ذلك، إنك قد كبرت وكبر عقلك! واللَّه لتطيعُنِّي يا معشر هوازن أو لأتكننَّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري - وكره أن يكون لدريد بن الصِّمة فيها ذكر أو رأي - فقالوا: أظعنك. فقال دريد بن الصِّمة: هذا يومٌ لم أشهده ولم يفتني.

يا ليتني فيها جذع^(٦) أخبٌ فيها وأضع^(٧)
أفود وطفاء الزم^(٨) كأنها شاة صدع^(٩)

ثم قال مالك للناس: إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم، ثم شدوا شدة رجل

واحد!

-
- (١) أنقض به، من الأنقاض، وهو أن يلصق لسانه بالحنك ثم يصوت في حاقته، يفعلون ذلك عند إنكار القول أو العمل.
(٢) الحد: الشجاعة والحدة.
(٣) الجدع: الضعيف في الحرب، كأنه الجدع من الإبل.
(٤) البيضة: الجماعة.
(٥) جمع صاب، كانوا يسمون المسلمين بذلك لأنهم خرجوا عن دين الوثنية إلى الإسلام.
(٦) الجدع: الشاب.
(٧) الخب والوضع: ضربان من السير.
(٨) الوطفاء: الطويلة الشعر. الزم: الشعر الذي فوق مريط القيد.
(٩) الشاة: الرعل. الصدع: الوسط بين العظيم والحقير.

ولما سمع بهم نبيُّ الله ﷺ بعث إليهم عبد الله بن أبي حَرْدِ الأسلمي، وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ثم يأتيه بخبرهم. فانطلق ابن حَرْدِ فدخل فيهم فأقام فيهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله ﷺ، وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه، ثم أقبل حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر.

فلما أجمع رسول الله ﷺ السيرَ إلى هوازن ليلقاهم ذكر له أن عند صفوان بن أمية أدراعاً له وسلاحاً، فأرسل إليه وهو يومئذ مشركٌ فقال: يا أبا أمية. أعرنا سلاحك هذا نلحق فيه عدونا غداً. فقال صفوان: أغضباً يا محمد؟ قال: بل عاريةٌ مضمونةٌ حتى تؤديها إليك. قال: ليس بهذا بأس!

فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح، فزعموا أن رسول الله ﷺ سأله أن يكفيهم حملها، ففعل.

ثم خرج رسول الله ﷺ معه ألفان من أهل مكة، مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح الله بهم، فكانوا اثني عشر ألفاً. واستعمل رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس على مكة، أميراً على من تخلف عنه من الناس. ثم مضى رسول الله ﷺ على وجهه يريد لقاء هوازن.

عن الحارث بن مالك قال:

خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنين ونحن حديثو عهدٍ بالجاهلية، فسرنا معه إلى حُنين، وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرةٌ عظيمةٌ خضراء يقال لها ذات أنواط، يأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها، ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوماً، فرأينا ونحن نسير مع رسول الله ﷺ سِدْرَةَ خضراء عظيمة، فتنادينا من جنّات الطريق: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُ أَكْبَرُ! قَلْتُمْ - والذي نفسُ محمد بيده - كما قال قوم موسى لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾. إنها السُّنَنُ، لتركبُن سنن من كان قبلكم».

عن جابر بن عبد الله قال:

لما استقبلنا وادي حُنين انحدرنا في وادٍ من أودية تهامة أجوف حَطُوط^(١) إنما ننحدر فيه إنحداراً، وفي عمية الصُّبْح^(٢)، وكان القوم قد سبقونا إلى الوادي فكمنوا لنا في شِعابه

(١) أجوف: متسع. حَطُوط: منحدر.

(٢) عمية الصُّبْح: ظلامه قبل أن يتبين.

وأحنائه^(١) ومضايقه، وقد أجمعوا وتهبثوا وأعدوا، فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتائبُ قد شدوا علينا شدة رجل واحد، وانشمر الناس^(٢) راجعين لا يلوي أحد على أحد.

وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين ثم قال: أين أيها الناس هلموا إليّ، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله! فلا تي شيء^(٣) حملت الإبل بعضها على بعض، فانطلق الناس، إلا أنه قد بقي مع رسول الله ﷺ نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته.

قول ابن إسحاق: فلما انهزم الناس ورأى من كان مع رسول الله ﷺ من جفاة أهل مكة الهزيمة، تكلم رجال منهم بما في أنفسهم من الضغن، فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر! وإن الألام^(٤) لمعه في كنانته.

وصرخ جبلة بن الحنبل: ألا بطل السحر اليوم!

وقال شيبه بن عثمان: قلت: اليوم أدرك ثأري من محمد^(٥)! اليوم أقتل محمداً! فأدرت برسول الله ﷺ لأقتله، فأقبل شيء حتى تغشى فؤادي فلم أطق ذلك، وعلمت أنه ممنوع مني.

وحدثني بعض أهل مكة أن رسول الله ﷺ قال حين فصل من مكة إلى حنين، ورأى كثرة من معه من جنود الله: لن تغلب اليوم من قلة!

عن العباس بن عبد المطلب قال:

إني لمع رسول الله ﷺ أخذ بحكمة^(٦) بغلته البيضاء، قد شجرتها^(٧) بها، وكنت أمراً جسيماً شديد الصوت، ورسول الله يقول حين رأى ما رأى من الناس: أين أيها الناس؟ فلم أر الناس يلوون على شيء، فقال: يا عباس، اصبرخ: يا معشر الأنصار يا معشر أصحاب السمرة. قال: فأجابوا: لبيك لبيك!

فيذهب الرجل لثني بعيره فلا يقدر على ذلك، فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه، ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بعيره ويخلى سبيله، فيؤم الصوت حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ،

(١) الأحناء: الجوانب.

(٢) انشمروا: انفضوا وانهزموا.

(٣) أي لشيء عظيم.

(٤) الألام: السهام التي كانوا يستقسمون بها ويخضعون

لحكمها.

(٥) كان أبوه قد قتل يوم أحد.

(٦) الحكمة: اللجام.

(٧) شجرها بها: وضعها في شجرها، وهو مجتمع

للحين.

حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة استقبلوا الناس فاقتلوا .

وكانت الدعوى أول ما كانت : يا للأنصار ! ثم خَلَصَتْ أخيراً : يا للخزرج ! وكانوا صُبراً عند الحرب، فأشرف رسول الله ﷺ في ركائبه، فنظر إلى مجتلد القوم^(١) وهم يجتلدون، فقال : الآن حَمِي الوطيس^(٢) !

عن جابر بن عبد الله قال :

بيننا ذلك الرجل من هوازن، صاحب الراية، على جملة يصنع ما يصنع، إذ هَوَى له علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ورجلٌ من الأنصار يريدانه، فيأتيه علي بن أبي طالب من خلفه، فضرب عرقوبي الجمل فوق على عجزه، ووثب الأنصاري على الرجل فضربه ضربةً أظنُّ قدمه^(٣) بنصف ساقه، فانجعف^(٤) عن رحله، واجتلد الناس، فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكثفين عند رسول الله ﷺ .

والتفت رسول الله ﷺ إلى أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وكان ممن صبر يومئذ مع رسول الله ؛ وكان حسن الإسلام حين أسلم، وهو أخذ بثفر بغلته^(٥)، فقال : من هذا ؟ قال : أنا ابن أمك يا رسول الله !

عن عبد الله بن أبي بكر :

أن رسول الله ﷺ التفت فرأى أم سليم بنت ملحان، وكانت مع زوجها أبي طلحة، وهي حازمة وسطها ببرد لها، وإنها لحامل بعبد الله من أبي طلحة، ومعها جمل أبي طلحة، وقد خشيت أن يعزها الجمل^(٦)، فأدنت رأسه منها، فأدخلت يدها في خزامته^(٧) مع الخطام، فقال لها رسول الله ﷺ : أم سليم . قالت : نعم، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، اقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك، فإنهم لذلك أهل ! فقال رسول الله ﷺ : أو يكفي الله يا أم سليم ؟ قال : ومعها خنجر، فقال لها أبو طلحة : ما هذا الخنجر معك يا أم سليم ؟ قالت : خنجر أخذته، إن دنا مني أحد من المشركين بعجته به^(٨). يقول أبو طلحة : ألا تسمع يا رسول الله ما تقول الرميضاء^(٩) !

(٥) الثفر : السير في مؤخر السرج .

(٦) يعزها : يغلبها .

(٧) الخزامة : حلقة من شعر تجعل في أنف البعير .

(٨) بعج بطنه بالسكين : شقه وخضخضه فيه .

(٩) مصفر الرمضاء : من الرمض، وهو القذي يكون في العين .

(١) مجتلد القوم : موضع جلادهم بالسيوف، حيث تكون المعركة .

(٢) الوطيس : المعركة، وهي كلمة لم تسمع إلا من الرسول .

(٣) أظنُّ قدمه : أطارها وسمع لضربه طنين أو دوي .

(٤) انجعف : سقط سريعاً .

عن أبي قتادة قال:

رأيت يومَ حنين رجلين يقتلان: مسلماً ومشركاً، وإذا رجلٌ من المشركين يريد أن يُعين صاحبه المشركَ على المسلم، فأتيته فضربت يده فقطعتها، واعتنقني بيده الأخرى، فوالله ما أرسلني حتى وجدتُ ريحَ الدم، وكاد يقتلني، فلولا أن الدم نَزَفَه لقتلني، فسقط فضربته فقتلته، وأجهضني عنه القتال^(١)، ومرَّ به رجلٌ من أهل مكة فسلبه. فلما وضعت الحرب أوزارها وفرغنا من القوم قال رسول الله ﷺ «مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ». فقلت: يا رسول الله والله لقد قتلْتُ رجلاً ذا سلبٍ، فأجهضني عنه القتال فما أدري مَنْ استلبه؟ فقال رجلٌ من أهل مكة: صدق يا رسول الله، وسلبُ ذلك القَتيلِ عندي، فأرضه عني مِنْ سَلْبِهِ. فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لا والله، لا يُرضيه منه، تَعِمِدُ إلى أسدٍ من أسدِ الله يقاتل عن دين الله، تقاسمه سلبه؟! أَرَدَدُ عليه سَلْبَ قَتِيلِهِ. فقال رسول الله ﷺ: صدق، أَرَدَدُ عليه سَلْبَهُ.

قال أبو قتادة:

فأخذته منه فبعته فاشتريت بثمنه مخرفاً^(٢)، فإنه لأول مالٍ اعتقدته^(٣).

قال ابن إسحاق:

فلما انهزمت هوازن استحر^(٤) القتل من ثقيف في بني مالك، فقتل منهم سبعون رجلاً تحت رايتهم، فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب وكانت رايتهم مع ذي الخمار^(٥)، فلما قُتل أخذها عثمان بن عبد الله، فقاتل بها حتى قُتل.

ولما انهزم المشركون أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف، وعسكر بعضهم بأوطاس، وتوجه بعضهم نحو نخلة، ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة إلا بنو غيرة من ثقيف، وتبع خيل رسول الله ﷺ من سلك في نخلة من الناس، ولم تتبع من سلك الثنايا.

وبعث رسول الله ﷺ في آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الأشعري، فأدرك من الناس بعض من انهزم، فناوشوه القتال، فرمى أبو عامر بسهم فقتل، فأخذ الراية أبو موسى الأشعري، وهو ابن عمه، فقاتلهم ففتح الله على يديه وهزمهم.

وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة فوقف في فوارس من قومه على ثنية^(٦) من الطريق

(١) أجهضني عنه: شغلني وضيق علي وغلبني.

(٢) اعتقدته، أي ملكته. (٣) اعتقدته، أي ملكته. (٤) استحر: اشتد.

(٥) المخراف: نخلة واحدة، أو نخلات يسيرة إلى عشر.

(٥) ذو الخمار، هو عوف بن الربيع.

(٦) الثنية: موضع مرتفع بين جبلين.

وما فوق ذلك فهو بستان أو حديقة.

وقال لأصحابه: قفوا حتى تمضي ضعفاؤكم، وتحلق أخراكم. فوقف هناك حتى مضى من كان لحق بهم من منهزمة الناس.

ومر رسول الله ﷺ بامرأة وقد قتلها خالد بن الوليد، والناس متقصفون^(١) عليها، فقال: ما هذا؟ قالوا: امرأة قتلها خالد بن الوليد. فقال رسول الله ﷺ لبعض من معه: أدرك خالداً فقل له: إن رسول الله ينهك أن تقتل وليداً أو امرأة أو عسيفاً^(٢).

وإن رسول الله ﷺ قال يومئذ: إن قدرتم علي بجاد - رجل من بني سعد بن بكر - فلا يفلتتكم، وكان قد أحدث حدثاً، فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله، وساقوا معه الشياء بنت الحارث بن عبد العزى أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة، فعنفوا عليها في السياق، فقالت للمسلمين: تعلموا والله إني لأخت صاحبكم من الرضاعة! فلم يصدقوها حتى أتوا بها إلى رسول الله ﷺ.

فلما انتهى بها إلى رسول الله ﷺ قالت: يا رسول الله، إني اختك من الرضاعة. قال: وما علامة ذلك؟ قالت: عضّة عضضتنيها في ظهري وأنا متوركتك^(٣). فعرف رسول الله ﷺ العلامة، فبسط لها رداءه فأجلسها عليه وخيرها وقال: إن أحببت فعندي محبة مكرمة، وإن أحببت أن أمتعك^(٤) وترجعي إلى قومك فعلت. فقالت: تمتعني وتردني إلى قومي. فمتعها رسول الله ﷺ وردّها إلى قومها.

فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاماً له يقال له مكحول، وجارية، فزوّجت إحداهما الأخرى، فلم يزل فيهم من نسلها بقية.

قال ابن هشام:

وأنزل الله عز وجل في يوم حنين: ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم﴾ إلى قوله: ﴿وذلك جزاء الكافرين﴾.

قال ابن إسحاق:

ثم جمعت إلى رسول الله ﷺ سبايا حنين وأموالها، وكان على المغانم مسعود بن عمرو الغفاري، وأمر رسول الله ﷺ بالنسبايا والأموال إلى الجعرانة فحُبست بها.

(١) متقصفون: مزدحمون.

(٢) توركته: حملته على وركها.

(٣) العسيف: الأجير والعبد المستعان به.

(٤) أمتعك: أعطيك ما يكون به التمتع، أي الانتفاع.

غزوة الطائف في سنة ثمان

ولما قدم قلُ ثقيف^(١) الطائف أغلقوا عليهم أبوابَ مدينتها، وصنعوا الصنائع للقتال .
ولم يشهد حُنيناً ولا حصار الطائف عروة بن مسعود، ولا غيلان بن سلمة، كانا
بُجرش يتعلمان صنعة الدُّبابات^(٢) والمجانيق^(٣) والضُّبور^(٤).

ثم سار رسولُ الله ﷺ إلى الطائف حين فرغ من حنين، فقال كعب بن مالك حين
أجمع رسولُ الله ﷺ السيرَ إلى الطائف:

قضيئنا من بهامة كلِّ ريبٍ	وخيبرَ ثم أجمعنا السيوفاً ^(٥)
نخيرها، ولو نطقت لقات	قواطعهن، دوساً أو ثقيفاً
فلست لحاصن إن لم تروها	بساحة داركم منا ألوفاً
ونتزع العروشَ بيطن وجٍ	وتصبح داركم منكم خلوفاً ^(٦)

فسلك رسولُ الله ﷺ على نخلة اليمانية، ثم على قرن ثم على المليح، ثم على بُحرة
الرُّغاء من لية^(٧) فابتنى بها مسجداً فصلَّى فيه، ثم سلك في طريق يقال لها الضيقة، ثم خرج
منها على نخب حتى نزل تحت سِدرة يقال لها: «الصادرة» قريباً من مال رجلٍ من ثقيف،
فأرسل إليه رسولُ الله ﷺ: إما أن تخرج وإما أن نُخرب عليك حائطك. فأبى أن يخرج،
فأمر رسولُ الله ﷺ بإخراجه.

ثم مضى رسولُ الله ﷺ حتى نزل قريباً من الطائف، فضرب به عسكره^(٨) فقتل به
ناسٌ من أصحابه بالنبل، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف فكانت النبل تنالهم،
ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم، أغلقوه دونهم. فلما أصيب أولئك النفر من
أصحابه بالنبل وضع عسكره عند مسجده الذي بالطائف اليوم، فحاصره بضعاً وعشرين
ليلة، ومعه امرأتان من نسائه، إحداهما أم سلمة ابنة أبي أمية، فضرب لها قبتين ثم صلَّى
بين القبتين. ثم أقام فلما أسلمت ثقيف بنى على مصلى رسول الله ﷺ عمرو بن أمية بن

(١) الفل: الجماعة المنهزمون.
(٢) الدبابة: آلة من آلات الحرب، يدخل فيها الرجال فيدبون بها إلى الأسوار لينقبوها.
(٢) جمع منجنيق، وهي من آلات الحصار، يرمي بها الحجارة الثقيلة ونحوها.
(٤) الضبور: مثل رؤوس الأسفاط، يرمى بها في الحرب عند الإنصراف.
(٥) الريب: الشك. أجمعنا السيوف: ارحناها.
(٦) العروش: سقوف البيوت. وج: موضع بالطائف. خلوف: تغيب عنها أهلها.
(٧) قرن، ومليح، وبحرة الرُّغاء، ولية: مواضع بالطائف.
(٨) أي نصب الخيام للجنود.

وهب مسجداً، وكانت في ذلك المسجد ساريةً فيما يزعمون، لا تطلع الشمس عليها يوماً من الدهر إلا سُمِعَ لها نقيض^(١)، فحاصروهم رسول الله ﷺ وقاتلهم قتالاً شديداً، وتراموا بالنبل^(٢).

حتى إذا كان يومُ الشُدْحَةِ عند جدار الطائف، دخل نفرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ تحت دِبابَةٍ، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليخرقوه، فأرسلت عليهم ثقيفٌ سيكك الحديد حمأةً بالنار، فخرجوا من تحتها، فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلوا منهم رجالاً، فأمر رسول الله ﷺ بقطع أعناب ثقيف، فوقع الناس فيها يقطعون .

وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر الصديق وهو محاصرٌ ثقيفاً: يا أبا بكر، إني رأيت أني أهديت لي قعبةً^(٣) مملوءةً زبداً، فنقرها ديكٌ فهراق ما فيها . فقال أبو بكر : ما أظن أن تدرك منهم يوماً هذا ما تريد . فقال رسول الله ﷺ : وأنا لا أرى ذلك .

ثم إن خويلة بنت حكيم السلمية، وهي امرأة عثمان، قالت: يا رسول الله ، أعطني إن فتح الله عليك الطائف حلياً بادية بنت غيلان أو حلي الفارغة بنت عقيل - وكانتا من أحلى نساء ثقيف^(٤) - فذكر لي أن رسول الله ﷺ قال لها: وإن كان لم يؤذن لي في ثقيف يا خويلة؟ فخرجت خويلة فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب، فدخل على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ما حدث حدثتني خويلة زعمت أنك قلته؟ قال: قد قلته. قال: أو ما أذن لك فيهم يا رسول الله؟ قال: لا. قال: أفلا أوذن بالرحيل؟ قال: بلى. قال: فأذن عمر بالرحيل.

فلما استقل الناس نادى سعيد بن عبيد: ألا إن الحي مقيم .

ويقول عيينة بن حصن: أجل والله مجدةً كراماً. فقال له رجلٌ من المسلمين: قاتلك الله يا عيينة، أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله ﷺ، وقد جئت تنصر رسول الله؟ فقال: إني والله ما جئت لأقاتل ثقيفاً معكم، ولكني أردت أن يفتح محمد الطائف فأصيب من ثقيف جارية أتطنها، لعلها تلد لي رجلاً، فإن ثقيفاً قومٌ مناكير^(٥).

ونزل على رسول الله ﷺ في إقامته ممن كان محاصراً بالطائف عبيد، فأسلموا فاعتقهم

(١) النقيض: الصوت.

(٢) القعبة: القدح.

(٣) قال ابن هشام: «ورماهم رسول الله ﷺ بالمنجنيق».

(٤) أي من أكثرهن حلياً.

حدثني من أتق به أن رسول الله ﷺ أول من رمى في

(٥) مناكير: ذوو دماء وفطنة.

الإسلام بالمنجنيق رمى أهل الطائف».

رسول الله ﷺ .

ولما أسلم أهل الطائف تكلم نفر منهم في أولئك العبيد . فقال رسول الله ﷺ : « لا ، أولئك عتقاء الله » .

وكان ممن تكلم فيهم الحارث بن كلدة .

وجميع من استشهد بالطائف من أصحاب رسول الله ﷺ اثنا عشر رجلاً : سبعة من قريش ، وأربعة من الأنصار ، ورجل من ليث .

فلما انصرف رسول الله ﷺ عن الطائف بعد القتال والحصار قال بُجير بن زهير بن أبي سلمى يذكر حنيناً والطائف :

كانت علالة يومَ بطن حنينٍ
جمعت بإغواءٍ هوازنُ جمعها
لم يمنعوا منا مقاماً واحداً
ولقد تعرضنا لكيما نخرجوا
ترتد حيرانا إلى رجراجة
ملمومة خضراء لو قذفوا بها
مشى الضراء على المراس كأننا
في كل سابعة إذا ما استحصنت
جدل تمس فضولهن نعالنا
وغداة أوطاسٍ ويوم الأبرق^(١)
فتبددوا كالطائر المتمزق^(٢)
إلا جدارهم ويطن الخندق
فتحصنوا منا بياب مغلق
شهباء تلمع بالمنايا فيلق^(٣)
حزنا لظل كأنه لم يخلق^(٤)
قدر تفرق في القياد وتلتقي^(٥)
كالنهي هبت ريحه المترق^(٦)
من نسج داود وآل محرق^(٧)

أمر أموال هوازن وسباياها وعطايا المؤلفة قلوبهم منها ، وإنعام رسول الله ﷺ فيها ثم خرج رسول الله ﷺ حين انصرف عن الطائف على دحنا^(٨) حتى نزل الجعرانة فيمن معه من الناس ، ومعه من هوازن سبي كثير ، وقد قال رجل من أصحابه يوم ظعن

نبات له شوك . قدر : جمع قدور ، وهي الخيل تجعل أرجلها في مواضع أيديها إذا مشت . ويروي : « قدر » بالفاء ، وهي الوعول المسنة .

(٦) السابعة : الدرع التامة . والنهي : الغدير من الماء .
(٧) الجدل : جمع جدلاء ، وهي الدرع الجيدة النسج آل محرق : آل عمرو بن هند ملك الحيرة .
(٨) دحنا : مخلاف من مخاليف الطائف .

(١) العلالة : جري بعد جري ، أو قتال بعد قتال .
حنين : تصغير حنين .

(٢) الإغواء : الإضلال . والغى : خلاف الرشد .

(٣) حسرى : جمع حسير . الرجراجة : الكتبية الضخمة .
الشهباء : البيضاء لما فيها من لمعان الحديد .

(٤) ملمومة : مجتمعة خضراء ، لما بها من السلاح .
حزن : جبل بأعلى نجد .

(٥) مشى الضراء : أي في استخفاء وختل . المراس :

عن ثقيف: يا رسول الله، ادع عليهم! فقال رسول الله ﷺ: اللهم اهد ثقيفاً وأت بهم.
ثم أتاه وفد هوازن بالجعرانة، وكان مع رسول الله ﷺ من سبي هوازن ستة آلاف
من الذراري والنساء، ومن الإبل والشاء ما لا يُدرى ما عدته. فقالوا: يا رسول الله، إنا
أصل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يُحْفَ عليك، فامنن علينا من الله عليك.

وقام رجلٌ من هوازن ثم أحد بني سعد بن بكر، يقال له زهيرٌ، يكنى أبا صرد،
فقال: يا رسول الله، إنما في الحظائر^(١) عماتك وخالاتك وحواضنك^(٢) اللاتي كنن
يكفلنك، ولو أنا ملحننا^(٣) للحارث بن أبي شمر، أو للنعمان بن المنذر ثم نزل منا بمثل
الذي نزلت به، رجونا عطفه وعائدته^(٤) علينا، وأنت خير المكفولين!

فقال رسول الله ﷺ: أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم؟ فقالوا: يا رسول
الله، خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا، بل ترد إلينا نساءنا وأبنائنا، فهو أحب إلينا. فقال لهم:
أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وإذا ما أنا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا:
إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا،
فسأعطيك عند ذلك وأسأل لكم.

فلما صلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر قاموا فتكلموا بالذي أمرهم به، فقال رسول
الله ﷺ: أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم. فقال المهاجرون: وما كان لنا فهو إلى
رسول الله ﷺ. وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ. فقال الأقرع بن
حابس: أما أنا وبنو تميم فلا. وقال عيينة بن حصن: أما أنا وبنو فزارة فلا. وقال عباس بن
مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا. فقالت بنو سليم: بلى، ما كان لنا فهو إلى رسول الله ﷺ.

يقول عباس بن مرداس لبني سليم: وهتموني^(٥).

فقال رسول الله ﷺ: أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل إنسان ست
فرائض. من أول سبي أصيبه، فرُدوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم.

وقال رسول الله ﷺ لوفد من هوازن وسألهم عن مالك بن عوفٍ ما فعل؟ فقالوا:
هو بالطائف مع ثقيف. فقال رسول الله ﷺ: أخبروا مالكا أنه إن أتاني مسلماً رددت عليه.

(١) الحظائر: جمع حظيرة، وهي الزرب يصنع للابل.

(٢) حواضنك: اللاتي أرضعنك. وكان السبي يوضع في حظائر.

(٣) ملحننا: أرضعنا. والملح: الرضاع.

(٤) عائدته: الفضل العائد.

(٥) وهتموني: أضعفتوني.

(١) الحظائر: جمع حظيرة، وهي الزرب يصنع للابل.

(٢) حواضنك: اللاتي أرضعنك. وكان السبي يوضع في حظائر.

(٣) ملحننا: أرضعنا. والملح: الرضاع.

(٤) عائدته: الفضل العائد.

(٥) وهتموني: أضعفتوني.

من بني سعد بن بكر، من هوازن.

أهله وماله، وأعطيته مائة من الإبل. فأتى مالكٌ بذلك فخرج إليه من الطائف. وقد كان مالكٌ خافَ ثقيفاً على نفسه أن يعلموا أن رسول الله ﷺ قال ما قال فيحبسوه، فأمر براحلته فهبَّت له، وأمر بفرسٍ له فأتى به إلى الطائف، فخرج ليلاً فجلس على فرسه، فركضه حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تُحبس، فركبها فلحق برسول الله ﷺ، فأدركه بالجعرانة أو بمكة، فردَّ عليه أهله وماله، وأعطاه مائة من الإبل، وأسلم فحسُن إسلامه، فقال مالك بن عوفٍ حين أسلم:

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمثله	في الناس كلُّهم بمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدى	ومتى تشأُ يجبرك عماً في غد
وإلى الكتيبة عرّدت أنيابها	بالسمهريّ وضرب كل مهند ^(١)
فكأنه ليثٌ على أشباله	وسط الهباءة خادر في مرصد ^(٢)

فاستعمله رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه وتلك القبائل: ثمالة، وسليمة، وفهم، فكان يقاتل بهم ثقيفاً، لا يخرج لهم سرحاً إلا أغار عليه، حتى ضيق عليهم، فقال أبو مجنن الثقفي:

هابت الأعداء جانبنا	ثم تغزونا بنو سليمة
وأتانا مالكٌ بهم	ناقضاً للعهد والحرمه
وأتوننا في منازلنا	ولقد كنا أولي نقمه

* * *

واتبعه الناس يقولون: يا رسول الله، اقسِم علينا فيثنا من الإبل والغنم! حتى ألبثوه إلى شجرة فاخترطت عنه رداءه، فقال: رُدُّوا عليّ ردائي أيها الناس، فوالله أن لو كان لكم بعدد شجر تِهامة نعماً لقسمته عليكم، ثم ما ألفيتموني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً.

ثم قام إلى جنب بعير فأخذ وبرةً من سنامه فجعلها بين إصبغته، ثم رفعها ثم قال: «أيها الناس، والله مالي من فيثكم ولا هذه البرة إلا الخمس، والخمس مردود عليكم، فأدوا الخياط والمخيط^(٣)، فإن الغلول يكون على أهله عاراً وناراً وشناراً^(٤) يوم القيامة».

(١) عرّدت: أحجمت وقرت. والأنياب: سادات القوم.
السمهري: الرمح. المهند: السيف المنسوب إلى الهند.
(٢) الهباءة: الغبار يثور عند اشتداد الحرب. الخادر: الذي في عرينه. المرصد: المكان يرقب منه. ينعته باليقظة.
(٣) الخياط: الحيط. والمخيط: الإبرة.
(٤) الشنار: أقبح العار.

فجاء رجلٌ من الأنصار بكُبةٍ^(١) من خيوط شعر، فقال: يا رسول الله، أخذتُ هذه الكُبةَ أعملُ بها بَرْدَعَةً بعيرٍ لي دَبِيرٍ^(٢). فقال: أما نصيبي منها فلك! قال: أما إذ بلغتُ هذا فلا حاجةَ لي بها. ثم طَرَحَهَا من يده.

وأعطى رسولُ الله ﷺ المؤلفةَ قلوبهم، وكانوا أشرافاً من أشراف الناس، يتألفهم ويتألف بهم قومهم، فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير، وأعطى حكيم بن حزام مائة بعير، وأعطى الحارث بن الحارث بن كلدة مائة بعير، وأعطى سهيل بن عمرو مائة بعير، وأعطى حُوَيْطِب بن عبد العُزَّى مائة بعير، وأعطى العلاء بن جارية الثقفي مائة بعير، وأعطى عيينة بن حصن مائة بعير، وأعطى الأقرع بن حابس التميمي مائة بعير، وأعطى مالك بن عوفِ النصري مائة بعير، وأعطى صفوان بن أمية مائة بعير، فهؤلاء أصحاب المئين.

وأعطى دون المائة رجالاً من قريش، منهم مخزومة بن نوفل الزهري، وعُمَيْر بن وهب الجمحي، وهشام بن عمرو وأخو بني عامر بن لؤي لا أحفظ ما أعطاهم وقد عرفت أنها دون المائة. وأعطى سعيد بن يربوع بن عَنَكْثَة خمسين من الإبل، وأعطى السهمي خمسين من الإبل.

وأعطى عباس بن مرداس أباعراً فسَخِطَهَا، فعاتب فيها رسولُ الله ﷺ، فقال عباس بن مرداس يعاتب رسول الله ﷺ:

كانت نهاباً تلافيتها	بكرِّي على المهر في الأجرع ^(٣)
وإيقاظي القوم أن يرقدوا	إذا هجع الناس لم أهجع ^(٤)
فأصبح نهبى ونهب العبيد	لدي بين عيينة والأقصرع ^(٥)
وقد كنت في الحرب ذا تدرا	فلم أعط شيئاً ولم أمنع ^(٦)
إلا أفائل أعطيتها	عديداً قوائمها الأربع ^(٧)
وما كان حصن ولا حابس	يفوقان شيخي في المجمع ^(٨)

(٦) ذا تدراً: ذا دفع عن قومي. لم أعط شيئاً، أي شيئاً طائلاً.

(٧) الأفائل: جمع أفيل، وهو الصغير من الإبل.

(٨) شيخي، يريد به أباه مرداساً. ويروي: «شيخي» بتشديد الياء، يريد أباه وجده. ويروي: «يفوقان مرداس».

(١) الكُبة: ما جمع من الغزل ونحوه.

(٢) الدبير: الذي به الدبر، وهي القروح.

(٣) النهاب: جمع نهب، وهو ما ينهب ويغتم. والأجرع: المكان السهل.

(٤) لم أهجع: لم أنم.

(٥) العبيد: اسم فرس العباس.

وما كنتُ دون امرئٍ منهُما ومَن تَضَعُ اليَوْمَ لا يُرْفَعُ

فقال رسول الله ﷺ: اذهبوا به فاقطعوا عني لسانه. فأعطوه حتى رضي. فكان ذلك قَطَعَ لسانه الذي أمر به رسول الله ﷺ (١).

عن أبي سعيد الخدري قال:

لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء، وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم، حتى كثرت منهم القالة (٢)، حتى قال قائلهم: لقي والله رسول الله ﷺ قومه! فدخل عليه سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله، إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمت في قومك، وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب، ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء! قال: فأين أنت من ذلك يا سعد؟ قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي. قال: فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة.

فخرج سعد فجمع الأنصار في تلك الحظيرة، فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا، وجاء آخرون فردهم. فلما اجتمعوا له أتاه سعد فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار.

فأتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: يا معشر الأنصار، ما قاله بلغتنى عنكم، وجدتموها علي في أنفسكم؟ ألم آتكم ضللاً فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم! قالوا: بلى، والله ورسوله آمن وأفضل (٤)!

ثم قال: ألا تحبونني يا معشر الأنصار؟ قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ولرسوله المن والفضل. قال ﷺ: أما والله لو شتم لقتم، فلصدقتم ولصدقتم: أتيناك مكذباً فصدقتناك، ونخذولاً فنصرناك، وطريداً فأويناك، وعائلاً فأسيناك (٥). أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاة (٦) من الدنيا تألفت بها قوماً لیسلموا ووكلتكم إلى

له.

(٢) القالة: الكلام الرديء.

(٣) الحدة: الغضب.

(٤) أمن: أكثر منه، وهي النعمة.

(٥) أسيناك: أعطيناك حتى جعلناك كأحدنا.

(٦) اللعاة، بالضم: البقية اليسيرة.

(١) قال ابن هشام: وحدثني بعض أهل العلم أن

عباس بن مرداس أتى رسول الله ﷺ فقال له: أنت

القائل: فأصبح نهي ونهب العبيد بين الأقرع

وعيينة؟ فقال أبو بكر الصديق: بين عيينة والأقرع

فقال رسول الله ﷺ: هما واحد. فقال أبو بكر:

أشهد أنك كما قال الله: «وما علمناه الشعر وما ينبغي

إسلامكم ! ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنتُ امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً^(١) وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار ! اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار ؟

قال : فبكي القوم حتى أخضلوا لحاهم^(٢)، وقالوا : رضينا برسول الله قسماً وحظاً .
ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا .

عمرة رسول الله ﷺ من الجعرانة

واستخلافه عتَّاب بن أسيد على مكة، وحجُّ عتَّاب بالمسلمين سنة ثمان .
قال ابن إسحاق :

ثم خرج رسول الله ﷺ من الجعرانة معتمراً، وأمر ببقايا الفيء فحسب بمجئة بناحية مَرَّ الظهران، فلما فرغ رسول الله ﷺ من عمرته انصرف راجعاً إلى المدينة واستخلف عتَّاب بن أسيد على مكة، وخلف معه معاذ بن جبل يُفقه الناس في الدين ويعلمهم القرآن، وأتبع رسول الله ﷺ ببقايا الفيء^(٣) .

وكانت عمرة رسول الله ﷺ في ذي القعدة، فقدم رسول الله ﷺ المدينة في بقية ذي القعدة، أو في أول ذي الحجة .

قال ابن إسحاق : وحجُّ الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج عليه، وحج بالمسلمين تلك السنة عتَّاب بن أسيد، وهي سنة ثمان، وأقام أهل الطائف على شركهم وامتناعهم في طائفهم، ما بين ذي القعدة إذ انصرف رسول الله ﷺ، إلى شهر رمضان من سنة تسع .

أمر كعب بن زهير بعد الإنصراف عن الطائف

ولما قدم رسول الله ﷺ من مُنصرَفه عن الطائف كتب بُجَيْرُ بن زهير بن أبي سلمى إلى أخيه كعب بن زهير يخبره أن رسول الله ﷺ قتل رجالاً بمكة ممن كان يهجو ويؤذيه، وإن

يوم درهما، فقام فخطب الناس، فقال : أيها الناس
أجاع الله كبد من جاع على درهم، فقد رزقني رسول
الله ﷺ درهماً كل يوم، فليست بي حاجة إلى أحد .

(١) الشعب : الطريق بين جبلين .

(٢) أخضلوها : بللوها .

(٣) قال ابن هشام : وبلغني عن زيد بن أسلم أنه قال : لما
استعمل النبي ﷺ عتَّاب بن أسيد على مكة رزقه كل

من بقي من شعراء قريش: ابن الزبعرى وهبيرة بن أبي وهب، قد هربوا في كل وجه، فإن كانت لك في نفسك حاجة فطر إلى رسول الله ﷺ، فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً، وإن لم تفعل فأنج إلى نجاتك من الأرض.

وكان كعب قد قال:

ألا أبلغاً عني بُجيراً رسالته
فبين لنا إن كنت لست بفاعل
على خلق لم تلف أمماً ولا أباً
فإن أنت لم تفعل فلست بأسف
سقاك بها المأمون كأساً رويةً
فهل لك فيما قلت ويحك هل لك
على أي شيء غير ذلك ذلكا
عليه ولم تدرك عليه أحماً لك
ولا قاتل إما عثرت لعماً لكاً^(١)
فأنهك المأمون منها وعلكاً^(٢)

قال: وبعث بها إلى بujير، فلما أنت بujيراً كره أن يكتمها رسول الله ﷺ، فأنشده إياها، فقال رسول الله ﷺ لما سمع «سقاك بها المأمون»: «صدق وإنه لكذوب، أنا المأمون».

ولما سمع «على خلق لم تلف أمماً ولا أباً عليه» قال: أجل لم يلف عليه أباه ولا أمه.

قال ابن إسحاق:

فلما بلغ كعباً الكتاب ضاقت به الأرض، وأشفق على نفسه، وأرجف به من كان في حاضره من عدوه، فقالوا: هو مقتول. فلما لم يجد من شيء بدأ قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ﷺ، وذكر فيها خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه ثم خرج حتى قدم المدينة، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جهينته، كما ذكر لي، فغدا به إلى رسول الله ﷺ حين صلى الصبح، فصلى مع رسول الله ﷺ، ثم أشار له إلى رسول الله ﷺ، فقال: هذا رسول الله فقم إليه فاستأمنه. فذكر لي أنه قام إلى رسول الله ﷺ حتى جلس إليه، فوضع يده في يده، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه، فقال: يا رسول الله، إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم». قال: أنا يا رسول الله كعب بن زهير.

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه وثب عليه رجل من الأنصار،

(١) بأسف: بنادم. وقوله «لعالك» كلمة تقال للعاثر، يدعى له بها، ومعناها قم وانتعش.
(٢) أنهك: سقاك النهل، وهو الشرب الأول، وعلك: سقاك العلل. والعلل: الشرب الثاني.

فقال: يا رسول الله، دعني وعدو الله اضرب عنقه! فقال رسول الله ﷺ «دعه عنك فإنه قد جاء تائباً نازعاً عما كان عليه». فغضب كعبٌ على هذا الحي من الأنصار لما صنع به صاحبهم، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير، فقال قصيدته التي قال حين قدم على رسول الله ﷺ:

بانت سعادٌ قلبي اليوم متبولٌ
 نبئت أن رسول الله أوعدني
 مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ
 لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم
 لقد أقومُ مقاماً لو يقومُ به
 لظلَّ يرعدُ إلا أن يكونَ له
 ما زلت أقتطعُ البيداءَ مدرعاً
 حتى وضعتُ يميني ما أنازعها
 فلهو أخوفُ عندي إذ أكلمه
 من ضيغمٍ بضراءِ الأرض مخدرةً
 يعدو فيلجمُ ضرغامين عيشهما
 إذا يساورُ قرناً لا يحملُ له
 منه تظلُّ سباعُ الجونافرة
 ولا يزالُ بواديه أخو ثقبه
 إن الرسولَ لثورٌ يستضاء به

مُتيمٍ إثرها لم يُفدَ مكبولٌ^(١)
 والعفو عند رسول الله مأمولٌ
 قرآن فيها مواعظٌ وتفصيلٌ
 أذنب ولو كثرت في الأقاويل
 يرى ويسمع ما قد أسمع القيل
 من الرسول بإذن الله تنوِيلٌ
 جُرح الظلام وثوبٌ الليل مسدولٌ^(٢)
 في كف ذي نقات قيله القيل^(٣)
 وقيل إنك منسوبٌ ومسؤولٌ
 في بطن عثر غيلٍ دونه غيلٌ^(٤)
 لحمٌ من الناس معفورٌ خراديلٌ^(٥)
 أن يترك القرن إلا وهو مفلولٌ^(٦)
 ولا تمشي بواديه الأراجيل^(٧)
 مضرجُ البز والدرسانِ مأكولٌ^(٨)
 مهندٌ من سيوف الله مسلولٌ^(٩)

- (١) البين: الفراق، وبانت: ذهبت وفارقت. وسعاد: اسم صاحبة. ومتبول: هالك، والتبل، بفتح فسكون، هو الهلاك وطلب الثار. ومتيم: معبد مذلل. ويروي «متيم عندها لم يجزه».
- (٢) مدرعاً: لابساً. والمراد شمول الظلام له.
- (٣) أي قوله هو قول الحق.
- (٤) الضيغم: الأسد. ضراء الأرض: ما وارك من شجر ونحوه. مخدر الأسد: أجمته وغابته. عثر: موضع مشهور بالأسد. الغيل: الأجمة.
- (٥) يلحم: يطعم اللحم. معفور: مخرج في العفر، وهو
- التراب. خراديل: قطع.
- (٦) يساور: يواكب. مفلول: مكسور منهزم.
- (٧) الجو: اسم موضع. والأراجيل: الجماعات من الرجال.
- (٨) مضرج: مخضب بالسماء. والبز: السلاح. والدرسان - بكسر الدال وسكون الراء - جمع درس، وهو الثوب الخلق البالي.
- (٩) سيوف الهند مضرب المثل في الجوفة يستضاء به: أي يهتدى به إلى الحق.

في عُصْبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ
 زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشْفٌ
 شَمَّ الْعِرَانِينَ أَبْطَالَ لَبْسُهُمْ
 بِيضٌ سَوَابِغٌ قَدْ شُكَّتْ لَهَا حَلَقٌ
 لَيْسُوا مَفَارِيحَ إِنْ نَالَتْ رِمَاحُهُمْ
 يَمْشُونَ مُشْيَ الْجَمَالِ الزُّهْرُ يَعِصْمُهُمْ
 لَا يَقَعُ الطَّعْنُ إِلَّا فِي نَحْوَرِهِمْ

بيطن مكة لما أسلموا: زولوا^(١)
 عند اللقاء ولا ميل معازيل^(٢)
 من نسج داود في الهيجا سراويل^(٣)
 كأنها حلق القفعاء مجدول^(٤)
 قوماً، وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا^(٥)
 ضرب إذا عرد السود التنايل^(٦)
 وما لهم عن حياض الموت تهليل^(٧)

قال عاصم بن عمر بن قتادة: فلما قال كعب «إذا عرد السود التنايل» - وإنما يريدنا معشر الأنصار لما كان صاحبنا صنع به ما صنع، وخص المهاجرين من قريش من أصحاب رسول الله ﷺ بمدحته - غضبت عليه الأنصار، فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار ويذكر بلاءهم مع رسول الله ﷺ، وموضعهم من اليمن:

مَنْ سَرَّهُ كَرْمُ الْحَيَاةِ فَلَا يَزَلْ
 وَرَثُوا الْمَكَارِمَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ

في مقنب من صالح الأنصار^(٨)
 إن الخيار هم بنو الأخيار

السابق، . وشكت: أراد نسجت، وأصل الشك إدخال الشيء في الشيء. ويروى: «سكت» بالسين المهملة، ومعناه ضيقت. والحلق: جمع حلقة، بفتح فسكون. والقفعاء: شجر ينسبط على وجه الأرض يشبه حلق الدروع. ومجدول: محكم الصنعة.

(٥) مفاريح: جمع مفراح، ومجازيع: جمع مجزاع، وكلاهما صيغة مبالغة من الفرح ومن الجزع. يريد أنهم إذا تغلبوا على عدوهم لم يفرحوا لذلك، لأن هذا أمر تعودوه، وإذا غلبهم أحد لم يجزعوا، لأنهم يعلمون أن الأمور بيد الله وأنهم منتصرون عليه فيما بعد.

(٦) الزهر: جمع أزهر: وهو الأبيض. وعرد: نكب عن قرنه وهرب منه. والتنايل: جمع تنبال، وهو القصير.

(٧) وصفهم بأنهم لا يفرون فيقع الطعن في ظهورهم، بل من شأنهم الإقدام على أعدائهم فيقع الطعن في نحورهم وصدورهم. تهليل: فرار. هلل عن قرنه تهليلاً، إذا فر.

(٨) أصل المقنب الجماعة من الخيل، وجمعه المقانب، أراد الفرسان.

(١) «في عصبة» يروى أيضاً: «في فتية». وزولوا: انتقلوا من مكان إلى مكان.

(٢) أنكاس: جمع نكس بالكسر، وهو الرجل الضعيف. سمي بذلك تشبيهاً بالنكس من السهام وهو الذي انكسر فوقه. والكشف: جمع أكشف، وهو الذي لا ترس معه في الحرب. والميل: جمع أميل، وهو الذي لا سيف معه، أو هو الذي لا يحسن ركوب الخيل ولا يستقر على السرج. والمعازيل: جمع معزال، وهو الذي لا سلاح معه.

(٣) الشم: جمع أشم، وهو الذي في قصبة أنفه علوم مع استواء أعلاه، وذلك من علامات السيادة والكرم. والعرايين: جمع عرين، وهو الأنف، والأبطال: جمع بطل، وهو الرجل الشجاع، وسمي بذلك لأنه تبطل عنده الدماء وتهدر ولا ينال منه نار. ونسج داود أراد به الدروع. والهيجا: الحرب، وأصله ممدود فقصره. والسراويل: جمع سربال.

(٤) بيض: جمع أبيض، وسوابغ: جمع سابغ، وهو الطويل التام، وهذان وصفان للسراويل في البيت

المُكْرِهِينَ السَّمْهَرِيَّ بِأَذْرَعِ
وَالنَّاطِرِينَ بِأَعْيُنِ مُحَمَّرَةٍ
وَالْبَائِعِينَ نَفْسَهُمْ لِنَبِيَّهُمْ
وَالذَّائِدِينَ النَّاسَ عَنِ أَدْيَانِهِمْ
يَتَطَهَّرُونَ بِرَوْنِهِ نُسْكَأَ لَهُمْ
دَرَبُوا كَمَا دَرَبَتْ بَيْطُنِ حَفِيَّةِ
وَإِذَا حَلَلْتَ لِيَمْنَعُوكَ إِلَيْهِمْ
ضَرَبُوا عَلَيَا يَوْمَ بَدْرٍ ضَرْبَةً
لَوْ يَعْلَمُ الْأَقْوَامُ عِلْمِي كُلَّهُ
قَوْمٌ إِذَا خَوَّتِ النُّجُومُ فَيَأْتِيهِمْ
فِي الْغُرِّ مِنْ غَسَّانٍ مِنْ جُرْثُومَةٍ

قال ابن هشام:

ويقال: إن رسول الله ﷺ قال له حين أنشده:

* بَأَنْتَ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولٌ *

«لَوْلَا ذَكَرْتَ الْأَنْصَارَ بِخَيْرٍ فَإِنَّهُمْ لِذَلِكَ أَهْلٌ» ؟ فقال كعب هذه الأبيات وهي في قصيدة له.

وذكر لي عن علي بن زيد بن جُدعان أنه قال: أنشد كعبُ بن زهير رسول الله ﷺ في المسجد:

* بَأَنْتَ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولٌ *

- (١) السمهري: الرمح. «كسوافل الهندي»، يريد به الرماح. والرماح قد تنسب إلى الهند كما تنسب إلى الخط. انظر ديوان كعب ص ٢٦.
- (٢) الذائدين: المانعين والدافعين. وقد وقع في نسخة «والقائدين» والمشرقي: السيف. والخطار: المهتر.
- (٣) دربوا: تعودوا. وخفية: موضع تنسب إليه الأسود. وغلب الرقاب: غلاظها. وضوار: متعودة الصيد، جمع ضار.
- (٤) معاقل: جمع معقل، وهو الموضع الذي يمتنع فيه من احتله. والأغفار: جمع غفر، وهو ولد الوعل.
- (٥) علياً: أراد به علي بن مسعود بن مازن الغساني. وإليه تنسب بنو كنانة لأنه كفل ولد أخيه عبد مناة بن كنانة بعد وفاته، فنسبوا إليه.
- (٦) أماري: أجادل.
- (٧) خوت النجوم: سقطت ولم تمطر في نواتها. والطارقين: الذين يأتون ليلاً. والمقاري: جمع مقري، وهو الإطعام للضيف.
- (٨) المحافر: مواضع الحفر. والمنقار: حديدة كالفأس ينقر بها.

غزوة تبوك في رجب سنة تسع

ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ما بين ذي الحجة إلى رجب، ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزوة الروم.

وقد ذكر لنا الزُّهْرِيُّ، ويزيد بن رومان، وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عمر بن قتادة، وغيرهم من علمائنا، كلُّ حدث في غزوة تبوك ما بلغه عنها، وبعض القوم يُحدث ما لا يحدث بعض.

أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم، وذلك في زمن عُسرة من الناس، وشدة من الحر، وجذب من البلاد، وحين طابت الثمار، والناس يُحبون المقام في ثمارهم وظلالهم، ويكرهون الشُّحُوص على الحال من الزمان الذي هم عليه، وكان رسول الله ﷺ قلماً يخرج في غزوة إلا كنى عنها، وأخبر أنه يُريد غير الوجه الذي يصمد له^(١)، إلا ما كان من غزوة تبوك، فإنه بينها للناس، لبعث الشُّقة^(٢) وشدة الزمان، وكثرة العدو الذي يصمد له، ليتأهب الناس لذلك أهبتة، فأمر الناس بالجهاز، وأخبرهم أنه يريد الروم، فقال رسول الله ﷺ ذات يوم وهو في جهاز ذلك للجَدِّ بن قيس، أحد بني سلمة: «يا جدُّ هل لك العام في جلاد بني الأصفر^(٣)؟» فقال: يا رسول الله، أو تأذن لي ولا تفتني، فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل بأشدَّ عُجْباً بالنساء مني، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر. فأعرض عنه رسول الله ﷺ. وقال: «قد أذنتُ لك». ففي الجَدِّ بن قيس نزلت هذه الآية: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ أي: إن كان إنما خشي الفتنة من نساء بني الأصفر، وليس ذلك به، فما سقط فيه من الفتنة أكبر، بتخلُّفه عن رسول الله ﷺ، والرغبة بنفسه عن نفسه. يقول: وإن جهنم لمن ورائه.

وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض: لا تنفروا في الحر! زهادة في الجهاد، وشكاً في الحق، وإرجافاً برسول الله ﷺ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ. فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَتَكَبَّرُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

(٣) بنو الأصفر: هم الروم.

(١) يصمد إليه: يقصده.

(٢) الشقة: بعد المسير.

قال ابن إسحاق :

ثم إن رسول الله ﷺ جَدَّ في سفره وأمر الناس بالجهاز والانكماش، وحضُّ أهل الغنى على النفقة والحملان^(١) في سبيل الله فحمل رجالٌ من أهل الغنى واحتسبوا، وأنفق عثمان بن عفان في ذلك نفقة عظيمة لم يُنفق أحدٌ مثلها^(٢).

ثم إن رجالاً من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ، وهم البكاؤون، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم: من بني عمرو بن عوف: سالم بن عمير، وعُلبه بن زيد أخو بني حارثة، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب أخو بني مازن بن النُّجَّار، وعمرو بن حَمَّام بن الجمُوح أخو بني سَلَمَةَ، وعبد الله بن المغفل المزني، وبعض الناس يقول: بل هو عبد الله بن عمرو المزني، وهَرَمِيُّ بن عبد الله أخو بني واقف، وعِرْبَابُص بن سارية الفزازي - فاستحملوا^(٣) رسول الله ﷺ، وكانوا أهل حاجة، فقال: « لا أجد ما أحملكم عليه » فتولَّوا وأعينهم تفيض من الدمع حَزناً ألا يجدوا ما ينفقون.

فبلغني أن ابن يامين بن عمير بن كعب النَّضْرِي لقي أبا ليلى عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن مغفل، وهما يبكيان فقال: ما يبكيكما؟ قالا: جئنا رسول الله ﷺ ليحملنا فلم نجد عنده ما يحملنا عليه، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه. فأعطاهما ناضحاً له^(٤)، فارتحلا^(٥)، وزودهما شيئاً من تمر، فخرجا مع رسول الله ﷺ. وقد ذكر أنهم نفر من بني غفار.

وجاءه المُعذِّرون من الأعراب، فاعتذروا إليه، فلم يعذرهم الله تعالى.

ثم استتب^(٦) برسول الله ﷺ سفره، وأجمع السير. وقد كان نفر من المسلمين أبطأت بهم النية عن رسول الله ﷺ حتى تخلَّفوا عنه، عن غير شك ولا ارتياب، منهم كعب بن مالك بن أبي كعب، ومُرارة بن ربيع، وهلال بن أمية، وأبو خيثمة، وكانوا نفر صدق لا يُتهمون في إسلامهم، فلما خرج رسول الله ﷺ ضرب عسكره على ثنية الوداع^(٧).

(٣) استحملوه: طلبوا أن يحملهم على الدواب.

(٤) الناضح: الجمل الذي يستقى عليه الماء.

(٥) ارتحلاه: وضعا عليه الرحل.

(٦) استتب: تتابع واستمر.

(٧) ثنية الوداع: ثنية مشرقة على المدينة يطؤها من يريد

مكة.

(١) الحملان: مصدر حمل يحمل. وقد يراد به ما يحمل عليه من الدواب.

(٢) قال ابن هشام: حدثني من أثق به أن عثمان بن عفان

أنفق في جيش العسرة في غزوة تبوك ألف دينار، فقال

رسول الله ﷺ: «اللهم ارض عن عثمان، فإني عنه

راض».

وضرب عبدُ الله بن أبيٍّ معه على جِدَّةِ عَسْكَرِهِ أسفلَ منه، نحو ذباب^(١)، وكان فيما يزعمون ليس بأقلِّ العسكرين، فلما سار رسولُ الله ﷺ تخلف عنه عبدُ الله بن أبيٍّ فيمن تخلف من المنافقين وأهل الرِّيب، وخلف رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب رضوان الله على أهله، وأمره بالإقامة فيهم، فأرجف به المنافقون^(٢)، وقالوا: ما خلفه إلا استثقلاً وتخففاً منه. فلما قال ذلك المنافقون أخذ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ، وهو نازل بالجرف^(٣)، فقال: يا نبيَّ الله، زعم المنافقون أنك إنما خلفتني أنك استثقتني وتخففت مني! فقال: «كذبوا، ولكنني خلفتُك لما تركتُ ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك. أفلا ترضى يا عليُّ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبيَّ بعدي». فرجع عليُّ إلى المدينة، ومضى رسول الله ﷺ على سفره.

ثم إن أبا خيثمة رجع بعد أن سار رسول الله ﷺ أياماً إلى أهله في يومٍ حارٍّ، فوجد امرأتين له في عريشين^(٤) لهما في حائطه^(٥) قد رشت كل واحدة منهما عريشها، وبردت له فيه ماء، وهيأت له فيه طعاماً، فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأته وما صنعتا له، فقال: رسولُ الله ﷺ في الضح^(٦) والريح والحَرُّ، وأبو خيثمة في ظلِّ بارد، وطعام مهيباً، وامرأة حسناء، في ماله مقيم؟! ما هذا بالنصف^(٧). ثم قال: والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألقَ برسول الله ﷺ، فهيتا لي زاداً. ففعلتا، ثم قدَّم ناضحه فارتحله^(٨)، ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تبوك، وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجمحي في الطريق يطلب رسول الله ﷺ، فترافقا، حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير بن وهب: إن لي ذنباً فلا عليك أن تخلف عني حتى آتي رسول الله ﷺ. ففعل، حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك قال الناس: هذا راكب على الطريق مقبلٌ. فقال رسول الله ﷺ: «كن أبا خيثمة!» فقالوا: يا رسول الله، هو والله أبو خيثمة. فلما اتاخ أقبل فسلم على رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «أولى لك^(٩) يا أبا

- | | |
|--|---|
| (١) ذباب: جبل بالمدينة . | بناء . |
| (٢) الإرجاف: توليد الأخبار الكاذبة . | (٦) الضح: الشمس . |
| (٣) الجرف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام ، | (٧) النصف، بالكسر: الإنصاف . |
| به كانت أموال لعمر بن الخطاب ولأهل المدينة . | (٨) الناضح: البعير يستقى عليه . ارتحله: وضع عليه |
| (٤) العريش: شبيه بالخيمة، يظلل فيكون أبرد الأحياء | الرحل . |
| والبيوت . | (٩) أولى لك: كلمة فيها معنى التهديد، وهي اسم سمي |
| (٥) الحائط: الحديقة، أو بستان من النخل قد دار حوله | به الفعل . ومعناه فيما قال المفسرون دنوت من الملح . |

خَيْثَمَةَ». ثم أخبر رسول الله ﷺ الخبر، فقال له رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له بخير.

وقد كان رسول الله ﷺ حين مرَّ بالحجر^(١) نزلاً واستقى الناس من بئرها، فلما راحوا قال رسول الله ﷺ: « لا تشربوا من مائها شيئاً ولا تتوضئوا منه للصلاة، وما كان من عَجِينِ عَجْتَمُوهُ فاعلفوه الإبل، ولا تأكلوا منه شيئاً. ولا يخرجنَّ أحدٌ منكم الليلة إلا ومعه صاحبٌ له ». ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله ﷺ، إلا أن رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته، وخرج الآخر في طلب بعير له، فأما الذي ذهب لحاجته فإنه خنق على مذهبه^(٢)، وأما الذي ذهب في طلب بعيره فاحتملته الريح حتى طرحته بجبلي طيء، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ، فقال: « ألم أنهكم أن يخرج منكم أحد إلا ومعه صاحبه؟ ». ثم دعا رسول الله ﷺ للذي أصيب على مذهبه فشفي، وأما الآخر الذي وقع بجبلي طيء فإن طيئاً أهدته لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة.

فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فدعا رسول الله ﷺ، فأرسل الله سحابة فأمطرت، حتى ارتوى الناس واحتملوا حاجتهم من الماء.

ثم إن رسول الله ﷺ سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلَّت ناقته، فخرج أصحابه في طلبها، وعند رسول الله ﷺ رجلٌ من أصحابه يقال له عُمارة بن حزم، وكان عقبياً بدرياً، وهو عمُّ بني عمرو بن حزم، وكان في رحله زيد بن اللصيت القينقاعي، وكان منافقاً.

فقال زيد بن اللصيت وهو في رحل عُمارة، عند رسول الله: أليس محمد يزعم أنه نبيٌّ ويُنْبِرُكم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله ﷺ وعُمارة عنده: « إن رجلاً قال: هذا محمدٌ يُنْبِرُكم أنه نبيٌّ، ويزعمُ إنه يُنْبِرُكم بأمر السماء وهو لا يدري أين ناقته، وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله، وقد دَلَّنِي اللهُ عليها، وهي في هذا الوادي في شعب كذا وكذا، قد حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا حتى تأتوني بها ». فذهبوا فجاءوا بها، فرجع عُمارة بن حزم إلى رحله، فقال: والله لعجبٌ من شيء حدثناه رسول الله ﷺ أنفاً، عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا - للذي قال زيد بن لُصَيْت - فقال رجل من كان في رحل عُمارة ولم يحضر رسول الله ﷺ: زَيْدٌ والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي. فأقبل عُمارة على زيد يجأ في عنقه^(٣) ويقول: إني عباد الله، إن في رحلي لذهابية وما أشعر! اخرج أي عدو الله من رحلي فلا تصحبني!

(١) الحجر: قرية من نواحي المدينة بها عيون وآبار لبني

(٢) يقال لموضع الغائط: الخلاء، والمذهب.

(٣) يجأ في عنقه: يطعن فيها.

سليم خاصة.

فَزَعَمَ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ زَيْدًا تَابَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: لَمْ يَزَلْ مُتَّهَمًا بِشَرِّ حَتَّى هَلَكَ.

ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَائِرًا، فَجَعَلَ يَتَخَلَّفُ عَنْهُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَخَلَّفَ فَلَانُ! فَيَقُولُ: «دَعْوَةُ فَإِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللَّهُ تَعَالَى بِكُمْ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاكُمْ اللَّهُ مِنْهُ». حَتَّى قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ تَخَلَّفَ أَبُو ذَرٍّ، وَأَبْطَأَ بِهِ بَعِيرُهُ، فَقَالَ: «دَعْوَةُ فَإِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللَّهُ بِكُمْ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاكُمْ اللَّهُ مِنْهُ».

وَتَلَوَّمَ^(١) أَبُو ذَرٍّ عَلَى بَعِيرِهِ، فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَيْهِ أَخَذَ مَتَاعَهُ فَحَمَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ، ثُمَّ خَرَجَ يَتَّبِعُ أَثَرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَاشِيًا، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ فِي بَعْضِ مَنَازِلِهِ، فَنَظَرَ نَاطِرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا لَرَجُلٌ يَمْشِي عَلَى الطَّرِيقِ وَحَدَّهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُنْ أَبَا ذَرٍّ». فَلَمَّا تَأَمَّلَهُ الْقَوْمُ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ وَاللَّهِ أَبُو ذَرٍّ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ، يَمْشِي وَحَدَّهُ، وَيَمُوتُ وَحَدَّهُ، وَيُبْعَثُ وَحَدَّهُ».

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: لَمَّا نَفَى عَثْمَانُ أَبَا ذَرٍّ إِلَى الرَّبِذَةِ، وَأَصَابَهُ بِهَا قَدْرُهُ، لَمْ يَكُنْ مَعَهُ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتُهُ وَغُلَامُهُ، فَأَوْصَاهَا: أَنْ اغْسَلَانِي وَكَفَّنَانِي، ثُمَّ ضَعَانِي عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ، فَأَوَّلَ رَكْبٍ يَمُرُ بِكُمْ فَقُولُوا: هَذَا أَبُو ذَرٍّ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَعِينُونَا عَلَى دَفْنِهِ. فَلَمَّا مَاتَ فَعَلَا ذَلِكَ بِهِ، ثُمَّ وَضَعَاهُ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ، وَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ فِي رَهْطٍ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عُمَارَ^(٢) فَلَمْ يَرُعْهُمْ إِلَّا بِالْجَنَازَةِ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ، قَدْ كَادَتْ الْإِبِلُ تَطُؤُهَا، وَقَامَ إِلَيْهِمُ الْغُلَامُ، فَقَالَ: هَذَا أَبُو ذَرٍّ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَعِينُونَا عَلَى دَفْنِهِ. قَالَ: فَاسْتَهَلَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ يَبْكِي وَيَقُولُ: صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: تَمَشَّى وَحَدَّكَ، وَتَمُوتُ وَحَدَّكَ، وَتُبْعَثُ وَحَدَّكَ! ثُمَّ نَزَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ فَوَارَوْهُ.

ثُمَّ حَدَّثَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ حَدِيثَهُ وَمَا قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَسِيرِهِ إِلَى تَبُوكَ. وَلَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى تَبُوكَ أَتَاهُ يُحْنَةُ بْنُ رُوَيْبَةَ صَاحِبُ أَيْلِهِ، فَصَالَحَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَأَعْطَاهُ الْجَزِيَةَ، وَأَتَاهُ أَهْلُ جَرْبَاءَ وَأَذْرَحَ فَأَعْطَوْهُ الْجَزِيَةَ، فَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَهُمْ كِتَابًا، فَهُوَ عِنْدَهُمْ.

فَكَتَبَ لِيُحْنَةَ بْنِ رُوَيْبَةَ:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. هَذِهِ أَمْنَةٌ مِنَ اللَّهِ وَمُحَمَّدِ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ لِيُحْنَةَ بْنِ

(٢) العمار: المعتصرون، أي المحرمون بالعمرة.

(١) تلوم: تمكث وانتظر.

رؤية وأهل أيلة سفنهم وسياراتهم^(١) في البر والبحر، لهم ذمة الله وذمة محمد النبي. ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه. وإنه طيب لمن أخذه من الناس. وإنه لا يحل أن يمنعوا ماءً يرذونه ولا طريقاً يريدونه، من بر أو بحر».

بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة

ثم إن رسول الله ﷺ دعا خالد بن الوليد، فبعثه إلى أكيدر دومة، وهو أكيدر بن عبد الملك، رجل من كندة كان ملكاً عليها، وكان نصرانياً، فقال رسول الله ﷺ لخالد: «إنك ستجده يصيد البقر».

فخرج خالد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين، وفي ليلة مقمرة صائفة، وهو على سطح له ومعه امرأته، فباتت البقر تحك بقرونها باب القصر، فقالت له امرأته: هل رأيت مثل هذا قط؟ قال: لا والله. قالت: فمن يترك هذه؟ قال: لا أحد. فنزل فأمر بفرسه فأسرج له، وركب معه نفر من أهل بيته فيهم أخ له يقال له حسان، فركب وخرجوا معه بمطاردهم^(٢)، فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله ﷺ فأخذته، وقتلوا أخاه، وقد كان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب^(٣)، فاستلبه خالد، فبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه به عليه.

عن أنس بن مالك، قال: رأيت قباء أكيدر حين قدم به على رسول الله ﷺ فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ويتعجبون منه، فقال رسول الله ﷺ: «أتعجبون من هذا، فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا».

قال ابن إسحاق: ثم إن خالداً قدم بأكيدر على رسول الله ﷺ: فحقن له دمه^(٤)، وصالحه على الجزية، ثم خلى سبيله، فرجع إلى قريته.

فأقام رسول الله ﷺ بتبوك بضعة عشرة ليلة لم يجاوزها، ثم انصرف قافلاً إلى المدينة، وكان في الطريق ماءً يخرج من وشل^(٥)، ما يروي الراكب والراكبين والثلاثة، بوادٍ يقال له وادي المشقوق، فقال رسول الله ﷺ: «من سبقنا إلى ذلك الوادي فلا يستقين منه شيئاً حتى

(١) السيارة: القافلة، والقوم يسرون.

ورقه.

(٢) المطارد: جمع مطرد، بكسر الميم. رمح قصير يطارد به

(٤) حقن دمه: أنقذه من القتل.

(٥) الوشل، بفتح الواو والشين: حجر أو جبل يقطر منه

الوحش.

الماء قليلاً، والوشل أيضاً: القليل من الماء.

(٣) مخوص بالذهب: منسوج به كخوص النخل، وهو

نأتيه». قال: فسبقه إليه نفر من المنافقين، فاستقوا ما فيه. فلما أتاه رسول الله ﷺ وقف عليه، فلم ير فيه شيئاً، فقال: «مَنْ سَبَقَنَا إِلَى هَذَا الْمَاءِ؟». فقيل له: يا رسول الله، فلان وفلان. فقال: «أولم أنهم أن يستقوا منه شيئاً حتى آتاه؟». ثم لعنهم رسول الله ﷺ، ودعا عليهم، ثم نزل فوضع يده تحت الوشل، فجعل يصب في يده ما شاء الله أن يصب، ثم نضح به، ومسح بيده، ودعا رسول الله ﷺ بما شاء أن يدعو به، فانخرق من الماء - كما يقول من سمعه - ما إن له حساً كحس الصواعق، فشرب الناس، واستقوا حاجتهم منه، فقال رسول الله ﷺ: «لئن بقيتم أو من بقي منكم لتسمعن بهذا الوادي وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه».

قال ابن إسحاق:

وذكر ابن شهاب الزهري، عن ابن أكيمة الليثي، عن ابن أخي أبي رهم الغفاري، أنه سمع أبا رهم كلثوم بن الحصين، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ الذين بايعوا تحت الشجرة، يقول: غزوت مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك، فسرت ذات ليلة معه ونحن بالأخضر^(١) قريباً من رسول الله ﷺ، وألقى الله علينا النعاس، فطفقت أستيقظ وقد دنت راحلتي من راحلة رسول الله ﷺ، فيفرغني دنوها منه مخافة أن أصيب برجله في الغرز^(٢)، فطفقت أحوز راحلتي عنه حتى غلبتني عيني في بعض الطريق ونحن في بعض الليل، فزاحمت راحلتي راحلة رسول الله ﷺ ورجله في الغرز، فما استيقظت إلا بقوله «حس^(٣)»، فقلت: يا رسول الله، استغفر لي. فقال: «سِر».

فجعل رسول الله ﷺ يسألني عن تخلف من بني غفار فأخبره به، فقال وهو يسألني: «ما فعل النفر الحمر الطوال الثطاط^(٤)؟». فحدثته بتخلفهم، قال: «فما فعل النفر السود القصار؟». قلت: والله ما أعرف هؤلاء منّا. قال: «بل الذين لهم نعم بشبكة شدخ^(٥)». فتذكرتهم في بني غفار، ولم أذكرهم حتى ذكرت أنهم رهط من أسلم كانوا حلفاء فينا. فقلت: يا رسول الله، أولئك رهط من أسلم كانوا حلفاء فينا. فقال رسول الله ﷺ: «ما منع أحد أولئك حين تخلف أن يحمل على بعير من إبله امرأً نشيطاً في سبيل الله. إن أعز أهلي علي أن يتخلف عني المهاجرون من قريش، والأنصار، وغفار وأسلم».

(٤) الثطاط بالكسر: جمع ثط، وهو القليل شعر اللحية والحاجبين.

(٥) شبكة شدخ: من منازل غفار وأسلم بالحجاز.

(١) موضع قرب تبوك، بينه وبين وادي القرى.

(٢) الغرز للرحل بمنزلة الركاب للسرير.

(٣) حس: كلمة معناها أتالم.

أمر وفد ثقيف وإسلامها في شهر رمضان سنة تسع

قال ابن إسحاق :

وقدم رسولُ الله ﷺ المدينةَ من تبوك في رمضان، وقدم عليه في ذلك الشهر وفدُ ثقيف .

وكان من حديثهم أن رسولَ الله ﷺ لما انصرف عنهم اتبع أثره عروةُ بن مسعود الثقفِي حتى أدركه قبل أن يصلَ إلى المدينة فأسلم، وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام، فقال له رسولُ الله ﷺ، كما يتحدث قومه: «إنهم قاتلوك» . وعرف رسولُ الله ﷺ أن فيهم نخوة الإمتناع الذي كان منهم، فقال عروة: يا رسول الله، أنا أحبُّ إليهم من أبقارهم^(١) .

وكان فيهم كذلك محبباً مطاعاً، فخرج يدعو قومه إلى الإسلام، رجاء ألا يخالفوه، لمنزلته فيهم، فلما أشرف لهم على عليّة له^(٢)، وقد دعاهم إلى الإسلام، وأظهر لهم دينه، رموه بالنبل من كل وجه، فأصابه سهمٌ فقتله . .

فتزعمُ بنو مالكٍ أنه قتله رجل منهم يقال له: أوسُ بن عوف، أخو بني سالم بن مالك . وتزعم الأحلافُ أنه قتله رجل منهم من بني عتاب بن مالك يقال له: وهب بن جابر . فقيل لعروة: ما ترى في دمك؟ قال: كرامةٌ أكرمني الله بها، وشهادةٌ ساقها الله إليّ، فليس فيّ إلا ما في الشهداء الذين قُتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم، فادفونوني معهم .

فزعموا أن رسول الله ﷺ قال فيه: «إِنْ مَثَلُهُ فِي قَوْمِهِ لَكَمَثَلِ صَاحِبِ يَسٍ فِي قَوْمِهِ» . ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهراً، ثم إنهم ائتمروا بينهم، ورأوا أنه لا طاقة لهم بحربٍ من حوْلهم من العرب، وقد بايعوا وأسلموا .

فأتمروا بينهم، وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله ﷺ رجلاً كما أرسلوا عروة، فكلّموا عبدَ ياليل بن عمرو بن عمير، وكان سنُّ عروة بن مسعود، وعرضوا ذلك عليه فأبى أن يفعل، وخشي أن يُصنعَ به - إذا رجع - كما صنِعَ بعروة، فقال: لستُ فاعلاً حتى تُرسلوا معي رجالاً . فأجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف، وثلاثة من بني مالك، فيكونوا ستة، فبعثوا مع عبد ياليل الحَكَم بن عمرو بن وهب بن مُعْتَب، وشُرْحَيْبيل بن غيلان بن

(٢) العلية: الغرفة.

(١) قال ابن هشام: «ويقال: من أبصارهم».

سلمة بن مُعْتَب، ومن بني مالك: عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد دُهْمَان أَخَا بَنِي يَسَار، وَأَوْس بن عَوْف أَخَا بَنِي سَالِم، وَثَمِير بن خَرَشَةَ بن ربيعة أَخَا بَنِي الْحَارِث، فخرج بهم عبد ياليل، وهو نَابُ الْقَوْم^(١) وصاحب أمرهم، ولم يخرج بهم إلا خَشِيَّةً من مثل ما صُنِعَ بعروة بن مسعود، لكي يَشْغَلَ كل رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف رَهْطَه.

فلما دَنَوْا من المدينة ونزلوا قناة أَلْفُوا بها المغيرة بن شُعبَةَ يَرْعَى في نوبته رِكَابَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَكَانَتْ رِغِيَّتُهَا نُوبًا عَلَى أَصْحَابِهِ ﷺ - فلما رَأَاهُمْ تَرَكَ الرُّكَابَ عِنْدَ الثَّقَفِيِّينَ وَضَبَرَ يَشْتَد^(٢)، لِيَشُرَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِقُدُومِهِمْ عَلَيْهِ، فَلَقِيَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ عَنْ رَكْبٍ ثَقِيفٍ أَنْ قَدِ قَدِمُوا يَرِيدُونَ الْبَيْعَةَ وَالْإِسْلَامَ، بَأَنْ يَشْرِطَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شُرُوطًا، وَيَكْتَبُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كِتَابًا فِي قَوْمِهِمْ وَبِلَادِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِلْمَغِيرَةِ: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِاللَّهِ لَا تَسْبِقْنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أَحَدُهُ. فَفَعَلَ الْمَغِيرَةُ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ بِقُدُومِهِمْ عَلَيْهِ، ثُمَّ خَرَجَ الْمَغِيرَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَرُوِّحَ الظُّهْرَ مَعَهُمْ، وَعَلَّمَهُمْ كَيْفَ يُجِيبُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ يَفْعَلُوا إِلَّا بِتَحِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ.

ولما قدموا على رسول الله ﷺ ضَرَبَ عَلَيْهِمْ قَبَّةً فِي نَاحِيَةِ مَسْجِدِهِ، كَمَا يَزْعَمُونَ، فَكَانَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ هُوَ الَّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى اِكْتَبُوا كِتَابَهُمْ، وَكَانَ خَالِدٌ هُوَ الَّذِي كَتَبَ كِتَابَهُمْ بِيَدِهِ، وَكَانُوا لَا يَطْعَمُونَ طَعَامًا يَأْتِيهِمْ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يَأْكُلَ مِنْهُ خَالِدٌ، حَتَّى أَسْلَمُوا وَفَرَّغُوا مِنْ كِتَابِهِمْ، وَقَدْ كَانَ فِيهَا سَأَلُوهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَدَعَ لَهُمْ (الطَاغِيَّةَ)، وَهِيَ اللَّاتُ، لَا يَهْدِمُهَا ثَلَاثَ سِنِينَ. فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَمَا بَرَحُوا يَسْأَلُونَهُ سَنَةً سَنَةً وَيَأْبَى عَلَيْهِمْ، حَتَّى سَأَلُوا شَهْرًا وَاحِدًا بَعْدَ مَقْدَمِهِمْ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ أَنْ يَدْعَهَا شَيْئًا مُسَمًّى، وَإِنَّمَا يَرِيدُونَ بِذَلِكَ، فِيهَا يُظْهِرُونَ، أَنْ يَتَسَلَّمُوا بِتَرْكِهَا مِنْ سُفْهَائِهِمْ وَنِسَائِهِمْ وَذُرَارِيِّهِمْ، وَيَكْرَهُونَ أَنْ يُرَوِّعُوا قَوْمَهُمْ بِدَمِهَا حَتَّى يَدْخُلَهُمُ الْإِسْلَامَ. فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَّا أَنْ يَبْعَثَ أَبَا سَفِيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَالْمَغِيرَةَ بْنَ شُعبَةَ فِيهِدِمَاهَا، وَقَدْ كَانُوا سَأَلُوهُ - مَعَ تَرْكِ الطَاغِيَّةِ - أَنْ يُعْفِيَهُمْ مِنَ الصَّلَاةِ، وَأَنْ لَا يَكْسِرُوا أَوْثَانَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا كَسْرُ أَوْثَانِكُمْ بِأَيْدِيكُمْ فَسَنُعْفِيكُمْ مِنْهُ، وَأَمَّا الصَّلَاةُ فَإِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي دِينٍ لَا صَلَاةَ فِيهِ». فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، فَسَنُؤْتِيكَهَا وَإِنْ كَانَتْ دِنَاءَةً.

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابهم أمر عليهم عثمان بن أبي العاص، وكان

(١) ناب القوم: سيدهم والمدافع عنهم.

(٢) ضبر يشتد: أي وثب. ضبر الفرس، إذا جمع قوائمه ووثب.

من أحدثهم سناً، وذلك أنه كان أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن، فقال أبو بكر لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، إني قد رأيت هذا الغلام منهم من أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن.

فلما فرغوا من أمرهم وتوجهوا إلى بلادهم راجعين بعث رسول الله ﷺ معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة في هدم الطاغية، فخرجا مع القوم، حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة بن شعبة أن يقدم أبا سفيان، فأبى ذلك أبو سفيان عليه، وقال: أدخل أنت على فومك. وأقام أبو سفيان بماله بذي الهدم^(١) فلما دخل المغيرة بن شعبة علاها يضربها بالمعول، وقام قومه دونه، بنو معتب، خشية أن يرمى أو يصاب كما أصيب عروة، وخرج نساء ثقيف حسراً^(٢) يبيكين عليها، ويقلن:

لَتُبَكِّينَ دَفَاعاً^(٣) أَسْلَمَهَا الرُّضَاعُ^(٤)

* لَمْ يَحْسِنُوا المِصَاعُ^(٥) *

ويقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفأس: واهأ لك^(٦) آها لك !
فلما هدمها المغيرة وأخذ مالها وحلّيتها أرسل إلى أبي سفيان: وحلّيتها مجموع ومالها من الذهب والجزع^(٧).

وقد كان أبو مليح بن عروة وقارب بن الأسود قدما على رسول الله ﷺ قبل وفد ثقيف - حين قتل عروة - يريدان فراق ثقيف، وأن لا يجامعاهم على شيء أبداً، فأسلما، فقال لهما رسول الله ﷺ: «تَوَلَّيَا مَن شِئْتُمَا». فقالا: نتولّى الله ورسوله. فقال رسول الله ﷺ: «وَخَالَكُمَا أبا سُفْيَانَ بن حرب»؟، فقالا: وخالنا أبا سفيان. فلما أسلم أهل الطائف ووجه رسول الله ﷺ أبا سفيان والمغيرة إلى هدم الطاغية سأل رسول الله ﷺ أبو مليح بن عروة ان يقضي عن أبيه عروة ديناً كان عليه من مال الطاغية، فقال له رسول الله ﷺ: نعم. فقال له قارب بن الأسود: وعن الأسود يا رسول الله فاقضه - وعروة والأسود أخوان لأب وأم - فقال رسول الله ﷺ: إن الأسود مات مشركاً، فقال قارب

(١) لثيم راضع. أي لم يدافعوا عن طاغيتهم وتركوها

للمغيرة يهدمها.

(٥) المصاع، بكسر الميم: المجالدة والمضاربة بالسيوف.

(٦) واهالك: كلمة تقال في معنى التأسف.

(٧) الجزع ضرب من الخرز، فيه بياض وسواد.

(١) ماء لبلي، وراء وادي القرى.

(٢) حسراً: جمع حاسرة، وهي المكشوفة الوجه.

(٣) دفاع: هو صيغة مبالغة في الدفع، وإنما سموا

طاغيتهم دفاعاً لأنهم كانوا يعتقدون أن الأصنام تدافع

عنهم أعداءهم وتدفع عنهم البلاء.

(٤) الرضاع: جمع راضع، وأردن بهم اللثام. من قولهم:

لرسول الله ﷺ: يا رسول الله لكن تصل مسلماً إذا قرابة - يعني نفسه - إنما الدين عليّ، وإنما أنا الذي أُطلبُ به. فأمر رسول الله ﷺ أبا سفيان أن يقضي دين عروة والأسود من مال الطاغية .

فلما جمع المغيرة ماها قال لأبي سفيان: إن رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقضي عن عروة والأسود دينهما. فقضى عنهما.

وكان كتاب رسول الله ﷺ الذي كتب لهم:

«بسم الله الرحمن الرحيم. مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ. إِنَّ عِضَاءَ^(١) وَجَّ لَا يُعْضَدُ^(٢). مَنْ وَجَدَ يَفْعَلُ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُجْلَدُ وَتُنَزَعُ نِيَابَتُهُ، فَإِنْ تَعَدَّى ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُؤْخَذُ فَيُبَلِّغُ بِهِ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا. وَإِنْ هَذَا أَمْرُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكتب خالد بن سعيد بأمر الرسول محمد بن عبدفلا يتعدّه أحدٌ فيظلم نفسه فيما أمره به محمد رسول الله ﷺ .

ذكر سنة تسع وتسميتها سنة الوفود، ونزول سورة الفتح

قال ابن إسحاق: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة، وفرغ من تبوك، وأسلمت ثقيف وبايعت، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه^(٣).

وإنما كانت العرب تَرَبَّصُ بالإسلام أمر هذا الحي من قريش، كانوا إمام الناس وهاديهم، وأهل البيت والحرم، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم، عليها السلام، وقادة العرب، لا يُنكروَنَ ذلك، وكانت قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله ﷺ وخلافه، فلما افتتحت مكة ودانت له قريش ودوخها الإسلام^(٤)، عرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته، فدخلوا في دين الله، كما قال الله عز وجل أفواجاً، يضربون إليه من كل وجه. يقول الله تعالى لنبية ﷺ: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً ﴾ : أي: فاحمد الله على ما أظهر من دينك واستغفره إنه كان تواباً.

قدوم وفد بني تميم ونزول سورة الحجرات

فقدمت على رسول الله ﷺ وفود العرب، فقدم عليه عطارِد بن حاجب بن زُرارة بن

(١) العضاء: شجر له شوك، واحدته عضاهة. ووج:

(٢) يعضد: يقطع.

(٣) قال ابن هشام: حدثني أبو عبيدة أن ذلك في سنة تسع، وأنها كانت تسمى سنة الوفود.

(٤) دوحها الإسلام: ذللها وأخضعها.

عُدس التميمي في أشرف بني تميم: منهم الأقرع بن حابس التميمي، والزبرقان بن بدر التميمي أحد بني سعد، وعمرو بن الأهتم، الحبباب بن يزيد.

وفي وفد بني تميم: نُعيم بن يزيد، وقيس بن الحارث، وقيس بن عاصم أخو بني سعد، في وفد عظيم من بني تميم، ومعهم عيينة بن حصن بن حذيفة ابن بدر الفزاري. وقد كان الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن شهدا مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحُنينًا والطائف، فلما قدم وفد بني تميم كانا معهم فلما دخل وفد بني تميم المسجد نادوا رسول الله ﷺ من وراء حُجراته: أن أخرج إلينا يا محمد! فأذني ذلك رسول الله ﷺ من صياحهم، فخرج إليهم، فقالوا: يا محمد، جئناك نفاخر بك فأذن لشاعرنا وخطيبنا. قال: «قَدْ أَذِنْتُ لِحَطِيبِكُمْ فَلْيَقُلْ». فقام عطار بن حجاب، فقال:

الحمد لله الذي له علينا الفضلُ والمننُ، وهو أهله، الذي جعلنا مُلوكةً، ووهبَ لنا أموالاً عظيماً نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعزَّ أهل المشرق، وأكثره عدداً وأيسره عدداً، فمن مثلنا في الناس؟ ألسنا برؤوس الناس وأولي فضلهم؟ فمن فآخرنا فليعدد مثل ما عددنا، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام، ولكننا نحيا^(١) من الإكثار فيما أعطانا، وإننا نعرف بذلك. أقول هذه لأن تأتوا بمثل قولنا، وأمر أفضل من أمرنا.

ثم جلس فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن الشماس، أخي بني الحارث بن الخزرج: «قُمْ فَأَجِبِ الرَّجُلَ فِي خُطْبَتِهِ» فقام ثابت، فقال:

الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه، قضى فيهن أمره، ووسيع كرسية علمه^(٢)، ولم يك شيء قط إلا من فضله. ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً، واصطفى من خير خلقه رسولاً أكرمه نسباً^(٣)، وأصدقه حديثاً، وأفضله حسباً، فأنزل عليه كتابه، واثمنه على خلقه، فكان خيرة الله من العالمين. ثم دعا الناس إلى الإيمان به، فأمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوي رحمه، أكرم الناس حسباً، وأحسن الناس وجوهاً، وخير الناس فعلاً. ثم كان أول الخلق إجابةً، واستجاب الله حين دعاه رسول الله نحن، فنحن أنصار الله، ووزراء رسوله، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله، فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه، ومن كفر جاهدناه في الله أبداً، وكان قتله علينا يسيراً. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات. والسلام عليكم.

(١) يقال: حييت منه أحياناً، أي استحيت.

(٢) الكرسى: ما أحاط بالسموات والأرضين، كما فسره.

(٣) أي أكرم الخلق.

فقام الزبرقان بن بدر، فقال:

نحن الكرام فلا حي يعادلنا
وكم قسرنا من الأحياء كلهم
ونحن يطعم عند القحط مطعمنا
بما ترى الناس تأتينا سراتهم
فتنخر الكوم عبطاً في أرومتنا
فلا ترانا إلى حي نفاخرهم
فمن يفاخرنا في ذلك نعرفه
إننا أئينا ولا يأي لنا أحد

وكان حسان غائباً، فبعث إليه رسول الله ﷺ. قال حسان: جاءني رسوله فأخبرني أنه إنما دعاني لأجيب شاعر بني تميم، فخرجت إلى رسول الله ﷺ وأنا أقول:

منعنا رسول الله إذ حل و سطنا
منعناه لما حل بين بيوتنا
ببيت حريد عزة و ثراؤه
هل المجد إلا السؤدد والندي
على أنف راض من معد وراغم
بأسيفنا من كل باغ و ظالم
بجايبة الجولان وسط الأعاجم^(٥)
وجاه الملوك واحتمال العظام^(٦)

قال: فلما انتهيت إلى رسول الله ﷺ وقام شاعر القوم فقال ما قال، عرضت في قوله^(٧)، وقلت على نحو ما قال، فلما فرغ الزبرقان قال رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت: «قم يا حسان فأجب الرجل فيما قال». فقام حسان، فقال:

إن الذوائب من فهر وإخوتهم
يرضى بهم كل من كانت سريرته
قوم إذا حاربوا ضرروا عدوهم
قد بينوا سنة للناس تتبع^(٨)
تقوى الإله وكل الخير يصطنع
أو حاولوا النفع في أشياهم نفعوا

(٥) الحريد: المنفرد، لا يختلط بغيره لعزته. جايبة الجولان: بلد بالشام. يريد أن جاههم متصل بجاه الغساسنة ملوك الشام.

(٦) السؤدد العود: المجد القديم.

(٧) أراد: قلت عمل مثل عروضه. والعروض ميزان الشعر.

(٨) الذوائب: الأعالي، واحدها ذؤابة، وأراد ههنا السادة.

(١) البيع مواضع الصلوات والعبادات للنصارى، وقيل لليهود، واحدها بيعة بكسر الباء.

(٢) القزع: سحاب رقيق يكون في الخريف، واحده قزعة: بفتح القاف والزاي فيها.

(٣) هوبا: سراعاً.

(٤) الكوم: جمع كوما، وهي الناقة العظيمة السنم. وعبطاً: أي من غير علة. والارومة: الأصل، أي إن الكرم أصيل فينا.

سَجِيَّةٌ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ
 إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَاقُونَ بَعْدَهُمْ
 لَا يَرْقَعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ
 إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْمًا فَازَ سَبَقُهُمْ
 أَعْفَةٌ ذُكِرَتْ فِي الْوَحْيِ عِفَّتُهُمْ
 لَا يَبْخَلُونَ عَلَى جَارٍ بِفَضْلِهِمْ
 إِذَا نَصَبْنَا لِحَيٍّ لَمْ نَدِبْ لَهُمْ
 نَسْمُو إِذَا الْحَرْبُ نَالَتْنا مَخَالِبَهَا
 لَا يَفْخَرُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمْ
 كَأَنَّهُمْ فِي الْوَعْيِ وَالْمَوْتِ مُكْتَنِعٌ
 خُذْ مِنْهُمْ مَا أَقَى عَفْوًا إِذَا غَضِبُوا
 فَإِنَّ فِي حَرْبِهِمْ، فَأَتْرُكُ عِدَاوَتَهُمْ،
 أَكْرَمَ بِقَوْمِ رَسُولِ اللَّهِ شَيْعَتَهُمْ
 أَهْدَى لَهُمْ مِدْحَتِي قَلْبٌ يُوَازِرُهُ
 فَإِنَّهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ

إِنَّ الْخَلَائِقَ فَاعْلَمْ شَرُّهَا الْبِدْعُ (١)
 فَكُلُّ سَبَقٍ لِأَدْنَى سَبَقِهِمْ تَبِعُ
 عِنْدَ الدَّفَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَقَعُوا (٢)
 أَوْ وَازَنُوا أَهْلَ مَجْدٍ بِالنُّدَى مَتَّعُوا (٣)
 لَا يَطْبَعُونَ وَلَا يُرْدِيهِمْ طَبِعُ (٤)
 وَلَا يَمْسَهُمْ مِنْ مَطْمَعٍ طَبِعُ (٥)
 كَمَا يَدِبُّ إِلَى الْوَحْشِيَّةِ الذَّرْعُ (٦)
 إِذَا الزَّعَانِفُ مِنْ أَظْفَارِهَا خَشَعُوا (٧)
 وَإِنْ أُصِيبُوا فَلَا خُورٌ وَلَا هُلَعُ (٨)
 أُسْدٌ بِحَلِيَّةٍ فِي أَرْسَائِهَا فَدَعُ (٩)
 وَلَا يَكُنْ هَمُّكَ الْأَمْرَ الَّذِي مَتَّعُوا (١٠)
 شَرًّا يُخَاضُ عَلَيْهِ السُّمُّ وَالسَّلْعُ (١١)
 إِذَا تَفَاوَتَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْعُ
 فِيمَا أَحَبَّ لِسَانَ حَائِكَ صَنَعُ (١٢)
 إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جِدُّ الْقَوْلِ أَوْ شَمَعُوا (١٣)

فلما فرغ القوم أسلموا، وجوزهم رسول الله ﷺ فأحسن جوائزهم (١٤)

وكان عمرو بن الأهتم قد خلفه القوم في ظهرهم (١٥)، وكان أصغرهم سنًا، فقال
 قيس بن عاصم، وكان يبغض عمرو بن الأهتم: يا رسول الله، إنه قد كان رجلٌ منَّا في

(٩) مكتنع: دان قريب، تقول: اكتنعت منه، إذا دنا.
 وحلية: اسم موضع تنسب إليه الأسود. والأرساغ:
 جمع رَسغ، وهو موضع مربوط القيد. وفدع: اعوجاج
 إلى ناحية.
 (١٠) عفواً: أي من غير طلب ولا مشقة.
 (١١) السِّلْعُ: نيات مسموم.
 (١٢) صنع، بفتح الصاد والنون: صانع ماهر يتقن ما
 يصنعه ويحسن عمله.
 (١٣) شمعو: هزلوا، وأصل الشمع الطرب واللَّهُو،
 ومنه قولهم: جارية شموع، إذا كانت كثيرة الطرب.
 (١٤) الجوائز: العطايا، واحدها جائزة.
 (١٥) ظهرهم: إبلهم.

(١) السجية: الطبيعة والخليقة.
 (٢) أوهت: أضعفت وهدمت.
 (٣) متعوا: زادوا وظهروا عليهم. من قولهم: متع النهار،
 إذا ارتفع.
 (٤) لا يطبعون: أي لا يتدنسون.
 (٥) الطبع، بفتح الطاء والباء: الدنس.
 (٦) نصبنا: أظهرنا لهم العداوة ولم نسرهما في أنفسنا.
 والذرع، بفتح الحين: ولد البقرة الوحشية.
 (٧) نسمو: نهض. الزعانف: أطراف الناس وأتباعهم.
 وخشعوا: خضعوا وتذللوا.
 (٨) الخور: جمع أخور، وهو الضعيف. والهلع: جمع
 هلوع، وهو الجبان الخائف.

رحالنا، وهو غلام حَدَّثَ - وأزرى به - فأعطاه رسول الله ﷺ مثل ما أعطى القوم، فقال عمرو بن الأهتم - حين بلغه أن قيساً قال ذلك - يهجو:

ظَلِلْتُ مُفْتَرِشَ اَهْلِبَاءٍ تَشْتِمُنِي عِنْدَ الرَّسُولِ فَلَمْ تَصْدُقْ وَلَمْ تَصِبْ^(١)
سُدْنَاكُمْ سُودِدًا رَهَوًا وَسُودِدُكُمْ بَادَ نَوَاجِذُهُ مَقَعَ عَلَى الذَّنْبِ^(٢)

قال ابن إسحاق: وفيهم نزل من القرآن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾

قصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس في الوفادة عن بني عامر

وقدم على رسول الله ﷺ وفد من بني عامر، فيهم عامر بن الطفيل، وأربد بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر، وجبار بن سلمى بن مالك بن جعفر، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم. فقدم عامر بن الطفيل عدو الله على رسول الله ﷺ، وهو يريد الغدر به، وقد قال له قومه: يا عامر، إن الناس قد أسلموا فأسلم. قال: والله لقد كنت آليت أن لا أنتهي حتى تتبع العرب عقيبي، أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش؟ ثم قال لأربد: إذا قدمنا على الرجل فإني سأشغل عنك وجهه، فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف^(٣).

فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال عامر بن الطفيل: يا محمد، خالني^(٤)، قال: «لا والله حتى تؤمن بالله وحده» قال: يا محمد، خالني. وجعل يكلمه وينتظر من أربد ما كان أمره به، فجعل أربد لا يُجيب شيئاً^(٥)، فلما رأى عامر ما يصنع أربد قال: يا محمد خالني، قال: «لا والله حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له». فلما أبى عليه رسول الله ﷺ قال: أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً! فلما ولى قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ اكْفِنِي عامر بن الطفيل».

فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ قال عامر لأربد: ويلك يا أربد!! أين ما كنت أمرتك به؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندي على نفسي منك، وإيم

(١) اهلبياء، شعر الذنب، وقد استعاره ههنا للإنسان، كفى بذلك عن خلفه.
(٢) رهوا، بالراء المهملة: متسعاً. والتواجذ: الأسنان، واحدها ناجذ.
(٣) فاعله بالسيف: يريد اقتله، ويروى فاعله بالسيف بالغين المعجمة، وهو من الغيلة، وهي القتل خديعة.
(٤) خالني: يروى بكسر اللام مخففة، وبتشديد هاء مكسورة. فالأول معناه تفرد لي خالياً حتى أحدثك على انفراد، والثاني معناه اتخذني خليلاً: من المخالة، وهي الصداقة.
(٥) أي لا يرد جواباً.

اللَّهِ لَا أَخَافُكَ بَعْدَ الْيَوْمِ أَبَدًا ! قَالَ: لَا أَبَالُكَ، لَا تَعَجَلْ عَلَيَّ، وَاللَّهِ مَا هَمَمْتُ بِالَّذِي
أَمَرْتَنِي بِهِ مِنْ أَمْرِهِ إِلَّا دَخَلْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ الرَّجُلِ حَتَّى مَا أَرَى غَيْرَكَ، أَفَأَضْرِبُكَ بِالسَّيْفِ ؟

وخرجوا راجعين إلى بلادهم، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر بن
الطفيل الطاعون في عنقه، فقتله الله في بيت امرأة من بني سلول، فجعل يقول: يَا بَنِي
عَامِرٍ، أَغْدَةَ كَغْدَةَ^(١) الْبَكْرِ فِي بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي سَلُولٍ !؟

ثم خرج أصحابه حين واروه حتى قدموا أرض بني عامر شاتين، فلما قدموا أتاهم
قومهم فقالوا: مَا وَرَاءَكَ يَا أَرِيدُ ؟ قَالَ: لَا شَيْءَ، وَاللَّهِ لَقَدْ دَعَانَا إِلَى عِبَادَةِ شَيْءٍ لَوَدِدْتُ أَنَّهُ
عِنْدِي الْآنَ فَأَرْمِيهِ بِالنَّبْلِ حَتَّى أَقْتَلَهُ !

فخرج بعد مقاتله بيوم أو يومين، معه جمل له يتبعه، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جملة
صاعقة فأحرقتهما. وكان أربد بن قيس أخا لبيد بن ربيعة لأمه، فقال لبيد يبكي أربد:

مَا أَنْ تَعْدَى الْمُنُونُ مِنْ أَحَدٍ
أَخْشَى عَلَى أَرِيدِ الْخُتُوفِ وَلَا
فَعَيْنٌ هَلَّا بَكَتِي أَرِيدَ إِذْ
إِنْ يَشْغَبُوا لَا يُبَالِ شَغْبَهُمْ
حُلُوُّ أَرِيدٍ وَفِي حَلَاوَتِهِ
وَعَيْنٌ هَلَّا بَكَتِي أَرِيدَ إِذْ
وَأَصْبَحَتْ لَاقِحًا مُصْرَمَةً
أَشْجَعُ مِنْ لَيْثِ غَابَةِ لَحْمٍ
لَا تَبْلُغُ الْعَيْنُ كُلَّ نَهْمَتِهَا

لَا وَالِدٍ مُشْفِقٍ وَلَا وَلَدٍ^(٢)
أَرْهَبُ نَوَى السَّمَاءِ وَالْأَسَدِ
قُمْنَا وَقَامَ النِّسَاءُ فِي كَبَدٍ^(٣)
أَوْ يَقْصِدُوا فِي الْحُكُومِ يَقْتَصِدُ
مُرٌّ لَطِيفُ الْأَحْشَاءِ وَالْكَبَدِ^(٤)
أَلَوْتُ رِيَّاحَ الشُّتَاءِ بِالْعُضْدِ^(٥)
حِينَ تَجَلَّتْ غَوَابِرُ الْمُدَدِ^(٦)
ذُو نَهْمَةٍ فِي الْغُلَا وَمُنْتَقِدِ^(٧)
لَيْلَةَ تُمَسِّي الْجِيَادَ كَالْقَدَدِ^(٨)

(١) الغدة: داء يصيب البعير في حلقه فيموت منه، وهو
شبيه بالذبيحة التي تصيب الإنسان. والبكر بالفتح:
الفتى من الإبل. وسلول: قوم يصفهم العرب باللؤم
والدناءة، قال السموهلي:
وإنا أناس لا ترى القتل سبة
إذا ما رآته عامر وسلول

(٢) تعدى: أراد به ترك وتجاوز.

(٣) الكبد، بفتح الكاف والباء: الجهد والمشقة.

(٤) الأريب: العاقل.

(٥) العضد: الشجر ذهب الريح بأوراقه، وهذا كناية

عن الجذب في الشتاء.

(٦) المصرمة: التي لا لبن لها. والغوابر: البقايا، واحدها
غابرة.

(٧) لحم بفتح فكسر: كثير الأكل للحم. وذو نهمة: أي
له ولوع وحب في بلوغ غاية الشيء، ويروى «ذو نهية»
بالياء المثناة، وهي العقل وجمعها نهى. ومنتقد، أي
بصر بالأمور.

(٨) القدد بكسر ففتح: جمع قدة، وهي السير الذي يقطع
من الجلد. شبه الخيل بالسير في نحوها وضعفها.

الباعثُ النَّوْحَ فِي مَاتِهِ مثلَ الظَّبَاءِ الأَبْكَارِ بِالْجَرَدِ^(١)
فَجَعَنِي البَرْقُ والصَّوَاعِقُ بِالسَّالِ فَارِسِ يَوْمَ الكَرِيمَةِ النَّجْدِ^(٢)
وَالْحَارِبِ الجَابِرِ الحَرِيبِ إِذَا جَاءَ نَكِيبًا وَإِنْ يَعْذُ يَعْذِ^(٣)
يَعْفُو عَلَى الجَهْدِ والسُّؤَالِ كَمَا يَنْبُتُ غَيْثُ الرَّبِيعِ ذُو الرِّصْدِ^(٤)
كُلُّ بَنِي حُرَّةٍ مَصِيرُهُمْ قُلٌّ، وَإِنْ أَكْثَرَتْ مِنْ العَدَدِ^(٥)
إِنْ يُغَبِّطُوا يَهْبِطُوا وَإِنْ أَمَرُوا يَوْمًا فَهُمْ لِلهَلَاكِ والنَّفْدِ^(٦)

قدوم الجارود في وفد عبد القيس

وقدم على رسول الله ﷺ الجارودُ بن عمرو بن حنَّش أخو عبد القيس^(٧).
عن الحسن، قال: لما انتهى إلى رسول الله ﷺ كلمه، فعرض عليه رسول الله ﷺ
الإسلام، ودعاه إليه، ورغبه فيه، فقال: يا محمد، إني قد كنت على دين، وإني تارك ديني
لديك، أفتضمن لي ديني؟ فقال رسول الله ﷺ، «نعم أنا ضامن لك. أن قد هداك الله
إلى ما هو خير منه».

فأسلم وأسلم أصحابه، ثم سأل رسول الله ﷺ الحُمْلَانَ، فقال: «والله ما عندي ما
أحملكم عليه»، قال: يا رسول الله، فإن بيننا وبين بلادنا ضوَالٌ من ضوَالِ النَّاسِ^(٨) أفتبَلِّغُ
عليها إلى بلادنا؟ قال: «لا، إياك وإياها، فإنما تلك حرقُ النَّارِ^(٩)».

فخرج من عنده الجارودُ راجعاً إلى قومه، وكان حسنَ الإسلامِ صُلْباً على دينه حتى
هلك. وقد أدرك الرِّدَّةَ.

فلما رجع من قومه مَنْ كان أسلم منهم إلى دينهم الأول مع الغرور بن المنذر بن
النعمان بن المنذر، قام الجارود فتكلم فتشهد شهادة الحق، ودعا إلى الإسلام، فقال: أيها
الناس إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأكفر من لم يشهد^(١٠).

(٦) يغبطوا: هو من الغبطة، وهو كناية عن حسن حالهم

حتى يغبطهم الناس. يهبطوا: يتزنوا، أي تضعف
حالهم بعد ذلك ويلحقهم الذل بعد العزة. وأمروا،
بكسر الميم: كثروا. والنفد: انقطاع الشيء وزواله.

(٧) قال ابن هشام: «الجارود: ابن بشر بن المعل في وفد
عبد القيس، وكان نصرانياً».

(٨) يعني الإبل الضالة.

(٩) أي لب النار، أي تؤدي إلى ذلك.

(١٠) قال ابن هشام: «ويروى وأكفر من لم يشهد».

(١) النوح: جماعة النساء النائحات، المأتم: جمع ماتم،
وهو جماعة النساء يجتمعن في خير أو شر. والجرود:
الأرض لا نبات فيها.

(٢) النجد، بفتح فضم: الشجاع.

(٣) الحارب: السالب. والحريب: المسلوب. والنكيب:
المنكوب الذي أصابته نكبة.

(٤) الجهد: المشقة، يريد أنه يعطي ويكثر عطاؤه مع
المشقة. والرصد: الكلال القليل.

(٥) قل، بضم القاف: أي قليل.

قدوم بني حنيفة، ومعهم مُسَيْلِمَةُ الكَذَّاب

وقدم على رسول الله ﷺ وَفَدُّ بَنِي حَنِيفَةَ، فِيهِمْ مُسَيْلِمَةُ بْنُ حَبِيبِ الْحَنْفِيِّ الكَذَّابِ (١).

فكان منزلهم في دار بنت الحارث (٢) امرأة من الأنصار، ثم من بني النجار. فحدثني بعض علمائنا من أهل المدينة أن بني حنيفة أتت به رسول الله ﷺ تَسْتَرُهُ بِالثِّيَابِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ، مَعَهُ عَسِيبٌ مِنْ سَعْفِ النَّخْلِ، فِي رَأْسِهِ خُوصَاتٌ (٣)، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُمْ يَسْتَرُونَهُ بِالثِّيَابِ كَلَّمَهُ وَسَأَلَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ سَأَلْتَنِي هَذَا الْعَسِيبَ مَا أَعْطَيْتَكَ».

قال ابن إسحاق: وقد حدثني شيخ من بني حنيفة من أهل اليمامة، أن حديثه كان على غير هذا:

زعم أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله ﷺ، وَخَلَفُوا مُسَيْلِمَةَ فِي رِحَالِهِمْ، فَلَمَّا أَسْلَمُوا ذَكَرُوا مَكَانَهُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا قَدْ خَلَفْنَا صَاحِبًا لَنَا فِي رِحَالِنَا وَفِي رِكَابِنَا يَحْفَظُهَا لَنَا. قَالَ: فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمِثْلِ مَا أَمَرَ بِهِ لِلْقَوْمِ، وَقَالَ: «أَمَّا أَنَّهُ لَيْسَ بِشَرِّكُمْ مَكَانًا» أَي لِحَفْظِهِ ضَيْعَةَ أَصْحَابِهِ، ذَلِكَ الَّذِي يَرِيدُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: ثُمَّ انصرفوا عن رسول الله ﷺ وَجَاؤُوهُ بِمَا أَعْطَاهُ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى الْيَمَامَةِ ارْتَدَّ عَدُوُّ اللَّهِ، وَتَنَبَأَ، وَتَكَذَّبَ لَهُمْ، قَالَ: «إِنِّي قَدْ أُشْرِكْتُ فِي الْأَمْرِ مَعَهُ. وَقَالَ لَوْفَدَهُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ: أَلَمْ يَقُلْ لَكُمْ حِينَ ذَكَرْتُمُونِي لَهُ: «أَمَّا إِنَّهُ لَيْسَ بِشَرِّكُمْ مَكَانًا»؟ مَا ذَاكَ إِلَّا لَمَّا كَانَ يَعْلَمُ أَنِّي قَدْ أُشْرِكْتُ فِي الْأَمْرِ مَعَهُ».

ثم جعل يسجع لهم الأساجيع، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن:

لَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى الْحُبْلَى، أَخْرَجَ مِنْهَا نَسَمَةً تَسْعَى، مِنْ بَيْنِ صِفَاقٍ (٤) وَحَشَا.

وأحل لهم الخمر والزنا، ووضع عنهم الصلاة، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله ﷺ بأنه نبي.

فأصفت معه حنيفة على ذلك (٥). فالله أعلم أي ذلك كان.

(١) قال ابن هشام: «مسيلم بن ثمامة، ويكنى أبا ثمامة».

(٢) قال أبو ذر: «يقال: إن هذه المرأة اسمها كيسة بنت الحارث».

(٣) العسيب: جريد النخل. والسعف، بفتحين:

(٤) الصفاق: ما رق من البطن.

(٥) أصفت معه: اجتمعوا عليه.

أمر عدي بن حاتم

وأما عدي بن حاتم فكان يقول - فيما بلغني - : ما من رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به مني . أما أنا فكننت امرأ شريفاً، وكننت نصرانياً، وكننت أسير في قومي بالمرباع^(١) .

فكننت في نفسي على دين، وكننت ملكاً في قومي لما كان يُصنع بي، فلما سمعت برسول الله ﷺ كرهته، فقلت لغلام كان لي عربي وكان راعياً لإبلي : لا أبا لك، أعيد لي من إبلي أجمالاً ذُللاً^(٢) سماناً، فاحتبسها قريباً مني، فإذا سمعت بجيشٍ لمحمد قد وطئ هذه البلاد فأذني^(٣) . ففعل .

ثم إنه أتاني ذات غداة فقال : يا عدي، ما كنت صانعاً إذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن، فإني قد رأيت رايات، فسألت عنها، فقالوا : هذه جيوش محمد . فقلت : فقرب إلي أجمالي . فقربها، فاحتملت بأهلي وولدي، ثم قلت : ألحق بأهل ديني من النصارى بالشام . فسلكت الجوشية^(٤) . ويقال : الجوشية فيما قال ابن هشام - وخلقت بنتاً لحاتم في الحاضر^(٥) ، فلما قدمت الشام أقمت بها ، وتخالفتني خيل لرسول الله ﷺ فتصيب ابنة حاتم فيمن أصابت ، فقدم بها على رسول الله ﷺ في سبايا من طيء . وقد بلغ رسول الله ﷺ هربي إلى الشام، فجعلت بنت حاتم في حظيرة بياب المسجد، كانت السبايا يجسّن فيها، فمر بها رسول الله ﷺ، فقامت إليه، وكانت امرأة جزلة، فقالت : يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن علي من الله عليك ! قال : «ومن وافدك» ؟ قالت : عدي بن حاتم . قال : «الفار من الله ورسوله» ؟ قالت : ثم مضى رسول الله ﷺ وتركني، حتى إذا كان من الغد مر بي، فقلت له مثل ذلك، وقال لي مثل ما قال بالأمس، حتى إذا كان بعد الغد مر بي، وقد يشئت منه، فأشار إلي رجل من خلفه : أن قومي فكلميه . فقممت إليه، فقلت : يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن علي من الله عليك . فقال ﷺ : «قد فعلت، فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك . ثم أذيني» . فسألت عن الرجل الذي أشار إلي أن أكلمه، فقيل : علي بن أبي طالب رضوان الله عليه . وأقمت حتى قدم ركب من بلي أو قضاة، وإنما أريد أن آتي أخي

(١) أي أخذ الربع من الغنائم، وكان العرب يجعلون ذلك للرئيس :
(٢) ذللاً : جمع ذلول، وهو الجمل السهل الذي قد ارتاض .
(٣) أي أعلمني . آذنه : أعلمه .
(٤) الجوشية : جبل للضباب قرب ضرية من أرض نجد .
(٥) اسمها : سفانة فيما يرجح السهيلي . والحاضر : الحي القديم .

بالشام . فجئت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ، قد قدم رهطٌ من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ . فكساني رسول الله ﷺ ، وحملني ^(١) ، وأعطاني نفقة ، فخرجت معهم حتى قدمت الشام .

قال عدي : فوالله إني لقاعدٌ في أهلي إذ نظرتُ إلى ظعينة ^(٢) تصوبُ إليّ تؤمنا فقلت : ابنة حاتم . قال : فإذا هي هي ، فلما وقفتُ عليّ أنسحلتُ ^(٣) تقول : القاطع ، الظالم ، احتملتُ باهلك وولدك وتركتُ بقية والدك عورتك ! قلت : أي أختي لا تقولي إلا خيراً ، فوالله ما لي من عذر ، لقد صنعتُ ما ذكرتُ .

ثم نزلتُ فأقامت عندي ، فقلت لها - وكانت امرأة حازمة : ماذا ترين في أمر هذا الرجل ؟ قالت : أرى والله أن تلحقَ به سريعاً ، فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله ، وإن يكن ملكاً فلن تدلَّ في عزِّ اليمين وأنت أنت ! .

قلت : والله إن هذا الرأي .

فخرجتُ حتى أقدمَ على رسول الله ﷺ المدينة ، فدخلت عليه وهو في مسجده ، فسلمت عليه ، فقال : من الرجلُ ؟ فقلت : عدي بن حاتم . فقام رسول الله ﷺ ، فانطلق بي إلى بيته ، فوالله إنه لعامدٌ بي إليه ^(٤) ، إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة ، فاستوقفته ، فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها ، قلتُ في نفسي : والله ما هذا بملك .

ثم مضى بي رسول الله ﷺ ، حتى إذا دخل بي بيته تناول وسادةً من آدمٍ محشوةً ليفاً ، فقذفها إليّ ، فقال : اجلس على هذه . قلت : بل أنت فاجلس عليها . فقال بل أنت . فجلستُ عليها . وجلس رسول الله ﷺ بالأرض .

قلت في نفسي : والله ما هذا بأمر ملك . ثم قال : إيه يا عدي بن حاتم ، ألم تك ركوسياً ^(٥) ؟ قلت : بلى . قال : «أولم تكن تسيرُ في قومك بالمرباع» ؟ . قلت : بلى . قال : «فإن ذلك لم يحل في دينك» ، قلت : أجل والله ! وعرفتُ أنه نبيٌ مرسل يعلم ما يُجهل . ثم قال :

«لعلك يا عدي إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجاتهم ، فوالله

(١) حملني : أعطاني ما يحملني من دابة أركبها .
(٢) الظعينة : المرأة في هودجها ، وقد يقال لها ظعينة وإن لم تكن في الهودج . وتصوب إلى : تقبل نحوي . أو تؤمنا : تقصدنا .
(٣) انسحلت : أخذت في اللوم ومضت فيه بحدّة .
(٤) عمد إليه : قصد إليه .
(٥) الركوسية : قوم لهم دين بين النصراني والصابئين .

ليوشكنَ المالُ أن يفيضَ فيهم حتى لا يوجدَ من يأخذه . ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم ، فوالله ليوشكنَ أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف . ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم ، وإيمُ الله ليوشكنَ أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم .

قال : فأسلمت .

وكان عدي يقول : قد مضت اثنتان ، وبقيت الثالثة ، ووالله ، لتكونن : قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت ، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت ، وإيمُ الله لتكونن الثالثة : لَيَفِيضَنَّ المالُ حتى لا يوجد من يأخذه .

قدم فروة بن مسيك المرادي

قال ابن إسحاق :

وقدم فرّوة بن مسيك المرادي على رسول الله ﷺ ، مُفارقاً لملوك كِنْدَةَ ، ومباعداً لهم ، إلى رسول الله ﷺ ، وقد كان قبيل الإسلام بين مراد وهمدان وقعة أصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا ، حتى أئخنؤهم^(١) ، في يوم كان يقال له يوم الرِّدْم ، فكان الذي قاد همدان إلى مراد الأجدع بن مالك ، في ذلك اليوم^(٢) .

ولما توجه فرّوة بن مسيك إلى رسول الله ﷺ مفارقاً لملوك كِنْدَةَ قال :

لَمَّا رَأَيْتُ مُلُوكَ كِنْدَةَ أَعْرَضْتَ كَالرَّجُلِ خَانَ الرَّجُلَ عِرْقُ نَسَائِهَا^(٣)
قَرَّبْتُ رَاجِلِي أَوْمٌ مُحَمَّدًا أَرْجُو فَوَاضِلَهَا وَحُسْنَ ثَرَاتِهَا^(٤)

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ قال له رسول الله ﷺ فيما بلغني : يَا فَرَّوَةَ ، هَلْ سَاءَكَ مَا أَصَابَ قَوْمَكَ يَوْمَ الرِّدْمِ ؟ قال : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ ذَا يَصِيبُ قَوْمَهُ مِثْلَ مَا أَصَابَ قَوْمِي يَوْمَ الرِّدْمِ لَا يَسُوءُهُ ذَلِكَ ؟ فقال رسول الله ﷺ له : «أَمَا إِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَزِدْ قَوْمَكَ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا خَيْرًا» .

(١) ائخنؤهم : أكثروا فيهم القتل .

(٢) قال ابن هشام : الذي قاد همدان في ذلك اليوم

مالك بن حريم الهمداني .

(٣) النسا : عرق مستبطن في الفخذ . وأصله مقصور

فمده للشعر .

(٤) أوم : أقصد . ثرائها : يعني به الجود والعطية . ويروى

ثنائها ، وهو الذي يتحدث به عن الرجل من خير أو

شر .

واستعمله النبي ﷺ على مراد وزبيد ومدحج كلها، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة، فكان معه حتى توفي رسول الله.

قدوم عمرو بن معد يكرب في أناس من زبيد

وقدم على رسول الله ﷺ عمرو بن معد يكرب في أناس من بني زبيد، فأسلم، وكان عمرو قد قال لقيس بن مكشوح المرادي - حين انتهى إليهم أمر رسول الله ﷺ - يا قيس، إنك سيد قومك، وقد ذكر لنا أن رجلاً من قريش يقال له محمد، قد خرج بالحجاز يقول: إنه نبي، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه، فإن كان نبياً كما يقول فإنه لن يخفى عليك، وإذا لقيناه اتبعناه، وإن كان غير ذلك علمنا علمه. فأبى عليه قيس ذلك، وسفه رأيه، فركب عمرو بن معد يكرب حتى قدم على رسول الله ﷺ، فأسلم وصدقته، وآمن به، فلما بلغ ذلك قيس بن مكشوح أوعد عمراً ومخطم عليه^(١)، وقال: خالفني وترك رأبي! فقال عمرو بن معد يكرب في ذلك:

أمرتك يوم ذي صنعا	أمرأ بادياً رشده ^(٢)
أمرتك بإتقاء الد	ب المعروف تتعبده
خرجت من المني مثل ال	حُمير غزوة وتده
تمناني على فرس	عليه جالساً أسده
علي مفاضة كالن	ي أخلص مائة جدد ^(٣)
ترد الرمح منثني ال	سنان عواثراً قصده ^(٤)
فلو لأقيتني للقي	ت ليشاً فوقه لبده ^(٥)
تلاقي شنبثاً شثن ال	جرائن ناشزاً كتده ^(٦)

يسامي القرن إن قرن تيممه فيعتضده^(٧)

(٦) الشنبث، بزنة جعفر: الذي يتعلق بقرنه ولا يزايله؛
وشثن: أي غليظ الأصابع. والبرائن: جمع برثنه
وهو اللسيح بمنزلة الإصبع للإنسان. وناشزاً: مرتفعاً.
والكتد: ما بين الكتفين.

(٧) يسامي القرن: يعلوه ويرتفع عليه. والقرن،
بالكسر: الذي ينازل في الشجاعة. وتيممه:
قصد. ويعتضده: يجعله تحت عضده، معناه يفوقه
ويتغلب عليه.

(١) تخطم عليه. اشتد عليه.

(٢) ذو صنعا: بلدة باليمن، وهي صنعا. والعرب
يزيدون «ذو» في كثير من أعلام البلدان.

(٣) المفاضة: الدرع الواسعة. والنهي: الغدير.
والجدد: الأرض الصلبة.

(٤) عواثر: أي متطايرة. والقصد، بكسر القاف وفتح
الصاد: جمع قصدة، وهو ما تكسر من الرمح.

(٥) اللبد، بكسر ففتح: جمع لبدة، وهي ما على كفي
الأسد من الشعر.

فِيأَخِذُهُ فَيَرْفَعُهُ فَيَخْفِضُهُ فَيَقْتَصِدُهُ^(١)
فَيَدْمَغُهُ فَيَحْطِمُهُ فَيَخْضِمُهُ فَيَزِدْرُهُ^(٢)
ظَلُومُ الشُّرْكِ فِيهَا أَحَدٌ رَزَّتْ أُنْيَابَهُ وَيَدُهُ
فَأَقَامَ عَمْرُو بْنُ مَعَدٍ يَكْرِبُ فِي قَوْمِهِ مِنْ بَنِي زُبَيْدٍ، وَعَلَيْهِمْ قَرْوَةٌ بِنُ مَسِيكٍ، فَلَمَّا تَوَفَّى
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ارْتَدَّ عَمْرُو بْنُ مَعَدٍ يَكْرِبُ، وَقَالَ حِينَ ارْتَدَّ:

وَجَدْنَا مُلْكَ قَرْوَةَ شَرًّا مُلْكٍ حِمَارًا سَافَ مَنخِرُهُ بَثْقَرٍ^(٣)
وَكُنْتُ إِذَا رَأَيْتَ أَبَا عَمِيرٍ تَرَى الْحَوْلَاءَ مِنْ خَبِثٍ وَغَدْرٍ^(٤)

قَدُومِ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ فِي وَفْدِ كِنْدَةَ

قال ابن إسحاق:

وقدم على رسول الله ﷺ الأشعث بن قيس في وفد كندة.

فحدثني الزُّهْرِيُّ ابْنُ شَهَابٍ، أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي ثَمَانِينَ رَاكِبًا مِنْ
كِنْدَةَ، فَدَخَلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَسْجِدَهُ وَقَدِ رَجَلُوا جُمَّهُمْ^(٥)، وَتَكَحَّلُوا، عَلَيْهِمْ جُبُّ
الْحَبْرَةِ^(٦)، وَقَدِ كَفَّفُوهَا بِالْحَرِيرِ^(٧)، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَلَمْ تُسَلِّمُوا؟
قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَمَا بَالُ هَذَا الْحَرِيرِ فِي أَعْنَاقِكُمْ؟ قَالَ: فَشَقُّوه مِنْهَا فَأَلْقَوْه. ثُمَّ
قَالَ لَهُ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَحْنُ بَنُو آكْلِ الْمُرَارِ، وَأَنْتَ ابْنُ آكْلِ الْمُرَارِ. قَالَ:
فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ نَاسِبُوا بِهَذَا النَّسَبِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَرَبِيعَةَ بْنِ
الْحَارِثِ - وَكَانَ الْعَبَّاسُ وَرَبِيعَةُ رَجُلَيْنِ تَاجِرَيْنِ، وَكَانَا إِذَا شَاعَا^(٨) فِي بَعْضِ الْعَرَبِ فَسُئِلَا
مَنْ هُمَا قَالَا: نَحْنُ بَنُو آكْلِ الْمُرَارِ! يَتَغَزَّانِ بِذَلِكَ، وَذَلِكَ أَنَّ كِنْدَةَ كَانُوا مَلُوكًا - ثُمَّ قَالَ
لَهُمْ: لَا، بَلْ نَحْنُ بَنُو النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ، لَانْقُصُوا^(٩) أَمْنَا وَلَا نَنْتَفِي مِنْ أَيْبِنَا، فَقَالَ الْأَشْعَثُ
ابْنُ قَيْسٍ: هَلْ فَرَعْتُمْ يَا مَعْشَرَ كِنْدَةَ؟ وَاللَّهِ لَا أَسْمَعُ رَجُلًا يَقُولُهَا إِلَّا ضَرْبَتَهُ ثَمَانِينَ!

قَدُومِ صَرْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْدِيِّ

وقدم على رسول الله ﷺ صرد بن عبد الله الأزدي، فأسلم وحسن إسلامه، في وفد

- (١) يقتصده: يقتله.
(٢) يدمغه: يخرج دماغه. ويحطمه: يكسره. ويخضمه:
يأكله. ويزدره: يتلعه.
(٣) ساف: شم. والثر في البهائم بمنزلة الرحم في الناس.
(٤) الحولاء: الجلدة التي يخرج فيها ولد الناقة.
(٥) رجلاو جهمهم: يريد مشطوا شعورهم وسرحوها.
والجهم، جمع حمة، وهي مجتمع شعر الرأس.
(٦) الجيب: جمع حبة، وهي ضرب من الثياب. والحبرة:
ضرب من برود اليمن ذو خطوط.
(٧) كففوها: أي جعلوا لها طرازا.
(٨) شاعا: بعدا.
(٩) لا نقفوا أمنا: لا تتبعها في نسبها، لأن نسب الرجل
إلى أبيه لا إلى أمه.

من الأزد، فأمره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه، وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن.

فخرج صرد بن عبد الله يسيراً بأمر رسول الله ﷺ حتى نزل بجرش، وهي يومئذ مدينة مغلقة، وبها قبائل من قبائل اليمن، وقد ضوت إليهم^(١) خثعم، فدخلوها معهم حين سمعوا بمسير المسلمين إليهم، فحاصروهم فيها قريباً من شهر، وامتنعوا فيها منه، ثم إنه رجع عنهم قافلاً، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له «شكر» ظن أهل جرش أنه ولي عنهم منهزماً، فخرجوا في طلبه، حتى إذا أدركوه عطف عليهم فقتلهم قتلاً شديداً.

وقد كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يرتادان وينظران، فبيناهما عند رسول الله ﷺ عشية بعد صلاة العصر إذ قال رسول الله ﷺ: بأي بلاد الله شكر؟ فقام الجرشيان فقالا: يا رسول الله، ببلادنا جبل يقال له كشر - وكذلك يسميه أهل جرش - فقال: «إنه ليس بكشر ولكنه شكر». قالا: فما شأنه يا رسول الله؟ قال: «إن بطن الله لتنحر عنده الآن».

فجلس الرجلان إلى أبي بكر، أو إلى عثمان، فقال لهما: ويحكما!! إن رسول الله ﷺ الآن لينعى قومكما، فقوموا إلى رسول الله ﷺ فاسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما. فقاما إليه فسألاه ذلك. فقال: اللهم ارفع عنهم! فخرجا من عند رسول الله ﷺ راجعين إلى قومهما، فوجدا قومهما قد أصيبوا يوم أصابهم صرد بن عبد الله، في اليوم الذي قال فيه رسول الله ﷺ ما قال، وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر.

وخرج وفد جرش حتى قدموا على رسول الله ﷺ، فأسلموا، وحمى لهم حمى حول قريتهم، على أعلام معلومة: للفرس، والراحلة^(٢) وللمثيرة^(٣) بقرة الحرث، فمن رعاه من الناس فماله سُحت^(٤).

قدوم رسول ملوك حير بكتابهم

وقدم على رسول الله ﷺ كتاب ملوك حير مقدمه من تبوك، ورسولهم إليه^(٥) بإسلامهم: الحارث بن عبد كلال، ونعيم بن عبد كلال والنعمان قيل ذي رعين^(٦) ومعاذ وهمدان.

(٥) في بعض النسخ «رسل ملوك» بصيغة الجمع، و«رسلهم إليه» كذلك والرسول من الألفاظ التي يستوي فيها المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث.
(٦) القيل، يقال: هو الملك، ويقال: بل هو الذي دون =

(١) ضوت: انضمت ولجأت واتصلت بهم.

(٢) الراحلة: واحدة الرواحل، وهي الإبل.

(٣) المثيرة: البقرة، لأنها تقلب الأرض.

(٤) سحت: حرام لا يجز له أن يأكله.

وَبَعَثَ إِلَيْهِ زُرْعَةَ ذُو يَزْنَ، مَالِكُ بْنُ مَرَّةَ الرَّهَاطِيُّ بِإِسْلَامِهِمْ، وَمَفَارِقَتِهِمْ الشَّرْكَ وَأَهْلَهُ.

فَكُتِبَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ النَّبِيِّ ، إِلَى الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ ، وَإِلَى نُعَيْمِ بْنِ كَلَالٍ ، وَإِلَى النُّعْمَانِ قَيْلِ ذِي رُعَيْنِ وَمَعَاظِرِ وَهَمْدَانَ .

أَمَّا بَعْدَ ذَلِكَ فَيَا أَحْمَدُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَّا بَعْدَ فَإِنَّهُ قَدْ وَقَعَ بِنَا رَسُولِكُمْ مُنْقَلَبَنَا مِنْ أَرْضِ الرُّومِ ، فَلَقِينَا بِالْمَدِينَةِ ، فَبَلَّغَ مَا أُرْسَلْتُمْ بِهِ ، وَخَبَرْنَا مَا قَبِلْتُمْ وَأَنْبَأْنَا بِإِسْلَامِكُمْ وَقَتْلِكُمْ الْمُشْرِكِينَ . وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ هَدَاكُمْ بِهُدَاهِ ، إِنْ أَصْلَحْتُمْ وَأَطَعْتُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَقَمْتُمْ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَأَعْطَيْتُمُ مِنَ الْمَغَانِمِ خُمْسَ اللَّهِ وَسَهْمَ النَّبِيِّ ﷺ وَصَفِيَّهِ^(١) وَمَا كُتِبَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الصَّدَقَةِ ، مِنَ الْعَقَارِ^(٢) عَشْرًا مَا سَقَتِ الْعَيْنُ وَسَقَتِ السَّمَاءُ ، وَعَلَى مَا سَقَى الْغَرْبُ^(٣) نِصْفَ الْعُشْرِ . وَإِنْ فِي الْإِبِلِ الْأَرْبَعِينَ ابْنَةَ لَبُونٍ . وَفِي ثَلَاثِينَ مِنَ الْإِبِلِ ابْنُ لَبُونٍ ذَكَرٌ ، وَفِي كُلِّ خُمْسٍ مِنَ الْإِبِلِ شَاةٌ ، وَفِي كُلِّ عَشْرِ مِنَ الْإِبِلِ شَاتَانِ ، وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ مِنَ الْبَقَرِ بَقْرَةٌ ، وَفِي كُلِّ ثَلَاثِينَ مِنَ الْبَقَرِ تَبِيعٌ جَذَعٌ أَوْ جَذَعَةٌ^(٤) ، وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ مِنَ الْغَنَمِ سَائِمَةٌ وَحَدَا شَاةٌ وَإِنَّمَا فَرِيضَةُ اللَّهِ الَّتِي فَرَضَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَةِ ، فَمَنْ زَادَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ، وَمَنْ أَدَّى ذَلِكَ وَأَشْهَدَ عَلَى إِسْلَامِهِ وَظَاهَرَ الْمُؤْمِنِينَ^(٥) عَلَى الْمُشْرِكِينَ فَإِنَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَهُ مَا لَهُمْ ، وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِمْ ، وَلَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ .

وَإِنَّهُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ فَإِنَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ : لَهُ مَا لَهُمْ ، وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِمْ ، وَمَنْ كَانَ عَلَى يَهُودِيَّتِهِ أَوْ نَصْرَانِيَّتِهِ فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ عَنْهَا ، وَعَلَيْهِ الْجَزْيَةُ ، عَلَى كُلِّ حَالٍ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى ، حُرًّا أَوْ عَبْدًا ، دِينَارًا وَافٍ مِنْ قِيَمَةِ الْمَعَاظِرِ^(٦) أَوْ عَوْضُهُ ثِيَابًا ، فَمَنْ أَدَّى ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِنَّ لَهُ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ ، وَمَنْ مَنَعَهُ فَإِنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ .

أَمَّا بَعْدَ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ مُحَمَّدًا النَّبِيَّ أَرْسَلَ إِلَى زُرْعَةَ ذِي يَزْنَ : أَنْ إِذَا أَتَاكُمْ رَسُولِي فَأَوْصِيكُمْ بِهِمْ خَيْرًا : مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ ، وَمَالِكُ بْنُ عَبَادَةَ ، وَعُقْبَةُ بْنُ

= الْمَلِكُ الْأَعْلَى ، وَهَذَا هُوَ الْأَكْثَرُ .

(١) الصَّفِيُّ : مَا يَصْطَفِيهِ الرَّئِيسُ مِنَ الْغَنِيمَةِ .

(٢) الْعَقَارُ ، هُنَا الْأَرْضُ ، وَهُوَ يَفْتَحُ الْعَيْنَ .

(٣) الْغَرْبُ ، يَفْتَحُ وَسَكُونٌ : هِيَ الدَّلْوُ الْعَظِيمَةُ .

(٤) التَّبِيعُ : مَا اسْتَكْمَلَ سَنَةً مِنْ وَلَدِ الْبَقَرِ ، فَإِذَا اسْتَكْمَلَ

سَتَيْنِ فَهُوَ جَذَعٌ .

(٥) ظَاهِرُ الْمُؤْمِنِينَ : عَاوَنَهُمْ وَقَوَاهُمْ وَكَانَ مَعَهُمْ عَلَى مَنْ

سَوَاهِمٌ .

(٦) الْمَعَاظِرُ : ثِيَابٌ مِنْ ثِيَابِ الْيَمَنِ .

نمر، ومالك بن مرة، وأصحابهم. وأن اجتمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من تخاليفكم^(١)، وأبلغوها رُسلي. وإن أميرهم معاذ بن جبل. فلا ينقلبن إلا راضياً.

أما بعد، فإن محمداً يشهد أن لا إله إلا الله، وأنه عبده ورسوله.

ثم إن مالك بن مرة الرهاوي قد حدثني أنك أسلمت من أول حمير، وقتلت المشركين، فأبشر بخير، وأمرك بحمير خيراً، ولا تخونوا ولا تحاذلوا، فإن رسول الله هو مولى غنيكم وفقيركم، وإن الصدقة لا تحل لمحمد، ولا لأهل بيته، إنما هي زكاة يزكي بها على فقراء المسلمين وابن السبيل.

وإن مالكا قد بلغ الخبر وحفظ الغيب، وأمركم به خيراً. وإني قد أرسلت إليكم من صالحني أهلي وأولي دينهم وأولي علمهم، وأمركم بهم خيراً، فإنهم منظور إليهم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وصية الرسول معاذاً حين بعثه إلى اليمن

قال ابن إسحاق:

وحدثني عبد الله بن أبي بكر، أنه حدث، أن رسول الله ﷺ - حين بعث معاذاً - أوصاه وعهد إليه، ثم قال له: «يسر ولا تعسر، وبشر ولا تنفر. وإنك ستقدم على قوم من أهل الكتاب يسألونك ما مفتح الجنة؟ فقل: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له».

إسلام بني الحارث بن كعب على يدي خالد بن الوليد لما سار إليهم

قال ابن إسحاق:

ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر، أو جمادى الأولى، سنة عشر، إلى بني الحارث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام، قبل أن يقاتلهم، ثلاثاً، فإن استجابوا فاقبل منهم، وإن لم يفعلوا فقاتلهم.

فخرج خالد حتى قدم عليهم، فبعث الركب أن يضربون في كل وجه ويدعون إلى الإسلام، ويقولون: أيها الناس أسلموا تسلموا. فأسلم الناس ودخلوا فيما دُعوا إليه، فأقام

(١) جمع غلاف، وهو لأهل اليمن كالجند لأهل الشام، والكورة لأهل العراق، والرستاق لأهل الجبال، والطسوج لأهل الأهواز.

فيهم خالد يُعَلِّمُهُمُ الإسلامَ وكتابَ الله وسُنَّةَ نبيه ﷺ، وبذلك كان أمره رسول الله ﷺ إن هم أسلموا، ولم يقاتلوا.

ثم كتب خالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم . لمحمد النبي رسول الله ﷺ من خالد بن الوليد، السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد يا رسول الله صلى الله عليك، فإنك بعثتني إلى بني الحارث بن كعب، وأمرتني إذا أتيتهم أن لا أقاتلهم ثلاثة أيام، وأن أدعوهم إلى الإسلام، فإن أسلموا أقمت فيهم وقبلت منهم وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه، وإن لم يسلموا قاتلتهم، وإني قدمت عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمرني رسول الله ﷺ، وبعثت فيهم ركبانا قالوا: «يا بني الحارث، أسلموا تسلموا» فأسلموا ولم يقاتلوا، وأنا مقيم بين أظهرهم أمرهم بما أمرهم الله به، وأنهم عما نهاهم الله عنه، وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبي ﷺ. والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

فكتب إليه رسول الله ﷺ :

«بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد النبي رسول الله : إلى خالد بن الوليد.

سلام عليك . فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد فإن كتابك جاءني مع رسولك، تخبر أن بني الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام، وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله، وأن قد هداهم الله بهداه . فبشرهم وأنذرهم، وأقبل وليقبل معك وفدهم، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته».

فأقبل خالد إلى رسول الله ﷺ، وأقبل معه وفد بني الحارث بن كعب: منهم قيس بن الحُصَيْن ذي الغُصَّة، ويزيد بن عبد المدان، ويزيد بن المُحَجَّل، وعبد الله بن قراد الزُّيادي، وشَدَّاد بن عبد الله القناني، وعمرو بن عبد الله الضُّبابي. فلما قدموا على رسول الله ﷺ فرأهم قال: مَنْ هؤلاء القوم الذين كأنهم رجالُ الهند؟ قيل: يا رسول الله، هؤلاء رجال بني الحارث بن كعب. فلما وقفوا على رسول الله ﷺ سلَّموا عليه، وقالوا: نشهد أنك رسول الله، وأنه لا إله إلا الله. قال رسول الله ﷺ: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله. ثم قال رسول الله ﷺ: أنتم الذين إذا زُجروا استقدُّموا؟ فسكتوا، فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الثانية، فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الثالثة فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الرابعة، فقال يزيد بن عبد المدان: نَعَمْ يا رسول الله، نحن الذين

إذا زجروا استقدّموا، قالها أربع مرار، فقال رسول الله ﷺ: لو أن خالداً لم يكتب إليّ أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم. قال يزيد بن عبد المدان: أما والله ما حمدناك ولا حمدنا خالدًا قال: فَمَنْ حَمَدْتُمْ؟ قالوا: حمدنا الله عز وجل الذي هدانا بك يا رسول الله. قال: صدقتم. ثم قال رسول الله ﷺ: بِمِ كُتِّمْتُمْ تَغْلِبُونَ مَنْ قَاتَلَكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ قالوا: لم نكن نغلب أحداً. قال: بلى، قد كُتِّمْتُمْ تَغْلِبُونَ مَنْ قَاتَلَكُمْ. قالوا: كنا نغلب من قاتلنا يا رسول الله أنا كنا نجتمع ولا نفرق، ولا نبدأ أحداً بظلم. قال: صدقتم.

وأمر رسول الله ﷺ على بني الحارث بن كعب قيس بن الحُصَيْن.

فرجع وفد بني الحارث إلى قومهم في بقية من شوال، أو في صدر ذي القعدة، فلم يمكثوا بعد أن رجعوا إلى قومهم إلا أربعة أشهر حتى توفي رسول الله ﷺ ورحمهم وبارك، ورضي وأنعم.

وقد كان رسول الله ﷺ قد بعث إليهم بعد أن ولى وفدهم عمرو بن حزم، ليفقههم في الدين، ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام، ويأخذ منهم صدقاتهم، وكتب له كتاباً عهد إليه فيه عهده، وأمره فيه بأمره:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. هذا بيان من الله ورسوله، يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود، عهد من محمد النبي رسول الله لعمر بن حزم حين بعثه إلى اليمن. أمره بتقوى الله في أمره كله. فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله، وأن يبشر الناس بالخير، ويأمرهم به، ويعلم الناس القرآن، ويفقههم فيه، وينهى الناس فلا يمس القرآن إنسان إلا وهو طاهر، ويخبر الناس بالذي لهم والذي عليهم، ويلين للناس في الحق، ويشتد عليهم في الظلم، فإن الله كره الظلم ونهى عنه، فقال: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ويبشر الناس بالجنة ويعملها، وينذر الناس النار وعملها، ويستألف الناس حتى يفقهوا في الدين، ويعلم الناس معالم الحج وسنته وفريضته، وما أمر الله به، والحج الأكبر الحج الأكبر، والحج الأصغر هو العمرة. ونهى الناس أن يصلي أحد في ثوب واحد صغير، إلا أن يكون ثوباً يثني طرفيه على عاتقيه. ونهى الناس أن يَحْتَبِيَّ أحد في ثوب واحد يُفْضِي بفرجه إلى السماء، وينهى أن يعقص أحد شعر رأسه في قفاه، وينهى، إذا كان بين الناس هَيْجٌ، عن الدعاء إلى القبائل والعشائر، وليكن دعواهم إلى الله عز وجل وحده لا شريك له، فمن لم يدع إلى الله ودعا إلى القبائل والعشائر فليقطعوا بالسيف حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لا شريك له. ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوههم وأيديهم

إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين، وَيَمْسُحُونَ بِرُؤُوسِهِمْ كَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ. وأمر بالصلاة لوقتها، وإتمام الركوع والسجود والخشوع، وَيُغْتَسِلُ بِالصُّبْحِ^(١)، وَيُهْجِرُ^(٢) بالهاجرة حين تميل الشمس، وصلاة العصر والشمس في الأرض مُدْبِرَةٌ، والمغرب حين يُقْبِلُ الليل، لا يُؤَخَّرُ حتى تبدو النجوم في السماء والعشاء أول الليل. وأمر بالسعي إلى الجمعة إذا نودي لها، والغسل عند الرواح إليها. وأمره أن يأخذ من المغنم خمس الله.

وما كُتِبَ على المؤمنين في الصدقة من العقار عشر ما سقت العين وسقت السماء، وعلى ما سقى الغرْبُ نصف العشر، وفي كل عشر من الإبل شاتان، وفي كل عشرين أربع شياه، وفي كل أربعين من البقر بقرة، وفي كل ثلاثين من البقر تبع جذع أو جذعة، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة، فإنها فريضة الله التي افترض على المؤمنين في الصدقة، فمن زاد خيراً فهو خير له.

وإنه من أسلم من يهودي أو نصراني إسلاماً خالصاً من نفسه ودان بدين الإسلام فإنه من المؤمنين: له مثل ما لهم، وعليه مثل ما عليهم.

ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يُرَدُّ عنها. وعلى كل حالم ذكر أو انثى، حر أو عبد، دينار وافٍ أو عوضه، ثياباً، فمن أدى ذلك فإن له ذمّة الله وذمة رسوله، ومن منع ذلك فإنه عدو لله ولرسوله، وللمؤمنين جميعاً. صلوات الله على محمد، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

ذكر الكذابين مسيلمة الحنفي والأسود العنسي

قال ابن إسحاق:

وقد كان تكلم في عهد رسول الله ﷺ الكذابان: مُسَيْلِمَةُ بن حبيب الكذاب باليمامة في بني حنيفة، والأسود بن كعب العنسي بصنعاء.

عن أبي سعيد الخدري، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس على منبره، وهو يقول: «أيها الناس، إنِّي قد رجيتُ ليلة القدر، ثم أنسيتها، ورأيت في ذراعِي سوارين من ذهب فكرهتهما، فنفختها فطارا، فأولتهما هذين الكذابين: صاحب اليمن، وصاحب اليمامة».

(١) التغليس: أن يصلبه في أول الفجر.

(٢) التهجير: الصلاة في أول وقت الظهر. والهاجرة: نصف النهار حين تزول الشمس.

وحدثني من لا أتهم عن أبي هريرة، أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالاً، كلهم يدعي النبوة».

خروج الأمراء والعمال على الصدقات

وكان رسول الله ﷺ قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان، فبعث المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة إلى صنعاء، فخرج عليه العنسي، وهو بها، وبعث زياد بن ليث بن أبي بني بياضة الأنصاري حُضرموت، وعلى صدقاتها، وبعث عدي بن حاتم على طيء وصدقاتها، وعلى بني أسد، وبعث مالك بن نويرة على صدقات بني حنظلة، وفرق صدقة بني سعد على رجلين منهم: فبعث الزُّبرقان بن بدر على ناحية منها، وقيس بن عاصم على ناحية وكان قد بعث العلاء بن الحضرمي على البحرين، وبعث علي بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى أهل نجران ليجمع صدقتهم، ويقدم عليه بجزيتهم.

كتاب مسيئمة إلى رسول الله ﷺ والجواب عنه

وقد كان مسيئمة بن حبيب قد كتب إلى رسول الله ﷺ:
من مسيئمة رسول الله إلى محمد رسول الله. سلام عليك، أما بعد فإني قد أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض، ولقريش نصف الأرض، ولكن قريشاً قوم يعتدون.
فقدم عليه رسولان بهذا الكتاب.

قال ابن إسحاق: فحدثني شيخ من أشجع، عن سلمة بن نعيم بن مسعود الأشجعي، عن أبيه نعيم، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لهما حين قرأ كتابه: «فما تقولان أنتما؟» قالوا: نقول كما قال: فقال: «أما والله لولا أن الرُّسل لا تُقتل لضربت أعناقكما».

ثم كتب إلى مسيئمة:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى مسيئمة الكذاب، السلام على من أتبع الهدى. أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين».
وذلك في آخر سنة عشر.

حجة الوداع

فلما دخل على رسول الله ﷺ ذو القعدة تجهز للحج وأمر الناس بالجهاز له، وخرج

رسول الله ﷺ إلى الحج لخمس ليالٍ بقين من ذي القعدة^(١).

ثم مضى رسول الله ﷺ على حججه فأرى الناس مناسكهم، وأعلمهم سنن حجهم، وخطب الناس خطبته التي بين فيها ما بين. فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«أيها الناس، اسمعوا قولي، فإنني لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً. أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلغت، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها. وإن كل ربا موضوع^(٢)، ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون. قضى الله أنه لا ربا، وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله، وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع، وإن أول دمائكم أضغ دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب - وكان مسترضعاً في بني ليث فقتلته هذيل - فهو أول ما أبداً به من دماء الجاهلية.

أما بعد أيها الناس، فإن الشيطان قد يش من أن يُعبد بأرضكم هذه أبداً، ولكنه إن يُطع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم. فاحذروه على دينكم.

أيها الناس، إن النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم: ثلاثة متوالية، ورجب مضر^(٣) الذي بين جمادى وشعبان.

أما بعد أيها الناس، فإن لكم على نسائكم حقاً، ولهنّ عليكم حقاً، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح^(٤)، فإن انتهين فلهنّ رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف. واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان^(٥) لا يملكن لأنفسهن شيئاً، وإنكم إنما أخذتموهنّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهنّ بكلمات الله.

(١) قال ابن هشام: فاستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدي، ويقال سباع بن عرقطة الغفاري.

(٢) وضع عنه الدين والدم وجميع أنواع الجنابة، يضعه وضعا: أسقطه عنه.

(٣) إنما أضاف رجبا إلى مضر لأنها كانت تعظمه، ولم يكن

أحد من العرب يفعل ذلك سواها.

(٤) غير مبرح: أي غير شديد، تقول: برح به الأمر، إذا اشتد عليه وشق.

(٥) عوان: جمع عانية، وهي الأسيرة.

فاعقلوا أيها الناس قولي، فإنني قد بلغت، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً، أمراً بيناً، كتاب الله وسنة نبيه. أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم، وإن المسلمين إخوة، فلا يحل لامرئٍ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفسٍ منه، فلا تظلمن أنفسكم. اللهم هل بلغت؟».

فذكر لي أن الناس قالوا: اللهم نعم. قال رسول الله ﷺ: «اللهم اشهد».

بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين

قال ابن إسحاق:

ثم قفل رسول الله ﷺ، فأقام بالمدينة بقية ذي الحجة والمحرم وصفر، وضرب على الناس بعثاً إلى الشام وأمر عليهم أسامة بن زيد بن حارثة مولاه، وأمره أن يوطيء الخيل تحوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين، فتجهز الناس وأوعب^(١) مع أسامة بن زيد المهاجرون الأولون.

خروج رسل رسول الله ﷺ إلى الملوك

قال ابن هشام:

وقد كان رسول الله ﷺ، بعث إلى الملوك رسلاً من أصحابه، وكتب معهم إليهم يدعوهم إلى الإسلام.

قال ابن هشام: حدثني من أثق به، عن أبي بكر الهذلي، قال: بلغني أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه ذات يوم بعد عمرته التي صد عنها يوم الحديبية فقال: «أيها الناس، إن الله قد بعثني رحمةً وكافةً، فلا تختلفوا عليّ كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم». فقال أصحابه: وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله؟ قال: «دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه، فأما من بعثه مبعثاً قريباً فرضي وسلم، أما من بعثه مبعثاً بعيداً فكره وجهه وتناقل، فشكا ذلك عيسى إلى الله، فأصبح المتناقلون وكل واحد منهم يتكلم بلغة الأمة التي بعث إليها».

فبعث رسول الله ﷺ رسلاً من أصحابه، وكتب معهم كتباً إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام.

(١) أوعبوا: خرجوا كلهم، لم يتخلف منهم أحد.

فبعث دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ملك الروم .
وبعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك فارس .
وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة .
وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك الإسكندرية .
وبعث عمرو بن العاص السهمي إلى جيفر وعياد ابني الجلندي الأزديين ملكي
عُمان .

وبعث سليط بن عمرو، أحد بني عامر بن لؤي، إلى ثمامة بن أثال وهوذة بن علي
الحنفيين ملكي اليمامة .

وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي العبدي ملك البحرين .
وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك تخوم الشام .
قال ابن هشام : أنا نسبت سليطاً وثمامة وهوذة والمنذر .

قال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري أنه وجد كتاباً فيه ذكر من بعث
رسول الله ﷺ إلى البلدان وملوك العرب والعجم، وما قال لأصحابه حين بعثهم، قال :
فبعثت به إلى محمد بن شهاب الزهري، فعرفه، وفيه أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه
فقال لهم : «إن الله بعثني رحمةً وكافةً، فأدوا عني يرحمكم الله، ولا تختلفوا علي كما اختلف
الحواريون على عيسى بن مريم» . قالوا : وكيف يا رسول الله كان اختلافهم ؟ قال : «دعاهم
ما دعوتكم له، فأما من قرب به فأحب وسلم، وأما من بعد به فكره وأبى، فشكا ذلك عيسى
منهم إلى الله، فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وجه إليهم» .

قال ابن إسحاق :

وكان من بعث عيسى بن مريم عليه السلام من الحواريين والأتباع الذين كانوا بعدهم
في الأرض بطرس الحواري، ومعه بولس من الأتباع ولم يكن من الحواريين، إلى رومية،
وأندرائس ومثنا إلى الأرض التي يأكل أهلها الناس . وتوماس إلى أرض بابل من أرض
المشرق . وفيلبس إلى قرطاجنة، وهي إفريقية . ويحس إلى أفسوس قرية الفتية أصحاب
الكهف . ويعقوبس إلى أوراشلم، وهي إيلياء قرية بيت المقدس . وابن ثلثاء إلى الأعرابية،
وهي أرض الحجاز . وسيمون إلى أرض البربر . ويهوذا ولم يكن من الحواريين جعل مكان
يودس .

آخر البعوث

قال ابن إسحاق :

وبعث رسول الله ﷺ أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام، وأمره أن يوطيء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين. فتجهز الناس، وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون^(١).

ابتداء شكوى رسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق :

فبينما الناس على ذلك ابتدئ رسول الله ﷺ بشكوه الذي قبضه الله فيه إلى ما أراد به من كرامته ورحمته، في ليالٍ بقين من صفر، أو في أول شهر ربيع الأول، فكان أول ما ابتدئ به من ذلك - فيما ذكر لي - أنه خرج إلى بقيع الغرقد^(٢) من جوف الليل فاستغفر لهم، ثم رجع إلى أهله، فلما أصبح ابتدئ بوجعه من يومه ذلك.

عن أبي موهبة مولى رسول الله ﷺ، قال: بعثني رسول الله ﷺ من جوف الليل، فقال: يا أبا موهبة، إني قد أمرت أن استغفر لأهل هذا البقيع، فانطلق معي. فانطلقت معه، فلما وقف بين أظهرهم قال:

«السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْمَقَابِرِ، لِيَهْنِئَ لَكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ بِمَا أَصْبَحَ النَّاسُ فِيهِ، أَقْبَلْتُ الْفِتْنَ كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ، يَتَّبِعُ آخِرَهَا أَوْلَاهَا، الْآخِرَةُ شَرٌّ مِنَ الْأُولَى».

ثم أقبل عليّ فقال: يا أبا موهبة، إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة.

فقلت: يا أبا موهبة، لقد اخترت لقاء ربي والجنة.

ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف، فبدأ برسول الله ﷺ وجعه الذي قبضه الله فيه.

عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت:

رجع رسول الله ﷺ من البقيع فوجدني وأنا أجدُ صداداً في رأسي، وأنا أقول:

(٢). بقيع الغرقد: مقبرة أهل المدينة، وهي داخل المدينة.

(١) أوعبوا معه: خرجوا بأجمعهم في الغزو.

وارأساه ! فقال: بل أنا والله يا عائشة، وارأساه ! ثم قال: وما ضرك لو مُتُّ قبلي فقمتُ عليك وكففتك وصليت عليك ودفنتك؟ قلت: والله لكأنى بك لو قد فعلت ذلك لقد رجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك.

قالت: فتبسم رسول الله ﷺ. وتتام به وجعه وهو يدور على نسائه، حتى استعز به (١) وهو في بيت ميمونة، فدعا نساءه فاستأذنهن في أن يمرض في بيتي، فأذن له.

ذكر أزواجه ﷺ أمهات المؤمنين

قال ابن هشام: وكُنُّ تسعاً: عائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وأم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب، وأم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة، وسودة بنت زمعة بن قيس، وزينب بنت جحش بن رثاب، وميمونة بنت الحارث بن حزن، وجويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، وصفية بنت حُيَّ بن أخطب، فيما حدثني غير واحد من أهل العلم.

وكان جميع من تزوج رسول الله ﷺ ثلاث عشرة:

(خديجة بنت خويلد): وهي أول من تزوج، زوجه إياها أبوها خويلد بن أسد، ويقال أخوها عمرو بن خويلد، وأصدقها رسول الله ﷺ عشرين بكراً (٢) فولدت لرسول الله ﷺ ولده كلهم، إلا إبراهيم، وكانت قبله عند أبي هالة بن مالك أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم حليف بني عبد الدار، فولدت له هند بنت أبي هالة، وزينب بنت أبي هالة. وكانت قبل أبي هالة عند عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، فولدت له عبد الله وجارية.

وتزوج رسول الله ﷺ (عائشة بنت أبي بكر الصديق) بمكة، وهي بنت سبع سنين، وبني بها بالمدينة وهي بنت تسع سنين أو عشر، ولم يتزوج رسول الله ﷺ بكراً غيرها، زوجه إياها أبوها أبو بكر، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمئة درهم.

وتزوج رسول الله ﷺ (سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي)، زوجه إياها سليط بن عمرو، ويقال: أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مولك بن حسل. وأصدقها رسول

(٢) البكرة: الفتية من الإبل.

(١) استعز به: اشتد عليه وغلبه على نفسه ﷺ.

الله ﷺ أربعمئة درهم^(١). وكانت قبله عند السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل.

وتزوج رسول الله ﷺ (زينب بنت جحش بن رثاب الأسدية)، زوجها إياها أخوها أبو أحمد بن جحش، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمئة درهم، وكانت قبله عند زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ. ففيها أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ﴾.

وتزوج رسول الله ﷺ (أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية)، واسمها هند، زوجها إياها سلمة بن أبي سلمة ابنها، وأصدقها رسول الله ﷺ فراشاً خشوهُ ليفٌ، وقدحاً وصحفةً، ومجشئةً^(٢) وكانت قبله عند أبي سلمة بن عبد الأسد، واسمه عبد الله، فولدت له: سلمة، وعمر، وزينب، ورقية.

وتزوج رسول الله ﷺ (حفصة بنت عمر بن الخطاب) زوجها إياها أبوها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمئة درهم، وكانت قبله عند خنيس بن حذافة السهمي.

وتزوج رسول الله ﷺ (أم حبيبة - واسمها رملة - بنت أبي سفيان بن حرب)، زوجها إياها خالد بن سعيد بن العاص، وهما بأرض الحبشة، وأصدقها النجاشي عن رسول الله ﷺ أربعمئة دينار، وهو الذي كان خطبها على رسول الله ﷺ. وكانت قبله عند عبيد الله بن جحش الأسدي.

وتزوج رسول الله ﷺ (جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية)، كانت في سبايا بني المصطلق من خزاعة، ف وقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس الأنصاري، فكاتبتها على نفسها، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها، فقال: « هل لك في خير من ذلك؟ » قالت: وما هو؟ قال: « أقضي عنك كتابتك وأتزوجك ». فقالت: نعم. فتزوجها.

قال ابن هشام:

ويقال لما انصرف رسول الله ﷺ من غزوة بني المصطلق ومعه جويرية بنت الحارث، فكان بذات الجيش، دفع جويرية إلى رجل من الأنصار وديعة، وأمره بالاحتفاظ بها، وقدم رسول الله ﷺ بالمدينة، فأقبل أبوها الحارث بن أبي ضرار بفداء ابنته، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التي جاءت للفداء فرغب في بيعين منها، فغيبها في شعب من شعاب العقيق،

(١) قال ابن هشام: ابن إسحاق يخالف هذا الحديث، في هذا الوقت.
يذكر أن سليطاً وأبا حاطب كانا غائبين بأرض الحبشة (٢) المجشئة: أراد بها الرحي.

ثم أتى النبي ﷺ، فقال يا محمد أصبتم ابنتي، وهذا فداؤها. فقال رسول الله ﷺ فأين البعيران اللذان غيبت بالعقيق في شعب كذا وكذا؟ فقال الحارث: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله ﷺ، فوالله ما أطلع على ذلك إلا الله تعالى! فأسلم الحارث وأسلم معه ابنان له وناس كثير من قومه، وأرسل إلى البعيرين فجاء بهما، فدفعا الإبل إلى النبي ﷺ، ودفعت إليه ابنته جويرية، فأسلمت وحسن إسلامها، وخطبها رسول الله ﷺ إلى أبيها فزوجها إياها، وأصدقها أربعمئة درهم. وكانت قبل رسول الله ﷺ عند ابن عم لها يقال له عبد الله. ويقال: اشتراها رسول الله ﷺ من ثابت بن قيس فاعتقها وتزوجها، وأصدقها أربعمئة درهم.

وتزوج رسول الله ﷺ (صفية بنت حبي بن أخطب)، سبأها من خير، فاصطفاها لنفسه، وأولم رسول الله ﷺ وليمة ما فيها شحم ولا لحم، كان سويقاً وتمراً. وكانت قبله عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق.

وتزوج رسول الله ﷺ (ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن هزم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة)، زوجة إياها العباس بن عبد المطلب، وأصدقها العباس عن رسول الله ﷺ أربعمئة درهم، وكانت قبله عند أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، ويقال: إنها التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، وذلك أن خطبة النبي ﷺ انتهت إليها وهي على بعيرها، فقالت: البعير وما عليه لله ولرسوله. فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَمْرًا مَوْمِنَةً إِنِّ وَهَبْتُ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾. ويقال: إن التي وهبت نفسها للنبي زينب بنت جحش. ويقال: أم شريك غزية بنت جابر بن وهب، من بني منقذ بن عمرو بن مغيص بن عامر بن لؤي. ويقال: بل هي امرأة من بني سامة بن لؤي، فأرجأها^(١) رسول الله ﷺ.

وتزوج رسول الله ﷺ (زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة) وكانت تسمى أم المساكين، لرحمتها إياهم وورقتها عليهم، زوجها إياها قبيصة بن عمرو الهلالي، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمئة درهم، وكانت قبله عند عبدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف، وكانت قبل عبدة عند جهم بن عمرو بن الحارث، وهو ابن عمها.

فهؤلاء اللاتي بنى بهن رسول الله ﷺ، إحدى عشرة. فمات قبله منهن اثنتان:

(١) أي آخر أمرها.

خديجة بنت خويلد، وزينب بنت خزيمة، وتوفي عن تسع ذكرناهن في أول الحديث.
 واثنتان لم يدخل بهما: أسماء بنت النعمان الكندية، تزوجها فوجد بها بياضاً، فمتعتها
 وردّها إلى أهلها. وعمرة بنت يزيد الكلابية، وكانت حديثة عهد بكفر، فلما قدمت على
 رسول الله ﷺ استعادت من رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «منيع عائذ الله» فردّها
 إلى أهلها. ويقال: إن التي استعادت من رسول الله ﷺ كندية، بنت عمّ لأسماء بنت
 النعمان، ويقال: إن رسول الله ﷺ دعاها فقالت: إنا من قوم نُوتَى ولا نأتي! فردّها رسول
 الله ﷺ إلى أهلها.

* * *

(القرشيات) من أزواج النبي ﷺ ست: خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن
 قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، وعائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة بن عامر بن
 عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي. وحفصة بنت عمر بن الخطاب بن
 نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قُوط بن رياح بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي، وأم
 حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن
 مرة بن كعب بن لؤي. وأم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن
 يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي. وسودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن
 نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي.

(العربيات غيرهن) سبع: زينب بنت جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن
 كبير بن غنم بن ثودان بن أسد بن خزيمة. وميمونة بنت الحارث بن حزن بن بحير بن هرم بن
 روية بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن
 عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان. وزينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن
 عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية. وجويرية بنت الحارث بن أبي ضرار
 الخزاعية ثم المصطلقية. وأسماء بنت النعمان الكندية. وعمرة بنت يزيد الكلابية.
 و (من غير العربيات) صفية بنت حيي بن أخطب، من بني النضير.

عدنا إلى ذكر شكوى رسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق:

حدثني يعقوب بن عتبة، عن محمد بن مسلم الزهري، عن عبيد الله بن عبد
 الله بن عتبة، عن عائشة زوج النبي ﷺ، قالت:
 فخرج رسول الله ﷺ يمشي بين رجلين من أهله: أحدهما الفضل بن عباس، ورجل

آخر، عاصباً رأسه، تخط قدماه حتى دخل بيتي.
 قال عبيد الله: فحدثت هذا الحديث عبد الله بن العباس، فقال: هل تدري من
 الرجل الآخر؟ قلت: لا. قال: علي بن أبي طالب.
 ثم عمر^(١) رسول الله ﷺ واشتد به وجعه، فقال: «هريقوا علي سبع قرب من آبار
 شتى، حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم».
 قالت: فأقعدناه في مخضب^(٢) لحفصة بنت عمر، ثم صبينا عليه الماء، حتى طفق
 يقول: «حسبكم حسبكم!!».

وقال الزهري:

حدثني أيوب بن بشير، أن رسول الله ﷺ خرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر،
 ثم كان أول ما تكلم به أنه صلى على أصحاب أحد، واستغفر لهم، فأكثر الصلاة عليهم،
 ثم قال: «إن عبداً من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله».
 ففهمها أبو بكر، وعرف أن نفسه يريد، فبكى، وقال: بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا!
 فقال: «على رسلك يا أبا بكر» ثم قال: «انظروا هذه الأبواب اللأظفة في المسجد^(٣)
 فسُدوها إلا بيت أبي بكر^(٤) فإنني لا أعلم أحداً كان أفضل في الصُّحبة عندي يداً منه».

وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله، عن بعض آل سعيد بن المعلّى:

أن رسول الله ﷺ قال يومئذ في كلامه هذا: «فإنني لو كنت متخذاً من العباد خليلاً
 لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صحبة وإخاء إيمان، حتى يجمع الله بيننا عنده».

وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء، أن رسول
 الله ﷺ استبطأ الناس في بعث أسامة وهو في وجعه، فخرج عاصباً رأسه حتى جلس على
 المنبر، وقد كان الناس قالوا في إمرة أسامة: أمر غلاماً حدثاً على جلة المهاجرين والأنصار!
 فحمد الله، وأثنى عليه بما هو له أهل. ثم قال:

«أيها الناس، أنفذوا بعث أسامة، فلعمري لئن قُلتم في إمارته لقد قُلتم في إمارة أبيه
 من قبلي، وإنه لخليق للإمارة، وإن كان أبوه لخليقاً لها».

ثم نزل رسول الله ﷺ، وانكمش الناس في جهازهم^(٥)، واستعز^(٦) برسول الله ﷺ

(٤) قال ابن هشام: «يروى إلا باب أبي بكر».

(٥) انكمشوا: أسرعوا وجدوا.

(٦) استعز به: غلبه واشتد عليه.

(١) عمر، بالبناء للمجهول: أصابته غمرة المرض.

(٢) المخضب: شبه الإجانة يغسل فيها الثياب.

(٣) اللأظفة في المسجد: أي النافذة إليه.

وجعته، فخرج أسامة، وخرج جيشه معه، حتى نزلوا الجُرفَ من المدينة على فرسخ، فضرب به عسكره، وتنامَّ إليه الناس، وثقل رسول الله ﷺ، فأقام أسامة والناس لينظروا ما الله قاصٍ في رسول الله ﷺ.

قال الزهريُّ: وحدثني عبد الله بن كعب بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال، يوم صلَّى واستغفر لأصحاب أحدٍ وذكر من أمرهم ما ذكر مع مقالته يومئذ: «يا معشر المهاجرين، استوصوا بالأنصار خيراً، فإنَّ النَّاسَ يزيدون وإنَّ الأنصار على هيتها لا تزيد، وإنهم كانوا عيبي (١) التي أويت إليها. فأحسنوا إلى محسنهم، وتجاوزوا عن مُسيئهم».

ثم نزل رسول الله ﷺ، فدخل بيته وتنامَّ به وجعه حتى غمِر (٢).

فاجتمع إليه نساء من نسائه: أم سلمة وميمونة، ونساء من نساء المسلمين، منهن أسماء بنت عميس، وعنده العباس عمه، فأجمعوا على أن يلدَّوه (٣) وقال العباس: لألدَّنه.

فلدَّوه، فلما أفاق رسول الله ﷺ قال: من صنع هذا بي؟ قالوا: يا رسول الله، عمك. قال: هذا دواء أتى به نساء جئن من نحو هذه الأرض - وأشار نحو أرض الحبشة - ولم فعلتم ذلك؟ فقال العباس: خشينا يا رسول الله أن يكون بك ذات الجنب، فقال: «إنَّ ذلك لداء ما كان الله ليقدفني به، لا يبق في البيت أحدٌ إلا لدَّ، إلا عمي». فلقد لدَّت ميمونة وإنها لصائمة، لقسم رسول الله ﷺ، عقوبة لهم بما صنعوا به.

عن أسامة بن زيد، قال:

لما ثقل رسول الله ﷺ هبطت وهبط الناس معي إلى المدينة فدخلت على رسول الله ﷺ، وقد أصمَّت فلا يتكلَّم، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها عليّ، فأعرف أنه يدعولي!

عن عائشة قالت:

كان رسول الله ﷺ كثيراً ما أسمعُه يقول: «إنَّ الله لم يقبض نبياً حتى يُخيره». قالت: فلما حضر رسول الله ﷺ كان آخر كلمة سمعتها منه وهو يقول: «بل الرفيق الأعلى من الجنة». قلت: إذا والله لا يختارنا، وعرفت أنه الذي كان يقول لنا: «إن نبياً لم يقبض حتى يُخير».

(٣) لده: سقاه اللدود، وهو بالفتح: ما يسقاه المريض في

أحد شقي فمه.

(١) عيبة الرجل: خاصته وموضع سره.

(٢) انظر ما سبق في ص ٢٦٥.

صلاة أبي بكر رضي الله عنه بالناس

قال الزهري : وحدثني حمزة بن عبد الله بن عمر أن عائشة قالت :

لما استُعزَّزَ^(١) برسول الله ﷺ قال : « مُرُوا أبا بكرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ » . قلت : يا نبيَّ الله، إنَّ أبا بكرٍ رجلٌ رقيقٌ، ضعيفُ الصوت، كثيرُ البكاء إذا قرأ القرآن ! قال : « مُرُوهُ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ » . فعدتُ بمثل قولِي، فقال : « إِنَّكَ صَوَّاحِبُ يَوْسُفَ فَمُرُوهُ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ » . فوالله ما أقول ذلك إلاَّ أَنِّي كنت أحبُّ أن يُصَرَّفَ ذلك عن أبي بكرٍ، وعرفتُ أنَّ النَّاسَ لا يحبون رجلاً قام مقامه أبداً، وأنَّ النَّاسَ سيتشاءمون به في كلِّ حدثٍ كان، فكنت أحبُّ أن يصرف ذلك عن أبي بكرٍ .

عن عبد الله بن زَمْعَةَ بن الأسود بن المطلب بن أسد، قال :

لما استُعزَّزَ برسول الله ﷺ وأنا عنده في نفر من المسلمين، دعاه بلال إلى الصلاة، فقال : « مُرُوا مَنْ يُصَلِّي بِالنَّاسِ » فخرجت فإذا عمرٌ في الناس، وكان أبو بكرٍ غائباً، فقلت : قُمْ يا عمر فصلِّ بالناس . فقام، فلما كَبُرَ سمع رسول الله ﷺ صوته - وكان عمر رجلاً مُجْهَرًا^(٢) - فقال رسول الله ﷺ : « فأين أبو بكرٍ؟ بأبي الله ذلك والمسلمون، يأبى الله ذلك والمسلمون! » . فبعث إلى أبي بكرٍ، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة فصلَّى بالناس .

قال عبد الله بن زَمْعَةَ : قال لي عمر : وَيْحَكَ!! ماذا صنعتَ بي يا ابن زَمْعَةَ؟ والله ما ظننتُ حين أمرتني إلاَّ أن رسول الله ﷺ أمرك بذلك، ولولا ذلك ما صليتُ بالناس . قلت : والله ما أمرني رسول الله ﷺ بذلك، ولكني حين لم أر أبا بكرٍ رأيتُك أحقَّ من حضر بالصلاة بالناس .

قال ابن إسحاق : وقال الزُّهري : حدثني أنس بن مالك :

أنه لما كان يومَ الاثنين الذي قبض الله فيه رسوله ﷺ خرج إلى الناس وهم يصلُّون الصُّبْحَ فرفع السُّرَّ وفتح الباب، فخرج رسولُ الله ﷺ فقام على باب عائشة، فكاد المسلمون يفتنون في صلاتهم برسول الله ﷺ حين رأوه، فرحاً به، وتفرَّجوا^(٣)، فأشار إليهم : أن اثبتوا على صلاتكم . فتبسَّم رسول الله ﷺ سروراً بما رأى من هيبتهم في صلاتهم، وما رأيت رسول الله ﷺ أحسن هيئةً منه تلك الساعة . ثم رجع،

(١) انظر ما سبق ص ٢٦٥ .

عرف بشدة الصوت .

(٢) مجهراً : أي رفيع الصوت، يقال : أجهر الرجل، إذا (١) تفرجوا : ذهب عنهم الغم وانكشف الكرب .

وانصرف الناس، وهم يُروون أن رسول الله ﷺ قد أفرق من وجعه^(١)، فرجع أبو بكر إلى أهله بالسُّنح^(٢).

وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث، عن القاسم بن محمد، أن رسول الله ﷺ قال حين سمع تكبير عمر في الصلاة: «أين أبو بكر؟ يابى الله ذلك والمسلمون». فلولا مقالة قالها عمر عند وفاته لم يشك المسلمون أن رسول الله ﷺ قد استخلف أبا بكر، ولكنه قال عند وفاته: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني^(٣)، وإن أتركتهم فقد تركهم من هو خير مني^(٤). فعرف الناس أن رسول الله ﷺ لم يستخلف أحدا. وكان عمر غير متهم على أبي بكر.

وحدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي مُليكة، قال: لما كان يوم الاثنين خرج رسول الله ﷺ عاصبا رأسه، إلى الصُّبح^(٥)، وأبو بكر يُصلي بالناس، فلما خرج رسول الله ﷺ تفرج الناس، فعرف أبو بكر أن الناس لم يصنعوا ذلك إلا لرسول الله ﷺ، فنكص عن مُصلاه، فدفع رسول الله ﷺ في ظهره، وقال: «صل بالناس». وجلس رسول الله ﷺ إلى جنبه، فصلى قاعداً عن يمين أبي بكر، فلما فرغ من الصلاة أقبل على الناس فكلمهم رافعا صوته، حتى خرج صوته من باب المسجد يقول: «أيها الناس، سُعرت النار، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم! وإني والله ما تمسكون عليّ بشيء، إني لم أجل إلا ما أحل القرآن، ولم أحرّم إلا ما حرّم القرآن».

قال: فلما فرغ رسول الله ﷺ من كلامه قال له أبو بكر: يا نبي الله، إني أراك قد أصبحت بنعمة من الله وفضل كما نُجِب، واليوم يوم بنت خارجه أفاتيها؟ قال: نعم. ثم دخل رسول الله ﷺ وخرج أبو بكر إلى أهله بالسُّنح.

عن عبد الله بن عباس قال:

خرج يومئذ علي بن أبي طالب، رضوان الله عليه، على الناس من عند رسول الله ﷺ، فقال له الناس: يا أبا حسن، كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ قال: أصبح بحمد الله بارئاً. فأخذ العباس بيده ثم قال: يا علي، أنت والله عبْدُ العصا بعد ثلاث، أحلف

(٤) يعني رسول الله عليه الصلاة والسلام. انظر الرياض

النضرة للمحب الطبري ٢ : ٧٤

(٥) أي إلى صلاة الصبح.

(١) أفرق من وجعه: بريء واستبل.

(٢) السُّنح، بضم فسكون: موضع كان لأبي بكر رضي

الله عنه فيه مال، وكان ينزله بأهله.

(٣) يعني أبا بكر.

بالله لقد عرفتُ الموتَ في وجه رسول الله ﷺ كما كنتُ أعرفه في وجوه بني عبد المطلب، فانطلق بنا إلى رسول الله ﷺ فإن كان هذا الأمر فينا عرفناه، وإن كان في غيرنا أمرناه فأوصي بنا الناس. فقال له علي: إني والله لا أفعل، والله لئن مُنعناه لا يؤتيناهُ أحدٌ بعده ! فتوفي رسول الله ﷺ حين اشتدَّ الضحَاءُ من ذلك اليوم.

عن عائشة قالت:

رجع إلي رسول الله ﷺ في ذلك اليوم حين دخل من المسجد، فاضطجع في حجري، فدخل علي رجلٌ من آل أبي بكر وفي يده سِوَاكٌ أخضر، فنظر رسول الله ﷺ إليه في يده نظراً عرفتُ أنه يريدُه، فقلت: يا رسول الله، أتحبُّ أن أعطيك هذا السواك؟ قال: نعم. فأخذته فمَضَعْتُهُ حَتَّى لَبِيتُهُ، ثم أعطيته إياه، فاستنَّ به^(١) كأشدُّ ما رأيتُه يَسْتَنُّ بسواكٍ قَطُّ، ثم وضعه، ووجدتُ رسولَ الله ﷺ يَثْقُلُ في حجري، فذهبت أنظرُ في وجهه، فإذا بصره قد شَخَصَ، وهو يقول: «بَلِ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى مِنَ الْجَنَّةِ»، فقلتُ: خَيْرَتَ فَاخْتَرْتَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ!

وقبض رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، قال: سمعتُ عائشة تقول:

مات رسول الله ﷺ بين سَحْرِي وَنَحْرِي^(٢) وفي دولتي^(٣)، لم أظلم فيه أحداً، فمِن سَفْهِي وَحِدَاثَةِ سَنِيَّ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبِضَ وهو في حجري، ثم وضعت رأسه على وسادة، وقمت ألتدِمُ^(٤) مع النساءِ وأضربُ وجهي.

عن أبي هريرة، قال:

لما توفي رسول الله ﷺ قام عمر بن الخطاب فقال: إن رجلاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد توفي، وإن رسول الله ﷺ والله ما مات، ولكنه ذهبَ إلى ربِّه كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل: قد مات. والله ليرجعن رسول الله ﷺ كما رجع موسى، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله ﷺ مات.

(١) أي استاك به.

(٢) في دولتي: تريد في نوبتها التي كانت لها.

(٣) في دولتي: تريد في نوبتها التي كانت لها.

(٤) التدم: أضرب صدري.

(٢) السحر: الرثة وما يتصل بها إلى الحلقوم، وهو بفتح

فسكون أو بضم فسكون. والنحر: أعلى الصدر.

قال: وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد - حين بلغه الخبر - وعمر يكلم الناس، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله ﷺ في بيت عائشة، ورسول الله ﷺ مُسَجَّى (١) في ناحية البيت، عليه بُرْدُ حَبْرَةٍ (٢)، فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله ﷺ، ثم أقبل عليه فقبله، ثم قال: يَا أَبَا أَنْتَ وَأُمِّي، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذُقْتَهَا، ثم لن تصيبك بعدها موتة أبداً! ثم رَدَّ الْبُرْدَ على وجه رسول الله ﷺ ثم خرج وعُمَرُ يكلم الناس، فقال: على رِسْلِكَ يا عمر، أَنْصِتْ. فَأَبَى إِلَّا أَنْ يَتَكَلَّمَ، فلما رآه أبو بكر لا يُنصِتُ أقبل على الناس، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ. ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾.

قال: فوالله لكان الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذٍ، وأخذها الناس عن أبي بكر، فإنما هي في أفواههم.

فقال أبو هريرة: قال عمر: فوالله ما هو إلا أن سمعتُ أبا بكر تلاها فَعُقِرْتُ (٣) حتى وقعتُ إلى الأرض ما تَحْمِلُنِي رِجْلَايَ، وعرفتُ أن رسول الله ﷺ قد مات.

أمر سقيفة بني ساعدة

قال ابن إسحاق:

ولما قُبِضَ رسول الله ﷺ انحاز هذا الحَيُّ من الأنصار إلى سعد بن عُبادة في سقيفة بني ساعدة، واعتزل علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله في بيت فاطمة، وانحاز بقية المهاجرين إلى أبي بكر وانحاز معهم أسيد بن حُضَيْرٍ في بني عبد الأشهل، فأقَاتِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ مَعَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ قَدْ انْحَاذُوا إِلَيْهِ، فَإِنْ كَانَ لَكُمْ بِأَمْرِ النَّاسِ حَاجَةٌ فَادْرِكُوا النَّاسَ قَبْلَ أَنْ يَتَفَاقِمَ أَمْرَهُمْ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِهِ لَمْ يُفْرَغْ مِنْ أَمْرِهِ، قَدْ أَغْلَقَ دُونَهُ الْبَابَ أَهْلُهُ. قَالَ

(١) مسجى: مغطى.

(٢) هو ضرب من ثياب اليمن.

(٣) عقرت، بالبناء للمجتول: دهشت وتحيرت.

عمر: فقلت لأبي بكر. انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار حتى ننظر ما هم عليه.

عن عبد الله بن عباس، قال: أخبرني عبد الرحمن بن عوف، قال - وكنت في منزله بمبنى أنتظره وهو عند عمر في آخر حجة حجها عمر، فرجع عبد الرحمن بن عوف من عند عمر فوجدني في منزله بمبنى أنتظره، وكنت أقرئه القرآن - فقال لي عبد الرحمن بن عوف: لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين فقال: يا أمير المؤمنين، هل لك في فلان، يقول: والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلاناً، والله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت! قال: فغضب عمر، فقال إني إن شاء الله لقائم العشيّة في الناس فمحدّثهم هؤلاء الذين يريدون أن يغضبوهم أمرهم. قال عبد الرحمن: فقلت: يا أمير المؤمنين، لا تفعل، فإن الموسم يجمع رعايا الناس، وغوغاءهم^(١) وإنهم هم الذين يغلبون على قُربك حين تقوم في الناس، وإني أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطير بها أولئك عنك كل مطير، ولا يعوها ولا يضعوها على مواضعها، فأمهل حتى تقدّم المدينة، فإنها دار السنة، وتخلص بأهل الفقه وأشرف الناس، فتقول ما قلت بالمدينة متمكناً فيعي أهل الفقه مقالتك، ويضعوها على مواضعها. فقال عمر: أما والله إن شاء الله لأقومنّ بذلك أول مقام أقومه بالمدينة!

قال ابن عباس:

فقدمنا المدينة في عقب ذي الحجة، فلما كان يوم الجمعة عجلت الرواح حين زالت الشمس، فأجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالساً إلى ركن المنبر، فجلست حذوه تمس ركبتي ركبته، فلم أنسب أن أخرج عمر بن الخطاب، فلما رأته مقبلاً قلت لسعيد بن زيد: ليقولنّ العشيّة على هذا المنبر مقالة لم يقلها منذ استخلف! فأنكر عليّ سعيد بن زيد ذلك، وقال: ما عسى أن يقول مما لم يقل قبله؟ فجلس عمر على المنبر، فلما سكت المؤذن قام فأتني على الله بما هو أهله، ثم قال:

أما بعد، فإنني قائل لكم اليوم مقالة قد قدّرت لي أن أقولها، ولا أدري لعلها بين يدي اجلي، فمن عقّلها ووعاها فليأخذ بها حيث انتهت به راحلته، ومن خشي أن لا يعيها فلا يحل لأحد أن يكذب عليّ. إن الله بعث محمداً، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل عليه آية الرجم، فقرأناها وعلمناها ووعيناها. ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشي إن طال بالناس زمان أن يقول قائل، والله ما نجد الرجم في كتاب الله، فيصلوا بترك فريضة أنزلها الله. وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن، من الرجال والنساء، إذا

(١) الرعايا: سقاط الناس، وأصل الغوغاء الجراد، فشبّه سقال الناس به لكثرتهم.

قامت البيعة، أو كان الحبل، أو الاعتراف. ثم إنا قد كنا نقرأ من كتاب الله: لا ترغبوا عن آباءكم، فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آباءكم. ألا إن رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني كما أطري عيسى بن مريم، وقولوا عبد الله ورسوله». ثم إنه قد بلغني أن فلاناً قال: والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلاناً! فلا يغرنّ امرأ أن يقول: إن بيعة أبي بكر كانت فلتة فتمت، وإنما قد كانت كذلك، إلا أن الله قد وقى شرها، وليس فيكم من تنقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر، فمن بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين فإنه لا بيعة له هو ولا الذي بايعه تفرقة أن يقتلاً^(١). إنه كان من خبرنا - حين توفي الله نبيه ﷺ - أن الأنصار خالفونا، فاجتمعوا بأشرافهم في سقيفة بني ساعدة، وتخلف عنا علي بن أبي طالب والزبير بن العوام ومن معهما، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار. فانطلقنا نؤمهم، حتى لقينا منهم رجلاً صالحاً، فذكرنا لنا ما تمّألاً عليه القوم، وقالوا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ قلنا نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار. قالوا: فلا عليكم أن لا تقرّبوهم يا معشر المهاجرين، أقضوا أمركم. قلت: والله لنأتينهم. فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا بين ظهرائهم رجل مزمّل^(٢)، فقلت: من هذا؟ فقالوا: سعد بن عبادة. فقلت: ماله؟ فقالوا: وجع. فلما جلسنا تشهد خطيبهم فأثنى على الله بما هو له أهل، ثم قال: أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا. وقد دفت دافة^(٣) من قومكم.

قال: وإذا هم يريدون أن يمتازونا من أصلنا ويغتصبونا الأمر. فلما سكّت أردت أن أتكلم وقد زوّرت^(٤) في نفسي مقالة قد أعجبتني، أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر، وكنت أداري منه بعض الحد^(٥)، فقال أبو بكر: على رسلك يا عمر! فكرهت أن أغضبه، فتكلم وهو كان أعلم مني وأوقر، فوالله ما ترك من كلمة أعجبتني من تزويري إلا قالها في بديته، أو مثلها، أو أفضل، حتى سكّت. قال: أمّا ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن

(١) يؤمن أن يقتلا. عن لسان العرب (غرر).
(٢) مزمل: ملتف، تزمّل الرجل، إذا التف في كساء أو نحوه.
(٣) الدافة: الجماعة تأتي من البادية إلى الحاضرة، وهي أيضاً الجماعة تسير برفق.
(٤) زورت مقالة: أعددتها وحسنتها في نفسي.
(٥) يريد أنه قد كان في أخلاقه بعض الحدة، فكان جهد عمر أن يداريه.

(١) أي خوف التفرقة: وهي التفرير. ومعناه ان البيعة حقها ان تقع بعد مشورة واتفاق، فإذا استبد اثنان دون الجماعة فبايع أحدهما الآخر فذلك تظاهر منها بشق العصا واطراح الجماعة. فإن عقد لأحد بيعة فلا يكون المعقود له واحداً منهما. وليكونا معزولين من الطائفة التي تتفق على تمييز الإمام منها. لأنه لو عقد لواحد منها وقد ارتكبا الفعل الشنيعة التي احفظت الجماعة من التهاون بهم والاستغناء عن رأيهم، لم

تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش: هم أوسط العرب نسباً وداراً. وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيها شتم. وأخذ بيدي ويدي أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا، ولم أكره شيئاً مما قال غيرها. وكان والله أن أقدم فتضرب عنقي، لا يُقربني ذلك إلى إثم، أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر.

قال: فقال قائل من الأنصار: أنا جُذيلُها المُحكِّك، وعُدَيْقُها المُرجَّب^(١) منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش.

قال: فكثُر اللُّغَطُ، وارتفعت الأصوات، حتى تَحَوَّفت الاختلاف، فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر. فبسط يده، فبايعته، ثم بايعه المهاجرون، ثم بايعه الأنصار، ونَزَوْنَا^(٢) على سَعْدِ بنِ عُبَادَةَ. فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة. فقلت: قتل الله سعد بن عبادة.

قال الزهري: أخبرني عروة بن الزبير، أن أحد الرجلين اللذين لَقُوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة عُويْمُ بن ساعدة، والآخر مَعْنُ بن عديّ أخو بني العجلان، فأما عُويْمُ بن ساعدة فهو الذي بلغنا أنه قيل لرسول الله ﷺ: مَنْ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾؟ فقال رسول الله ﷺ: « نِعَمَ الْمَرْءُ مِنْهُمْ عُويْمُ بنُ سَاعِدَةَ ». وأما مَعْنُ بن عديّ فبلغنا أن الناس بَكَوْا على رسول الله ﷺ حين توفاه الله عز وجل، وقالوا: واللَّهِ لَوَدِدْنَا أَنَا مُتْنَا قَبْلَهُ، إِنَّا نَخْشَى أَنْ نَفْتِنَ بَعْدَهُ. قال مَعْنُ بن عديّ: لكنِّي وَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنِي مَتَّ قَبْلَهُ، حَتَّى أَصْدَقَهُ مَيْتاً كَمَا صَدَقْتَهُ حَيًّا! فَقُتِلَ مَعْنُ يَوْمَ الْيَمَامَةِ شَهِيداً فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ، يَوْمَ مَسِيلِمَةَ الْكُذَّابِ.

وحدثني الزهري، قال: حدثني أنس بن مالك، قال:

لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد، جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال:

أيها الناس، إني قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت، وما وجدت في كتاب الله، ولا كانت عهداً عهداً إلي رسول الله ﷺ، ولكني قد كنت أرى أن رسول الله ﷺ سَيَدْبُرُ أَمْرَنَا - يَقُولُ: يَكُونُ آخِرْنَا - وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْقَى فِيكُمْ كِتَابَهُ الَّذِي بِهِ هَدَى اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ،

(١) الدعامة، لكثرة حمله وعزه على أهله، وهو مضروب به

المثل للرجل الشريف البجل.

(٢) النزو: الوثب.

(١) الجذيل: تصغير جذل، وهو عود ينصب للإبل تحتك

به وتستريح إليه. والعرب تضرب به المثل للرجل

يستشفى برأيه. والعديق: تصغير عنق، وهي

النخلة نفسها. والمرجب: الذي تبنى إلى جانبه

فإن اعتصمتم به هذاكم الله لما كان هداه له، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله ﷺ، ثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه.

فبايع الناس أبا بكر ببيعة العامة بعد بيعة السقيفة

ثم تكلم أبو بكر، فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله، ثم قال: أما بعد أيها الناس فإنني قد وليت عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني. الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قويٌ عندي حتى أريح^(١) عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيفٌ عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله. لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا تكهروهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

عن ابن عباس، قال: والله إني لأمشي مع عمر في خلافته وهو عامدٌ إلى حاجة له وفي يده الدرة^(٢) وما معه غيري، وهو يحدث نفسه، ويضرب وحنثي^(٣) قدميه (٣) بديرته، إذ التفت إلي فقال: يا ابن عباس، هل تدري ما كان حملني على مقالتي التي قلت حين توفي رسول الله ﷺ؟ قلت: لا أدري يا أمير المؤمنين، انت أعلم. قال: فإنه والله إن كان الذي حملني على ذلك إلا أنا كنت أقرأ هذه الآية: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾، فوالله إن كنت لأظن أن رسول الله ﷺ سيبقى في أمته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها، فإنه للذي حملني على أن قلت ما قلت.

جهاز رسول الله ﷺ ودفنه

قال ابن إسحاق:

فلما بويع أبو بكر رضي الله عنه أقبل الناس على جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء.

فحدثني عبد الله بن أبي بكر وحسين بن عبد الله وغيرهما من أصحابنا، أن علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس وقثم بن العباس وأسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله ﷺ هم الذين ولوا غسله، وأن أوس بن خولي أحد بني عوف قال لعلي بن أبي طالب: أنشدك الله يا علي وحظنا من رسول الله ﷺ - وكان أوس من أصحاب

(١) أراحه: أراحه ورده.

(٢) الدرة: ضرب من السياط يضرب به، يكون (٣) وحنثي القدم: جانبها الخارجي.

رسول الله ﷺ وأهل بدر - قال: ادخل - فدخل فجلس، وحضر غسل رسول الله ﷺ، فأسنده علي بن أبي طالب إلى صدره وكان العباس والفضل وقثم يقلبونه معه، وكان أسامة بن زيد وشقران مولاه هما اللذان يصبان الماء وعلي يغسله، قد أسنده إلى صدره، وعليه قميصه يدلُّكه به من ورائه، لا يُقضي بيده إلى رسول الله ﷺ، وعلي يقول: بأبي أنت وأمي، ما أطيبك حياوميتا!!

ولم ير من رسول الله ﷺ شيء مما يرى من الميت.

عن عائشة، قالت: لما أرادوا غسل رسول الله ﷺ اختلفوا فيه، فقالوا: والله ما ندري، أنجرد رسول الله ﷺ من ثيابه كما نجرد موتانا، أو نغسله وعليه ثيابه؟ فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلا ذقنه في صدره، ثم كلمهم مكلّم من ناحية البيت لا يدرون من هو: أن اغسلوا النبي وعليه ثيابه. فقاموا إلى رسول الله ﷺ فغسلوه وعليه قميصه، يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه، والقميص دون أيديهم.

قال ابن إسحاق:

فلما فرغ من غسل رسول الله ﷺ كفن في ثلاثة أثواب: ثوبين صحاريين^(١) وبرد حبرة أدرج فيه إدراجا.

عن ابن عباس، قال:

لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله ﷺ وكان أبو عبيدة بن الجراح يصرح^(٢) كحفر أهل مكة، وكان أبو طلحة زيد بن سهل هو الذي يحفر لأهل المدينة فكان يلحد^(٣)، فدعا العباس رجلين، فقال لأحدهما: اذهب إلى أبي عبيدة بن الجراح، وللآخر: اذهب إلى أبي طلحة، اللهم خِر لرسول الله ﷺ. فوجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة، فجاء به فلحد لرسول الله ﷺ.

فلما فرغ من جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء وُضع على سريره في بيته، وقد كان المسلمون اختلفوا في دفنه، فقال قائل: ندفنه في مسجده، وقال قائل: بل ندفنه مع أصحابه، فقال أبو بكر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ما قبض نبي إلا دُفن حيث يُقبض ». »

(١) صحاريين: نسبة إلى صحار، وهي بلدة من بلاد اليمن. ويقال: هي عمان.
(٢) الفسح: الشق. والضريح: القبر يشق في وسط الأرض شقاً.
(٣) اللحد: الشق يكون في جانب القبر.

فُرفِعَ فراش رسول الله ﷺ الذي توفي عليه، فحُفِرَ له تحتَه، ثم دخل الناس على رسول الله ﷺ يُصَلُّونَ عليه أرسالاً^(١)، دخل الرجال حتى إذا فرغوا أدخل النساء، حتى إذا فرغ النساء أدخل الصبيان ولم يُؤمَّ الناس على رسول الله ﷺ أحدٌ.

ثم دُفِنَ رسول الله ﷺ من وَسَطِ الليلِ ليلة الأربعاء.

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: ما علمنا بدفن رسول الله ﷺ حتى سمعنا صوت المساحي^(٢) من جوف الليل من ليلة الأربعاء.

قال ابن اسحاق:

وكان الذين نزلوا في قبر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، والفضل بن عباس، وقثم بن عباس، وشقران مولى رسول الله ﷺ.

وقد قال أوس بن خويِّ لعلِّي بن أبي طالب: يا علي أنشدك الله وحفظنا من رسول الله ﷺ! فقال له: انزل. فنزل مع القوم.

وقد كان مولاة شقران - حين وُضِعَ رسول الله ﷺ في حُفْرته وبُنيَ عليه - قد أخذت قطيفة^(٣) قد كان رسول الله ﷺ يلبسها ويفترشها، فدفنها في القبر، وقال: والله لا يلبسها أحدٌ بعدك أبداً!

قال: فدفنت مع رسول الله ﷺ.

وقد كان المغيرة بن شعبة يدعي أنه أخذتُ الناس عهداً برسول الله ﷺ، يقول: أخذت خاتمي، فألقيته في القبر، وقلت: إن خاتمي سقط مني وإنما طرحته عمداً لأمس رسول الله ﷺ فأكون أحدث الناس عهداً به ﷺ.

عن مقسم أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن مولاة عبد الله بن الحارث، قال:

اعتمرت مع علي بن أبي طالب رضوان الله عليه في زمان عمر أوزمان عثمان، فنزل على أخته أم هانيء بنت أبي طالب، فلما فرغ من عمرته رجع، فسكب له غسل فاغتسل، فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق، فقالوا: يا أبا حسن، جثناك نسألك عن أمر نحب أن نخبرنا عنه. قال: أظن المغيرة بن شعبة يحدثكم أنه كان أحدث الناس عهداً

(١) أرسالاً: جماعة بعد جماعة، الواحد رسل بالتحريك. (٢) القطيفة: كساء له خمل، أي أهداب.

(٣) المساحي: جمع مسحاة، وهي مجرفة من حديد.

برسول الله ﷺ. قالوا: أجل، عن ذلك جئنا نسألك. قال: أخذت الناس عهداً برسول الله ﷺ فثم بن عباس.

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، أن عائشة حدثته قالت: كان على رسول الله ﷺ خميصة سوداء^(١) حين اشتدَّ به وجعه، قالت: فهو يضعها مرةً على وجهه، ومرة يكشفها عنه، وهو يقول: «قاتل الله قوماً اتخذوا قبوراً أنبيائهم مساجد!»، يحذر من ذلك على أمته.

عن عائشة، قالت:

كان آخر ما عهد رسول الله ﷺ: أن قال: «لا يُترك بجزيرة العرب دينان».

قال ابن اسحاق:

ولما توفي رسول الله ﷺ عظمت به مصيبة المسلمين، فكانت عائشة - فيما بلغني - تقول:

لما تُوفي رسول الله ﷺ ارتدت العرب، واشربأت اليهودية^(٢) والنصرانية، ونجم النفاق^(٣)، وصار المسلمون كالغنم المطيرة^(٤) في الليلة الشاتية، لفقد نبيهم ﷺ، حتى جمعهم الله على أبي بكر.

قال ابن هشام: حدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم:

أن أكثر أهل مكة لما توفي رسول الله ﷺ هموا بالرجوع عن الإسلام، وأرادوا ذلك، حتى خافهم عتاب بن أسيد^(٥)، فتواري، فقام سهيل بن عمرو، فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر وفاة رسول الله ﷺ، وقال: إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة، فمن رابنا ضربنا عنقه!!

فتراجع الناس، وكفوا عما هموا به، وظهر عتاب بن أسيد.

فهذا المقام الذي أراد رسول الله ﷺ في قوله لعمر بن الخطاب «إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تدمه».

(١) الخميصة: كساء أسود مربع، له علمان، أي خيطان.
(٢) اشرباب الرجل: صعد عنقه لينظر. ومعناه تطلعت وبرزت.
(٣) نجم النفاق: ظهر ويدا.
(٤) المطيرة: التي أصابها المطر.
(٥) عتاب بن أسيد: كان والي مكة وأميرها حين وفاة النبي ﷺ.

وقال حسان بن ثابت يبكي رسول الله ﷺ، فيما حدثنا ابن هشام عن أبي زيد الأنصاري:

بِطَيْبَةِ رَسْمٍ لِلرُّسُولِ وَمَعْهَدُ
وَلَا تَمْتَحِي الْآيَاتُ مِنْ دَارِ حُرْمَةٍ
وَوَاضِحِ آثَارِ وَبَاقِي مَعَالِمِ
بِهَا حُجْرَاتُ كَانَ يَنْزِلُ وَسَطَهَا
مَعَارِفُ لَمْ تَطْمَسْ عَلَى الْعَهْدِ آيَهَا
عَرَفْتُ بِهَا رَسْمَ الرُّسُولِ، وَعَهْدَهُ
ظَلَلْتُ بِهَا أَبْكَى الرُّسُولَ فَاسْعَدَتْ
يُذَكِّرُنِ آلَاءَ الرُّسُولِ وَمَا أَرَى
مُفْجَعَةً قَدْ شَفَهَا فَقَدْ أَحْمَدُ
وَمَا بَلَغَتْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَشِيرَةً
أَطَالَتْ وَقُوفًا تَذْرِفُ الْعَيْنُ جَهْدَهَا
فَبُورِكَتْ يَا قَبْرَ الرُّسُولِ وَيُورِكَتْ
وَبُورِكَتْ لِحْدُ مِنْكَ ضَمْنٌ طَيِّبًا
تَهِيلُ عَلَيْهِ التُّرْبَ أَيْدٍ وَأَعْيُنُ
لَقَدْ غَيَّبُوا جِلْمًا وَعِلْمًا وَرَحْمَةً
وَرَأَحُوا بِحُزْنٍ لَيْسَ فِيهِمْ نَبِيَّهُمْ
يُبْكُونَ مَنْ تَبْكِي السَّمَوَاتُ يَوْمَهُ
وَهَلْ عَدَلْتُ يَوْمًا رَزِيَّةً هَالِكِ
تَقَطُّعُ فِيهِ مُنْزَلُ الْوَحْيِ عَنْهُمْ
يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَنِ مَنْ يُقْتَدَى بِهِ

مُنِيرٌ وَقَدْ تَعْفُوا الرُّسُومَ وَتَهْمَدُ (١)
بِهَا مَنِيرٌ الْهَادِي الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ (٢)
وَرَبْعٌ لَهُ فِيهِ مُصَلًى وَمَسْجِدُ
مِنَ اللَّهِ نُورٌ يُسْتَضَاءُ وَيُوقَدُ
أَتَاهَا الْبَلَى فَالْآيُ مِنْهَا تَجِدُّ (٣)
وَقَبْرًا بِهَا وَارَاهُ فِي التُّرْبِ مُلْحِدُ (٤)
عُيُونٌ وَمِثْلَاهَا مِنَ الْجَفْنِ تُسْعِدُ (٥)
لَهَا مُحْصِيًا نَفْسِي فَنَفْسِي تَبْلُدُ
فَظَلْتُ لِآلَاءِ الرُّسُولِ تُعَدُّ (٦)
وَلَكِنْ لِنَفْسِي بَعْدُ مَا قَدْ تَوَجَّدُ (٧)
عَلَى طَلَلِ الْقَبْرِ الَّذِي فِيهِ أَحْمَدُ
بِلَادُ ثَوَى فِيهَا الرَّشِيدُ الْمُسَدَّدُ (٨)
عَلَيْهِ بِنَاءٌ مِنْ صَفِيحٍ مُنْضَدُ
عَلَيْهِ وَقَدْ غَارَتْ بِذَلِكَ أَسْعَدُ (٩)
عَشِيَّةٌ عَلَوُهُ الثَّرَى لَا يُوسَدُ
وَقَدْ وَهَنْتُ مِنْهُمْ ظُهُورُ وَأَعْضُدُ
وَمَنْ قَدْ بَكَتَهُ الْأَرْضُ فَالنَّاسُ أَكْمَدُ
رَزِيَّةً يَوْمَ مَاتَ فِيهِ مُحَمَّدُ (١٠)
وَقَدْ كَانَ ذَا نُورٍ يَغُورُ وَيُنْجَدُ (١١)
وَيُنْقَدُ مِنْ هَوْلِ الْخِزَابِ وَيُرْشَدُ

(٧) العشير: العشر. توجد، من الوجد، وهو الحزن.
(٨) ثوى: أقام. المسدد: الذي هدى إلى السداد، وهو الصواب.
(٩) تهيل: تصب، الأسعد: جمع السعد.
(١٠) عدله: ساواه. الرزية: المصيبة.
(١١) يغور: يبلغ الغور، وهو تهامة وما يلي اليمن. وينجد: يأتي نجدا.

(١) طيبة بفتح الطاء: اسم للمدينة. والرسم: ما بقي من آثار الدار.
(٢) تمتحي: تزول. الآيات: العلامات.
(٣) الآي: جمع آية.
(٤) الملحد: الذي يضع الميت في لحده.
(٥) تسعد: تعين. والإسعاد: المعاونة.
(٦) شفها: أضعفها وأهزلها.

إِمَامٌ لَّهُمْ يَهْدِيهِمُ الْحَقُّ جَاهِدًا
عَفْوًا عَنِ الزَّلَّاتِ يَقْبَلُ عُذْرَهُمْ
وَإِنْ نَابَ أَمْرٌ لَمْ يَقُومُوا بِحَمَلِهِ
فَبَيْنَاهُمْ فِي نِعْمَةِ اللَّهِ بَيْنَهُمْ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يُحَوِّرُوا عَنِ الْهُدَى
عَطُوفٌ عَلَيْهِمْ لَا يُثْنِي جَنَاحَهُ
فَبَيْنَاهُمْ فِي ذَلِكَ النُّورِ إِذْ غَدَا
فَأَصْبَحَ مَحْمُودًا إِلَى اللَّهِ رَاجِعًا
وَأَمْسَتْ بِلَادَ الْحَرَمِ وَحَشًا بِقَاعِهَا
قَفَارًا سِوَى مَعْمُورَةِ اللَّحْدِ ضَافِهَا
وَمَسْجِدُهُ فَالْمَوْحِشَاتُ لِفَقْدِهِ
وَبِالْجَمْرَةِ الْكُبْرَى لَهُ نَمُّ أَوْحِشَتْ
فَبِكَيْ رَسُولِ اللَّهِ يَا عَيْنُ عِبْرَةٌ
وَمَا لِكَ لَا تَبْكِينَ ذَا النُّعْمَةِ الَّتِي
فَجُودِي عَلَيْهِ بِالذُّمُوعِ وَأَعْرُوبِي
وَمَا فَقَدَ الْمَاضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ
أَعْفُ وَأَوْفِي ذِمَّةَ بَعْدَ ذِمَّةٍ
وَأَبْذَلُ مِنْهُ لِلطَّرِيفِ وَتَالِدٍ
وَأَكْرَمُ صَيْتًا فِي الْبُيُوتِ إِذَا انْتَمَى
وَأَمْنَعُ ذِرْوَاتٍ وَأَثْبَتُ فِي الْعُلَا
وَأَثْبَتُ فَرْعًا فِي الْفُرُوعِ وَمَنْبِتًا

مَعْلَمٌ صِدْقٍ إِنْ يُطِيعُوهُ يَسْعَدُوا
وَإِنْ يُجْسِنُوا فَاللَّهُ بِالْخَيْرِ أَجْوَدُ
فَمِنْ عِنْدِهِ تَيْسِيرٌ مَا يَتَشَدَّدُ
دَلِيلٌ بِهِ نَهَجُ الطَّرِيقَةِ يُقْصَدُ
حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَسْتَقِيمُوا وَوَهْتَدُوا
إِلَى كَنْفٍ يَخْنُو عَلَيْهِمْ وَيَهْدُ (١)
إِلَى نُورِهِمْ سَهْمٌ مِنَ الْمَوْتِ مُقْصِدُ (٢)
يُبَكِّيهِ جَفْنُ الْمُرْسَلَاتِ وَيَحْمَدُ (٣)
لِغَيْبَةِ مَا كَانَتْ مِنَ الْوَحْيِ تَعَهَّدُ
فَقِيدُ يُبَكِّيهِ بِلَاطٍ وَغَرْقَدُ (٤)
خَلَاءٌ لَهُ فِيهِ مَقَامٌ وَمَقْعَدُ
دِيَارٍ وَعَرَصَاتٌ وَرَبِيعٌ وَمَوْلِدُ (٥)
وَلَا أَعْرِفُكَ الدَّهْرَ دَمْعُكَ يَحْمَدُ
عَلَى النَّاسِ مِنْهَا سَابِغٌ يَتَغَمَّدُ (٦)
لِفَقْدِ الَّذِي لَا مِثْلَهُ الدَّهْرُ يُوجَدُ (٧)
وَلَا مِثْلَهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ يُفْقَدُ
وَأَقْرَبُ مِنْهُ نَائِلًا لَا يُنْكَدُ (٨)
إِذَا ضَنَّ مِعْطَاءً بِمَا كَانَ يُتَلَدُ (٩)
وَأَكْرَمَ جَدًّا أَبْطَحِيًّا يُسْوَدُ (١٠)
دَعَائِمَ عِزِّ شَاهِقَاتٍ تُشِيدُ (١١)
وَعُودًا غَدَاهُ الْمُزْنَ فَالْعُودُ أُغِيدُ (١٢)

(١) الكنف: الجانب والناحية.

(٢) أقصده: أصابه فلم يخطيء مقاتله.

(٣) المرسلات: الملائكة.

(٤) ضافها: نزل بها. البلاط: المستوى من الأرض.

الغرقد: شجر.

(٥) العرصات: جمع عرصة، وهي الساحة، سكن الرء

لضرورة الشعر.

(٦) سابغ: كثير فياض. يتغمد: يستر، والمراد يعم.

(٧) الإعوال: رفع الصوت بالبكاء.

(٨) التنكيد: قلة العطاء، ومنعه.

(٩) الطريف: المال المستحدث. يتلد: يكتسب قديماً.

(١٠) الأبطحي: المنسوب إلى أبطح مكة، وهو مكان سهل

متسع.

(١١) الذروات: الأعالي. شاهقات: مرتفعات.

(١٢) المزن: السحاب، واحده مزنة. أغيد: ناعم مشن.

رَبَّاهُ وَلِيداً فَاسْتَمْتَمَ تَمَامُهُ
تَنَاهَتْ وَصَاةُ الْمُسْلِمِينَ بِكَفِّهِ
أَقُولُ وَلَا يُلْفَى لِقَوْلِي عَائِبٌ
وَلَيْسَ هَوَايَ نَازِعاً عَنِ ثَنَائِهِ
مَعَ الْمُصْطَفَى أَرْجُو بِذَلِكَ جِوَارَهُ

عَلَى أَكْرَمِ الْخَيْرَاتِ رَبِّ تَمَجِّدُ
فَلَا الْعِلْمُ مَحْبُوسٌ وَلَا الرَّأْيُ يُفْنَدُ (١)
مِنَ النَّاسِ إِلَّا عَازِبُ الْعَقْلِ مُبْعَدُ (٢)
لَعَلِّي بِهِ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ أَخْلُدُ
وَفِي نَيْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَسْعَى وَأَجْهَدُ

وقال حسان بن ثابت أيضاً يكي رسول الله :

مَا بَالُ عَيْنِكَ لَا تَنَامُ كَأَنَّمَا
جَزَعاً عَلَى الْمَهْدِيِّ أَصْبَحَ ثَاوِياً
وَجْهِي بِقَيْكَ التُّرْبَ لَهْفِي لَيْتَنِي
بِأَبِي وَأُمِّي مَنْ شَهِدْتُ وَفَاتَهُ
فَظَلَلْتُ بَعْدَ وَفَاتِهِ مَتَبَلِّداً
أَقِيمُ بَعْدَكَ بِالْمَدِينَةِ بَيْنَهُمْ
أَوْ حَلَّ أَمْرُ اللَّهِ فِينَا عَاجِلاً
فَتَقُومَ سَاعَتُنَا فَتَلْقَى طَيْباً
يَا بَكَرَ أَمِنَةَ الْمُبَارِكِ بِكَرْهَا
نُوراً أَضَاءَ عَلَى الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا
يَا رَبِّ فَاجْمَعْنَا مَعاً وَنَبِينَا
فِي جَنَّةِ الْفَرْدَوْسِ فَارْتَبِهَا لَنَا
وَاللَّهُ أَسْمَعُ مَا بَقِيَتْ بِهَالِكِ
يَا وَيْحَ انصَارِ النَّبِيَّ وَرَهْطِهِ
ضَاقَتْ بِالْانصَارِ الْبِلَادُ فَاصْبَحُوا
وَلَقَدْ وَلَدْنَاهُ وَفِينَا قَبْرُهُ

كُحِلَّتْ مَا قِيَهَا بِكُحْلِ الْأَزْمِدِ (٣)
يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى لَا تَبْعِدِ (٤)
غَيْبْتُ قَبْلَكَ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ (٥)
فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ النَّبِيُّ الْمَهْدِي
مُتَلَدِّداً يَا لَيْتَنِي لَمْ أُولَدْ (٦)
يَا لَيْتَنِي صُبَّحْتُ سُمَّ الْأَسْوَدِ (٧)
فِي رَوْحَةٍ مِنْ يَوْمِنَا أَوْ مِنْ غَدِ
مَحْضاً ضَرَائِبُهُ كَرِيمِ الْمُحْتَدِ (٨)
وَلَدَتْهُ مُحْصَنَةٌ بِسَعْدِ الْأَسْعَدِ
مَنْ يَهْدُ لِلنُّورِ الْمُبَارِكِ يَهْتَدِي
فِي جَنَّةٍ تُثْنِي عُيُونَ الْحُسَّادِ
يَا ذَا الْجَلَالِ وَذَا الْعُلَا وَالسُّودِ
إِلَّا بِكَيْتُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدِ (٩)
بَعْدَ الْمُغَيْبِ فِي سِوَاءِ الْمَلْحَدِ (١٠)
سُوداً وَجُوهَهُمْ كَلَوْنَ الْإِثْمَدِ
وَفُضُولَ نِعْمَتِهِ بِنَسَا لَمْ نَجْحَدِ

(١) يفند: يعاب.

(٢) عازب العقل: بعد عنه عقله.

(٣) المآقي: جمع مآقي، وهو مجرى الدمع في العين.

(٤) لا تبعد: لا تهلك. أي ليق ذكرك خالداً.

(٥) بقيق الغرقد: مقبرة أهل المدينة.

(٦) المتبلد: المتحير.

(٧) صبحه: سقاه الصبوح، وهو شرب الصباح.

والأسود: ضرب من الحيات.

(٨) المحض: الخالص. الضريبة: الطبيعة. المحتد.

الأصل.

(٩) واللّه أسمع، أي أقسم باللّه لا أسمع: حذف حرف

النفي.

(١٠) سواء الملحد، أي وسط اللحد.

والله أكرمنا به وهدى به
صلى الإله ومن يحف بعرشه
أنصاره في كل ساعة مشهد
والطيون على المبارك أحمد

قال ابن إسحاق:

وقال حسان بن ثابت يبكي رسول الله ﷺ:

نَبُّ الْمَسَاكِينِ أَنْ الْخَيْرَ فَارَقَهُمْ
مَنْ ذَا الَّذِي عِنْدَهُ رَحْلِي وَرَاحِلَتِي
أَمْ مَنْ نُعَاتِبُ لَا نَخْشَى جَنَادِعَهُ
فَلَيْتَنَا يَوْمَ وَاوَاهُ بِمَلْحَدِهِ
لَمْ يَتْرُكِ اللَّهَ مِنَّا بَعْدَهُ أَحَدًا
ذَلَّتْ رِقَابُ بَنِي النَّجَارِ كُلَّهُمْ
مَعَ النَّبِيِّ تَوَلَّى عَنْهُمْ سَحْرًا (١)
وَرَزَقُ أَهْلِي إِذَا لَمْ يُوْنَسُوا الْمَطْرَا (٢)
إِذَا اللِّسَانُ عَتَا فِي الْقَوْلِ أَوْ عَثْرَا (٣)
وَعَيَّوَهُ وَالْقَوَا فَوْقَهُ الْمَدْرَا
وَلَمْ يَعِشْ بَعْدَهُ، أَنْثَى وَلَا ذَكَرَا
وَكَانَ أَمْرًا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ قَدْ قُدِرَا

وقال حسان بن ثابت يبكي رسول الله ﷺ أيضاً:

آلِيْتُ مَا فِي جَمِيعِ النَّاسِ مَجْتَهِدًا
تَاللَّهِ مَا حَمَلْتُ أَنْثَى وَلَا وَضَعْتُ
وَلَا بَرَا اللَّهَ خَلْقًا مِنْ بَرِيَّتِهِ
مَنْ الَّذِي كَانَ فِينَا يُسْتَضَاءُ بِهِ
أَمْسَى نِسَاؤُكَ عَطَلْنَ الثِّيُوتَ فَمَا
مِثْلَ الرَّوَاهِبِ يَلْبَسْنَ الْمِبَاذِلَ قَدْ
يَا أَفْضَلَ النَّاسِ إِنِّي كُنْتُ فِي نَهْرٍ
مِنِّي أَلِيَّةٌ بَرٌّ غَيْرَ إِفْنَادِ (٤)
مِثْلَ الرَّسُولِ نَبِيِّ الْأُمَّةِ الْهَادِي
أَوْفَى بِذِمَّةِ جَارٍ أَوْ بِمِيعَادِ (٥)
مُبَارَكَ الْأَمْرِ ذَا عَدَلٍ وَإِرْشَادِ
يَضْرِبْنَ فَوْقَ قَفَا سِتْرٍ بِأَوْتَادِ
أَيَقْنُ بِالْجَوْسِ بَعْدَ النُّعْمَةِ الْبَادِي (٦)
أَصْبَحْتُ مِنْهُ كَمِثْلِ الْمَفْرَدِ الصَّادِي (٧)

قال ابن هشام:

عجز البيت الأول عن غير ابن إسحاق.

وجد بآخر نسخة من الأصول مانصه:

وهذا آخر الكتاب، والحمد لله كثيراً، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله الطيبين

الطاهرين، وصحبه الأخيار الراشدين.

أنشدني أبو محمد بن عبد الواحد، عن محمد بن عبد الرحمن البرقي، قال: أوعب أبو

(٥) برا، أي برا وخلق.

(٦) المبازل: جمع مبدل، وهو الثوب الذي تبذل فيه.

(٧) الصادي: العطشان.

(١) نبيهم، أي نبيهم وأخبرهم.

(٢) لم يؤنسوا المطر: لم يحسوه.

(٣) الجنادع: أوائل الشر. عتا: طغا وزاد.

(٤) الآلية: اليمين والحلف. الإفتاد: الكذب.

محمد بن عبد الملك بن هشام في كتاب السيرة ويحضرته رجال من فصحاء العرب فقال :

تَمَّ الكتاب و صار في العَرَضِ عشرين جزءاً كلها ترضي
كملت بلا لحن ولا خَطَلٍ في الشَّكل والإعجام والقرض
والحمل حتى صَحَّ ناقله بعضُ من العلماء عن بعض

تم تهذيب سيرة ابن هشام في ليلة الخميس ، وهي الليلة الأولى من شهر رمضان سنة

١٣٧٤ هـ .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

١ - فهرس السير والمغازي

٣٦	قصة بحيرا	١٥	سرد النسب الزكي
٣٧	حرب الفجار	١٦	سياقة النسب من ولد إسماعيل
٣٨	تزويج خديجة	١٦	رؤيا ربيعة بن نصر
٣٩	حديث ورقة بن نوفل		استيلاء أبي كرب تبان أسعد
٣٩	بنيان الكعبة	١٨	على ملك اليمن وغزوة إلى يثرب
٤١	إخبار الكهان والأخبار والرهبان	٢٢	غلبة الحبشة على اليمن
٤٢	صفة رسول الله ﷺ	٢٢	نزاع أرباط وأبرهة
٤٢	صفته من الإنجيل	٢٣	قصة أصحاب الفيل
٤٣	البعث	٢٦	ذكر ولد نزار بن معد
٤٥	ابتداء تنزيل القرآن	٢٧	أولاد عبد المطلب بن هاشم
٤٥	إسلام خديجة	٢٧	والدا رسول الله ﷺ
٤٦	فترة الوحي	٢٧	حفر زمزم
٤٦	أول الناس إسلاما	٢٩	نذر عبد المطلب ذبح ولده
٤٨	الجهر بالدعوة		ذكر ما قيل لآمنة عند حملها
٥١	قول الوليد بن المغيرة في القرآن	٣١	بالرسول ﷺ
٥١	ذكر ما لقي رسول الله ﷺ من قومه	٣٢	ولادة رسول الله ﷺ
٥٣	إسلام حمزة	٣٢	حديث حليلة
٥٣	قول عتبة بن ربيعة في أمر رسول الله	٣٤	حديث شق الصدر
٥٥	مادار بين رسول الله وبين رؤساء قريش	٣٥	كفالة جده له
٥٧	صنيع أبي جهل	٣٥	كفالة عمه له

١٠٥	ذكر من اعتل من أصحاب رسول الله ﷺ	٥٧	خبر النضر بن الحارث
١٠٦	تاريخ الهجرة	٥٨	ذكر عدوان المشركين على المستضعفين
١٠٦	أول الغزوات	٦٠	الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة
١٠٦	سرية عبيدة بن الحارث		إرسال قريش إلى الحبشة في طلب المهاجرين إليها
١٠٦	سرية حمزة إلى سيف البحر	٦١	إسلام عمر بن الخطاب
١٠٧	غزوة بواط	٦٤	خبر الصحيفة
١٠٧	غزوة العشيرة	٦٦	ذكر ما لقي الرسول من قومه من الأذى
١٠٧	سرية سعد بن أبي وقاص	٦٧	عودة مهاجرة الحبشة
١٠٧	غزوة بدر الأولى	٧١	حديث نقض الصحيفة
١٠٨	سرية عبد الله بن جحش	٧١	أمر الإراشي الذي باع أبا جهل إبله
١٠٩	صرف القبلة إلى الكعبة	٧٣	حديث الإسراء
١٠٩	غزوة بدر الكبرى	٧٤	قصة المعراج
١٢٣	غزوة بني سليم بالكدر	٧٥	وفاة أبي طالب وخديجة
١٢٤	غزوة السويق	٧٨	سعي الرسول إلى ثقيف يطلب النصر
١٢٤	غزوة ذي أمر	٧٩	أمر جن نصيين
١٢٥	غزوة الفرع من بحران	٨١	عرض رسول الله ﷺ نفسه على القبائل
١٢٥	أمر بني قينقاع	٨١	بدء إسلام الأنصار
١٢٦	سرية زيد بن حارثة إلى القردة	٨٣	بيعة العقبة الأولى
١٢٦	غزوة أحد	٨٤	بيعة العقبة الثانية
١٤٠	يوم الرجيع، في سنة ثلاث	٨٤	شروط بيعة العقبة الأخيرة
١٤٤	حديث بئر معونة، في سنة أربع	٨٨	نزول الأمر بالقتال
١٤٥	إجلاء بني النضير، في سنة أربع	٨٩	الإذن بهجرة المسلمين إلى المدينة
١٤٧	غزوة ذات الرقاع في سنة أربع	٩٠	هجرة الرسول
١٥٠	غزوة بدر الآخرة، في سنة أربع	٩٠	قدوم قباء
١٥١	غزوة دومة الجندل، في سنة خمس	٩٧	قدوم المدينة
١٥١	غزوة الخندق، في سنة خمس	٩٨	الخطب والعهود بالمدينة
١٥٨	غزوة بني قريظة، في سنة خمس	١٠٠	المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار
١٦٥	غزوة بني لحيان	١٠٣	خبر الأذان
١٦٦	غزوة ذي قرد	١٠٤	

٢٤٧	قدوم فروة بن مسيك المرادي	١٦٨	غزوة بني المصطلق، في سنة ست
	قدوم عمرو بن معد يكرب في	١٧١	خبر الإفك
٢٤٨	أناس من زيد	١٧٦	أمر الحديدية
٢٤٩	قدوم الأشعث بن قيس في وفد كندة	١٧٩	بيعة الرضوان
٢٤٩	قدوم صرد بن عبدالله الأزدي	١٨٠	أمر الهدنة
٢٥٠	قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم	١٨٣	ذكر المسير إلى خيبر، سنة سبع
٢٥٢	وصية الرسول معاذاً حين بعثه إلى اليمن	١٨٧	قدوم جعفر والمهاجرين من الحبشة
٢٥٢	إسلام بني الحارث بن كعب	١٨٨	عمرة القضاء، سنة سبع
	ذكر الكذابين مسيلمة الحنفي	١٩٠	غزوة مؤتة، سنة ثمان
٢٥٥	والأسود العنسي	١٩٤	فتح مكة، سنة ثمان
٢٥٦	خروج الأمراء والعمال على الصدقات	٢٠٨	غزوة حنين، سنة ثمان
	كتاب مسيلمة إلى رسول الله	٢١٥	غزوة الطائف سنة ثمان
	والجواب عنه		أمر أموال هوازن وسبائها
٢٥٦	حجة الوداع	٢١٧	وعطايا المؤلفه قلوبهم منها
٢٥٨	بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين		عمرة رسول الله من الجعرانة،
٢٥٨	خروج رسل رسول الله إلى الملوك	٢٢٢	سنة ثمان
٢٦٠	آخر البعوث	٢٢٢	أمر كعب بن زهير
٢٦٠	ابتداء شكوى رسول الله	٢٢٧	غزوة تبوك، سنة تسع
٢٦١	ذكر أزواجه أمهات المؤمنين		بعث رسول الله ﷺ
٢٦٤	عدنا إلى ذكر شكوى الرسول	٢٣٢	خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة
٢٦٧	صلاة أبي بكر رضي الله عنه بالناس	٢٣٤	أمر وفد ثقيف وإسلامها
٢٧٠	أمر سقيفة بني ساعدة	٢٣٧	سنة الوفود ونزول سورة الفتح
٢٧٤	جهاز رسول الله ﷺ ودفنه	٢٣٧	قدوم وفد بني تميم
٢٧٨	مراثي حسان بن ثابت لرسول الله ﷺ		قصة عامر بن الطفيل وأريد بن
		٢٤١	قيس في الوفادة عن بني عامر
		٢٤٣	قدوم الجارود في وفد عبد القيس
			قدوم بني حنيفة ومعهم مسيلمة
		٢٤٤	الكذاب
		٢٤٥	أمر عدي بن حاتم

٢ . فهرس الأعلام

- أ
 آدم عليه السلام ٢٧ ، ٢٠٥ .
 أزر ١٥ .
 آكل المرار ٢٤٩ .
 أمّة بنت وهب ٢٧ ، ٣١ ، ٣٥ ، ٢٨٠ .
 أبان بن سعيد بن العاص ١٧٩ .
 إبراهيم عليه السلام ١٩ ، ٢٤ ، ٣٥ ،
 ٤٠ ، ٤٧ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ١٥١ ، ١٩٨ .
 ٢٠٥ .
 إبراهيم القاسم ، ابن الرسول ٣٩ ، ٢٦١ .
 إبراهيم بن محمد بن علي ٤٢ .
 أبرهة الأشرم ٢٢ ، ٢٣ .
 إبليس ٩١ ، ١١٢ .
 أبي بن خلف ، أبو عامر ٦٩ ، ١٣٢ .
 ابن أبي بن سلول = عبدالله .
 أبي بن كعب ١٠٤ .
 الأجدع بن مالك ٢٤٧ .
 أحمد رسول الله ٢٧٨ ، ٢٨١ .
 أبو أحمد بن جحش = عبد بن جحش .
- أحمر ، أو أحير ، من بني انصطلق ١٧٠ .
 أحمر بن الحارث بن مالك ٢٠٩ .
 الأحنس بن شريق الثقفي ٦١ .
 أحنوخ = إدريس .
 أدد بن مقوم ١٦ .
 إدريس عليه السلام ١٥ .
 أذبل بن إسماعيل ١٦ .
 أذر بن إسماعيل ١٦ .
 الإراشي ٧٣ .
 أربد بن قيس ٢٤١ ، ٢٤٢ .
 أرطاة بن عبد شر حبيل بن هاشم ١٢٩ .
 أرفخشد بن سام ١٥ .
 الأرقم بن أبي الأرقم ٤٨ .
 إرم بن ذي يزن ١٧ .
 أروى بنت عبد المطلب ٢٧ .
 أزب العقبة (شيطان) ٨٦ .
 ابن أزيب (شيطان) ٨٦ .
 أسامة بن زيد بن حارثة ١٢٨ ، ١٧٤ ،
 ٢٥٨ ، ٢٦٦ ، ٢٧٤ .
 أسد بن خزيمه ٢٦ .

أصيرم بني عبد الأشهل = عمرو بن ثابت .
 الأعمى = ابن أم مكتوم .
 الأقرع بن حابس التميمي ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٣٨ .
 ابن أبي الأفلح = عاصم بن ثابت .
 ابن الأكوع = سلمة بن عمرو ١٦٦ .
 أكيدر دومة ، ابن عبد الملك ٢٣٢ ، ٢٣٣ .
 ابن أكيمة الليثي ٢٣٣ .
 أمة بنت خالد بن سعيد بن العاص ١٨٨ .
 أميمة بنت عبد المطلب ٢٧ .
 أمين الله ، ﷺ ٢٠٨ .
 أمينة بنت خلف بن أسعد ٤٨ ، ١٨٨ .
 أبو أمية = صفوان بن أمية
 أمية بن خلف بن وهب ، أبو علي ٥٥ ، ٥٩ ،
 ٧٨ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٤١ .
 أبو أمية بن المغيرة ٤١ .
 أندرائس ٢٥٩ .
 أنس بن مالك ١٨٣ ، ١٨٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧٣ .
 أنسة ، مولى رسول الله ١١٢ .
 أنمار بن نزار ٢٦ .
 أنيس سائس ٢٤ .
 أوبار ١٦٧ .
 أوس بن ثابت بن المنذر ١٠٤ .
 أوس بن حجر ٩٦ .
 أوس بن خولي ٢٧٤ .
 أوس بن عوف ٢٣٤ .
 أوس بن قيظي ١٥٤ ، ١٦٣ .
 إياد بن معد ١٦ .
 إياد بن البكير ٤٨ .

أسد بن فهر ٢٦ .
 أسدة بن خزيمه ٢٦ .
 أسعد بن زراره ٨٤ .
 إسفنديار ٥٨ ، ٦٩ .
 أسلم ، غلام بني الحجاج ١١٤ .
 أسماء بنت أبي بكر ، ذات النطاق ٤٨ ، ٩٣ ،
 ٩٤ ، ٢٠٢ .
 أسماء بنت سلامة ٤٨ .
 أسماء بنت عميس الخثعمية ٤٨ ، ١٨٨ ،
 ٢٦٦ .
 أسماء بنت النعمان الكندية ٢٦٤ .
 إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام ١٥ ، ١٦ ،
 ٢٣٧ ، ٢٨ .
 إسماعيل (ملك ن من الملائكة) ٧٦ .
 الأسود بن رزن ١٩٤ .
 الأسود بن عبد الأسد المخزومي ١١٧ .
 الأسود والد قارب = الأسود بن مسعود .
 الأسود بن كعب العنسي ٢٥٥ .
 الأسود بن مسعود بن معتب ٢٣٦ ، ٢٣٧ .
 الأسود بن المطلب ٥٥ ، ٧٠ ، ١٢١ .
 الأسود بن مفضود ٢٤ .
 الأسود بن نوفل بن خويلد ١٨٨ .
 أسيد ٢٠٦ .
 أسيد بن حضير ١٣٧ ، ١٦٩ ، ١٧٣ ، ٢٧٠ .
 أسيد بن ظهير ١٢٨ ، ١٦٧ .
 أسيرة بن أبي خارجة ، أبو سليط ٩٨ .
 الأشعث بن قيس ٢٤٩ .
 أشعر بن نبت بن أدد ١٦ .
 ابن الأصداء الهذلي ٧٠ .

أم أيوب ٨١ .

أبو أيوب الأنصاري = خالد بن زيد .

أيوب بن بشير ٢٦٥ .

أيوب بن عبد الرحمن ١٦٣ .

ب

بادية بنت غيلان ٢١٦ .

بجاذ (رجل من بني سعد بن بكر) ٢١٤ .

بجير بن زهير بن أبي سلمى ٢١٧ .

بحيرا الراهب ٣٦ ، ٣٧ .

أبو البختري بن هشام ٥٥ ، ٧٢ ، ١١٤ ،

١١٩ .

بديل بن ورقاء الخزاعي ١٧٧ ، ١٧٨ ،

١٩٥ ، ٢٠٠ .

أبو براء = عامر بن الطفيل ، عامر بن مالك .

البراء بن عازب ١٢٨ .

البراء بن معرور ٨٦ ، ٨٧ .

البراق (الدابة) ٧٤ .

برزة بنت مسعود الثقفية ١٢٦ .

أبو برزة الأسلمي ٢٠٤ .

البرقليطس ، اسم الرسول بالرومية ٤٣ .

برة بنت العزى ٢٧ .

برة بنت عبد المطلب ، أم أبي سلمة ٢٧ ، ٧١ ،

بريرة مولاة عائشة ١٧٤ .

بسبس بن عمرو الجهني ١١٣ ، ١١٤ .

بشر بن البراء بن معرور ١٨٦ .

بشر بن سفيان الكعبي ١٧٧ .

بشير بن عبد المنذر ١٢٤ .

بطرس الحواري ٢٥٩ .

البكائي شيخ ابن هشام ١٦ .

بنت أبي بكر = عائشة .

أبو بكر الصديق ، ابن أبي قحافة ، عتيق ٤٧ ،

٥٣ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ٩٠ ،

٩٣ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ،

١١٢ ، ١١٣ ، ١١٨ ، ١٣٢ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ،

١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ،

١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٢ ، ٢١٦ ، ٢٣٦ ،

٢٥٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٥ ، ٢٦٨ ، ٢٧١ ،

٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

أبو بكر بن عبدالله بن أبي مليكة ٢٦٨ .

أبو بكر الهذلي ٢٥٨ .

البكير بن عبد يا ليل ٤٨ .

بلال مولى أبي بكر = بلال بن رباح .

بلال بن رباح مولى أبي بكر ٥٨ ، ١٠٤ ،

١٠٥ ، ١٤٨ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢٠٦ ، ٢٦٧ .

بولس ٢٥٩ .

بيحرة بن فراس ٨٢ ، ٢١١ .

البيضاء (بغلة الرسول) ٢١١ .

ت

تارح = آزر .

تبان أسعد ١٨ .

تبع = تبان أسد .

توماس ٢٥٩ .

تيرح بن يعرب ١٦ .

تيم بن غالب ٢٦ .

تيم بن مرة ٢٧ .

ث

- جھجاه بن مسعود الغفاري ١٦٨ .
 أبو جهل، أبو الحكم عمرو بن هشام، ابن
 الحنظلية ٥٣، ٥٥، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٦،
 ٦٨، ٧٠، ٧٣، ٧٨، ٩٢، ١٠٦،
 ١١٠، ١١٤، ١١٥، ١١٧، ١١٩،
 ١٥٠، ١٥١ .
 جهم عمرو بن الحارث ٢٦٣ .
 جهم بن قيس ١٨٨ .
 جوبرية بنت الحارث بن أبي ضرار ١٦٨،
 ١٧٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٤ .
 جيفر بن الجلندي

ج

- حاتم الطائي ٢٤٦ .
 بنت حاتم = سفانة .
 بنت الحارث (كيسه) ١٦٢ .
 الحارث بن الحارث بن كلدة ٢٢٠ .
 الحارث بن حرب بن أمية ٨٨ .
 الحارث بن خالد بن صخر ١٨٨ .
 الحارث بن ربيعي ، أبو قتادة ١٦٧، ٢١٣ .
 الحارث بن زمعة ١٢١ .
 الحارث بن أبي شمر ٢١٨، ٢٥٩ .
 الحارث بن الصمة ١٣٣، ١٤٤ .
 الحارث بن أبي ضرار ١٦٨، ٢٦٢ .
 الحارث بن عامر بن نوفل ١١٤ .
 الحارث بن عبد قيس ١٨٨ .
 الحارث بن عبد المطلب ٢٧ .
 الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري ١٥٢،
 ١٥٤ .

ح

- ثابت بن اقرم ١٩٢ .
 ثابت بن قيس بن الشماس ١٧٠، ٢٣٨،
 ٢٦٣ .
 الثعلب (بعير) ١٧٩ .
 ابن ثلحاء ٢٦٠ .
 ثمامة بن أثال ٢٥٩ .
 ثور بن يزيد ٣٤ .

- أبو جابر = عبد الله بن عمرو بن حرام .
 جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ١٣٧،
 ١٤٨، ١٦٦، ١٨٠، ٢١٢ .
 الجارود بن عمرو بن حنش ٢٤٣ .
 جارية بني مؤمل ٥٩ .
 جبار بن سلمى ٢٤٠ .
 جبريل عليه السلام ٤٣، ٤٤، ٤٦، ٥٣،
 ٧٤، ٧٧، ٩٢، ١٥٨، ٢٠٨ .
 جبلة بن الحنبل ٢١١ .
 جبير بن مطعم بن عدي ٨٨، ١٣٠، ١٣٤ .
 الجد بن قيس ١٨٠، ٢٢٧ .
 جعفر بن أبي طالب الطيار، ذو الجناحين
 ٤٧، ٤٨، ٦٠، ٦٢، ٦٣، ١٠٣، ١٨٨،
 ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣ .
 الجلاس بن طلحة ١٣١ .
 ابنا الجلندي ٢٥٩ .
 أم جميل بنت حرب بن أمية، حمالة الخطب ٦٨ .
 أبو جندل بن سهيل بن عمرو ١٨١ .

٢٣٩ ، ٢٧٨ .
 الحسن البصري ٧٤ ، ١٦٥ .
 حسين بن عبد الله ٢٧٤ .
 حصن ، والد عيينة ٢٢٠ .
 الحصين بن عبد الرحمن ١٣٤ .
 ابن الحضرمي = عمرو .
 خطاب بن الحارث ٤٨ .
 أبو حفص = عمر بن الخطاب .
 حفصة بنت عمر بن الخطاب ٢٦١ ، ٢٦٢ ،
 ٢٦٤ ، ٢٦٥ .
 الحكم بن أبي العاص ٧٠ .
 الحكم بن عمرو بن وهب ٢٣٤ .
 الحكم بن كيسان ١٠٩ .
 أبو الحكم بن هشام = أبو جهل .
 أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب ٢٧ .
 أم حكيم بنت الحارث بن هشام ١٢٦ ، ٢٠٤ ،
 حكيم بن حزام بن خويلد ٤٧ ، ١١٤ ،
 ١١٦ ، ١١٧ ، ١٩٨ ، ٢٢٠ .
 أبو حكيم = زمعة بن الأسود ١٢١ .
 الحليس بن زيان ١٣٤ ، ١٧٨ .
 حليلة بنت أبي ذؤيب ٣٢ ، ٣٣ .
 حمالة الخطب = أم جميل .
 حمارة ، أم بلال ٥٨ .
 حمزة بن عبد الله بن عمر ٢٦٧ .
 حمزة بن عبد المطلب ، هاشم ، أسد الله ، أبو
 عمارة ٢٧ ، ٣٩ ، ٥٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٨ ،
 ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١١١ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٩ ،
 ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٧ .
 حمزة بنت جحش ١٣٧ ، ١٧٥ .

الحارث بن فهر ٢٧ .
 الحارث بن كلدة ٢١٧ ، ٢٢٠ .
 الحارث بن مالك ٢١٠ .
 الحارث بن هشام بن المغيرة ١٢٦ ، ٢٠٦ .
 حاطب بن أبي بلتعة ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٥٩ .
 حاطب بن الحارث ٤٨ .
 حاطب بن عمرو ٤٨ .
 أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ١٨٨ ،
 ٢٦١ .
 الحباب بن المنذر ١١٥ .
 الحجاب بن يزيد ٢٣٨ .
 حبيب بن إساف ٩٧ .
 حبيب بن عمرو بن عمير ٨٩ .
 حبيب بن عيينة بن حصن ١٦٧ .
 أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان ١٩٦ ، ٢٦٢ ،
 ٢٦٤ .
 حجل بن عبد المطلب ٢٧ .
 حجير بن أبي إهاب ١٤١ .
 ابن أبي حدرد = عبد الله .
 أبو حذيفة بن عتبة ٤٨ ، ٦٠ ، ١٠٤ ، ١٢٠ .
 حذيفة بن اليمان ، أبو عبد الله ١٠٤ ،
 ١٥٧ .
 حرام بن ملحان ١٤٤ .
 ابن حرب = أبو سفيان
 حرب بن أمية .
 حسان بن تيان أسعد ١٨ ، ٢٠ .
 حسان أخو أكيدر دومة ٢٣٢ .
 حسان بن ثابت الأنصاري ٣٢ ، ١٤٣ ،
 ١٥٥ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٩٣ ، ٢٠٧ .

- ابن الخطاب = عمر .
- ابن خطل = عبدالله .
- خلاد بن سويد ١٦٥ .
- خنيس بن حذاقة السهمي ٤٨ ، ٢٦٢ .
- خوات بن جبير ١٥٣ .
- خويلد بن أسد ٣٨ ، ٢٦١ .
- خويلة بنت حكيم السلمية ٢١٦ .
- أبو خيثمة ٢٢٨ .

د

- داعس الخزرجي ١٤٦
- داود عليه السلام ٢١٧ .
- بو دجانة = سماك بن خرشة .
- دحية بن خليفة الكلبي ١٨٤ ، ٢٥٩ .
- أبو الدرداء ١٠٤ .
- دريد بن الصمة ٢٠٩ .
- دما بن إسماعيل ١٦ .
- دوس ذو ثعلبان ٢٢ .

ذ

- ذات النطاق، أسماء بنت أبي بكر ٩٥ .
- أبو ذر الغفاري ١٠٤ ، ١٤٧ ، ٢٣١ .
- ذو الجناحين = جعفر بن أبي طالب .
- ذو الخمار = سبيع بن الحارث، عوف بن الربيع .
- ذورعين الحميري ٢١ .
- ذو الغصة = قيس بن الخصين .
- ذو نفر ٢٣ ، ٢٤ .
- ذو نواس = زرعة .
- ذو وزن ١٨ .

- حناطة الحميري ٢٤ .
- أبو حنظلة = أبو سفيان ١٩٨ ، ٢٠٠ .
- حنظلة بن أبي عامر، الغسيل ١٣١ .
- ابن الحنظلية = أبو جهل ١١٧ .
- الحويرث بن نقيذ ٢٠٣ .
- حويطب بن عبد العزى ١٨٩ ، ٢٢٠ .
- الحيسمان بن عبد الله ١٢٠ .
- حي بن أخطب النضري ١٢٤ ، ١٤٦ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٩ ، ١٦٢ .

في

- بنت خارجة ٢٦٨ .
- خارجة بن زهير ١٠٣ .
- خارجة بن زيد ٩٨ .
- خالد بن البكير ٤٨ ، ١٤٠ .
- خالد بن زيد ، أبو أيوب الأنصاري ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٨٦ .
- خالد بن سعيد بن العاص ٤٨ ، ١٨٨ ، ٢٣٧ ، ٢٤٨ ، ٢٦٢ .
- خالد بن معدان الكلاعي ٣٤ .
- خالد بن الوليد ١٢٨ ، ١٧٦ ، ١٩٢ ، ٢١٤ ، ٢٣٢ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ .
- خباب بن الأرت ٤٨ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٨ .
- خبيب بن عدي ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٥٤ ، ١٦٦ .
- خديجة بنت خويلد، أم المؤمنين ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٧٨ ، ١٢٢ ، ٢٦١ .
- خراش بن أمية الخزاعي ١٧٩ .
- خزيمة بن مدركة ٢٦ .
- الخضراء (اسم كتيبة الرسول) ٢٠١ .

ابن رواحة = عبد الله .
الروح، وروح القدس = جبريل ٢٠٧ .
أبورويحة ١٠٤ .
ريحانة بنت عمرو بن خنافة ١٦٣ .
ريطة بنت منبه بن الحجاج ١٢٧ .
ز
الزبيرقان بن بدر التميمي ٢٣٨ ، ٢٣٩ ،
٢٥٦ .
ابن الزبيري = عبد الله .
الزبير بن عبد المطلب ٢٧ .
الزبير بن العوام ٤٨ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ١٠٤ ،
١١٤ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٧٩ .
١٩٧ ، ٢٧٠ .
زرعة ذونواس ٢١ .
زرعة ذوزن ٢٥١ .
زمنة بن الأسود بن المطلب، أبو حكيمة
٥٥ ، ٧٢ ، ١١٤ ، ١٢١ .
زنية ٥٩ .
زهير بن أبي أمية بن المغيرة ٧٢ .
زهرة بن كلاب ٢٧ .
الزهري = محمد بن مسلم .
زهير بن أبي سلمى ٩١ .
زهير أبو صرد ٢١٧ .
زياد بن السكن ١٣٢ .
زياد بن لبيد ٩٨ ، ٢٥٦ .
زيد بن أرقم ١٦٨ ، ١٦٩ .
أبوزيد الأنصاري ٢٧٤ .
زيد بن ثابت ١٢٨ .

ابنة أبي ذؤيب = حليلة .
ذؤيب بن الأسود بن رزن ١٩٤ .
ح
راعون بن فالخ ١٥ .
رافع، أحد الموالى ١٩٥ .
أبورافع مولى رسول الله ١٨٩ .
رافع بن خديج ١٢٨ .
رافع بن مالك .
الربيع بن أبي الحقيق ١٤٦ .
ابنا ربيعة = شبية وعتبة .
ربيعة بن الحارث ٢٤٩ .
ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ٢٥٧ .
ربيعة بن عباد ٨١ .
ربيعة بن نزار ٢٦ .
ربيعة بن نصر ١٦ ، ١٨ .
الرحمن، لقب مسيلمة ٥٦ .
ابن الرداء (جمل) ٩٦ .
رستم الشيد ٥٨ ، ٦٣ .
أبورغال ٢٤ .
رفاعة بن زيد بن التابوت ١٦٩ .
رفاعة بن سموأل القرظي ١٦٣ .
رفيدة الأسلمية ١٦١ .
رقية بنت رسول الله ٣٩ ، ٦٠ .
رقية بنت أبي سلمة ٢٦٢ .
رملة بنت أبي سفيان = أم حبيبة .
رملة بنت أبي عوف ٤٨ .
الرميصاء = أم سليم بنت ملحان .
أبورهم العفاري = كلثوم بن الحصين .

زيد بن حارثة ٤٧ ، ٧٧ ، ١٠٣ ، ١١٢ ، .
 ١٢٠ ، ١٢٦ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ٢٦٢ ، ١٤١ .
 زيد بن الدثنة ١٤٠ - ١٤١ .
 زيد بن سهل ، أبو طلحة ١٨٣ ، ٢١٢ ،
 ٢٧٥ .
 زيد بن كلاب = قصي بن كلاب .
 زيد بن اللصيت القينقاعي ٢٣٠ .
 زينب بنت رسول الله ٣٩ ، ١٢٠ .
 زينب بنت جحش ١٧٣ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ،
 ٢٦٤ ، ٢٦٣ .
 زينب بنت الحارث ١٨٦ .
 زينب بنت خزيمة ، أم المساكين ٢٦٣ ، ٢٦٤ ،
 زينب بنت أبي سلمة ٢٦٢ .
 زينب بنت أبي هالة ٢٦١ .
 سطيح ١٧ .
 سعاد ٢٢٤ ، ٢٢٦ .
 سعد بن خيثمة ٩٧ .
 سعد بن الربيع ٩٨ ، ١٠٤ ، ١٣٥ .
 سعد بن زيد الأنصاري ١٦٣ ، ١٦٧ .
 أبو سعد بن أبي طلحة ١٣٠ .
 سعد بن عبادة بن دليم ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٨ ،
 ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٧٣ ، ٢٢١ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ .
 سعد بن معاذ بن النعمان ، أبو عمرو ١٠٤ ،
 ١١٤ ، ١١٦ ، ١٣٧ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ،
 ١٦١ ، ١٦٥ ، ٢٣٢ .
 سعد بن أبي وقاص ٤٨ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ،
 ١١٤ ، ١٣٢ ، ١٨٢ .
 سعيد بن جبير ٦٠ .
 سعيد بن حريث المخزومي ٢٠٤ .
 سعيد بن خالد بن سعيد بن العاص ١٨٨ .
 أبو سعيد الخدري ٧٥ ، ١٣٢ ، ٢٢١ ،
 ٢٥٥ .
 أبو أبي سعيد الخدري = مالك بن سنان ١٣٢
 سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ٤٨ ، ٦٥ ،
 ١٠٤ ، ٢٥٢ ، ٢٧١ .
 سعيد بن عبيد ٢١٦ .
 سعيد بن المسيب ٧٥ .
 سعيد بن المعلى ٢٦٥ .
 سعيد بن يربوع بن عنكثة ٢٢٠ .
 سفانة بنت حاتم ٢٤٥ ، ٢٤٦ .
 أبو سفيان بن الحارث ١٩٨ ، ٢١٢ .
 أبو سفيان بن حرب ، أبو حنظلة ٥٥ ، ٧٨ ،

س
 سابور بن خرزاد ١٨ .
 سارة مولاة بني عبد المطلب ٢٠٤ .
 ساروغ بن راعو ١٥ .
 سالم بن عمير ٢٢٨ .
 سام بن نوح ١٥ .
 سامة بن لؤي ٢٦ .
 السائب بن عثمان بن مظعون ٤٨ .
 سباع بن عبد العزى الغبشاني ، أبو نيار
 ١٣٠ .
 أبو سبرة بن أبي رهم ٦٠ .
 سبيع بن الحارث ، ذو الخمار ٢٠٨ ، ٢١٣ .
 سراقه بن مالك ، بن جعشم ٩٥ ، ٩٦ ،
 ١١٢ .

أبو سليط = أسيرة بن خارجة .
 سليط بن عمرو ٤٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ .
 سليط بن قيس ٩٨ .
 أم سليم بنت ملحان ، الرميضاء ١٨٦ ،
 ٢١٢ .
 سماك بن خرشة ، أبو دجاجة ١٢٩ ، ١٣٢ ،
 ١٣٧ ، ١٤٧ .
 سمرة بن جندب ١٢٨ .
 أبو سنان الأسدي
 أبو سنان بن محسن بن حرثان ١٦٥ .
 سنان بن وبر الجهني ١٦٨ .
 سهل بن حنيف ١٣٧ ، ١٤٦ .
 سهل بن عمرو ٩٩ .
 سهلة بنت سهيل ٦٠ .
 السهمي ٢٢٠ .
 سهيل بن بيضاء ٦٠ .
 سهيل بن عمرو ٩٩ ، ١١٤ ، ١٢١ ، ١٨٠ ،
 ١٨١ ، ٢٢٠ ، ٢٧٧ .
 سودة بنت زمعة بن قيس ٢٦١ ، ٢٦٤ .
 سويد الخزرجي ١٤٦ .
 سويد بن صامت ٨٣ .
 سيمن ٢٥٩ .

ش

شالح بن أرفخشذ ١٥ .
 شجاع بن وهب الأسدي ٢٥٩ .
 شداد بن الأسود ، ابن شعوب ١٣١ .
 شداد بن عبد الله القناني ٢٥٣ .
 شرحبيل بن غيلان بن سلمة ٢٣٤ .

١٠٩ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٤ ،
 ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٨ ،
 ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ،
 ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٧٩ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ،
 ١٩٨ ، ٢٠٢ ، ٢٠٦ ، ٢٢٠ ، ٢٣٦ ،
 ٢٦٢ .
 السكران بن عمرو ٢٦٢ .
 سلافة بنت سعد بن شهيد ١٣١ ، ١٤٠ .
 سلام بن أبي الحقيق النضري ١٤٦ ، ١٥١ .
 سلام بن مشكم ١٢٤ ، ١٨٦ .
 سلمان الفارسي ١٠٤ .
 أبو سلمة = عامر بن ربيعة .
 أبو سلمة = عبد الله بن عبد الأسد .
 أم أبي سلمة = برة .
 سلمة بن الأكوع = سلمة بن عمرو
 أم سلمة هند بنت أبي أمية ، زوج الرسول
 ٦١ ، ١٩٨ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ .
 سلمة بن سلامة بن وقش ١٠٤ ، ١١٢ ،
 ١٢٠ .
 سلمة بن أبي سلمة ٢٦٢ .
 أبو سلمة بن عبد الأسد ٤٨ ، ٦٠ ، ٧١ ،
 ٢٦٢ .
 أبو سلمة بن عبد الرحمن ١٠٠ .
 سلمة بن عمرو بن الأكوع السلمي ١٦٦ ،
 ١٨٥ .
 سلمة بن نعيم بن مسعود ٢٥٦ .
 سلمى بن الأسود بن رزن ١٩٤ .
 سلمى بنت عمرو ، أم عبد المطلب ٩٨ .
 سلمى بنت قيس ١٦٣ .

ض

- ضرار بن الخطاب الشاعر .
ضرار بن عبد المطلب ٢٧ .
ضمضم بن عمرو الغفاري ١١٠ ، ١١١ .

ط

- طابخة بن الياس ٢٦ .
أبو طالب بن عبد المطلب ٢٧ ، ٣٥ ، ٣٧ ،
٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٦٠ ، ٦٧ ، ٧١ ، ٧٢ ،
٧٨ ، ٧٩ .
الطاهر والطيب ، ولد رسول الله ٣٩ .
طعيمة بن عدي بن نوفل ١١٤ .
أبو طلحة = زيد بن سهل .
طلحة بن عبيد الله ٤٨ ، ١٠٤ ، ١٣٢ ،
١٣٣ ، ١٦٦ ، ٢٧٠ .
طيا بن إسماعيل ١٦ .
عاتكة بنت عبد المطلب ٢٧ ، ٧١ ، ١١٠ ،
١١١ .
أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى ١٢١ .
العاص بن وائل السهمي ٧٠ .
عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري
١٢٠ ، ١٣١ ، ١٤٠ ، ١٤١ .
عاصم بن عمر بن قتادة ٢٢٣ ، ٢٢٥ ،
٢٢٧ .
العاصي بن هشام بن المغيرة ١١١ .
العاصي بن وائل ٥٥ ، ٦٨ .
عائل بن البكير ٤٨ .
أبو عامر = أبي بن خلف .

أم شريك = غزية .

الشعبي ١٨٧ .

شعناء .

ابن شعوب = شداد بن الأسود .

شق ١٦ ، ١٨ .

شقران ، مولى الرسول ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

ابن شهاب الزهري = محمد بن مسلم .

شبية بن ربيعة ٥٥ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ١١٤ ،

١١٨ ، ١١٩ .

شبية بن عثمان ٢١١ .

شيث بن آدم ١٥ .

الشيخ النجدي ٩١ .

الشيء بنت الحارث بن عبد العزى ٢١٤ .

ص

الصديق أبو بكر ٧٥ .

أبو صرد = زهير .

صرد بن عبد الله الأزدي ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

صفوان ابن أمية ١٢٦ ، ١٤١ ، ٢١٠ ،

٢٢٠ .

صفوان بن المعطل السلمي ١٧٢ .

صفية بنت حيي بن أخطب ١٨٤ ، ١٨٦ ،

٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

صفية بنت شبية ٢٠٤ .

صفية بنت عبد المطلب ٢٧ ، ١٣٦ .

صهيب بن سنان الرومي ٤٨ .

صيفي بن أبي رفاعة ١٢٣ .

عبد الرحمن بن عبد الله ٢٦٥ .
 عبد الرحمن بن عوف ٤٨ ، ١٠٤ ، ١١٢ ،
 ١٧٠ ، ١٨٢ ، ٢٧١ .
 عبد الرحمن بن عويمر بن ساعدة ٩٧ .
 عبد الرحمن بن كعب ، أبو ليلى ٢٢٨ .
 عبد شمس بن عبد مناف ٢٧ .
 عبد العزى = أبو لهب .
 عبد العزى بن قصي ٢٧ .
 عبد قصي بن قصي ٢٧ .
 عبد الله ، محمد ﷺ ٧٤
 عبد الله بن أبي بن سلول ١٢٥ ، ١٢٧ ،
 ١٣٩ ، ١٤٦ ، ١٦١ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ،
 ١٧٣ .
 عبد الله بن أرقط ٩٤ ، ٩٧ .
 عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ٥٥ ، ١٩٨ .
 عبد الله بن أبي بكر ٩٤ ، ١٢٢ ، ١٤٦ ،
 ١٧٩ ، ٢٠٢ ، ٢١٢ ، ٢٢٧ ، ٢٥٢ ، ٢٧٤ .
 عبد الله بن الثامر ٢١ .
 عبد الله بن ثعلبة ١٣٦ .
 عبد الله بن جبير ١٢٨ .
 عبد الله بن جحش ٤٨ ، ٩٠ ، ١٠٨ ،
 ١٣٧ .
 عبد الله بن جدعان ٥٣ .
 عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ١٨٨ .
 عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ١٨٨ .
 عبد الله بن عم جويرية ٢٦٣ .
 عبد الله بن الحارث بن نوفل ٢٧٦ .
 عبد الله بن أبي حدرد ٢١٠ .
 عبد الله بن حذافة السهمي ٢٥٩ .

أبو عامر الأشعري ٢١٣ .
 عامر بن البكير ٤٨ .
 عامر بن الحضرمي ١١٧ .
 عامر بن ربيعة أبو سلمة ٤٨ ، ٦٠ ، ٩٠ .
 عامر بن الطفيل ، أبو براء ١٤٥ ، ٢٤١ ،
 ٢٤٢ .
 عامر بن فهيرة ٤٨ ، ٥٩ ، ٩٤ ، ١٠٥ ،
 ١٤٤ ، ١٤٥ .
 عامر بن لؤي ٢٦ ، ١٨٨ .
 عامر بن مالك بن جعفر ، أبو براء ملاعب
 الأسنة ١٤٤ .
 عامر بن أبي وقاص ١٨٨ .
 عائشة أم المؤمنين ٤٣ ، ٤٨ ، ٩٣ ،
 ١٦٢ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ،
 ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ،
 ٢٦٨ ، ٢٧٠ .
 عباد بن بشر بن وقش ١٠٤ ، ١٦٧ .
 عباد بن عبد الله الزبير ٢٦٩ .
 عبادة بن الصامت ٨٤ ، ٨٩ ، ١٢٥ ، ١٦٨ .
 ابن عباس = عبد الله .
 عباس بن عبادة بن نضلة ٨٧ ، ٩٨ .
 العباس بن عبد المطلب ، أبو الفضل ٢٧ ،
 ٤٧ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ١١٠ ، ١١١ ،
 ١١٩ ، ١٨٩ ، ١٩٣ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ،
 ٢١١ ، ٢٤٩ ، ٢٥٧ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ .
 عباس بن مرادس ٢١٨ ، ٢٢٠ .
 عباية بن مالك ١٩١ .
 عبد بن جحش ، أبو أحمد ٤٨ ، ٩٠ ، ٢٦٢ .
 عبد الدار بن قصي ٢٧ .

عبد الله بن مسعود ٤٨ ، ٦٤ ، ٧٤ ، ٢٣١ .
 عبد الله بن مظعون ٤٨ .
 عبد الله بن المغفل ٢٢٨ .
 أم عبد المطلب = سلمى بنت عمرو .
 عبد المطلب بن هاشم ، وهوشية ١٥ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٥ .
 عبد الملك بن عبد الله الثقفي ٧٣ .
 عبد الملك عبيد الله ٤٣ .
 عبد مناف بن قضي ١٥ ، ٢٧ .
 عبد مناة بن كنانة ٢٦ .
 عبد ياليل بن عمرو بن عمير ٧٩ ، ٢٣٤ .
 العبيد (فرس) ٢١٦ .
 عبيد بن زيد ، أبو عياش ١٦٧ .
 عبيد بن عمير ٤٤ .
 عبيد الله بن جحش ٢٦٢ .
 عبيد الله عبد الله بن عتبة ٢٧٦ .
 أبو عبيدة بن الجراح ٤٨ ، ١٠٤ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ .
 عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ٤٨ ، ١٠٦ ، ١١٨ ، ٢٦٣ .
 أبو عبيدة (معمربن المثني) ٢٧٧ .
 أم عبيس ٥٩ .
 عتاب بن أسيد بن العيص ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢٢٢ ، ٢٧٧ .
 عتيان بن أسيد بن أبي العيص ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢٢٢ ، ٢٧٦ .
 عتيان بن مالك ٩٨ ، ١٠٤ .
 عتبة بن ربيعة ، أبو الوليد ٥٣ ، ٥٤ ،

أبو عبد الله = حذيفة بن اليمان .
 عبد الله بن خطل ٢٠٤ .
 عبد الله بن أبي ربيعة ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ١٢٦ .
 عبد الله بن رواحة ٩٨ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٥٣ ، ١٩١ .
 عبد الله بن الزبير ٢٢٣ .
 عبد الله بن زمعة بن الأسود ٢٦٧ .
 عبد الله بن زيد بن ثعلبة ١٠٤ ، ٢٥١ .
 عبد الله بن سعد ٢٠٣ .
 عبد الله بن سهيل بن عمرو ١٨١ .
 عبد الله بن شهاب الزهري ١٣٢ .
 عبد الله بن طارق ١٤١ ، ١٤٦ .
 عبد الله بن أبي طلحة ١٣٤ ، ٢١٢ .
 عبد الله بن عباس ٦٠ ، ٩١ ، ١١٩ ، ١٣٦ ، ١٤٢ ، ١٨٩ ، ٢٠٦ ، ٢٦٥ ، ٢٦٨ ، ٢٧١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ .
 عبد الله بن عبد الأسد ٩٠ .
 عبد الله بن عبد الله بن أبي ١٦٩ .
 عبد الله بن عبد المطلب ٢٧ ، ٣٠ ، ٣١ .
 عبد الله بن عتيق بن عابد ٢٦١ .
 عبد الله بن عمر بن الخطاب ١٢٨ .
 عبد الله بن عمرو بن حرام ، أبو جابر ٨٦ ، ١٢٧ .
 عبد الله بن عمرو بن العاص ٥٢ .
 عبد الله بن عمرو المزني ٢٢٨ .
 عبد الله بن فراد الزياتي ٢٥٣ .
 عبد الله بن كعب بن عمرو ٨٣ ، ١٢٠ .
 عبد الله بن كعب بن مالك ٢٦٦ .

عريض، أبو يسار ١١٥ .
أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي ١٢٣ ،
١٣٤ .
عطارد بن حاجب بن زرارة ٢٣٧ .
عطية القرظي ١٦٢ .
العقاب (راية) ١١٢ .
عقبة بن الحارث بن عامر ١٤١ .
عقبة بن أبي معيط ٧٠ ، ١١١ ، ١٢٠ .
عقبة بن ثمر ٢٥١ .
عقيل بن الأسود ١٢٠ .
عقيل بن أبي طالب ٤٧ ، ١٩٣ .
عك بن عدنان ١٦ .
عكرمة بن أبي جهل ١٢٦ ، ١٢٨ ،
١٥٥ ، ٢٠٣ .
العلاء بن جارية الثقفي ٢٢٠ .
العلاء بن الحضرمي ٢٥٦ .
علبة بن زيد ٢٢٨ .
أبو علي = أمية بن خلف .
علي بن زيد بن جدعان ٢٢٦ .
علي بن أبي طالب، أبو الحسن، أبو القاسم
٤٢ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٧ ، ٤٧ ، ٤٧ ، ٤٧ ، ٤٧ ،
٩٨ ، ٩٨ ، ٩٨ ، ٩٨ ، ٩٨ ، ٩٨ ، ٩٨ ، ٩٨ ،
١٣٠ ، ١٣٠ ، ١٣٠ ، ١٣٠ ، ١٣٠ ، ١٣٠ ، ١٣٠ ، ١٣٠ ،
١٥٩ ، ١٥٩ ، ١٥٩ ، ١٥٩ ، ١٥٩ ، ١٥٩ ، ١٥٩ ، ١٥٩ ،
١٨٥ ، ١٨٥ ، ١٨٥ ، ١٨٥ ، ١٨٥ ، ١٨٥ ، ١٨٥ ، ١٨٥ ،
٢١٢ ، ٢١٢ ، ٢١٢ ، ٢١٢ ، ٢١٢ ، ٢١٢ ، ٢١٢ ، ٢١٢ ،
٢٦٨ ، ٢٦٨ ، ٢٦٨ ، ٢٦٨ ، ٢٦٨ ، ٢٦٨ ، ٢٦٨ ، ٢٦٨ .
أبو عمار الوائلي ١٥١ .
عمار بن ياسر ٤٨ ، ٥٩ ، ١٠٤ .

٥٥ ، ٨٠ ، ٨٨ ، ١١٠ ، ١١٨ ،
١١٩ ، ١٣١ ، ١٥١ .
عتبة بن غزوان ١٠٨ ، ١٠٩ .
عتبة بن مسعود ١٨٨ .
عتبة بن أبي وقاص ١٣١ ، ١٣٢ .
عتودة غلام أبرهة ٢٢ .
عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم
٢٦١ .
عثمان بين أبي العاص ٢٣٥ ، ٢٦٧ .
عثمان بن ربيعة بن أهبان ١٨٨ .
عثمان بن طلحة ٢٠٥ .
عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث
٢١٣ .
عثمان بن عبد الله بن المغيرة ١٠٨ ، ١٠٩ .
عثمان بن عفان ٤٨ ، ٦٠ ، ١٠٤ ، ١٧٩ ،
٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٢٧٦ .
عثمان بن مظعون الجمحي ٤٨ ، ٦٠ ، ٧١ .
عداس النصراني ٨١ .
عدنان بن أدد ١٦ .
عدي بن حاتم ٢٤٥ ، ٢٤٧ .
عدي بن حمراء الثقفي ٧٠ .
عدي بن أبي الزغباء الجهني ١١٣ ، ١١٤ .
عدي بن كعب ٢٦ ، ١٨٨ .
عرباض بن سارية الفزاري ٢٢٨ .
عروة بن أساء ١٤٤ .
عروة بن الزبير ٨٩ ، ٢٦٥ ، ٢٧٣ .
عروة بن مسعود الثقفي ٧٥ ، ١٧٨ ،
٢١٥ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ .
عروة بن الورد العبسي ١٤٦ .

عمرو بن الحضرمي ١٠٨ ، ١١٧ .
 عمرو بن حمام بن الجموح ٢٢٨ .
 عمرو بن خويلد ٢٦١ .
 عمرو بن سالم الخزاعي ١٩٥ .
 عمرو بن سعيد بن العاص ١٨٨ .
 عمرو بن طلة ١٨ .
 عمرو بن العاص بن وائل ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤ ،
 ١١٠ ، ٢٥٩ .
 عمرو بن عبد الله الضبابي ٢٥٣ .
 عمرو بن عبدود ١١٤ ، ١٥٥ ، ١٦٥ .
 أم عمرو صاحبة عروة بن الورد ١٤٦ .
 عمرو بن عمير الثقفي ، أبو مسعود ٦٩ .
 عمرو بن معد يكرب ٢٤٨ ، ٢٤٩ .
 عمرو بن أم مكتوم ١١٢ ، ١٢٠ .
 أبو عمير = فروة بن مسيك .
 عمير بن الحمام ١١٢ ، ١١٨ .
 عمير بن أبي وقاص ٤٨ .
 عمير بن وهب الجمحي ١١٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢٩ .
 العنسي = الأسود بن كعب .
 العود (فرس) ١٣٣ .
 عوف بن الحارث ١١٨ .
 عوف بن الربيع ، ذو الخمار .
 عوف بن لؤي ٢٦ .
 عويم بن ساعدة ١٠٤ ، ٢٧٣ .
 عياذ بن الجلندي ٢٥٩ .
 عياش بن أبي ربيعة المخزومي ٤٨ ، ٩٠ .
 أبو عياش = عبيد بن زيد ١٦٧ .
 عيبر بن شالخ ١٥ .
 عيسى بن مريم عليه السلام ٢١ ، ٣٥ ، ٤٢ ،

عمارة بن حزم ٢٣٠ .
 أبو عمارة = حمزة بن عبد المطلب .
 عمار بن المغيرة ٥٠ .
 عمارة بن الوليد ٥٠ .
 عمارة بن يزيد بن السكن ١٣٢ .
 عمر بن الخطاب ، أبو حفص ٤٨ ، ٥٩ ،
 ٦٤ ، ٦٦ ، ٧٨ ، ٩٠ ، ١٠٤ ، ١١٢ ،
 ١١٩ ، ١٢١ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٤٢ ،
 ١٤٦ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ،
 ١٨٢ ، ١٨٨ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ،
 ٢٠٤ ، ٢١٦ ، ٢٦٢ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ،
 ٢٧٢ ، ٢٧٦ .
 عمر بن أبي سلمة ٢٦٢ .
 عمر بن عمير الثقفي ، أبو مسعود ٦٩ .
 عمر بن مولى غفرة ٤٢ .
 عمرة بنت علقمة الحارثية ١٣١ .
 عمرة بنت يزيد الكلابية ٢٦٤ .
 عمرو = أبو جهل .
 أبو عمرو = سعد بن معاذ .
 عمرو بن أمية الضمري ١٤٤ ، ١٤٥ ،
 ١٨٨ ، ٢٥٩ .
 عمرو بن أمية بن وهب الثقفي ٢١٥ .
 عمرو بن الأهم ٢٣٨ ، ٢٤٠ .
 عمرو بن تبان أسعد ٢٠ .
 عمرو بن ثابت بن وقش ، أصرم بني عبد
 الأشهل ١٣٤ .
 عمرو بن جحاش بن كعب ١٤٦ .
 عمرو بن الجموح ١٣٤ .
 عمرو بن حزم ١٢٨ ، ٢٥٤ .

٦٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٧٢ .

عيلان بن مضر ٢٦ .

عينة بن حصن بن بدر الفزاري ١٥٢ ،

١٥٤ ، ١٦٧ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٣٧ .

غ

غالب بن فهر ١٧ ، ٢٦ .

الغرور بن المنذر بن النعمان بن المنذر ٢٤٣ .

غزية بنت جابر ، أم شريك ٢٦٣ .

الغفارية ١٦٧ .

غيلان بن سلمة ٢١٦ .

ف

الفارعة بنت عقيل ٢١٦ .

فاطمة بنت رسول الله ١٩٦ ، ٢٠٤ .

فاطمة بنت الخطاب ٤٨ ، ٦٤ ، ٦٥ .

فاطمة بنت المجلل ٤٨ .

فاطمة بنت الوليد بن المغيرة ١٢٦ .

فالخ بن عمير ١٥ .

فرات بن حيان ١٢٦ .

فرتنى القينة ٢٠٣ .

فرعون ٧٦ .

فروة بن عمرو ٩٨ .

فروة بن مسيك المرادي ، أبو عمير ٢٤٧ ،

٢٤٩ .

فضالة بن عمير الليثي ٢٠٦ .

أبو الفضل = العباس بن عبد المطلب ٢٠٠ .

الفضل بن عباس ٢٦٤ ، ٢٧٤ .

فكيهة بنت يسار ٤٨ .

فهر بن مالك ٢٦ .

فيلبس ٢٥٩ .

ق

قارب بن الأسود بن مسعود بن معتب ٢٠٨ ،

٢٣٦ .

أبو القاسم ، عليه السلام ٤٤ ، ٥٣ ، ١٤٦ ، ١٥٩ .

القاسم بن محمد ٢٦٨ .

قبيصة بن عمرو الهلالي ٢٦٣ .

أبو قتادة = الحارث بن ربيعي .

قثم بن العباس ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

أبو قحافة ، عثمان والد أبي بكر ٤٧ ، ٥٩ ،

٢٠٢ ، ٢٣١ .

قدامة بن مظعون ٤٨ .

أبو القصم ، علي بن أبي طالب ١٣٠ .

قصي بن كلاب ١٥ ، ٢٧ ، ٥٦ ، ٩١ .

قضاة بن معد ١٦ .

قطبة بن قتادة ١٩١ .

قمعة بن الياس ٢٦ .

ابن قمئة الليثي ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٥ .

قنص بن معد ١٦ .

قيذر بن إسماعيل ١٦ .

قيدم بن إسماعيل ١٦ .

قيس بن الحارث ٢٣٨ .

قيس بن الحصين ، ذو الغصة ٢٥٣ .

قيس بن عاصم ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٥٦ .

قيس بن مخزومة ٣٢ .

قيس بن مكشوح المرادي ٢٤٨ .

قيصر بن ملك الروم ٢٢ ، ١٥٤ ، ٢٥٩ .

قين بن يانش ١٥ .

ك

كاهنة بني سعد هذيم ٢٨ .

أبو كبشة مولى رسول الله ١١٢ .

كرز بن جابر الفهري ١٠٧ .

كسرى ١٥٤ ، ١٧٩ ، ٢٥٩ .

كعب بن أسد القرظي ١٥٣ ، ١٦٢ .

كعب بن زهير بن أبي سلمى ٢٢٦ ، ٢٢٢ ،

٢٢٣ .

كعب بن زيد ١٤٤ .

كعب بن لؤي ٢٦ .

كعب بن مالك ٨٥ ، ٨٦ ، ١٠٤ ،

١٨٤ ، ٢١٥ ، ٢٢٨ .

كلاب بن مرة ٢٧ .

أم كلثوم بنت رسول الله ٣٩ .

كلثوم بن الأسود بن رزن ١٩٤ .

كلثوم بن الحصين، أبورهم الغفاري ١٩٨ ،

٢٣٣ .

كلثوم بن هدم ٩٧ .

كنانة بن أبي الحقيق النضري ١٥١ .

كنانة بن خزيمه ٢٧ .

كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ١٤٦ ، ١٨٤ ،

٢٦٣ .

كندية ٢٦٤ .

ل

أبولبابه بن عبد المنذر ١١٢ ، ١٦٠ ، ١٦١ .

ليد بن ربيعة ٢٤٢ .

لخنيعة ينف ذوشناتر ٢١ .

لقمان ٨٣ .

ابن لقيم العبي ١٨٧ .

ملك بن متوشلخ ١٥ .

أبو لهب، عبد العزى بن عبد المطلب ٢٧ ،

٥٠ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٨٢ .

لوط، عليه السلام ٢١ .

لؤي بن غالب ٢٦ .

أبوليلي = عبد الرحمن بن كعب .

ليلي بنت أبي حثمة ٦٠ ، ٩٠ .

م

ماشي بن إسماعيل ١٦ .

مالك بن ربيعة ١٨٨ .

مالك بن زافلة ١٩٠ .

مالك بن سنان ١٣٢ .

مالك بن عباد ١٩٤ .

مالك بن عبادة ٢٥١ .

مالك بن عمرو الأنصاري ١٢٧ .

مالك بن عوف النصري ٢٠٨ ، ٢٠٩ ،

٢١٣ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ .

مالك بن أبي قوقل ١٤٦ .

مالك بن كنانة ٢٦ .

مالك بن مرة الرهاوي ٢٥١ ، ٢٥٢ .

مالك بن بني المصطلق ١٧٠ .

مالك بن النضر ٢٦ .

مالك بن نويرة ٢٥٦ .

المأمون، محمد ﷺ ٢٢٣ .

ماوية مولاة حجر بن أبي إهاب ١٤١ .

متوشلخ بن أنخوع ١٥ .

مسافع بن طلحة ١٣١ .
 أم المساكين = زينب بنت خزيمة .
 مسطح بن أثاة ١٧٣ ، ١٩٧ ، ١٩٨ .
 أم مسطح بنت أبي رهم ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٧٦ .
 مسعر بن رخيصة ١٥٢ .
 أبو مسعود = عمرو بن عمير .
 مسعود بن عمرو بن عمير الغفاري ٧٩ ،
 ٢١٤ .
 مسعود بن القاري ٤٨ .
 مسعود بن معتب ٢٣ .
 مسعود بن هنيذة ٩٧ .
 مسمع بن إسماعيل ١٦ .
 مسيلمة بن حبيب الحنفي الكذاب، الرحمن
 ٥٩ ، ٢٤٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٧٣ .
 المصطفى ﷺ ٣٥٥ .
 مصعب بن عمير ٦٠ ، ٨٤ ، ١٠٤ ، ١١٢ ،
 ١٢٨ ، ١٣٧ .
 مضر بن نزار ٢٦ .
 المطعم بن عدي ٥٠ ، ٧٢ .
 المطلب بن أزهري ٤٨ .
 المطلب بن حنطب ١٢٣ .
 المطلب بن عبد مناف ٢٧ .
 معاذ بن جبل ١٠٣ ، ٢٥٢ .
 معاذ بن عفراء ٩٩ .
 معاوية بن أبي سفيان ١٤٢ ، ٢٢٠ .
 معاوية بن المغيرة بن أبي العاص ١٣٩ .
 أم معبد ٩٥ .
 معبد بن أبي معبد الخزاعي ١٣٨ ، ١٥٠ .
 أبو معتب بن عمرو ١٨٣ .

مجدي بن عمرو الجهني ١٠٦ .
 محارب بن فهر ٢٦ .
 أبو محجن الثقفي ٢١٩ .
 محرز بن نضلة ١٦٧ .
 محرق ٢١٧ .
 محمد ﷺ ٢١٦ .
 محمد بن إبراهيم بن الحارث ٢٦٨ .
 محمد بن جعفر الزبير ٢٦٥ .
 محمد بن كعب القرظي ٩٢ ، ١٥٧ .
 محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ٨٢ ،
 ١٨٢ ، ٢٣٣ ، ٢٤٩ ، ٢٥٩ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ،
 ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧٣ .
 محمد بن مسلمة ١٨٤ ، ١٨٥ .
 محمود (فيل الحبشة) ٢٥ .
 محمود بن أسد ١٣٤ .
 محمود بن مسلمة ١٨٢ ، ١٨٤ .
 حمية بن الجزء ١٨٨ .
 حميدة بن مسعود ١٨٥ .
 حرملة بن نوفل الزهري ١١٠ ، ٢٢٠ .
 نخشي بن عمرو الضمري .
 نخشيق اليهودي ١٣٤ .
 مدركة بن الياس ١٥ ، ٢٦ .
 مذمم (من تلقيب المشركين) ٨٧ .
 مرارة بن ربيع ٢٢٨ .
 مرثد بن أبي مرثد الغنوي ١١٢ ، ١٤٠ ،
 ١٤٢ .
 مرحب اليهودي ١٨٤ .
 مرة بن كعب ٢٦ .
 مريم العذراء البتول ٦٣ .

منبه بن عثمان بن عبيد ١٦٥ .
 متا ٢٥٩ .
 المنحمننا، اسم الرسول بالسريانية ٤٣ .
 المنذر بن ساوي العبدي ٢٥٩ .
 المنذر بن عمرو، المعنق ليموت ٨٨ ، ٩٨ ،
 ١٠٤ ، ١٤٥ .
 منصور بن عكرمة ٧٢ .
 المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة ٢٥٦ .
 المهدي، محمد ﷺ ٢٧٦ .
 مهليل بن قنين بن يانش ١٥ .
 موسى عليه السلام ٤٥ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٧ ،
 ١١٣ ، ١٨٥ ، ١٣٣ ، ٢٢٩ ، ٢٦٩ .
 أبو موسى الأشعري ١٨٨ ، ٢١٣ .
 أبو مويهبة مولى الرسول ٢٦٠ .
 ميسرة غلام خديجة ٣٨ ، ٣٩ .
 ميشا بن إسماعيل ١٦ .
 ميمونة بنت الحارث بن حزن ١٨٩ ، ٢٦١ ،
 ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ .

ن

نابت بن إسماعيل ١٦ .
 النابغة الذبياني ٩١ .
 ناحور بن تيرح ١٦ .
 ناحور بن ساروغ ١٥ .
 نافع بن بديل بن ورقاء ١٤٤ .
 نبش بن إسماعيل ١٦ .
 نبيه بن الحجاج ٥٥ ، ١١٥ .
 النجاشي ملك الحبشة ٢٣ ، ٦١ ، ٦٢ ،
 ٦٤ ، ٢١١ ، ١٨٨ ، ٢٦٢ .

معتب بن قشير ١٥٤ ، ١٦١ .
 معد بن عدنان ١٦ .
 المعراج (الدابة) ٧٥ .
 معمر بن الحارث ٤٨ .
 معمر بن عبد الله بن نضلة ١٨٨ .
 معن بن عدي ٢٧٣ .
 المعنق ليموت المنذر بن عمرو .
 معوذ بن الحارث ١١٨ .
 معيقب بن أبي فاطمة ١٨٨ .
 المغيرة بن شعبة ١٧٨ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ،
 ٢٧٦ .
 المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ٣٠ .
 المغيرة بن قصي = عبد مناف .
 المقداد بن عمرو ١١٣ ، ١٦٧ .
 مقسم أبو القاسم ٢٧٦ .
 المقوقس ملك الإسكندرية ٢٥٩ .
 المقوم بن عبد المطلب ٢٧ .
 مقوم بن ناحور ١٦ .
 مقيس بن صبابه ١٧٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ .
 ابن أم مكتوم الأعمى ٧٠ ، ١٣٨ .
 مكحول غلام الرسول ٢١٤ .
 مكرز بن حفص بن الأخيف ١٢١ ، ١٧٨ ،
 ١٨٢ .
 ملاعب الأسنة = عامر بن مالك .
 ملكان بن كنانة ٢٦ .
 أبو مليح بن عروة ٢٣٦ .
 مليح الكندي ٨٢ .
 منبه (الخزاعي) ١٩٤ .
 منبه بن الحجاج ٥٥ ، ١١٤ .

أم هانيء بنت أبي طالب ٢٠٤ .
 هبيرة بن أبي وهب المخزومي ١٥٥ ، ٢٠٤ ،
 ٢٢٣ .
 هذيل بن مدركة ٢٦ .
 هرقل ١٩٠ ، ١٩١ .
 هرمي بن عبد الله ٢٢٨ .
 أبو هريرة ١٣٣ ، ٢٥٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ .
 هشام بن صبابه ١٦٩ ، ١٧٠ .
 هشام بن عروة ١٤٥ ، ١٨٥ .
 هشام بن عمرو ٧١ ، ٧٢ ، ٢٢٠ .
 هصيص بن كعب ٢٦ .
 هلال بن أمية ٢٢٨ .
 هند بنت أبي أمية = أم سلمة .
 هند بنت عتبة ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٤ ،
 ٢٠١ .
 هند بنت أبي هالة ٢٦١ .
 هوذة بن علي الحنفي ٢٥٩ .
 هوذة بن قيس الوائلي ١٥١ .
 الهون بن خزيمه ٢٦ .
 أبو الهيثم بن التهان ٨٤ .

و

واقد بن عبد الله التيمي ٤٨ ، ١٠٨ .
 وحشي غلام جبير بن مطعم ١٣٠ ، ١٣٤ .
 وديعة ١٤٦ .
 ورقة بن نوفل ٣٩ ، ٤٥ ، ٥٨ .
 أبو الوليد = عتبة بن ربيعة .
 الوليد بن عتبة بن ربيعة ١١٠ ، ١١٦ .
 الوليد بن عقبة بن أبي معيط ١٧٠ .

النحام = نعيم بن عبد الله .
 نزار بن معد ١٦ ، ٢٦ .
 نسطاس مولى صفوان بن أمية ١٤١ .
 نسيبة بنت كعب ٨٦ .
 النضر بن الحارث بن كلدة ٥٥ ، ٥٧ ، ٦٩ ،
 ١١٤ ، ١٢٠ .
 النضر بن كنانة ٢٦ .
 نضلة بن هاشم بن عبد مناف ٧١ .
 النعمان قيل ذي رعين ٢٥١ .
 النعمان بن المنذر ١٦ ، ٢١٨ .
 نعيم بن عبد كلال ٢٥١ .
 نعيم بن عبد الله ، النحام ٤٨ ، ٦٥ .
 نعيم بن مسعود ١٥٦ ، ٢٥٦ .
 نعيم بن يزيد ٢٣٨ .
 نفيل بن حبيب الخثعمي ٢٣ ، ٢٤ .
 نعيم بن خرشة بن ربيعة ٢٣٥ .
 نميلة بن عبد الله ٢٠٤ .
 النهدي ٥٩ .
 نوح بن ملك ١٥ .
 نوفل بن خويلد ١١٤ .
 نوفل بن عبد الله بن المغيرة ١٠٨ ، ١٦٥ .
 نوفل بن عبد مناف ٢٧ .
 نوفل بن معاوية الديلي ١٩٤ .
 أبو نيار = سباع بن عبد العزى .

هـ

هارون بن عمران عليه السلام ٧٧ ، ٢٢٩ .
 هاشم بن عبد مناف ١٥ ، ٢٦ .
 أبو هالة بن مالك ٢٦١ .

- الوليد بن المغيرة، أبو عبد شمس ٤٠ ، ٥١ ، ٥٥ ، ٧١ .
- وهب بن جابر ٢٣٤ .
- أبو وهب بن عمرو بن عائذ ٤٠ .
- ي**
- الياس بن مضر ٢٦ .
- ياسر ٥٩ .
- ياسر اليهودي ١٨٥ .
- ابن يامين بن عمير بن كعب النضري ٢٢٩ .
- يانش بن شيث ١٥ .
- يحنس الحواري ٤٢ ، ٢٥٩ .
- يحنة بن رؤبة ٢٣١ .
- يحيى بن زكريا عليها السلام ٧٧ .
- يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ٢٦٩ .
- يخلد بن النضر ٢٦ .
- يرد بن مهليل ١٥ .
- يزيد بن أبي حبيب المصري ٢٥٩ .
- يزيد بن رومان ١٧٠ ، ٢٢٧ .
- يزيد بن عبد المدان ٢٥٣ .
- يزيد بن المحجل ٢٥٣ .
- يس ٢٣٤ .
- يشجب بن ثابت ١٦ .
- يطور بن إسماعيل ١٦ .
- يعرب بن يشجب ١٦ .
- يعقوب عليه السلام ١٧٥ .
- يعقوب بن عتبة ٢٦٤ .
- يعقوبس ٢٥٩ .
- يقظة بن مرة ٢٦ .
- يهودا ٢٥٩ .
- يودس ٢٥٩ .
- يوسف بن يعقوب عليها السلام ٧٧ ، ١٧٤ .
- يونس بن متى ٨٠ .

٣ . فهرس القبائل والطوائف ونحوها

٩٠ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ،	بنو آكل المرار ٢٤٩ .
١٠٤ ، ١٠٦ ، ١١٢ ، ١١٨ ، ١٢٤ ،	الأحابيش ١٢٦ ، ١٣٤ ، ١٥٢ ، ١٧٨ ،
١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ،	الأحلاف ٢٠٨ ، ٢٣٤ .
١٤٠ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٦١ ،	بنو أبي أحد ١٩٧ .
١٦٩ ، ١٧٦ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ٢٠٣ ،	إراش ٧٣ .
٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢١٢ ،	الأزد ٢٥٠ .
٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ،	أسد بن عبد العزى ٤٠ ، ١٨٨ ، ٢٠٦ ،
٢٢٨ ، ٢٤٤ ، ٢٦٢ ، ٢٦٦ ، ٢٧٠ ،	٢٥٦ .
٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٨٠ .	إسرائيل ١١٣ ، ١٦٢ .
الأوس ٨٤ ، ٨٧ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ،	أسلم ٥٣ ، ٩٦ ، ١٦١ ، ١٧٦ ، ٢٣٣ .
١٥٣ ، ١٦١ ، ١٧٣ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ .	أسيد بن عمرو بن تميم ٢٦١ .
أوس الله ١٠٠ .	أشجع ٢٥٦ .
البكاؤون ٢٢٨ .	الأشعريون ١٦ .
بكر بن عبد مناة ١١٢ ، ١٠٦ ، ١٩٤ .	أصحاب السمرة ٢١١ .
بكر بن وائل ١٢٦ .	أصحاب الفيل ٢٣ ، ٢٦ .
البكير بن عبد ياليل ٤٨ .	أصحاب المثين ٢٢٠ .
بلحارث = بني الحارث .	بنو الأصفر = الروم ٢٢٧ .
بلي ٢٤٥ ، ٢٦٥ .	الأعاجم ٢٠ ، ١٧٢ .
بياضة ٩٨ ، ١٨٧ .	بنو أمية ١٠٠ .
التبابعة ١٦ .	الأنصار ١٩ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٩ ،

- حمير بن سبأ ٢٠، ٢١، ٢٥٠، ٢٥٢ .
 حنظلة ٢٥٦ .
 حنيفة ٨٢، ٢٤٤، ٢٥٥ .
 الحواريون ٢٥٨ .
 خثعم ٢٥٠ .
 خزاعة ١٣٨، ١٧٧، ١٧٨، ١٨١، ١٩٤،
 ١٩٥ .
 الخزرج ٨٣، ٨٤، ٨٨، ١٢٣، ١٧٣،
 ٢٠٣، ٢١٢ .
 خطمة ١٠٠ .
 دوس ٢١٥ .
 الدليل، من بني بكر ١٩٤ .
 بنو دينار ١٠٧، ١٣٧ .
 ذورعين ٢٥٠ .
 الروم، بنو الأصفر ٣٩، ١٩٠، ١٩١،
 ٢٢٧ - ٢٥٩ .
 زبيد ٢٤٩ .
 زهرة بن كلاب ٤٠، ١٨٨ .
 بنو ساعدة ٩٨، ١٠١، ١٠٢، ١٤٤،
 ٢٣٠، ٢٧٠، ٢٧٢ .
 سالم بن عوف ٩٨ .
 سامة بن لؤي ٢٦٣ .
 سبأ ٢٢ .
 سعد بن بكر ٣٢، ٣٣، ٣٥، ٢٠٨،
 ٢١٤، ٢١٧، ٢٣٨، ٢٥٦ .
 سعد بن ليث ١٠٠ .
 سعد هذيم ٢٨ .
 بنو سلمة ١٠٣، ١١٨، ١٦٤، ١٨٠،
 ٢١٩، ٢٢٧ .
- تميم بن مر ١٨٨، ٢٠٦، ٢١٨، ٢٣٨ .
 تميم بن غالب ٢٠٣ .
 ثعلبة ١٠٢، ١٤٧ .
 ثعلبة بن الفطيون ١٣٣ .
 ثقيف ٣٧، ٦٩، ٧٩، ٨٠، ٢١٥،
 ٢١٦، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٣٤،
 ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧ .
 نمالة ٢١٩ .
 بنو جحش بن رثاب ١٠٠ .
 جذام ١٩٠ .
 جرهم ٢٠ .
 جشم ١٠١، ١٠٢ .
 جفنة ١٠٢ .
 جلابيب قريش ١٦٨ .
 جمح بن عمرو ٤٠، ٥٨، ٧٩، ١٠٠،
 ١٨٨ .
 الجن ٨١، ٩٥ .
 جهينة ٢٢٣ .
 الحارث بن الخزرج ٩٨، ١٠٤، ٢٣٥ .
 الحارث بن كعب ١٠٢، ٢٥٢، ٢٥٣،
 ٢٥٤ .
 الحارث بن فهر ١٨٨ .
 حارثة ١٢٨، ١٦٤، ١٨٦، ٢٢٨ .
 الحبشة، الحبش ١٧، ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٦٤،
 ٢٥٩، ٢٦٦ .
 بنو الحجاج ١١٤ .
 بنو الحسحاس ٢٠٧ .
 بنو الحضرمي ١٩٤ .
 بنو أبي الحقيق ١٨٤ .

العجلان ١٩٢ ، ٢٧٣ .	سلول ٢٤٣ .
العجم ٧٨ ، ٩٢ ، ٢٥٩ .	سليم ١٢٣ ، ١٤٤ ، ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٦ ، ٢١٨ ،
عدي بن كعب ٤٠ ، ٦٤ ، ١٠٠ ،	سهم بن عمرو ٤٠ ، ١٨٨ .
١٧٩ ، ١٨٨ ، ٢٠٠ .	السودان ١٨ .
عدي بن النجار ٣٥ ، ٩٩ .	الشطبية ١٠٢ .
عذرة .	شنوءة ٧٥ ، ٧٧ .
عضل ١٤٠ ، ١٥٤ .	شهران ٢٣ .
عمرو بن حزم ٢٣٠ .	ضمرة بن بكر ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٥٠ .
عمرو بن زرعة ١٨٧ .	طيء ٢٣٠ ، ٢٤٥ ، ٢٥٦ .
عمرو بن عامر ٢٠٩ .	ظفر ١٣٧ .
عمرو بن عوف ٨٣ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠١ ،	بنو العاص بن سعيد ١١٤ .
١٤٤ ، ٢٢٨ .	عامر بن صعصعة ٨٢ ، ١٤٦ ، ١٤٥ ،
عوف ١٠١ ، ١٠٢ .	٢٤١ .
عوف بن الخزرج ٢٧٤ .	عامر بن لؤي ١٦٥ ، ١٨٠ ، ١٨٨ ، ١٩٩ ،
غسان ٢٢٦ .	٢٠٣ ، ٢٠٩ ، ٢٢٠ ، ٢٥٩ .
غطفان ١٢٤ ، ١٤٧ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ .	عامر بن الياس = مدكرة .
١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٨٣ .	عبد الأشهل ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٦١ ، ٢٧٠ ،
غفرة ٤٢ .	عبد الدار بن قصي ٤٠ ، ٥٩ ، ١٢٩ .
بنو غيرة ، من ثقيف ٢١٣ .	١٨٨ .
فارس ، الفرس ٥٧ ، ٢٥٩ .	بنو عبد الرحمن = المهاجرون
آل فرعون ٧٦ .	عبد شمس بن عبد مناف ١٨٨ .
فزارة ١٥٢ .	عبد القيس ١٣٩ ، ٢٤٣ .
فهر ٢٣٩ .	بنو عبد الله = الخزرج ٢٠٣ .
فهم ٢١٩ .	بنو عبد المطلب ٦٧ ، ٨٢ ، ١١٠ ، ٢٠٣ .
القارة ١٤٠ ، ١٥٤ .	٢١٨ .
قريظة ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٦١ ، ١٦٢ ،	بنو عبد مناف ٤٠ ، ٦٥ ، ٧٢ ، ٢٠٠ .
١٦٣ ، ١٦٥ .	بنو عبيد الله = الأوس ٢٠٣ .
قنص بن معد ١٦ .	عتاب بن مالك ٢٣٤ .
قيس عيلان ٣٧ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ .	

. ٢٣٩ ، ٢٠٨ ، ٢٣٩ . معد بن عدنان
 . المعذرون .
 . ٢٦٣ منقذ بن عمرو بن معيص
 ، ١٠٠ ، ٩٩ ، ٩٨ ، ٨٩ المهاجرون
 ، ١٤٧ ، ١٢٣ ، ١٠٨ ، ١٠٦ ، ١٠٣
 ، ١٧٧ ، ١٧٦ ، ١٧٣ ، ١٦١ ، ١٤٩
 ، ٢٢٥ ، ٢٢٢ ، ٢١٨ ، ٢٠٢ ، ٢٠٠
 ، ٢٧٠ ، ٢٦٠ ، ٢٥٨ ، ٢٣٧ ، ٢٣٣
 . ٢٧٧ ، ٢٧٥ ، ٣٧٣
 . بنو مؤمل ٥٩ .
 . ناهس ٢٣ .
 . النبيت ١٠١ ، ١٢٤ .
 ، ١٨٧ ، ١٠١ ، ٩٩ ، ٩٨ النجار
 . ٢٧٩ ، ٢٤٤ ، ٢٢٨
 . نزار ٢٢٦ .
 . النساء ٢٣ .
 . النصارى ٤١ ، ٧٩ ، ١٢٥ ، ٢٤٥ .
 . نصر ٢٠٨ .
 . النضر بن كنانة ٢٥٤ .
 ، ١٥١ ، ١٤٧ ، ١٤٦ ، ١٤٥ النضير
 . ٢٦٤
 ، ٨٣ ، ٦٧ ، ٦٦ هاشم بن عبد مناف
 . ١٨٨ ، ١١٩
 . الهذليون ١٨ .
 ، ١٤١ ، ١٤٠ ، ١٩ هذيل بن مدركة
 . ٢٥٧
 . هصيص
 . همدان ٢٥١ ، ٢٤٧ .
 ، ٢١٧ ، ٢١٢ ، ٢١١ ، ٢١٠ ، ٢٠٨ هوازن

. ١٢٨ ، ٩٧ قيلة
 . القين ١٩٠ .
 . ١٦٩ ، ١٦١ ، ١٥٧ ، ١٢٦ ، ١٢٥ قينقاع
 . ٢٠٩ ، ٩٥ بنو كعب
 . ١٦٨ كعب بن عوف
 . ٢٠٩ كلاب
 ، ١٣٤ ، ١٢٦ ، ١١٢ ، ٣٧ ، ٢٤ كنانة
 . ١٩٦ ، ١٥٥
 . ٢٣٢ ، ٨٢ كندة
 . لحيان ١٦٥ .
 . لحم ١٩٠ .
 . لهب ٣٥ .
 . ٢٢٨ مازن بن النجار
 . ٢٣٤ ، ٢٣٠ ، ٢١٣ ، ٢٠٨ مالك
 . مالك بن أقيش ٨١ .
 . مالك بن النجار ٩٨ .
 . محارب ١٤٧ .
 . ٢٠٤ ، ١٦٥ ، ٩٠ مخزوم بن يقظة
 . مدلج ١٠٧ .
 . مذحج ٢٤٨ .
 . ٢٤٨ ، ٢٤٧ مراد
 . مرة ١٥٢ .
 . مزينة ٢٠١ .
 . ١٧١ ، ١٧٠ ، ١٦٨ المصطلق
 . مضر ، ١٤٥ .
 . ٣٧ ، ٥٠ المطلب
 . مظعون ١٠٠ .
 . معافر ٢٥١ .
 . معتب ٢٣٦ .

يسار ٢٣٥ .

اليمن (في فهرس البلدان).

يهود ٣١ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ٩٧ ،

١٠٢ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٤٦ ،

١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٨٤ ،

١٨٧ .

٢١٨ .

و

واقف ١٠٠ ، ٢٢٨ ،

وائل ١٠٠ ، ١٥١ .

ي

آل ياسر ٥٩ .

٤ . فهرس البلدان والمواضع ونحوها

أوطاس ٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٢١٧ .	الأبرق ٢١٧ .
أولات الجيش ١١١ .	الأبطح ٨٩ ، ١٠٣ ، ٢٠٤ .
أيلة ٢٣١ .	الأبواء ٣٧ ، ١٠٧ .
إيلياء ٧٣ ، ٢٦٥ .	أبين ١٨ ، ١٩ .
باب الكعبة ٢٣ ، ٣٩ .	أثافي البرمة ١٠٧ .
بابل ٥٠ ، ٢٤٤ .	الأجرد ١٠٤ .
البتراء ١١٥ .	أحد ١٠٤ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ،
البحر (بحر القلزم) ٢٣١ .	١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ،
بحران ١٠٧ ، ١٣٢ .	١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٦٤ ، ٢٦٧ .
بحرة الرعاء ٢١٥ .	الأخدود ٢١ .
البحرين ٢١ ، ١٩٠ ، ٢٥٩ .	الأخضر ٢٣٣ .
بلد ٤٥ ، ١٠٧ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ،	أذاخر ٨٨ .
١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ،	أذرح ٢٣٢ .
١٣٨ ، ١٤١ ، ١٥٥ ، ١٦٤ ، ١٧٦ ، ١٨٨ ،	الأراك ٦٢٤ .
٢٠٠ ، ٢٣٤ ، ٢٧٣ .	الأردن ٩٢ .
البربر ٢٥٩ .	إساف (صنم) ٣٠ .
برك الغماد ١٢٩ .	الإسكندرية ٢٥٩ .
بصري ٣١ ، ٣٤ ، ٣٥ .	الأعرابية ، أرض الحجاز ٢٦٠ .
بطحاء ابن أزهر ١٠٦ .	أمج ١٨ ، ٩٦ ، ١٨٦ ، ٢٠٠ .
بطحاء مكة ١٣٩ .	أوراشلم ٢٧٠ .

ثور ٩٤ .	بعث ٨٣ .
ثيب ١٢٤ .	بقعاء ١٦٩ .
جابية الجولان ٢٣٩ .	بقيع الغرقد ١٨٣ ، ٢٦٠ ، ٢٧٦ ،
الجباب ٨٧ .	البلقاء ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٥ .
جبلا طيء ٢٣٠ .	بواط ١٠٧ .
الجداجد ٩٦ .	بيت أبي بكر ١٦٦ .
جدة ٣٩ .	البيت الحرام، بيت الله ١٨ ، ١٩ ، ٢٣ ، ٢٥ ،
جرباء ٢٣١ .	٥١ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ١١١ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ،
جرش ١٧ ، ٢١٥ ، ٢٤٨ .	١٨٠ ، ١٨٨ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٣٧ ، ٢٤٦ ،
الجرف ٢٢٠ ، ٢٣٠ ، ٢٦٦ .	٢٧٤ .
جزيرة العرب ٢٧٧ .	بيت رأس ٢٠٦ .
الجعرانة ٩٦ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٩ .	بيت عائشة ٢٧٠ .
الجمرة الكبرى ٢٧٨ .	البيت المعمور ٧٦ .
الجو ٢٢٤ .	بيت المقدس ٧٣ ، ٧٥ ، ٢٦٠ .
الجواء ٢٠٦ .	بثر أنا ٢٢٤ .
الجوشية ٢٤٦ .	بثر الروحاء ١١٢ .
الحبشة ٦٦ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٧١ ، ٨٩ ،	بثر الكعبة ٣٩ .
٩٠ ، ١٨١ ، ١٨٧ ، ٢٦١ ، ٢٦٦ .	بثر معونة ١٠٩ ، ١٤٤ .
الحجاز، الأعرابية ٢٨ ، ٣١ ، ١٠٧ ، ١١٠ ،	بين ١٦٦ .
١٢٤ ، ١٦٩ ، ٢٤٨ ، ٢٦٠ .	تبوك ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ،
الحجر ٢٣٠ .	٢٣٤ ، ٢٣٧ ، ٢٥١ .
حجر الكعبة ٤١ ، ٥٢ ، ٧٤ .	تربان ١١٢ .
الحجون ٧٢ .	التنعيم ١٤٢ ، ١٥٨ .
الحديبية ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ،	تهامة ٢٤ ، ١٢٧ ، ١٣٦ ، ١٥٣ ، ٢١٠ ،
١٩٢ ، ١٩٥ .	٢١٥ ، ٢٢٠ .
حراء ٤٤ .	ثنية العائر ٩٧ .
الحرم ١٨ ، ٣٨ ، ١٠٨ ، ١٤٢ ، ١٩٥ ،	ثنية المرار ١٧٢ .
٢٣٧ .	ثنية المرة ١٠٦ .
الحرة ١٤٨ .	ثنية الوداع ١٦٦ ، ٢٢٨ .

دفاع = اللات ٢٣٦ .
 دومة الجندل ١٥١ ، ٢٣٢ .
 ذات الأصابع ٢٠٦ .
 ذات أنواط (شجرة) ٢١١ .
 ذات الجيش ٢٦٣ .
 ذات الرقاع ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢١٦ .
 ذباب ٢٢٢ .
 ذنب نقمي ١٥٣ .
 ذو أمر ١٢٤ .
 ذو الخليفة ١١١ .
 ذو سلم ٨٧ .
 ذو صنعاء ٢٤٨ .
 ذو طوى ٢٠٣ ، ٢٠٥ .
 ذو الغضوين ١٠٢ .
 ذو قرد ٣٥ ، ٢٣٤ .
 ذو كشر ١٢٥ .
 ذو الهدم ٢٣٥ .
 رانوناء ٩٨ .
 الربذة ٢٣١ .
 الرجيع ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ٢٢٠ ، ٢٣٢ ،
 ٢٤١ .
 رحقان ١١٥ .
 الردم ٢٤٧ ، ٢٤٧ .
 رضوى ١٠٦ .
 الركن ٤١ ، ٤٦ ، ١٨٨ ، ٢٠٥ .
 الركن الأسود ٤١ ، ٥٧ ، ١٨٨ ، .
 الركن اليماني ٤١ ، ٥٧ ، ١٨٨ .
 ركوبة ٩٧ .
 الروحاء ١١٢ ، ١١٣ ، ١٢٠ ، ١٣٨ .

حرة بني سليم ١٤٤ .
 حصن ناعم ١٨٤ .
 حضر موت ٢٥٦ .
 حمراء الأسد ١٣٨ ، ١٣٩ .
 الحمض ١٧٨ .
 حنين ٩٦ ، ٢٠٣ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ،
 ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٣٧ .
 الحيرة ١٩ ، ٥٧ .
 الخرار ٩٤ ، ١٠٨ .
 خطم الحجون ٧٢ .
 خفية ٢٢٥ .
 الخلائق ١٠٧ .
 الخليفة ، خليفة بني أحمد ١٩٩ .
 الخندق ١٢٩ ، ١٤٤ ، ١٥١ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ،
 ١٥٨ ، ١٦٤ ، ١٧٠ .
 خبير ٣٠ ، ١٤٩ ، ١٨٢ ، ١٨٨ ، ٢١٥ .
 خيمتا أم معبد ٩٥ .
 دار بديل بن ورقاء ١٩٥ .
 دار بني بياضة ٩٧ .
 دار بنت الحارث ٢٤٤ .
 دار رافع ١٩٥ .
 دار بني ساعدة ٩٧ .
 دار أبي سفيان ٢٠٢ ، ٢٠٣ .
 دار بن عدي بن النجار ٩٨ .
 دار قصي بن كلاب = دار الندوة ٩١ .
 دار مالك بن النجار ٩٨ .
 دار الندوة ٩١ ، ١٨٨ .
 الداروم ٢٥٨ ، ٢٦٧ .
 دحنا ٢١٧ .

شوكة ١١٢ .	رومة ١٥٣ .
الشوط ١٢٧ .	رومية ٢٦٠ .
الصادرة (سدره) ٢١٦ .	رثم ٩٦ .
صخيرات اليمام ١٠٧ ، ١١١ ، ١٦٦ .	زغابة ١٥٢ .
صرار ١٤٨ ، ١٤٩ .	زمزم ٢٧ ، ٢٨ .
الصفاء ٥٣ ، ٦٥ ، ٦٦ .	السافلة ١١٣ .
الصفراء ١١٢ ، ١٢٠ .	سابة ١٦٦ .
الصمغة ١٢٩ .	السيخة ١٢٧ ، ١٥٥ .
صنعاء ٢٣ ، ١٨٢ ، ٢٢٥ .	سجسج ١١٢ .
الصهباء ١٨٤ .	سررد ٢٠١ .
الضبوعة ١٠٧ .	سرف ١٣٣ ، ١٨٢ .
ضجنان ١٥٠ .	سفوان ١٠٧ .
الضيقة ٢١٦ .	سقيفة بني ساعدة ٢١٢ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ .
الطاغية (صنم) = اللات ٢٣٦ .	السلام (حصن) ١٨٥ .
الطائف ٢٣ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٩٥ ، ١٠٧ ،	سلع ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٩٦ .
١٣١ ، ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٣٦ ،	السنح ٢٦٨ ، ٢٦٩ .
٢٣٧ .	سهام ٢٠١ .
طفيل ١٠٥ .	السيالة ١١٢ .
طيبة، المدينة ٢٧٦ .	الشام ٢٣ ، ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٧ ،
طيبة، زمزم ٢٧ .	٥٦ ، ٥٧ ، ٧٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ١١٠ ، ١٢٢ ،
ظفار ١٦٦ .	١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٤٢ ، ١٤٦ ، ١٦٦ ، ١٩٠ ،
الظهران ١٤١ ، ١٥٠ ، ١٩٨ ، ٢٠١ .	١٩١ ، ٢٣٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ .
العالية ١١٣ .	شامة ١٠٥ .
العائر ٩٧ .	شبكة شدخ ٢٣٣ .
العبايد ٩٦ .	الشجرة ٢٣٣ ، ٢٤٦ .
عثر ٢٢٤ .	الشدخه ٢١٦ .
عدن ١٧ .	شعبة عبد الله ١٠٧ .
عذراء ٢٠٦ .	الشق ١٧٨ ، ١٧٩ .
العراق ١٩ ، ٥٦ ، ١١٣ ، ١٢٦ ، ٢٣٢ ،	شكر ٢٥١ .

الفرع ١٠٨ ، ١٢٤ .	٢٧٥ .
فلسطين ٢٥٨ ، ٢٦٠ .	العرج ٩٧ .
فيفاء الخبار ١٠٧ .	عرق الظبية ١١٢ ، ١٢٠ .
القادسية ٢٤٦ ، ٢٤٧ .	عريش رسول الله ١١٨ .
قباء ٩٧ ، ٩٨ .	العريض ١٢٥ .
قبر الرسول ٢٧٥ ، ٢٧٦ .	العزى (صنم) ٣٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٨١ .
أبوقبيس ١١١ ، ٢٠٣ .	عسفان ١٩ ، ٩٦ ، ١٦٦ ، ١٧٧ ، ١٩٦ ، ١٩٨ .
قديد ٩٦ ، ١٥٠ ، ١٦٢ .	العشيرة ١٠٧ .
القرودة ١٢٧ .	عصر ١٨٤ .
قرطاجنة ٢٦٠ .	العقبة ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٠٣ .
قرقرة الكدر ١٢٤ ، ١٤٥ .	١١٨ .
قرن ٢١٥ .	العقنقل ١١٨ .
القريتان ٦٩ .	العقيق ١١٢ ، ١٣١ ، ١٣٢ .
قليب بدر ١١٩ ، ١٢٧ .	عكاظ ١٣٩ .
القليس (نيسة) ٢٣ .	عمان ٢٥٠ .
القموص (حصن) ١٨٤ .	العيص ١٠٧ .
قناة ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٤٥ ، ٢٣٤ .	عينين ١٢٧ .
الكتيبة ١٨٠ .	الغابة ١٦٦ .
كداء ١٩٦ ، ٢٠٧ .	الغار ٩٤ .
الكدر ١٢٤ .	غراب ١٦٦ .
الكديد ١٩٦ .	غران ١٦٦ .
كراع الغميم ١٦٦ ، ١٧٧ .	غميس الحمام ١١٢ .
كشر ٢٥١ .	الفاجة ٩٦ .
الكعبة ٢٣ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩١ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ٢٧٣ ، ٢٠٣ .	فارس ١٨ .
الكهف ٢٦٠ .	فج الروحاء ١١٢ .
الكوفة ١٥٦ .	فخ ١٠٥ .
	فدك ١٨٥ .
	فرش ملل ١٠٧ .

المضنونة = زمزم ٢٧ .	اللات، دفاع، الطاغية (صنم) ٢٣ ، ٥٨ ،
المضيق ١١٢ ، ١٢٠ .	٦٠ ، ٦١ ، ٨٢ ، ١٧٨ ، ١٩٨ ، ٢٣٥ ،
مضيق الصفراء ١١٢ ، ١٢٠ .	٢٤٠ .
معان ١٩٠ .	لقف ٩٦ .
المغمس ٢٣ ، ٢٤ .	لية ٢١٦ .
مقبرة بني قريظة ١٦٥ .	ماب ١٩٠ .
المكتان ٣٩ .	محنة ١٠٥ ، ١٥٠ ، ٢٢١ .
ملل ١١٢ .	مخيض ١٦٦ .
المليح ٢١٥ .	مدلجة تعهن ٩٦ .
منى ٨١ ، ٢١١ .	مدلجة لقف ٩٦ .
المهراس ١٣٣ .	مدلجة محاج ٩٦ .
مهبة ١٠٥ .	المدينة ... (١) .
مؤتة ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ .	مر الظهران ١٩٩ ، ٢٢٢ .
النازية ١١٢ ، ١٢٠ .	مرجح ٩٦ .
نائلة ٢٠ .	مرجح محاج ٩٦ .
نجد ٩١ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ،	المريسيع ١٦٨ .
١٥٣ ، ١٦١ .	المسجد الأقصى ٧٣ .
النجدية ١٢٤ .	المسجد الحرام ٤١ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٨ ، ٧٣ ،
نجران ١٩ ، ٢٢ ، ٢٥٢ ، ٢٥٦ .	٧٤ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩١ ، ١٠٩ ، ١١٢ ،
نخب ٢١٦ .	١٨٢ ، ١٩٠ ، ١٩٦ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ،
نخل ١٤٧ ، ١٤٨ .	٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧١ .
نخلة ٨١ ، ١٠٧ ، ٢١٣ .	مسجد الطائف ٢١٦ .
نخلة اليمانية ٢١٥ .	مسجد عصر ١٨٤ .
نصييين ٨١ .	مسجد قباء ٩٨ .
نطاة ١٨٥ ، ١٨٧ .	مسجد المدينة ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٧ ، ١٤٠ ،
نقب بني دينار ١٠٦ .	١٤٨ ، ١٥٩ ، ١٨٨ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٧٥ ،
نقمة ١٥٣ .	٢٧٦ .
المقيع ١٦٩ .	مشارف ١٩٢ .
نيق العقاب ١٩٩ .	المشرب ١٠٨ .

الوطيح ١٨٥ .
يثر ب (المدينة) ٢٣ ، ٧٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ،
١١٥ ، ١١٦ ، ١٥٠ ، ١٦٣ ، ١٩٣ .
يليل ١٠٧ .
اليمامة ٥٧ ، ١١٩ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٥٤ ،
٢٦٤ ، ٢٦٨ .
اليمن ١٦ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ١٣٠ ، ٢٠٤ ،
٢٢٥ ، ٢٣٢ ، ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ .

النيل ٦٤ .
نينوي ٨١ ، ٨٢ .
هبل (صنم) ٣٥ ، ١٣٤ .
الهدأة ١٤١ .
وادي القرى ١٨٦ .
وادي المشقق ٢٢٥ .
الوتير ١٩٥ ، ١٩٦ .
وج ٢١٥ .
ودان ١٥٠ .

٥ . فهرس الأشعار والأرباز

٢٤٢	لبيد	وليد	٢٠٧	حسان بن ثابت	خلاء
٢٨١	حسان	إفناد	٢٤٧	فروة بن ميسك	نسائها
١٢٩	هند بنت عتبة	الدار	١٨٤	كعب بن مالك	كعب
٢٨١	حسان	سحرا	١٨٤	مرحب	مرحب
١٩٣	حسان	مسهر	١٩١	جعفر	واقترابها
			٢٤١	عمرو بن الأهمم	تصب
١٨٧	ابن لقيم	وقفاز	١٩٢	عبد الله بن رواحة	تموتي
٢٢٥	كعب بن زهير	الأنصار	٣٩	ورقة بن نوفل	النشيجا
٢٠٤	أخت مقيس	بمقيس	١٧٦	-	ومسطح
٢٠٩	دريد بن العصمة	جدع	١٩٠	عبد الله بن رواحة	الزبدا
٢٣٦	-	دفاع	١٩٥	عمرو بن سالم	محمد
٢٣٩	الزبرقان بن بدر	البيع	٢٧٨	حسان بن ثابت	وتهمد
٢٣٩	حسان	تبع	١٢١	الأسود بن المطلب	السهود
١٤٣	حبيب بن عدي	مجمع	١٢٣	أبو عزة	حميد
٢٢٠	عباس بن مرداس	الأجرع	٢٤٨	عمرو بن معد يكرب	رشد
٢١٥	كعب بن مالك	السيوفا	٩٥	بعض الجن	معيد
١٢٩	هند بنت عتبة	نعانق	١٩٩	أبو سفيان	محمد
٢١٧	بجير بن زهير	الأبرق	٢١٩	مالك بن عوف	محمد
١٤٣	حسان	القلقي	١٥٠	معيد	محمد
١٠٥	عامر بن فهيرة	ذوقة	٢٨٠	حسان بن ثابت	الأرميد

١٩٠	عبد الله بن رواحة	وخليل	٢٥	عبد المطلب	حلالك
١٠٥	أبو بكر الصديق	أهله	٢٢٣	كعب بن زهير	هل لكا
٢١٩	أبو محجن الثقفي	سلمة	٩٩	-	يعمل
٢٠٦	فضالة بن عمير	والإسلام	١٤٠	عاصم بن ثابت	عنابل
٢٣٩	حسان بن ثابت	وراغم	١٠٥	بلال	وجليل
١٩٢	عبد الله بن رواحة	لتنزلته	٢٢٤	كعب بن زهير	مكبول
٢٠	ذورعين	عين	١٥٥	حسان	لم تفعل
١٥٠	عبد الله بن رواحة	وافيا	١٣٨	معبد	الأبايل

